مُعَاصَرةٌ بلا قيودٍ

الكاتب: صليبا جبرا طويل

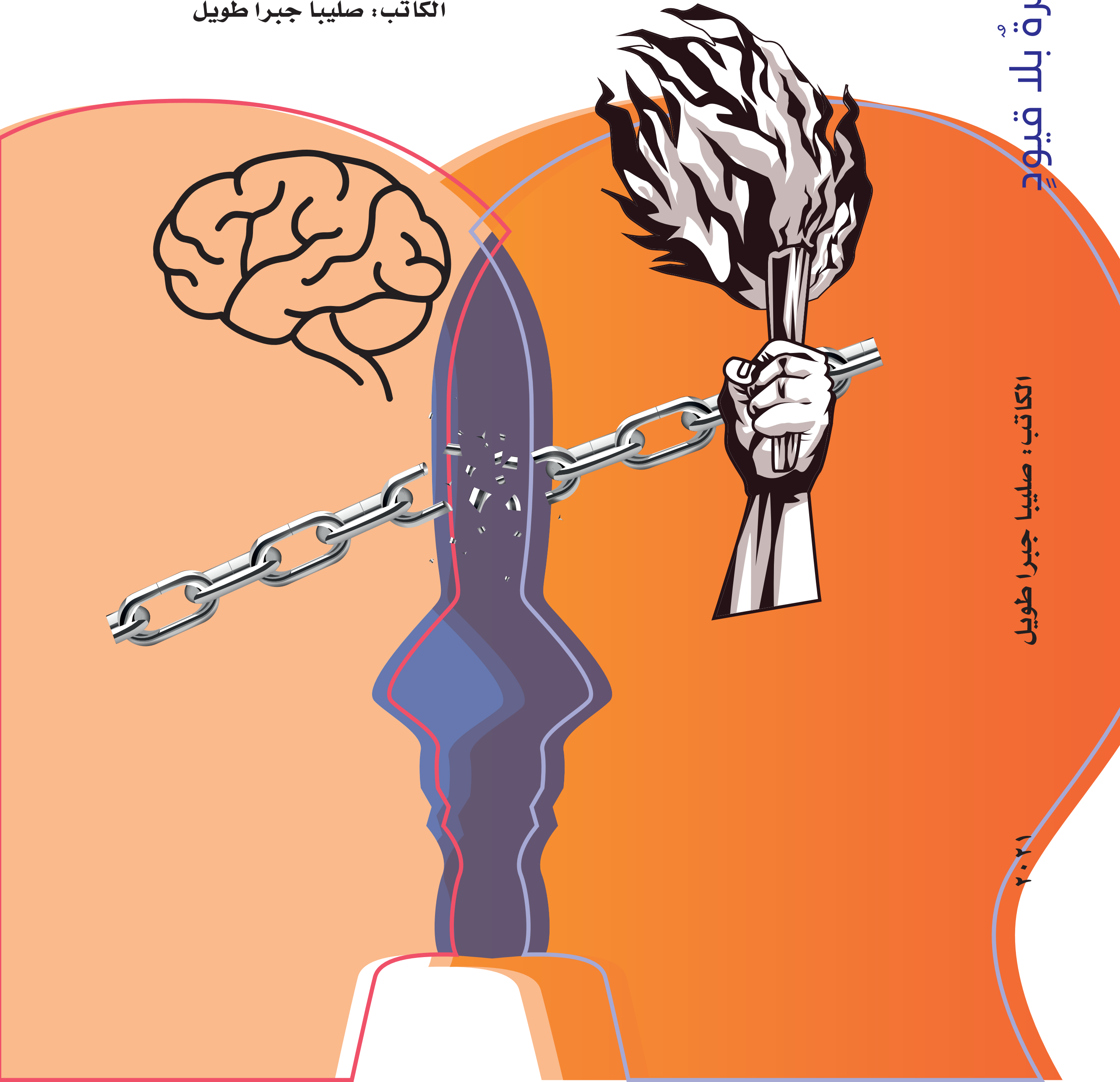

مُعَاصَرةٌ بلا قيودٍ

الكاتب: صليبا جبرا طويل

٢٠٢١

مُعَاصَرةٌ بلا قيودٍ

الكاتب: صليبا جبرا طويل

كتاب: مُعَاصَرةٌ بلا قيودٍ.
الكاتب: صليبا جبرا طويل.
الناشر: مركز وئام الفلسطيني – بيت لحم.
جميع الحقوق محفوظة للكاتب.

يسمح بإعادة نشر وطباعة هذا الكتاب ورقياً وإلكترونياً فقط بعد الرجوع إلى الكاتب، أو الناشر، واخذ الموافقة منهما. ويتم ذلك بشرط أن ينشر كل ما ورد بين دفتي الكتاب من مواضيع كاملة، دون حذف، أو نقصان، أو زيادة، فيها وفي محتواها ، وخلاف ذلك يعرض المخالف إلى ملاحقة قانونية.

اهداء وشكر

اهـدي هـذا الكتـاب الى روح امـي التـي علمتنـي قيمـة العقـل والفكـر وحريتهـما، والى روح ابي الـذي علمنـي قيمـة العمـل، والى عائلتـي الداعمـة لي، وبشـكل خـاص أهديـه لـكل السـاعين الى دفـع البشريـة نحـو فضـاء يسـمو بأفكارهـم، بمواقفهـم، بأقلامهـم لبنـاء مسـتقبل انسـاني أفضـل، لتحقيـق العدالـة، والحريـات، والمسـاواة، ونـشر السـلام بـين كل جميـع الأجنـاس البشريـة واطيافهـا الاجتماعيـة، والدينيـة، والجنادريـة المختلفـة .

اشـكر السـيد زغبـي زغبـي رئيـس مركـز وثـام الفلسـطيني عـلى تبنيـه إصـدار هـذا الكتـاب، والسـيد الدكتـور: سـعيد عيـاد عـلى مراجعتـه وكتابـة مقدمتـه، والمربيـة الفاضلـة السـيدة سـلوى أبـو سـعدى أبـو حشـيش عـلى تدقيـق الكتـاب لغويـا.

صليبا جبرا طويل

أيلول / سبتمبر / ٢٠٢١

الفهرس

العنوان	الصفحة
١- الانسان	**١٩**
- الرجال الحقيقيون	١٩
- الانسان صناعة الانسان	٢٢
٢- واقعنا العربي	**٢٧**
- العرب وشعوب العالم	٢٧
- الإعلام المرئي يحرض على الإرهاب	٣١
- الفساد لا يبني وطن	٣٥
- خطب منمقة وثورات قادمة	٣٨
- عروبتنا تحتضر	٤٣
- الأحزاب وديمقراطية العدالة	٤٩
- الزمن والهوية	٥٣
- حقائق من الواقع العربي	٥٧
- في الشرق الكلام يفوق الافعال	٥٨
- الثالوث الانتهازي	٦٢
- أيها العاطلون عن العمل اتحدوا	٦٦
- اوطان هشة من ورق	٦٨
-عروبتنا تغرق بالأحلام	٧٢

٣- الربيع العربي **٧٤**
- توافق او شرق اوسط جديد ٧٤
- مسيحيون على صليب الثورات العربية ٧٨
- القيامة مع الربيع العربي ٨٢
- ربيع الثورة عورة ٨٥
- حسناوات في الربيع العربي ٩٠
- العرب في ربيع ٩٤
- لاهوت في زمن الربيع العربي ٩٨
- تعددت آلهة الربيع العربي ١٠٣

٤- العلمانية **١٠٨**
- العلمانية حق للإنسانية المفقودة ١٠٨
- ثورة فكرية نحو العلمانية ١١٢
- الخير والشر من منظور علماني ١١٧
- العلمانية حرية تقدم ومستقبل ١٢١

٥- الانسانية **١٢٦**
- الانسانية منطق وعقل ١٢٦
- التمييز العنصري يحط من انسانيتنا ١٢٨
- الاديان بإنسانيتها ١٣٢
- الله يتجلى في انسانيتكم ١٣٧
- الانسانية طريق حياة ١٣٩
- الانسانية محبة ١٤٢

٦- المرأة **١٤٤**
- تقتل غسلا للعار ١٤٤
- اضطهاد المرأة ١٤٧
- لك في عيد الحب "فالنتين" ١٥٣
- المرأة والحرية ١٥٦
- سلام للمرأة في الثامن من اذار ١٦١
- أعراف المجتمع تقيد المرأة ١٦٤
- بتحرر المرأة يتحرر العقل ١٦٨

٧- ألدين **١٧١**
- اديان اليوم مع ماركس ونتشه ١٧١
- تضخم الانا الديني ١٧٤
- بين العلم والدين ١٧٥
- متدين أم مؤمن ١٨٠
- دين واخلاق ١٨٧
- الاديان في ظل صراع البقاء ١٩١

٨- المواطنة **١٩٥**
- الكرامة حياة ١٩٥
- ما هذا الوطن ؟؟؟ ١٩٨
- المراؤون يغتالون الوطن ٢٠٢
عزيزي كيري ٢٠٥
- مسلمون ومسيحيون معا ٢٠٥
- أخي العربي.. مثلك أنا ٢١١

- خطاب ديني وطني وحدوي ٢١٥
- حوار المواطنة اهم من حوار الاديان ٢٢١
- كافر انت ؟! ٢٢٦
- الشرق يشهد انحسار المسيحية ٢٢٩
- مواطن أم فرد في وطن ٢٣٤

٩- الحريات ٢٣٨
- الثورة سيدة الديمقراطية والحريات ٢٣٨
- الحرية الفكرية ام الحريات ٢٤١
- النقد باب للحريات وللتقدم ٢٤٥
- استقلال العقل ضرورة حضارية ٢٥٠
- حرر عقلك ٢٥٧
- لعبة الاسياد والعبيد ٢٥٩
- الحرية ممنوعة حتى اشعار اخر ٢٦٤
- الاحترام قبل الحرية ٢٦٦
- لا لوأد حرية الرأي والتعبير ٢٧١

١٠- العقل ٢٧٥
- الله ومعركة العقل ٢٧٥
- الله والعقل واستمرار الوجود ٢٨٠
- مستقبلنا وليد وعينا ٢٨٥

١١- المعرفة **٢٩١**
- المعرفة حتمية ضرورية للاستمرار الحضاري ٢٩١
- من حقنا معرفة تاريخنا ٢٩٤
- غياب المعرفة سبب تراجعنا ٢٩٩

١٢- الثقافة **٣٠٥**
- أمية ثقافية ٣٠٥
- هذا ما تعلمنا ٣٠٧
- البحث عن مثقف ٣١١
- عاصفة مبعثرة من الأفكار ٣١٥
- طفل يتيم أنا ٣٢٢
- مهزلة فكر وثقافة ٣٢٨

١٣- الاخلاق **٣٣٣**
- ثورة اخلاقية ٣٣٣

مقدمة الكاتب

مكونـات المجتمـع المتعـددة، المختلفـة، يطـرح كل منهـا فلسـفته، وتعاليمـه الفكريـة والحياتيـة، وأسـلوب تحقيقهـا، وسـيرورة رؤيتـه للتغيـير نحـو هـدف رئيـسي لتحقيق"الحريـات، الإصـلاح، البنـاء الحضـاري للفـرد والمجتمـع". الغلـو وفـرض الـذات، والتفـرد والهيمنـة، والاسـتقواء للسـيطرة عـلى المجتمـع يبعـد هـذه المكونـات عـن بعضهـا البعـض، وعـن تحقيـق الهـدف المطـروح كونـه اسـتخدم كعنـوان لاسـتهلاك مرحـلي، مـما يتسـبب بتصـدع، بزعزعـة اسـتقرار المجتمـع . للخـروج مـن هـذا المـأزق، ومـن الفئويـة الضيقـة والأفـكار الجامـدة، وللمحافظـة عـلى أمـن وسـلمية المجتمـع، يجـب التأكيـد، والإصرار عـلى ضرورة المبـاشرة بفتـح بـاب الحـوار بذهنيـة منفتحـة، دون شروط تعجيزيـة مسـبقة، لمناقشـة ومعالجـة مواضيـع ملحـة (الإنسـان، واقعنـا العـربي، الربيـع العـربي، العلمانيـة، الإنسـانية، المـرأة، الديـن، المواطنـة، الحريـات، العقـل، المعرفـة، الثقافـة، والأخـلاق) كل جزئيـة منهـا، يعـد حجـر زاويـة، يسـاهم بفاعليـة في اسـتكمال لوحـة بنـاء دولـة مدنيـة، علمانيـة تضـم كل المكونـات، يسـتمتع الجميـع فيهـا بجـمال الحداثـة، المعـاصرة.

لتكامـل مـادة المواضيـع مـع صـورة الغـلاف، وضعـت عنوانـين للكتـاب، الأول بالكلمات (معـاصرة بـلا قيـود)، والثـاني بالرسـم (ثـورة فكريـة نحـو الحرية).

الحلـم بمسـتقبل اجمـل يتمتـع فيـه الانسـان بحريتـه، بكرامتـه، بأمنـه، أمـل يـراود الجميـع، بهمـة، وصدقيـة جميـع مكونـات المجتمـع حتـما سـيتحقق، لكـن

ب..... معاصرة بلا قيود.

صليبا جبرا طويل

بيت لحم

تقدم السيد زغبي زغبي

مدير مركز وئام

كتاب معاصر، بعنوان "معاصرة بلا قيود". هذا الكتاب بلا قيود وبلا حدود ...كتاب يعبر عما يكمن في وجدان وأفكار الكاتب محاولا معالجة قضايا اجتماعية وفكرية ومحاربا الكثير من الشرذمات والتقوقعات والآفات الاجتماعية والامية الفكرية.

انني اتأمل في عنوان هذا الكتاب لأتساءل هل نحن نعيش في قيود بلا معاصرة ام نحن نحاول ان نعيش حياة معاصرة بلا قيود. لنتوقف قليلا ونتأمل واقعنا العربي المرير من المحيط الى الخليج حيث نعيش في زمن الأزمات؛ أزمة هوية، أزمة وعي، قبلية ، عشائرية ، فساد، أوهام، أوطان هشة، ثورات ...هذا ما شخصه زميلنا ورفيقنا الكاتب صليبا في كتابه معاصرة بلا قيود. لقد كان مقداما في وصف واقعنا المرير حيث لخص المشهد بأن عروبتنا تحتضر وان بعض وسائل الإعلام المرئي لا يعمل من أجل البناء وانما يحرض على العنف بأشكاله.

كاتبنا ينتهج منهج النقد البناء ولا يخجل ان يسمي الأشياء بمسمياتها حيث ينتقد أساليب الخطب الرنانة، والمخادعة، والكاذبة منتقداً الخوف والجبن. وكذلك يطلب منا ان نكون من مدرسة الأفعال وليس الكلام، وهو يندد بمبدأ او ما يسميه (المبدأ التربوي الأول) حيث الطاعة العمياء والخوف وتفضيل بعض الرعاع على انسان العلم حيث الاساليب التي تزرع الخوف في قلوبنا من المهد الى اللحد بدل ان يزرعوا فينا بذور الامل والعمل والكفاح والجهاد.

وهنا يركز الكاتب على المواطن ونضاله وطموحاته (عسى ان ينعم يوما ما بدفء وطنه وبحقوقه كاملة كإنسان). وهذا الإصرار في المواطن العربي الذي لا

يتمحور حول الانين والالم بل يبقى مناضلا صارخا مناجيا الله وأصحاب الضمائر الحية لغد مشرق.

ان الكاتب بصراحة يكشف عن هويته وذاته بانه ينتمي الى المدرسة العلمانية ومنطق الحداثة المعاصرة.

فهو بحق وبحقيقة يدعو الى المواطنة الحقة والعلمانية المبنية على احترام جميع الأديان دون تفريق او تلفيق ويدعو الى خطاب وطني وحدوي ويؤكد على ان حوار المواطنة من اهم الحوارات.

يقول الكاتب في مقاله عن العرب وشعوب العالم "مهووسون بتفوقنا بالروحانيات ونتغنى حيث كنا سباقين في المعرفة والمعلومات " هذا العنوان بحاجة الى وقفة شجاعة وتأمل عميق ولا يجب ان نتوقف على هذا الوضع المرير بل يدعو العرب بحق رب السماء "ثوروا باسم الله وتحرروا من عبوديتكم".

يؤكد الكاتب على محاربة الفساد حيث يقول ان الفساد لا يبني وطن، وان لم نحارب الفساد وفي غياب الشفافية (سيبقى المواطن العربي يئن ويناجي الله .... وينتقل من احباط الى اخر. عسى ان ينعم بدفء وطنه وبحقوقه كاملة كانسان).

اما بالنسبة لمقال الثالوث الانتهازي فينتقد ما يسمى الثالوث الانتهازي المكون من بعض الساسة وبعض رجال الدين وبعض أصحاب الملايين الذي لا يمكن ان يحقق تطلعات الشعوب ويحقق احلامها وتقدمها.

وهنا يركز الكاتب إذا أردنا ان ننتشل المجتمع من مستنقع الجهل والتخلف الى واحة التنوير والتقدم ما علينا الا الفصل بين السياسة والدين.
يحرضنا الكاتب للقراءة ولاقتناء الكتب لتغذية العقل وانعاشه لأنه:

"سيبقى العقل بوصلة الانسان
وخير محرك للبوصلة هو الكتاب
لكن...ليس في قراءته بل في فهمه
ليصبح للجهل أنجع دواء "

ومن نافل القول ان مركز وئام يركز على نشر الثقافة والتوعية عبر إصداراته بغض النظر عن المشارب السياسية والدينية والفكرية للكتاب عاملين ومؤمنين بحرية الفكر والراي وان إصداراته المختلفة لا تمثل الا فكر الكتاب والمؤلفين. واليوم نضع بين ايديكم الكتاب رقم -٢٠لإغناء مكتبتكم ومكاتبكم في كل مكان وزمان املين ان لا تبقى على الرفوف وانما لتناقش النصوص بين جميع النفوس. فالمركز ليس فقط مهتم بالتاريخ الشفوي وانما بنشر أي اصدار له علاقة بحرية التعبير و بالسلم الأهلي والمجتمع المدني الفلسطيني والمواضيع الأخرى المرتبطة بالمناصرة والوعي القومي والوطني عسى ان نحلم بواقع أفضل وحياة كريمة ووطن يستحق العيش فيه.

ومسك الختام "معاصرة بلا قيود" يحتوي على أكثر من ثلاث عشر عنوانا وهي في نظري مراحل شارع الالام في القدس تاركا العنوان الأخير للقارئ ليتخيل ان بعد الألآم قيامة وان القيامة حتمية لا محال بالرغم من الألم والشدة والمصاعب والمصائب وخيانة البعض ونكران البعض الاخر.

تقديم

في كتاب " مُعَاصَرةٌ بلا قيودٍ"

بقلم

د. سعيد عياد

في هذا الكتاب المعنون " معاصرة بلا قيود"، يطرح صليبا طويل رؤية فكرية ثائرة على تراث ماضوي منغلق على ذاته، وفي الوقت ذاته يطرح رؤيته التي تؤسس لفكر عربي يتحرر من عبوديته لذاته وقيم لم تعد صالحة لزمن يتغيّر في كل لحظة وفي زمن لم يعد يقبل ترسيم حدود ثقافية بين ثقافات مختلفة.

يؤسس الكاتب رؤيته على قاعدة الإنسانية التي لا تعترف بالتّعصب لفكر أو ثقافة وإنما بجوهر الإنسان الذي يقبل الاختلاف لأن من حق أي إنسان أن يبدع ويسهم في بناء حضارة إنسانية، فالعالم اليوم عالم مفتوح لا يمكن الانخراط فيه إلا بتطوير الذات ثقافيا وفكريا واجتماعيا حتى يكون جزءا من عالم لا ينظر إلى الوراء.

وعلى هذا الأساس فقد عالج الكاتب موضوعات الكتاب في إطار نقدي علمي منهجي، بقصد البناء وليس الانتقاد الذي يؤسس على عرض السلبيات، كما ليس على النقض الذي يهدم، فهو لم يهدم ثقافة ولم يهدم قيّما سائدة ولم يرفض فكرا قائما، بقدر من أسهب في التّعمق في جوهر هذه الثقافة وهذا الفكر وهذه القيم، باسطا كلّ ذلك على القارئ، وبالتحليل الموضوعي تمكّن من تقديم رؤيته النقدية التي تستنفر الوعي الفردي والوعي الجمعي ليتطور ما هو متفق مع عالمية الفكر الإنساني وينفض ما ينغلق على الذات المتعصبة.

ولعلّ ما جاء في مقال " عروبتنا تحتضر"، ما يؤكد ما أتينا عليه سالفا، فهذه العروبة تهجع في خدرها ولا تسمع، فالعرب منقسمون على ذاتهم، ولا يفعلون شيئا سوى لعن الظروف ويغضبون ومن ثم ينامون، ويستكينون لهواة في الدين والسياسية. فإذا تبصّرنا مثل هذا القول، فنجد أن الكاتب يريد بهذه

الكلام المستفزّ للوعي العربي أن يثور على نفسه ويخرج من خيمته ليكون مبدعا قادرا على الاستمرارية. ويعزز الكاتب رؤيته النقدية هذه بمقال آخر معنون " الفساد لا يبني وطنا"، فهو هنا سلّط الضوء على قضية هي أشبه بمرض الطّاعون الذي إذا تفشى لا يرحم، فقضية الفساد التي حلّت كقيمة سلبية محلّ قيم الأخلاق وعدم الاستئثار بما ليس هو حق، باتت معضلة العربي التي تنخر في الوعي العربي المرتهن لذاتيته على حساب الإبداع العلمي والفكري والأدبي. ومع أن الكاتب لا يحصر المعضلة العربية في مشكلة الفساد إلا أنه يعتبر ذلك جوهريا، فالفساد هنا تجاوز المال ليشمل الفساد السياسي والفساد الإداري والفساد القيمي والفساد في الانتماء، وهذه إذا تجمعت معا كانت سببا في هدم المجتمع وتخلفه. ومن هنا فهو يتمدد في نقده إلى الأطر القائمة في العالم العربي وفي مقدمتها الأحزاب التي ترفع شعارات الديمقراطية ولا تمارسها وأكثر من ذلك حينما تصبح في الحكم تقمع شعاراتها بذاتها، فهو هنا يسلط الضوء دون تردد على انفصام الشخصية الحزبية العربية مزدوجة المعايير، فهي تطالب غيرها بالديمقراطية وحينما تغدو صانعة القرار تعتبر الديمقراطية عدوة الشعوب، فهي كما يرى الكاتب مشكلة ثقافية تعكس العقل السياسي العربي الذي لم يغادر قبيلته أو قبائليته. ويضرب مثالا قويا على حركات التحرر الوطني العربية المقاومة للاستعمار لكنها حينما استولت على الحكم بعد الاستعمار راحت تتقمص شخصية المستعمر ذاته في القمع والتغييب.

وهذا ما أتى عليه في مقال آخر عنونه " في الشرق الكلام يفوق الأفعال"، فالعرب في جلهم لا يطحنون إلا الهواء ولا ينتجون إلا الكلام، أدى ذلك إلى تراكم المتشائمين والحالمين بالهجرة إلى خارج حدود العالم العربي، بينما الأحرار في العالم العربي يمشون على نصل السيف عندما يطالبون بالتغيير. وحينما يثور الناس ضد الفساد والظلم يصبح ربيعهم عورة كما في عنوان مقال آخر، يُقمعون، فهم ثاروا ليغادروا عالمهم المنسي على خريطة الجغرافيا ليكون لهم وجود محفوف بالكرامة، ولكن العقل العربي السياسي القبلي لاحقهم بحجة أن ما يفعلونه عورة تمس قيم الخيمة العربية. فانبثق من وسط كل ذلك " الثالوث الانتهازي" كما أسماه الكاتب في مقال آخر، وهم الانتهازيون وتجار الدين الذي أصبحوا من

أصحاب الملايين، ومن ثم مدمّرو القيم.
وماذا نتج عن ذلك في نهاية المطاف ؟ " غربة وضياع"، فمع السلطة المطلقة يضيع القانون، ومع احتكار الحكم يضيع الوطن، وبفعل ذلك ستحلّ العبودية عوض الحرية. ومن ثم لن تكون هناك إلا " أوطان هشة من ورق"، تصارع الموت وتصارع الغرق تعيش على دفاتر قديمة وعلى مقدس يضاجع المدنس، وكذب يضاجع الصدق. وبسبب ذلك فإن " العروبة تغرق بالأحلام"، فعندما تصبح لقمة العيش أهم من الكرامة وعندما يتطاول الجهلاء على الحكماء بالاستقامة ويصبح السفهاء والمحتالون قادة طوال القامة فعلى المرء كما يقول الكتاب أن يَقلْ على أوطننا السلام. وفي النهاية ، المراؤون يغتالون أوطانهم كما يؤكد الكاتب في مقال آخر.
ويمضي الكاتب طويل في سلسلة مقالات كتابه، ناقدا وصارخا وثائرا في وجه تعدد آلهة الربيع العربي، إذ أصبح للزعماء آلهة وللطائفة آلهة وللحزب آلهة وللرعية آلهة وللفقراء آلهة وللأغنياء آلهة، وهكذا ضاعت العروبة وتاهت في معابد الآلهة المخترعة، وغدت أوهن من بيت عنكبوت. لكن الكاتب ليس متشائما إلى هذا الحد فهو في مقال عنوانه " لاهوت في زمن الربيع العربي"، يدعو إلى مقاومة تعدد الآلهة بتمثل لاهوت المسيح الذي يقوم على محبة الإنسان للإنسان. وعلى ذلك فهو في مقال آخر بعنوان " العلمانية حق للإنسانية المفقودة" يرى أن العلمانية هي الخيار الأمثل للتخلص من تعدد آلهة البشر وهي جوهر الإنسانية وفي مضمونها تكمن القيم السامية الخالدة.
ومن الواضح أن الكاتب مقتنع بفكرة العلمانية كحل جذري للمعضلة العربية فهو لا يتردد في طرح فكرته هذه في مقال " ثورة فكرية نحو العلمانية "، فيرى أن ردم المشاكل الخطيرة التي يواجهها العرب وخصوصا لردم الهوة مع العالم غير العربي تحتاج للانعتاق من الذاتية إلى العالمية ولا يكون ذلك إلا بالعلمانية. فالعلمانية " حرية وتقدم". ولا يكتفي بذلك فهو يطالب بالتحرر من الفكر المسبق الأحكام والنمطية، والثورة على ثنائية الخير والشر، فكم من خير هدفه شر، وكم من خير ظهر بمظهر الخير. فهذان المفهومان " الخير والشر" مفهومان غير ماديين فلا بد من إعادة النظر فيهما ولاسيما في مجال التقييم وإطلاق الأحكام.

ولعل " تضخم الأنا الديني "، كما جاء في مقال آخر هو معضلة المعضلات، فمعظم البشر _ كما يقول الكاتب _ يعتقدون أن إيمانهم قوي كالفولاذ وصلب كالصخر وعظيم كالرعد، وأن بإمكانهم صُنع المعجزات ولكن في الواقع لا ينتجون إلا الكراهية الآخذة في الاتساع. ولعل السبب في ذلك من وجهة نظر الكاتب هو ضبابية العلاقة بين الدين والعلم وهو إصرار البعض على إخضاع كل شيء في الحياة للدين وعدم ترك المجال للعقل ليبدع وينتج، مع أن الكاتب لا يرى أن الدين والعلم يتعارضان فهما يترعرعان وينموان بشكل طبيعي ومستقل في إطار المجتمع المدني الذي له قوانينه البشرية بينما الدين يُنظم حياة الإنسان في إطار أخلاقي. وبسبب هذا التخالط الأعمى فقد انبثقت معايير خطيرة تقيّم الناس على أساس مؤمن أو غير مؤمن، وأحيانا لم يفرّق البعض بين " متدين أم مؤمن" والذي أنتج الانغلاق والتطرف. فهو يرى أن التّحلي بالإنسانية هي التي يجب أن تكون المعيار، أما الإيمان أو التدين فمرجعهما إلى الله ربّ البشر جميعا.

ويعتبر الكاتب أن " المواطنة" هي أساس كل شيء في المجتمعات الحرة، بصرف النظر عن انتمائهم الديني، " فمسلمون ومسيحيون" معا من أجل بناء مجتمع حر ديمقراطي يقوم على الاحترام المتبادل بين مكوناته لتعزيز الحرية وللنهوض والمضي قدما نحو المستقبل، وفي مقال بعنوان " حوار المواطنة أهم من حوار الأديان" وهذه دعوة مهمة، إذ تُعقد عشرات الندوات في العالم العربي تحت لافتات حوار الأديان والنتيجة غير مثمرة، بينما حوار المواطنة هو الأهم، فالمواطن العربي بحاجة إلى الخروج من شرنقته الدينية المتعصبة وتحطيم حواجز المعتقدات الدينية التي تمنع اندماج المواطنين وقبول الآخر، فحوار المواطنة ضروري للخروج من الفوضى السياسية والفكرية والاضطهاد الديني للأقليات، فالمعيار هي المواطنة فحسب.

ومن هنا فإن الحرية الفكرية بالنسبة للكاتب كما كتب في مقال طويل هي " أمّ الحريات"، وهو يرى في هذا الإطار، أن الثورات العربية قامت بهدف التغيير وإحداث نقلة نوعية في مناحي الحياة كافة. وبالتالي فإن الحرية الفكرية هي ثورة على التقليد ودعوة للتجديد، وبغير ذلك فلن يكون للعرب مستقبل باهر. ويعالج الكاتب في كتابه ومن خلال عديد المقالات واقع النقد ولاسيما في باب

الحريات، فبغير النقد الجيد سيبقى المجتمع العربي في ضلاله ولا يتغيّر، فالنقد هو طريق التغيير ومن ثم قاعدة للبناء الاجتماعي والفكري والعلمي. ولا يتحرج الكاتب في أن يدعو لنقد كل ما هو مرتبط بالمجتمع من قيم قديمة وتأويل ديني وفكر سياسي وبنية اجتماعية. وهذا النقد لا يكون إلا كما يرى الكاتب في " استقلال العقل" باعتباره ضرورة حضارية، واستقلال العقل كفيل بإخراج العرب من سباتهم الطويل، الذي غيّبهم عن التقدم الحضاري فكرا وثقافة.

ويرى الكاتب أن حرية الشعوب تبدأ بحرية المرأة، فاضطهاد المرأة قمع لأهم مكوّن حضاري بشري، ولعلّ الثورة على أعراف المجتمع التي تقيد حرية المرأة هي المنطلق الأساس لتحقيق التقدم الحضاري.

في ضوء ما تقدم نرى أن هذا الكتاب المصنّف في إطار سلسلة من المقالات الفكرية، والمصنّف في إطار وحدات وموضوعات ذات صلة تؤسس لرؤية فكرية شاملة وجامعة، لا يجانب عنوانه الذي اختاره الكاتب وهو " معاصرة بلا قيود"، فالحقيقة أن التغيير نحو الأفضل والأقوى والإيجابية لا يكون إلا بالإنتاج الفكري المنبثق من الإطار الإنساني أو النظرة الإنسانية للمجتمع والأشياء وأنسنة القيم وأنسنة الفكر، وهذا ما نجح فيه الكاتب صليبا طويل.

وقد لفتت عنوانات المقالات انتباهي، فخاصة أن سيميائية هذه العنوانات كانت تقود إلى الرسائل المتضمنة في نصوصها، فقد وُفّق الكاتب في اختيار عنوان كتابه الجامع مثلما وفق في اختيار عنوانات المقالات ذاتها. كما أن لغة الكاتب البعيدة عن التعقيد سواء في اختيار الألفاظ أو بناء الجمل أو بناء المقال بحد ذاته، جعل من هذه المقالات عبارة عن لوحات فكرية رصينة يمكن لكل قارئ أن يعيها ويفهمها، فهو تجنّب استعمال مفردات مجردة تحتاج إلى معاجم لفكّ ألغازها، فالكاتب يكتب هنا للكل ولا يكتب للنخب، وهنا تكمن براعة الكاتب الذي يسعى للتغيير والذي يريد أن يكون لفكره تأثير عميق على الوعيين الفردي والجمعي. لقد تميّز الكاتب بجرأة الطّرح، وخصوصا عندما عالج موضوعات حساسة كالدين والعقل، فهو هنا طرق خزانات عديدة تستوجب الثورة على الذات المنغلقة لتتحرر إلى مداها الكوني في إطار مفهوم الإنسانية. فجرأة الكاتب ستوفر له إمكانية إقناع القارئ بما يطرح، لأن الفكر الجبان لا ينتج حرية.

لم يكتف الكاتب بأسلوب العرض وإنما لجأ إلى التحليل الفكري موازنا بين رأيه ورؤيته من جهة وبين رؤى الآخرين، فقدم أدلة تعزز فكره ورأيه الذي طرحه بموضوعية.

سيشكل هذا الكتاب قاعدة للتفكير في كل موضوعاته التي طرحها بعلمية وموضوعية، وربما سيحث على مناقشة هذه الأفكار وتطويرها، لأن التغيير في المجتمع يبدأ بكلمة حرة. وليس هنا بالضرورة أن يكون كل ما يطرحه الكاتب ملزما للجميع أو أن يوافق عليه الجميع، فهو ككاتب طرق بعقله بوابة موصدة وبالتأكيد أن خلف البوابة تراكم كبير من المشكلات الاجتماعية لا بد من النبش فيها، وهذا ما يُسجل للكاتب أنه وضع نفسه في مواجهة مع عواصف قد تهبّ عليه لكن علينا أن ندرك أن شعوبا لم تخرج من شرانقها السوداء إلا بفكر كتّاب وفلاسفة صنعوا مجتمعات الحرية.

١- الانسان

الإنسان الصادق المخلص

أقدم هذه الخاطرة عسى أن نضع إصبعنا في الجرح العربي المتنامي، الآخذ في الاتساع بزمن تمنينا أن يحمل حصاده تقدماً ورخاءً وازدهاراً على كافة الأصعدة. وتغيراً في أسلوب الحياة وعصرنتها وتقدمها.

كثيرا ما نتساءل: "من هو الإنسان الصادق المخلص؟".

نقول ونسترسل....

إن إباؤنا الأوائل لم يكونوا جبناء.
كما أنهم لم يندفعوا في مخططاتهم كي يكونوا أبطالا.
اكتفوا بكونهم رجالاً حقيقين.
في نجاحهم لم يصبهم الغرور.
في فشلهم لم يتملكهم الحزن والأسى.
كانوا أقوياء أسوياء بالروح والجسد.
حطموا الصخور ولم يصبهم تعب.
ساروا تحت المطر ولم يبتلوا.
فلحوا أرضهم ولم تحرقهم الشمس.
ناموا كالأطفال وادعين.
واستفاقوا بدون قلق.
غذاؤهم وملبسهم كان بسيطا.
كانوا يتنفسون بعمق.
ويشتمون رائحة الأرض الزكية.
مساكنهم وقلوبهم متواضعة.

حياتهم بسيطة.

لم يتوانوا عن طرح حججهم.

كانوا كالسيل الجارف أمام الطغاة.

حذروا من : "فرق تسد".

وأوصوا: "بوحدة تسد".

وان وجدت ينابيع الحب والعاطفة ألما.

كانت نوافير السماء تجف.

لم يعرفوا شهوة للحياة.

ولم يرهبهم الموت.

وبدون مقاومة أمنوا...

بان ما يأتي بسهولة يذهب بسهولة.

ناضلوا بطريقتهم في الحياة.

ناضلوا الحياة كما هي بسرور.

تقبلوا الموت كما هو وبدون قلق.

قدسوا الفضيلة...

ولم يتحايلوا على الأمور.

عقولهم حرة ، وأفكارهم مبدعة.

جباههم مشرقة، وجوههم صافية.

قدسوا العلاقات الإنسانية.

لم يوجهوا العين بالعين، ولا السن بالسن .

ولا الإساءة بالإساءة.

لم يكرهوا المسيئين إليهم.

رسموا هامشا على صفحة علاقاتهم. بدل قطعها.

لاعتقادهم أن المسيء والمساء إليه

لا بد أن يلتقيا في ظرف وزمن جيدين.

لم يديروا ظهورهم لمستجير..

علمونا بان من يفلح ويزرع ارض غيره

ينتقص قدره ، ويلاحقه العار.

وتصيبه الخيبة، ويعتريه الندم.

كانوا عمالقة المفاهيم الإنسانية.

فهموا لغة واحدة وهي الحب.

لم يحتاجوا إلى دروس في الأدب.

ولا في فن التعامل.

كانوا جزءا من الطبيعة..

الطبيعة التي زينها الخالق .

لم يتغنوا بالديمقراطية .

كانوا أحرارا بلا قيود .

لم تكبلهم تعقيدات الحياة .

بالرغم من فقرهم كانوا كرماء .

سباقين لعمل الخير .

يعطون دون أن يطلب منهم.

ضمائرهم حية، نقية، شريفة.

لم تصبهم المصالح الذاتية بالكذب والرياء والنميمة.

لم يتملقوا بعضهم بعضا.

كانوا قساة ولينين.

كانوا رحماء وعادلين .

قلوبهم انصع من الثلج .

أعمالهم واضحة كالشمس .

أفكارهم دافئة ..

لم تخدعهم المظاهر .

كانوا أسياد أنفسهم .

يقولون الحقيقة ، ويرضون بمرارتها.

يمضغون ، ولا يبتلعون بعضهم بعضا .

نفوسهم عالية شامخة.

لم يستصغروا أحدا .
وقفتهم وقفة رجل على قلب واحد.
يمتلكون حرية الفكر والتعبير.
يحلون مشاكلهم بأنفسهم .
يأخذون قراراتهم باستقلالية.
دون تدخل خارجي.
كانوا يعملون بنفس ويد واحدة لهدف واحد.
سموّ الإنسان ورفعته.
ورقي الإنسان وإنسانيته .

الإنسان صناعة الإنسان

يعطى الإنسان اسما قبل ولادته
وتُهيأ أمامه طقوس عبادته
ويمنح جنسية دون رغبته
في الحياة يبدأ رحلته
لقدر عليه أن يصارع في كتابته
لينسج معرفة مستقلة لذاته
يحقق فيها تطلعاته وأحلامه
يسعى ، يا ليته يستطيع
في عالم مرعب مريع
أن يجد حريته
واستقلاليته وراحته

يصبح الإنسان مغتربا عن مجتمعه لحظة يبدأ بالقراءة، والبحث، والتساؤل، والاستفسار عما تعلم من قيم إنسانية، ولحظة يدرك أن ما تعلمه يعجز عن تقديم شيء للإنسانية،

يبدأ بإعمال العقل والمنطق، لينضج وعيه ويصل لاستنتاجات مقنعة مقبولة ليتحرر من قيوده. في عالمنا، المواطن بأمس الحاجة إلى وقفة مع الذات لمعالجة الأفكار السقيمة، والجاهزة مسبقا .

يلد الإنسان وعقله صفحة بيضاء، الأبوان، رجال الدين، المدرسون يكونون الحلقات الرئيسة الأولى والاهم في حياته ، هم المسؤولون الأوائل عن قولبة وتشكيل عقله، ومفاهيمه، ومعتقده،. يصنعونه ويعطونه هوية انتماء ديني، ووطني، وقبلي على مستوى وقياس معرفتهم، وفهمهم السياسي، والديني ومركزهم الحضاري. بعدها تستمر رحلته في الحياة بشكل شبه مستقل معتمدا على برمجه سابقة، حددتها له بيئته. لذلك كل المجتمعات البشرية تؤكد أن " الإنسان ابن بيئته".

عوامل كثيرة مجتمعة بأصالتها، وعراقتها وقدمها وليدة تراكم كمي ونوعي تاريخي تعمل وتتداخل لتكوين وبناء وبلورة شخصيته. فالإنسان صناعة الإنسان وليس صناعة السماء كما يروج، خاصة في مجتمعات غير متطورة، يعميها الفقر والجهل والمرض، حيث يبقى الإنسان فيها منجذبا وبقوة لعاداتها وتقاليدها وتعاليمها الجامدة. المجتمع مصنع لإنتاج الفرد المبدع، والمخترع، والمتطرف والمتشدد، والعنصري، والمنفتح، والمجرم، والفنان، والإرهابي الخ...

تختصر البشرية بعائلة واحدة رغم كل الاختلافات التي تميّز المجتمعات بعضها عن بعض.... فرضا زوجان لا ينتميان لمذهب ما، وليس لهما اهتمامات أيديولوجية وعقائدية، توفيا على اثر حادثة سير مأساوية. خلفا وراءَهما خمسة توائم بعمر ثمانية شهور... أودع الأطفال في إحدى المؤسسات الخيرية لتقوم برعايتهم...بعد أربعة أشهر تقدمت خمس عائلات لتبنيهم... أولهم ألماني ملحد، وثانيهم يهودي برازيلي، وثالثهم هندي بوذي، ورابعهم مسيحي استرالي، وخامسهم مسلم صومالي حدد بطلبه بأن يكفل أحدهم ويرعاه من منطلق أن "لا بنوة في الإسلام". سارت الأقدار بالخمسة إلى عالم جديد، وبيئة جديدة.

تفرق الأخوة مشتتين في قارات الأرض، استؤصلوا من بيئتهم، ترعرعوا ونموا وتعلموا في بيئة فرضت عليهم. النتيجة الطبيعية أن كل واحد منهم أصبح ابن البيئة التي عاش فيها، يحمل فكرها وعقيدتها ، تربى وتشرب وتشبع من تعاليم بيئته، نشأ على معارفها، كتبها، عاداتها، تقاليدها الخ... لقد تم بناؤه من صغره أن يكون كما يريدون. ماذا يمكن أن يحدث، لو نص بند في عقود التبني يفرض أن:" بعد عشرين عاما يتعهد كل المتبنين أن يجتمع المتبنيون ثانية ليعيشوا معا تحت سقف واحد"... لو تم ذلك سنجد أن هناك عدة حواجز تفرقهم وتمييزهم، منها اللغة، والعادات والتقاليد، والمعتقد، وطبيعة النظام السياسي، والأحزاب، والمناخ الخ.... سينشأ بينهم دهشة، واستغراب ، يؤديان إلى الرفض أكثر منه إلى القبول . ماذا يمكن أن يحصل لو تناقشوا في أمور السياسة، أو الدين، أو التطور؟ لا بد أن كل منهم سيدحض أفكاره، ويدافع عنها، وقد يستميت من أجلها إذا تطلب الأمر في حال كانوا غير منفتحين عقليا...لذلك ليس للعامل الوراثي أثر يذكر في تحديد دور الفرد في التربية، فالدور كله يسند إلى المجتمع.

عالم اليوم أصبح قرية صغيرة بفعل التقدم الهائل في المعارف والمعلومات، التي مكنتنا التقنية الحديثة من الوصول إليها بسهولة ويسر. فمن واجب البشرية أن تبني ثقافة عالمية شاملة. عليها أن تدخل موضوع دراسة الأفكار والعقائد المنتشرة في العالم إلى مناهج التربية والتعليم من صفوف أول حتى الثاني عشر، المعاهد العليا والجامعات أيضا. عليها أن تمنع تدريس التربية الدينية في المدارس وتفويضها فقط لدور العبادة لتتولاها وتعتني بها وترعاها، مع ضمان مراقبتها، كي لا تخرج عن رسالتها الإلهية الإنسانية. الرقابة لا تجدي إن فرضت على دور العبادة فقط، جدواها وقيمتها تكون ذات قيمة إذا فرضت على المناهج المدرسية أيضا، لأن المدرسة كالعائلة مهمتها بناء الإنسان. لذلك يفضل تدريس تربية دينية شاملة لكل الأديان من اجل التقارب بين أبناء الوطن الواحد، وشعوب العالم. الهوس الديني الغير مبرر يؤدي إلى نشوء ظاهرة الخوف من ذوبان العقيدة. فمن يخاف على معتقده من الاضمحلال والزوال دليل على هشاشة إيمانه وعقيدته، وعدم قدرتها وثباتها في كل العصور.

في الشرق، كلما هبت علينا نسائم التفرقة. نسارع بالتذكير بما كرره أجدادنا منذ أجيال: أن "الدين لله والوطن للجميع"، في محاولة للملمة جراحنا النفسية، وإجهاض الإشارة إلى وجود خلل. إنه نوع من الكذب المحصن لإنكار ما يمكن أن يحدث، وطمر الحقيقة بدل معالجتها. عندما يغذي المجتمع العقيدة أكثر من المواطنة سيقف الوطن عندها على مفترق. ليولد شعور بتفوق عقيدة الأغلبية على عقيدة الأقلية. ونقص وحذر عند أتباع عقيدة الأقلية....في أحديتنا اليومية نركز ونشيد بالمساواة وبالعدالة بين الجميع معتمدين على ما نرغب فنكون كمن يكتب دستورا شفويا يؤسس حلم فكرة يصعب نقلها لتكتب على ورق.... أما في حال تغذية المواطنة على العقيدة من خلال تغذية سليمة والتركيز عليها دون إهمال العقائد المتعددة، يعني احترام الجميع. ونقل الفكرة على الورق لتصبح دستورا. المواطنة أوسع في مضمونها من العقيدة لأنها تضم كل مكونات المجتمع. العقيدة أضيق من المواطنة لأنها تضم تكتلات، وتجمعات داخل كل منها أشخاص يمارسون تعاليمهم بدرجات متفاوتة، فالبعض يحمل عقيدته بالاسم فقط وليس بالمضمون، والممارسة، انه انتماء لظل . فلا يمكن أن تختزل كل مكونات المجتمع بالعقيدة. في سعينا لبناء وطن سليم متعدد، علينا أن نركز على المواطنة. كي لا تصبح العقيدة دولة، والدولة عقيدة.

لقد أضعنا كل شيء كرامتنا حريتنا سمعتنا ووحدتنا وركزنا بتشدد على تفسيرات دينية. أنا لا أقف ضد أي عقيدة، لكن المغالاة بقدسية عقيدة على أخر تقلقني، وتدق ناقوس الخطر في عقلي ووجداني. ما هو الإنسان الذي نريد صناعته في الشرق؟. هل أعدت حكوماتنا منهجا كي تنهض بالمواطن حضاريا؟ ما هي الطريق التي عليها أن تشقها حتى نصل إلى الحداثة؟...لماذا نبرز مقتطفات من تعاليم عقيدة الأغلبية دون الالتفات إلى الأقلية التي تعيش معنا في كتب اللغة. و نبرز رموزها الدينية في كتب الرياضيات، والعلوم، والجغرافيا، والتاريخ. لماذا ندرس بتوسع تاريخاً إسلاميا – أعيشه يوميا وشارك في صنعه أجدادي أيضا - عمره أربعة عشرة قرنا ؟ لماذا لا نهتم بتاريخ المنطقة وبتاريخ البشرية جمعاء. هل التاريخ البشري بدأ فقط منذ عهد رسالة النبي

محمـد (ص) التـي جـاءت بالقـران الكريـم رسـالة للبشريـة جمعـاء. التاريـخ البـشري، وتاريـخ شـعوب المنطقـة سـبق الإسـلام بـآلاف السـنين. علينـا أن لا ننغلـق عـلى ذاتنـا. اسـتجابة لقـول النبـي محمـد(ص): "انتـم أعلـم في شـؤون دنياكـم". فالديـن يـسر وليـس عـسر. ليـس هنـاك خطـأ في الديـن، بـل يكمـن الخطـاء في رجـل ديـن لا يعطـي قـراءة ، وتفسـيرا عصريـاً لـه. الأديـان في العـالم اجمـع تصلـح لـكل مـكان وزمـان.

التخلـف والانحطـاط، سـمتان موجودتـان، عادتـا ثانيـة للظهـور وبوضـوح خـلال الربيع العـربي وبينّتـا أن المسـافة بـين القديـم والعلمانيـة والحداثـة، في تباعـد مسـتمر يومـا بعـد يـوم. الـصراع العالمـي عـلى مـر العصـور هـو صراع فكـري بـين الحديـث والقديـم، لذلـك لا تجابـه الأفـكار بقـوة السـلاح. الفكـرة تقـارع بالفكـرة. علينـا أن نجتهـد في بناء الإنسـان المفكـر. القيـود الفكريـة والعقائديـة تكبـل العقـل في حـال أسـاءَت لـلأسرة البشريـة. العـالم سيتسـمر للأمـام، فلا القـوة، ولا الكراهيـة، ولا القتل يجـدي في النهاية . وجهـة المتخلـف عـن مسيرة التطـور سـتكون حتـما نحـو الاندثـار. انـه قانـون طبيعي، فإمـا المسـايرة أو الانقـراض. البقـاء دائمـا للأفضـل، والأقـوى في سـلم الفكـر والتطـور.

المطلـوب إيجـاد حـل مشـترك لإذابـة التناقضـات بـين المجتمعـات الإنسـانية وبـين المجتمـع الواحـد. فذلـك يسـهل التفاهـم، ويزيـل التوتـرات المحليـة والعالميـة. الحـل الأمثـل لضـمان امـن، وحريـة، واسـتقلال، ومسـاواة الجنـس البـشري بعضهـم ببعض هو التفريـق بـين الديـن والسياسـية. لأنهـا السـبيل الأفضـل لتفـادي الحـروب، والويـلات، والمـآسي البشريـة، بشـكل خـاص في دول تعـاني مـن عقـدة نقـص وتتظاهـر بأنهـا ضحية أمـم وشـعوب الأرض بسـبب عقيدتهـا. معظـم أهـداف الحـروب ماضيـا، وحـاضرا، ومسـتقبلا هـو الاسـتيلاء عـلى خـيرات وأراضي الشـعوب مـن اجـل مـا تملك مـن نفائس ثمينـة في دولهـا وليـس مـن اجـل ضرب عقيدتهـا. مـن عجزنـا عـلى مواجهة واقعنـا الأليم فإننـا نغلـف كل قصـور لا نقـوى عـلى التخلـص منـه بالديـن. فبـدل أن نصنـع الإنسـان العـصري المؤمـن بتعاليمـه. فإننـا نصنـع إنسـانا مقهـورا لـه بعد واحـد وهـو الكراهية .

أتوجـه إلى رؤسـاء الـدول، والأحـزاب، والعقائـد في كل أنحـاء العـالم قائـلا: "مـن منكـم يخـاف عـلى مبادئـه السياسـية، وأفـكاره الاجتماعيـة، وتعاليمـه العقائديـة مـن الاندثـار، فذلـك لـه معنـى، وتفسـير واحـد بـان مـا يؤمـن بـه قـد أصبـح باهتـا، وفقـد قيمتـه لان مركزيـة الفكـر، والروحانيـة فيـه فقـدت قيمتهـا ورسـالتها ومعناهـا الإنسـاني وقدرتهـا عـلى الصمـود أمـام متغـيرات الزمـن لضعـف فيهـا وانحلالهـا، ولعـدم وجـود قـوة تماسـك فيهـا أمـام الحداثـة والعولمـة مـما أدى إلى عـدم قناعـة النـاس فيهـا . محاربـة أفـكار التحديـث لا تفيـد شـيئا حتـى وان قامـت عـلى ثقافـة الكراهيـة والمـوت. فالحجـة تقـارع بحجـة أقـوى واثبـت منهـا تحمـل في داخلهـا بـذرة حيويتهـا وديمومتهـا. الخطـأ ليـس في جوهـر العقيـدة، الخطـأ مصـدره الإنسـان النفعـي، وليـس الروحـي... كل الخـوف أن يبقـى الإنسـان رهينـة التفسـيرات الخاطئـة وبعيـدا عـن هـدف العقيـدة الإنسـاني. ويستسـلم لمـن يـسيء صناعتـه.

٢- واقعنا العرب وشعوب العالم

الشاعر الروائي الانجليزي روديارد كيبلنج (١٨٦٥ – ١٩٣٦) قال : " الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا". الفرق واضح للجميع. السبب، والعيب ليس في شعوبنا العربية فقط. المسؤولية تقع على الأحزاب الحاكمة أولا وأخيرا، التي تفتقر برامجها السياسية لرؤية علمية مستقبلية. كما ويتحمل المثقفون الصامتون نصيبا من هذا التراجع.... ليحاسب أيضا كل منا ضميره، ويعترف بمسؤوليته عن هذه الحالة المتردية التي نحياها، ونعيشها قهرا.

الغرب......

يتفوق علينا بالماديات
بالعلم بالمعرفة بالمعلومات
بسنة ضوئية، قل بسنوات
شعوبهم تعيش في حرية وحريات
نتهمها بالانحلال والموبقات
قوانينهم توافقية تسمى وضعيات
الدولة تعمل لصالح الأفراد
ليعيشوا بالمساواة بالرفاهيات
رجالا، أطفالا، وسيدات...
ويبنون إنسان الحضارة
إنسان المستقبل
ليخلد ذكره في الحياة
وبعد الممات

العرب ......

مهووسون بتفوقنا بالروحانيات
ونتغنى أنا كنا سباقين
في المعرفة والمعلومات
شعوبنا تستعطي، تحلم بالحريات
يتهموننا بالتخلف والإعاقات.
قوانيننا فرضتها العزة الإلهية
تسمى الإلهيات
الفرد يعمل لصالح الدولة
يعيش روح القبلية
ولاؤه للحكام للزعامات
ليعشوا برفاهية ويبعثروا الثروات

ويبنون فوق السحاب ناطحات
لا يهم من عاش من شعوبهم
أو من مات

شعوب الأرض تقدمت
في الطبيعة
في أسرار الكون اشتغلت
بحثت اكتشفت اخترعت
على عرش العلم تربعت
بعدت عنا كثيرا
بالزمن ابتعدت
بنت غواصات مركبات
لأقاصي الفضاء
للمجرات و صلت
شعوبنا بقيت وأمست
عاجزة مكانها ظلت
ما برحت
الغرب بالعلم صنع المعجزات
وعجزنا لا تصلحه
مصحة، ومستشفيات
نصلي ، ونصوم
نحت الشمس ، تحت القمر
تحت النجوم
نطلب معجزة، ومعجزات
من رب السماء
ليستمطر علينا حسنات
لله ملك الأرض والسماوات

نفهمها ونقدسها يا كائنات
لله الكون والموجودات
في الإنسان زرع العقل
ميزه عن كل المخلوقات
ليكون حرا ويفكر بحريات
من الولادة حتى الممات
لا بقوالب صنعها
بعض من رجال سياسة
أو دين أو زعامات
نصبوا أنفسهم أوصياء
على كلمة رب السماء
ليحققوا أحلامهم بدهاء
يتربعوا فوق عقول البسطاء
وعلى معد خاوية جدباء
وبشر لا يفكون حرف الهجاء
ومرضى مهملين في العراء
ابشروا، لكم الله يا فقراء
ستمطر السماء معونة وغذاء
هذه رسالتهم وعليكم الرضاء
يريدونكم بلهاء أغبياء
أصحاب عيون عمياء
وعقول فارغة، جوفاء

تحرروا من عبوديتكم
حطموا قيودكم
ألهبوا فكركم
أشعلوا ثوراتكم

امحقوا ذلكم
وانتصروا على ذاتكم
ثوروا باسم الله
بحق رب السماء
على كل خطبة
تدَعى أنها عصماء
وعلى كل زعيم
بداخله كذب وافتراء

الإعلام المرئي يحرض على الإرهاب

الإعلام العربي حاضرٌ يقوم بإثارة الأحقاد ويؤججها ، يشعل الفتن، ويدعو للتفرقة والتباغض، للاقتتال والعداوة. فانه لم يفضح الممارسات البشعة فقط، لكنه ساهم في نشر، وإحياء ثقافة الإرهاب والخوف لدى المشاهد، وأحيا، وشجع بإيصال رسائل المتمردين، والمنشقين، والارهابيين، والسلطات الدموية بالصوت، والصورة للأطفال، وللكبار.

الإرهاب، بغض النظر عن من يمارسه، دولة كانت أو أحزاب، لا يجوز تسميته بغير ذلك مهما تعددت الأسباب، والدوافع. خلال الأحداث، والقلاقل، والصراعات التي تمرّ بها دول ما يدعى بالربيع العربي، أثبتت وبدون شك أن الإعلام المؤيد والمعارض، ومن يدعم كل طرف منها لعب دورا هاما على الصعيدين النفسي والمعنوي لدى المواطنين العرب بشكل خاص. فكان للإعلام المرئي الأثر الأكبر، كونه عرض مشاهد مؤلمة على المواطنين. عشنا جميعا خلال السنوات الثلاث الماضية (*١) مسمرين أمام شاشات التلفاز وما تعرضه من صور، ومشاهد دامية، أليمة، ووحشية. الأغلبية العربية الصامتة بحكم عاطفتها القوية لم ترق،

ولم يستسغ لها كل ما يعرض من قتل ودمار. ولسان حالها يقول إلى متى؟ بالرغم عن عدم اعتراضها كالعادة على مجريات الأمور، فإني لا أعاتبها، لأنها تعودت على اللامبالاة، وتجاهل الحكام العرب لها في كل ما يتوجهون من مطالب لهم، ويتمنون من السلطات تحقيقه. لم يتحقق معظمها، وحتى لم يكن هناك اعتبار للمواطنين بأيّ رد لتبرير العجز عن تحقيق أحلامهم. نتيجة ذلك أصبحت تحمل في اللاشعور جينات الذل، والجبن خلال مسيرتها التاريخية عبر العقود الماضية. حيث توارثتها عبر مئات السنين من قمع وحكم واستبداد. موقف الإعلام المرئي العربي بدوره خان ثقة الجمهور، فبدل أن يكون صوت حق، وصوت عدل فانه لم يقف حتى موقف المحايد أو الصادق فيما ينقل للمشاهد. فكان أداة طيّعة تلبي مصالح الأنظمة، والأحزاب التي تملي عليه سياستها. وسائل الإعلام كانت تتسابق إلى نشر كل ما تراه يساند فكرها أو نظامها. ومع ذلك لم ينتقد، ولم يعترض أحد على مجريات هذه السياسة السلبية، إلا فئات قليلة يمكن أن نسميها بضمير الأمة. فكما قال ميكيافليي في كتابه الأمير" الغاية تبرر الوسيلة". وكما نقول في أمثالنا" خربت عمرت طلعت نزلت حايد عن ظهري بسيطة"... أسفي على شعوب ترى وجودها فرادا وليس جماعات، ومصلحتها الفردية فوق مصلحة الوطن والأمة. أيّ أوطان، وأي مستقبل أيها العرب ستبنون لأبناكم وتورثون؟!؟! لقد أصبحنا مهزلة التاريخ، وملطشة الأمم.

نسمع بأُذنينا، ونرى بأم عينينا في الحالة الراهنة الوهن، والضعف اللذيْن وصل إليهما عالمنا العربي الحبيب. ما نلمسه هو تصدع في العلاقات، وعمق في الخلافات، وتنافر في المصالح، وعداوة في اللقاء، وتنديد، وقدح بالمعتقدات، والطوائف، والمذاهب، والأحزاب، والأديان. لم نصل بعد إلى إجماع الكلمة، ووحدتها. وجود المواطن في واد والزعماء في واد آخر، أدّى إلى تخلخل الوحدة الوطنية وتماسكها، فلا يوجد جبهة داخلية اجتماعية صلبة يمكن أن تقف أمام هذا المد المدمر المجهول المصير. كما أن معظم الزعامات، والعائلات الحاكمة في الوطن العربي لم تصل إلى سدة الحكم والسلطة عن طريق صناديق الاقتراع، بل بتنصيب، وتعيين من قبل المستعمر الذي فرض، وأملى شروطه عليها. ومن وصل إلى

سدة الحكم عن طريق صناديق الاقتراع، كان نتيجة نجاحه قريبة جدا من الخسارة، أو بسبب تلاعب في صناديق الاقتراع. هنا ننبه إلى أن الإعلام، وخاصة المرئي منه - كونه لا يحتاج إلى جهد للقراءة، بل استرخاء ومشاهدة ومتابعة – لعب دورا في فرض مهزلة الانتخابات، ووصول من لا يصنع القرار، ويضع الوطن، والمواطن أولى أولوياته قبل الوصول إلى سدة الحكم. الدليل على ما أقول هو عدم وجود خطط تنموية ناجحة تستحق الحديث عنها منذ عقود ماضية. البطالة في تزايد مستمر، تطال بشكل خاص المتعلمين، الذين يدفعون للهجرة. فأين دور الإعلامي في نقد، وكشف، وفضح كل هذه المهاترات؟ أمّ الإعلامي شريك يرتزق بما يمن، وينعم عليه كي يبقى صامتا ويدور في فلك أصحاب المصالح. أين البرامج الحرة التي تتناول وتتابع مواضيع الإصلاحات في كل وطن؟ فإن كانت فعّالة، ما مقدار النجاح الذي حققته؟ أم هي ساعة ضيافة وكلام وبعدها ننسى، ونمشي؟.... الوطن يبحث عن أبنائه ويحتضنهم، والمواطن يبحث عن لقمة عيش، ومسكن فوق تراب وطنه، معادلة أزلية للعيش الكريم والعدالة الاجتماعية. إن لم تتحقق هذه المعادلة نسقط جمعيا، ونصبح ضحايا السياسة، والسياسيين قصيري النظر. من واجب الإعلام أن لا يتابع أخبار الزعماء، وعائلاتهم، وتحركاتهم إلا فيما ندر. المواطن غير قلق عليهم، إلا فيما يبذلوا من أجل سعادته، ورفاهيته.

الإعلام العربي أصبح قاعة يمارس فيها مزادا علنيا، فبدل أن يكون لكل مقال مقام، أصبح فيها لكل مقال سعر. انه إعلام يبحث عن الربح...ليته أقلها يكون ربحا شريفا، لا راشي فيها ولا مرتشي. الحرية الإعلامية تعمل على تقديس الحرية الفردية وليست واعظة لها. العلاقة بين الحاكم، والمواطن، والإعلامي يجب أن تكون علاقة مفتوحة فيها التواصل مستمر. وليست علاقة أسياد وعبيد، أو ملقن ومتلقي، أو متكلم ومستمع. بل علاقة حيوية تسير ضمن إطار، وطريق نهضوي إنساني.

حاليا الإعلام العربي يحرض، ويحث على العنف. الصور التي تبثها الفضائيات العربيات لإلهاب المشاعر وإشعالها. تعمل بشكل متوازٍ، ومتزامن على إثارة اشمئزاز الإنسان مما يحصل لأخيه الإنسان، من تصفيات جسدية بطرق

حيوانيـة همجيـة بشـعة. معظمنـا، وفي كل الأحيـان ننتقـل مـن محطـة لأخـرى كلـما رأينـا الدمـاء تسـيل. العـرض بهـذا الأسـلوب يدفـع المشـاهد إلى اتخـاذ موقـف الناقـم عـلى العـالم العـربي المتفتـت، وينعتـه بالقبـلي المتصحـر فكـرا ووعيـا، غـير المتحـضر، كـما ويخـرج بانطبـاع اسـتحالة اسـتمرار العيـش فيـه. مـا يحدثـه الإعـلام يعـدّ توجيـه مبـاشر وغـير مبـاشر، مقصـود وغـير مقصـود، ودعـوة صريحـة مفتوحـة نحـو القتـل والعنـف مـن منطلـق العـين بالعـين والسـن بالسـن. فبـدل الدعـوة للحـوار كـما تعلمنـا بالحسـنى، بالمحبـة فانـه ينـشر ثقافـة القتـل والعنـف والإرهـاب، والمـوت. في السـاحة العربيـة لـن يكـون هنـاك مطلقـا طـرف كاسـب وطـرف خـاسر. بـل الـكلّ سـيكون خـاسرا في النهايـة لأننـا وبحسـب التصريحـات التـي نسـمع فليـس هنـاك مـن برامـج تظهـر إمكانيـات التغـير نحـو الأفضـل.

الإعلامـي العـربي مطالـب بالحريـة، والشـفافية، والصـدق، والحياديـة بقـدر أكـبر، ومـن واجبـه أن يحـارب مـن أجلهـا. بالرغـم مـن اسـتحالة هـذا الموقـف فـان تبعيتـه لأصحـاب القـرار، سـتبقي الإنسـان العـربي رهينـة في مهـب الريـح، وهـوىً، ومطامـع الزعامـات التقليديـة، والدينيـة المتصارعـة. وتسـتمر معاناتـه، لأن كل الأطـراف المتنازعـة تـرى أنهـا تسـير عـلى الـصراط المسـتقيم.

لمـاذا لا تراقـب الـدول - إن كانـت جـادّة في مصالـح مواطنيهـا - هـذا الإعـلام وتنقيـه مـن أدران الكـذب والتلفيـق، وإشـاعة الخـوف والفـوضى؟ أم أن سياسـتها تتطلـب ذلـك؟ ... المصالـح تعمـي الجميـع. الإعلامـي الحـر ينقـل الإخبـار كـما هـي لا كـما يريدهـا الموجـه السـياسي والفكـري والعقائدي...هـذا ممكـن في وطـن يعـرف معنـي الحريـة، ويتـصرف وفـق مبادئهـا، لا شـعاراتها.

١- هذه المقالة كتبت بتاريخ ٢٠١٤/١٠/٥ .

الفساد لا يبني وطن

في غياب الشفافية، ورفع الحصانة القانونية
ومحاسبة، ومسألة، الفاسدين والمفسدين
والتغاضي، والسكوت عنهم لن يتمكن العالم
العربي من تحقيق تقدم، وتطور، ونمو على
الصعيدين المحلي والعالمي.

الفساد الإداري الحاضن لرأس المال سبب اولي، ورئيسي لتردي أوضاع العالم العربي. الفاسدون، انتماؤهم ليس لأرض او لوطن. بقصد، بعمد، مع سبق الإصرار والترصد ينهبون خيرات الوطن. هم أصحاب نفوذ، وسلطة، وقوة، ومال وتجار دين يجيرون القوانين للدفاع عن مصالحهم أولا وأخيرا. من بعدهم لا عاش مواطن او وطن. النتيجة تعميق الفجوة والفروقات بين أبناء الوطن الواحد.

الفساد يؤدي الى حالة من الترهل في تطبيق القوانين مما يشرع ويبيح نشوء ظاهرة الاحتيال والغش والسرقة والتفنن بهما. انه نوع من اللامبالاة الوطنية التي تنتهي بنشوء ظاهرة الانتماء الوطني النفعي وتعرض كل ما لا ينتمي لهذه الفئة الى نوع من العبودية لأنها ترتبط قسرا بعجلة الاقتصاد ولقمة العيش. فلا يستطيع الانسان امام هذا العبث في مقدرات الوطن الصمود امام متطلبات الحياة، ولا حتى ان يعيش على "أعطنا خبزنا كفاف يومنا".

الخطاب العربي الذي لم نقرأه، لكننا نعيشه يوميا، استوعبناه منذ زمن بعيد، حفظنا فحواه عن ظهر قلب. أعيد نصه للتذكير، مع ادراكي العميق ان هذه الذكرى مؤلمة... في اوطاننا الفساد قائم حتى اشعار اخر. سيعلن الغاء قوانين الطوارئ، ورفع منع التجول حين نهزم أعداء الامة والشعب وكل مناصر وعميل للقوى الأجنبية والرجعية ومن يسير في ركبها، وكل مثقف يتحدى السلطة او ينتقدها، وكل من يكشف سوء تصرف المسؤولين وعبثهم بمقدرات المواطنين،

وكل من لا يميز بين هويه، وعقيدة، ومن لا يقر بالمحسوبية وشرعيتها، وسلطة الحكام المطلقة المعصومة عن الخطأ الخ... لينتهي الخطاب بمطالبة المواطنين الكرام بالصبر. الذي، بالتأكيد سيطول تحمله لعدة عقود قادمة، خطاب تملؤه أمنيات يستخدم فيه اسم الله – جل جلاله- كوسيلة تخدير تنطلي على الفقراء والجهال الذين يشكلون معظم عامة الشعب. عسى في النهاية - القابلة الخاضعة للتأجيل والتغير حسب شهوة القادة وأصحاب راس المال- ان يتمتع احفادها بالحرية والكرامة والعدالة الاجتماعية يوما ما.

على مساحة وطننا العربي الكبير، العزيز على قلوبنا جميعا، أزمتنا، وقضيتنا، ومعضلاتنا فيه ليست لاهوتية، او ايمانية، كما يحلو للبعض ان يذهب ويجير، ويغضب ويقتل ويفجر، من أحزاب سياسية دينية، وتنظيمات إرهابية، ودول مساندة لها. أساس قضيتنا وجوهرها، هو غياب وهضم لحقوق الانسان، واخفاقات في تحقيق العدالة الاجتماعية، والتوزيع العادل لعائدات الدولة واستثماراتها التي بدل ان تصرف على مشاريع تنموية يتم توزيعها كمكتسبات للعائلات الحاكمة التي تستنفذ مقدرات الوطن كمزرعة تمتلكها. يساندهم زعماء وأصحاب رأس المال، ومرتزقون يلتفون من حولهم. الى جانب ذلك كله يعملون على حجب الحريات ومنعها، وعدم توفير فرص العمل. فالدولة التي لا يتمتع فيها الانسان – الانثى والذكر- بهذه الحقوق وبالتساوي لا يمكن ان توفر لمواطنيها الحرية، والعدالة، والمساواة، والحياة الكريمة. المحصلة انتاج فساد يحارب ويناهض هذه الحقوق، ويقف سدا منيعا أمام تحقيقها ليزعزع الاستقرار السلمي المحلي، ويفتعل الصدام الفكري والإرهاب الجسدي، والسجن القسري والمحاكمات الصورية، تحت ذريعة، نشر فكر الحادي، والتعدي على الذات الالهية، او على الحاكم بأمر الله. ليتبعها فشل في الحوار الداخلي -او افشاله، وهو الأصح- لتختلط الأوراق والانتقال الى انتفاضات فكرية تتصاعد حدتها لتصبح صراعا يليه حربا أهلية دموية -كما يحدث في بعض دولنا العربية- لتصحيح الوضع وتمكين أسس المواطنة السليمة العادلة، هذا ان تمكنت القوي الثورية العلمانية من الوصول الي الحكم. وما عداها سيخلق تجدد وتكرار لحالة الغليان والعودة الى العنف.

الوطـن لا يبنـى مـا لم نضع مصلحتـه أولا ومصالـح المواطنـين ثانيـا. ولكـن في ظـل وجـود المسترزقين لـن يكـون التغير سـهلا، لأنهـم سـيخسرون. فالانتـماء الحـزبي مـن اقـصى اليمـين الى اقـصى اليسـار – يعتقـد انـه هـو الاجـدر بتحقيـق الازدهـار- في حـال اسـتلم السـلطة سـيعمل عـلى نقـل عنـاصره الى مؤسسـات السـلطة لتصبـح في معظمهـا ذات لـون سـياسي واحـد. ويغيـب المواطنـون عـن هـذه المراكـز الحساسـة. أليـس الوطـن وترابـه مصلحتـه فـوق الجميـع ؟ لكننـا للأسـف نعيـش في مجتمعـات همهـا ذاتهـا تسـعى للكسـب للربـح بالغـش بالسرقـة فمـن سـار عـلى هـذا الـدرب ندعـوه بالشـاطر. الشـاطر مفهـوم سـلبي نطلقـه عـلى مـن اسـتطاع اغتيـال وسرقـة الوطـن بـدل مـن حمايتـه.

مللنـا الانتظـار، وسـئمنا الحديـث عـن هـذا الموضـوع. يوميـا نـرى ونسـمع عـن أشـخاص اصبحـوا اثريـاء بشـكل مفاجـئ، بالرغـم ان أحدهـم لم يـرث أحـد ولم بكـدح يومـا مـا. الفسـاد يرافقنـا منـذ ولادتنـا حتـى مماتنـا. يطـل برأسـه في معظـم مناحـي حياتنـا في شـوارعنا وارصفتنـا. في مؤسسـاتنا الحكوميـة والأهليـة مـن مستشـفيات ومـدارس الـخ... بطالـة تتصاعـد بشـكل صاروخـي مـع تخريـج دفعـات تتراكـم سـنويا مـن المـدارس والمعاهـد العليـا... الرواتـب لا تكفـي ومعظمنـا يعيـش تحـت خـط الفقـر. المؤسسـات القضائيـة والتنفيذيـة لا تقـوم بواجباتهـا بشـكل سـليم. الضعيـف يسـتضعف والقـوي يقـوى... المواطـن يبحـث عـن أمـن وأمـان واسـتقرار الـخ.. اليسـت هـذه مسـؤولية الدولـة؟

سـيبقى المواطـن العـربي يـئن ويناجـي اللـه وأصحـاب الضمائـر الحيـة. وينتقـل مـن احبـاط الى اخـر. عـسى ان ينعـم يومـا مـا بـدفء وطنـه، وبحقوقـه كاملـة كانسـان.

خطب منمقة وثورات قادمة

المحاباة نقيصة، والصراحة البناءة راحة، وكثرة
الكلام كقلته يفقد نظارته عندما يفتقر للمصداقية.
هذا حالنا منذ عقود، قبل الاستماع لكل خطيب،
نعرف العنوان والمضمون والمقصود، يجدد بعثها
للحياة، يوقظها من حكم الموؤد. عجبي من هذا
الزمان الذي كثر فيه لغو الكلام والوعود.

لكل خطاب هدف يتناسب مع أهمية الحدث الذي يدور حوله، تنوع الأهداف يعني تنوع المضامين. تحقيق الأهداف يعتمد على محتواه الذي بدوره يعكس أفكار وثقافة ملقيه والمؤسسة التي جاء منها، وعلى نوعية مستمعيه. فان كانت أفكاره، وثقافته تنبعان من منطق فكري وعقل متحرر منفتح، تمكن من إحراز نقله نوعية تعالج الغرض المراد تحقيقه بما يتناسب مع مفاهيم الزمن المعاصر وحداثته. خطبنا مفرداتها مركبة، شاملة، تتضمن اقتباسات، وعبر، واقوال لمشاهير وعظماء وأدباء، ولا تستثني من آيات دينية تعمل على إسنادها. لذلك يلبس الخطاب صفة، وصبغة دينية تستثمر في وضع العراقيل أمام كل من يحاول الاعتراض. فكل خطاب يغلف بالدين غير معرض للنقاش لذلك يصبح نقده من المحرمات، جنحة يحاكم عليها القانون.

في الشرق، كثيرة هي خطبنا التي لم تعالج قضايانا بالحجم الذي عالجت فيه مصلحة المؤسسة والجهة التي تتوجه للشعب بالخطاب. خطبنا، بالباطن تظهر صدق النوايا، وفي حقيقتها مغلفة بالكذب والنفاق والرياء، ويغلب عليها الحقد والكراهية، نادرا ما نجد فيها البعد عن الانتهازية. بات المواطن أسير خطب النخب السياسية، والدينية الخ... ليجد نفسه لا شعوريا يحمل عبء خسائرها، في معظم معاركنا العسكرية، وإسهاماتنا في الثقافة العالمية، وسمعتنا في الساحة الدولية، ومكانتنا الحضارية، لينتهي كعبد لها وضحية. ما يزيد الأمور تعقيدا وسوء إصرار الخطباء، ومكابراتهم، على اننا أفضل الشعوب البشرية، طالما هم

يقودوننـا ويوجهوننـا في أمـور حياتنـا الدينيـة والدنيويـة الـخ...، ويسـتمرون بإطلالاتهم البهيـة علينـا، بصورهـم بتماثيلهـم في كل زاويـة، في كل شـارع، وعـبر وسـائل الإعـلام المرئيـة والمكتوبـة والمسـموعة، والكتـب المدرسـية، كتقـاة ورعـين مجسـدين خلاصنـا، يحملـون بـين أيديهـم الحلـول الوضعيـة والإلهيـة. أسـطوانة مشروخـة عفـا عليهـا الزمـن، متـي سـنتخلص مـن هـذه المهزلـة الكوميديـة.

معظـم زعمائنـا بعـد انتخابهـم، وتنصيبهـم يظهـرون تواضعـا مصطنعـا. يخـرج كل منهـم في حفـل تنصيبـه بخطـاب طنـان رنـان مقسـما " بعـد التـوكل عـلى اللـه إن انتخابكـم لي أعـده تكليفـا لا تشريفـا... ثـم يعطـي الوعـود الـخ ...". بمعنـى أننـى تحـت إمرتكـم، يـا مـن صوتـم لي، سـأعمل بإخـلاص في خدمـة الوطـن والإنسـان، والدفـاع عـن قضايانـا المصيريـة، ومعركتنـا مـع الأعداء أمـام المحافـل الدوليـة والإقليمية، ومـن أجلكـم جميعـا وللمصلحـة العامـة يهـون المـوت، ولا تنـازل ولا استسـلام. قبـل أن تحمـل الريـاح كلماتـه، وقبـل ان يجـف حـبر توقيعـه، يصبـح إنسـانا آخـر، يصبـح مسـؤولا، والمسـؤول في عـرف دولنـا العربيـة يعنـي ان يصبـح فـوق القانـون والدسـتور والشـعب. يعـزز قوتـه مـن خـلال تعيـين المقربـين منـه في أعـلى الرتـب وأدناهـا دون الرجـوع الى قدراتهـم، وطاقاتهـم، وكفاءاتهـم العلميـة. النتيجـة تكريـس العصبيـة القبليـة، ليصبـح الوطـن مزرعـة لـه، يسـتثمره كـما يشـاء، ويحرثـه متـي شـاء، ويقتلـع الشـجر المثمـر فيـه متـي شـاء، وينهـب ثرواتـه متـى شـاء، الـخ... ويصبـح الأمـر الناهـي الى مـا شـاء اللـه، مـن بعدهـا الانتهازيـون يقسـمون الـولاء لحفيـده.

اعـترف اننـا في المـاضي تمكنـا مـن ان نصبـح في طليعـة الشـعوب التقدميـة، وأصحـاب حضـارة عريقـة. مـا كنـا لنكـون لـولا الاحتـلالات التـي قمنـا بهـا، وانصهارنـا في بوتقـة الحضـارات التـي اسـتوليت عـلى بلادهـا مـن آراميـة، وفارسـية، وهنديـة، وفرعونيـة، وازيغيـه الـخ... هـذا في زمـن كنـا نؤمـن بـه بالتعدديـة، فـإن كنـا هكـذا في المـاضي، فلـماذا الآن نحـن عاجـزون؟ وأيـن تكمـن القضيـة؟ أسـئلة ليسـت محـيرة ولا تحتـاج لخطـب ناريـة، مجمـل القضيـة أننـا في خطبنـا نهـدر وقتنـا في مضـغ الـكلام، ونخـاف مـن الدخـول في جوهـر القضيـة، الا وهـو تحقيـق الحريـة والعدالـة الانسـانية.

في معظم الأحيان نسمع ما لا نريد، وليس ما يجب ان يكون. الخطب الحماسية، النارية تلهب مشاعر المستمعين وتوقظ عواطفهم. شوق المواطن لتحقيق تطلعاته ومصيره قد تأخر. وعلى حظه العاثر توقف الزمن. الخطب التي ألقيت منذ عقود علينا تحتاج لإعادة تقيم. في حرب ١٩٦٧ فشلنا وهزمنا. نتائج حرب ٦ أكتوبر ١٩٧٣ لم يحصد نجاح يذكر. الحرب العراقية الامريكية ١٩/اذار- ٣/أيار ٢٠٠٣ نتائجها سقوط حكومة صدام حسين، احتلال العراق، تشكيل حكومة عراقية جديدة، في عام ٢٠٠٦ أعاد لنا حزب الله كرامة بتواضع لا مثيل له، وتستمر المأساة حتى وصولنا للربيع العربي. للأسف هزيمة تتبعها هزيمة.

زعماؤنا في خطبهم يقولون:" ننتظر من الشعب أن يعبر عن نفسه ومطالبه بأسلوب حضاري. إن كانوا يعترفون بأن هناك أساليب حضارية فلماذا يتجاهلون مطالبهم من الأساس؟ اليس من واجب المتحضر ان يعرف بمطالب واحتياجات الغير متحضر والعمل على تحقيقها ؟ النسيان نعمة مؤقته ولعنة دائمة، فلابد ان يستيقظ الشعب من كبوته يوما ما.

ما يظهر من الحديث شيء وما يكون مكتوبا بين السطور شيء اخر. الخطب حول الحريات والديمقراطية قد تكون طعما لاصطياد المثقفين والأدباء والكتاب، والاعلامين الاحرار الذين ينشرون أفكارهم لرفع وعي الإنسان والمجتمع. مناصرتهم للزعيم شيء، ومناصرتهم للحرية والتغير شيء اخر. بذلك لا يمكن تقدير حجم الحريات التي يوصي بها الزعيم للشعب. حجم سماء الحرية واسع وحجم سماء الفكر واسع أيضا. قد يكون أكبر حجم يوصون به صغيرا كحجم زنزانة يغرق أصحاب الفكر فيها في سجون الضياع والنسيان. تنطلق حكوماتنا لمعالجة قضاياها الثقافية، والفكرية الحساسة بتثبيت القوانين القمعية من منطلق "شعب بخاف ما يستحي". كوننا شعوب النكبات، والمصائب، والدسائس فقد تولد لدينا شعور بأن هناك يوما ما، سيتحقق شيئا ما، على يد إنسان ما، في زمن ما. هذا نحن ننتظر المجهول كأن مصائبنا جاءت من حيث لا ندري من لا مكان او لا زمان.

نحـن لا نخجـل مـن الخطـب المنمقـة، والمخادعـة، والكاذبـة مـع أنهـا واضحـة سـاطعة كشـمس الصيـف الحارقـة. التصفيـق صنعـة نقـوم بهـا لاإراديـا، والسـكوت خلـل زرعه الخـوف فينـا منـذ عقـود. بشـكل ممنهـج منـذ زمـن بعيـد نعيـش الضديـن البقـاء والفنـاء، كل مـن نحتاجـه إشـارة إصبـع او كلمـة، لننطلـق إلى هدف رسـم دون معرفتنا، وفهمنـا لمقاصـده ونوايـاه. أصبـح الخـط الفاصل بـين وجودنـا وعدمه هو وعينـا المدمر. نحـن نعيـش مكانـك قـف في زمـن تسـير فيـه معظـم شـعوب الأرض نحـو المسـتقبل.

هـل زعماؤنـا ومؤسسـاتنا الوطنيـة وأجهزتهـا عـلى تواصـل واطـلاع بـكل مجريـات الوطـن؟ هـل يدركـون عمـق الـشرخ الـذي بـدء يشـق وحـدة رعايـاه؟ الأمـور لا تحتـاج الى لملمـة او طبطبـة او خبيبـة – كـما نقـول بالعاميـة- الأمـور يجـب أن تفضـح، أن تواجـه قبـل أن يصبـح كل محضـور مسـموح، وكل ممنـوع مرغـوب، كل تطـرف وإرهـاب مبـاح. وقـد يجنـح بعـض مـن زعمائنـا مـن اجـل المحافظـة وتثبيـت حكمهـم الى إيجـاد عـدو يهددهـم امـا مـن الداخـل، او مـن الخـارج. لتتحـول القضيـة مـن هـّم يحملـه المجتمـع، الى هـّم تحملـه المؤسسـة الحاكمـة، ويصبـح موضوعـاً شـخصياً ضـد الزعيـم يحملـه معـه في حلـه وترحالـه. تناقـض سـياسي أم إفـلاس سـياسي. أم مـن أجـل ديمومـة الحكـم، لسـت أدري.

معظـم خطبنـا لا تلائـم روح العـصر. موضوعاتهـا لا تتقابـل مـع الحداثـة، ولا تعتنـي بالتقـدم، ولا بحاجـات الإنسـان وتطلعاتـه، تهتـم بالمحافظـة عـلى مـا هـو موجـود، مـا زال الكثـير مـن خطبنـا تقليديـا، منهـا العنصريـة، ومنهـا مـا هـو كاذب يعمـل لتخـدر عقـول المواطنـين، وتطويعهـم، وإسـكاتهم. خطبنـا تديـر حـوارات جـرت قبـل قـرون، فهـل يأنـس البعـض بالعـودة للـماضي ويشـتد حنينهـم للقتـل والتدمـير، والسـبي وفـرض الجزيـة الخ...أقلهـا ليلطـف هكـذا خطـاب بوضـع مقاييـس تلائـم عـالم اليـوم، بخطـاب يتمكـن مـن مجـّرات الشـعوب الأخـرى في عـالم يوجـد فيـه شرعيـة دوليـة وقوانـين وضعيـة وعلـوم فلسـفية الـخ.. كي نواجـه الحـاضر بحـاضر مثلـه وليـس بمـاضي لا يتوافـق ولا يتكيـف معـه. أدرك مقـدار علاقتنـا بـين مـاضي نريـد بعثـه، وحـاضر نرغـب في أن نعيشـه. إنْ لم تكـن خطبنـا علمانيـة تحمـي المجتمـع

بكل مكوناته، ستكون خطب وجهود الدولة وطاقاتها قد تبددت وأهدرت في سبيل ما يدعى إحياء القديم والإبقاء على الموروث الحضاري. إنْ لم يكن الإحياء عصرنة التراث فذلك كله لا يكون سوى مضيعة للوقت والجهود.

لعلة في نفوس أصحاب النفوذ، خطبنا عاطفية لأن تربتنا قاسية، لذلك يسهل التأثير علينا لنندفع نحو الانتقام، وذرف الدموع. خطبنا الدينية أصولية في معظمها، والسياسية تمجد الحكام وأعوانهم، والاجتماعية تحرص على تبديد الرعية وتفرقها وتشتتها، والثورية حزبية مندفعة تفتقر لرؤية، والجامعية والمدرسية خاوية أيضا الا من صف الكلام والتملق، وخطبنا الثقافية لا يناصرها سوى المثقفون. والنسوية تخاطب المقهورات، قد أكون متشائما ولكنها الحقيقة لأن الواقع لا يظهر غير ذألك.

علينا إعادة قراءه معظم خطب زعمائنا التي ألقيت منذ عقود، وإخضاعها لدراسة وتحليل علميين، ومقارنتها بكل ما تم إنجازه من عصرهم لغاية الان وبمسؤولية. منذ قرون ولغاية الآن الفشل كان من نصيبنا.... لماذا؟ لابد ان لذلك علاقة بالبناء العقلي للإنسان العربي، الذي بدأت حصته الحضارية بالأفول مع انتهاء العصر الذهبي عام ١٢٥٨ فخرج عنه، وكان لكل استعمار اخضعه منذ ذلك الزمن دور في تراجعه. غياب المعرفة العلمية والفلسفية وعدم القدرة على مجاراتها واخفاء صوت الحق واسكاته، ومنع النقد وتجريمه من المستحيل أن يغير خطابنا، وان ينقلنا الى عصر ذهبي جديد.

العقل العربي يتأرجح بين عجز عن تحقيق الذات وبين ضعف في الاندفاع نحو المستقبل. بذلك يخسر مصداقيته لأنه لا يخاطب من موقف قوي بل من موقف ضعيف، وهذا ما يظهر نتائجه في المؤتمرات العالمية والدولة. حيث نتسول حقوق مشروعة. اذن ماذا نريد؟؟؟؟؟ نريد خطبا جريئة تتحدى وضعنا وتنير درب حريتنا، وتعيد كرامتنا. خطب تحمل بداخلها بذور الحياة لا الموت. خطب تراعى مشاعرنا، لا تهزأ بها. خطب صادقة صريحة واضحة، تعيد لنا الثقة بذاتنا. خطب تدفعنا للارتقاء العلمي العالمي. خطب تسد جوعنا وتروي عطشنا للحرية.

لا تظنـوني متشـائما، لأن الواقـع الـذي نعيشـه لم يـترك للتفـاؤل مكانـا، مـا لم نجـدد خطبنـا ونوجههـا بعيـدا عـن الانتهازيـة، والتجهيـل، والخـداع، والتبريـر، والتجميـل، والمصالـح، والكراهيـة، والتظليـل، والاقتتـال، والفـتن الـخ ... وندعـو فيهـا للتخلـص مـن سـلبيات معظـم القـادة، والمعـارف، والمفاهيـم، والأسـاطير التـي لا تخضـع لقانـون علمـي او منطقـي. سـنبقى عالقـين في زمـان ومـكان. سـتتحطم شـعوبنا، وتدمـر، وتهبـط في سـلم الحضـارة الإنسـانية، مسـتقبلنا ومصيرنـا قاتمـان. بتنـا أقـرب للعبوديـة، طائعـين لشـعوب نسـتجدي تدخلهـا في معظـم شـؤوننا الداخليـة والخارجيـة.

كلنـا دون اسـتثناء شـهود عيـان عـلى عجزنـا في هـذا الزمـن. منـذ انطـلاق الربيـع العـربي وانتكاسـته، بسـبب تعرضـه للاسـتغلال والاحتيـال والاغتيـال، تـم تفريغـه مـن محتـواه الإنسـاني للتحـرر مـن سـطوة السـلطة السياسـية، والدينيـة وعلـماء الاجتـماع الـخ... كـما لم يتـم معالجـة القضايـا المركزيـة الملحـة في كل مؤسسـات الدولـة لغايـة الان، لذلـك بـذور احيائـه لم تفـنَ، والبحـث عـن الـذات في مجتمـع يضعـف، ويتحلـل عـلى مسـتوى العـالم لـن يـدوم طويـلا، فصرخـة المطالبـين بالتغـير سـتعود مدويـة بقـوة أكـبر، وبعنـاد وتصميـم عـلى التغـير نحـو العلمانيـة والحداثـة أكـثر مـن المـاضي.. فالخطـاب القـادم سـياتي مـن رحـم الجيـل الصاعـد بقـوة وعنفـوان.

عروبتنا تحتضر

الى كل من يهمه أمر عروبته، ونصرتها، وتقدمها أُقدم هذه القطعة الادبية... منذ أجيال يحذونا الامل بالإصلاح وبالتغير... شوقنا لها كل يوم يكبر ويستعير... هرمنا ولم نلمس أحلامنا بالحرية تتحقق... بالرغم من كل ذلك سيبقي حبها في شراييننا يتدفق.. ألم يحن الزمن لنلحق بالركب الحضاري المستنير... أتساءل !!!! الى متى يا عرب مكتوب علينا الانتظار؟ ...

عروبتنا في خدرها تهجع
تغط في نوم عميق
لا تسمع
معظمنا طاحونة كلام
حراكنا الشعبي
مضى عليه ست اعوام(*١)
زاد فيها الشرخ بيننا
أوضاعنا اسوأ من ما كان
منقسمون على ذاتنا
... ومع ذاتنا
نلعن ظروفنا ، نشتمها، نغضب
... نتشاتم نتساءل
ماذا نريد؟
هذا نريد... هذا لا نريد
ذاك نريد... ذاك لا نريد
ضعنا بين هذا ... وذاك
في بحثنا عن رأي سديد
فخرج علينا هواة
في الدين والسياسة
لهم العمر المديد
بقفزات سريعة كالبرق
انتقلوا من المقدمة الى الختام
يصرخون نحن شعب
تعداده بلغ... بلا حسد
بإمكانه ان يمحق أي عدو
بعيدا عنا كان
او في الجوار

هواة...
يندون، يتوعدون
يدعون للقتل للانتقام
دون تخطيط أو سابق انذار
فيا للعار

شعوب ترعى
تقتات من حضائرهم
ليس لها الا أن تردد أدعيتهم
وتزبد ، وترغي، وتكره، وتحقد
مخدرة بعاطفة تدفعها
لتقع فريسة سهلة
بحضن المنتفعين والاستعمار

عجبي...
أهكذا الشعوب تقاد
كأغنام تساق
كلام هراء من الألف الى الياء
الشعب بنوعيته بوعيه
بثقافته بعلمه...
ليس رقم به تقاس قيمته
الشعب قيمته في تحقيق مطالبه
في تحقيق أماله وأحلامه
في استقلاليته في حريته
في مجده للارتقاء والاستقرار
وحصوله على الأمن والعمل
والمسكن والحياة الكريمة والغذاء

بوطن حر يعزز فيه صموده
وشعوره في البقاء

شعوب كثيرة...
بهمة، بإرادة مفكريها تحررت
خاضت حروب وثورات
سفكت دماء
سقط الملايين منها في عمر الزهور
اغنياء وفقراء
وأطفال وفتيات ونساء
ليتحرروا
من سطوة رجال دين وساسة
فرضوا وصايتهم باسم رب السماء
أدركوا أيقنوا عرفوا...
أن رب العزة لعباده وهب الحرية
ليرتقوا بعقولهم كمّا
بالمعرفة وبالعلم درجات
أما نحن...
نحن!... نحن؟
نريد ان نتحرر... لا نريد...
نتردد...أن نتقدم... لا نتقدم..
نخاف.. لا نخاف... نتقهقر...
نستسلم للخوف المزروع فينا
أدوات البطش تحاصرنا
من أمامنا... من خلفنا...
من جنبنا
على الشمال واليمين

ومن فوقنا... ومن تحتنا
بطش السلطان...
بطش رب العمل...
بطش أصحاب راس المال...
بطش رجال الأمن...
بطش الرجال للنساء...
بطش الآباء للأبناء...
بطش رجال الدين للعباد...
بطش الإعلام السفيه...
بطش التربويين...
بطش القضاة...
بطش بطش بطش
حتى بطش الأخرين بات جين
يحمله أصحاب السلطة الأوصياء...
كذلك الخوف من البطش
صار جين يحمله الجبناء...

ما دام عالمنا العربي
معظم ما فيه يتوارث
فلا مجال للمبدعين والأَكْفاء
أمام ناهبي ثروات الوطن
والمستفيدين والاوصياء

اليوم نقف عاجزين
لا نقدم... بل نؤخر
نهدر طاقتنا... نهدر وقتنا
نحرث نزرع في ماء

لا حلول في الأفق تلوح
فما دام حالنا على هذا الحال
نفتخر بالعدد لا بالقيمة
لن نفوز بنصر
لا من قريب ولا من بعيد

نعي ما نريد... لا نعي ما نريد
كأن الوعي يأتي من خارج الكون
يتكون دون إصرار أو إرادة
ما دام قيدنا فكري
لن يكون هناك حل
لن يكون هناك أمل
في التغيير والإصلاح

أتوسل اليكم يا عرب
سارعوا بالإصلاح بالتغير
بعشرات وعشرات من السنين
سبقتنا، تفوقت علينا الأمم
على أعتاب الحضارة
أنفاسنا انطفأت
قريبا سنعلن موتنا
اننا نحتضر

(*١) كتب هذا المقال بتاريخ ٢٠١٧/٦/٨

الأحزاب وديمقراطية العدالة

الديمقراطية نهج بناء حر يتيح للجماهير التعبير
عن أرائها باستقلالية وحرية دون خوف، من
أجل بناء مجتمع تسوده العدالة الاجتماعية.

قبل زرع دولة اسرائيل التوسعية عسكريا وسياسيا كرأس حربة بالوكالة لتنوب عن الاستعمار في الشرق الأوسط عام ١٩٤٨ ، استقل عدد قليل من الدول العربية، تبعها بعد هذا التاريخ رفع الوصاية عن ما بقي منها تحت الاستعمار، وتم جلاء ورحيل آخر قوات المستعمرين عن أراضيها وأصبحت دول حرة مستقلة ذات سيادة. بعدها مباشرة ، كان من المفروض أن تكون الخطوة الأولى الانطلاق نحو عصر جديد وبناء الدولة المدنية الديمقراطية ، والعمل على رفاهية الإنسان، وتحقيق العدالة الاجتماعية، وصهر كل مكونات المجتمع في هوية وطنية علمانية. لو تم ذلك فعلا، لتمكنا من الازدهار، وتجنبنا الكثير من الاشكاليات المعقدة في العالم العربي اليوم، وتجاوزنا الطبقية، وكل احتقان فكري داخل مجتمعاتنا. بعد أكثر من خمسة وستتن عاما انتهى بنا المطاف الى وضع يائس نتج عنه مرحلة وأحداث جديدة في المنطقة دعيت بالربيع العربي، الذي للأسف صوره المنتفعون على انه مؤامرة من صنيع الغرب والاستعمار تهدف الى هدم أوطاننا. عالمنا العربي الغارق في الهموم والبعيد كل البعد عن الحريات، يظن الأوصياء عليه أن استغلال " نظرية المؤامرة على عروبتنا" كحجة من أجل أحكام سيطرتهم على شعوبهم ستدوم.

الحركات الثورية التي قامت في العالم العربي في عهد الاستعمار، تمكنت بفضل شهدائها من تحقيق الاستقلال، نجح بعضها في الوصول الى سدة الحكم، لكنها حادَتْ عن رسالتها، استفردت، واقصت باقي الحركات أو هادنتها واحتكرت الحكم لذاتها. لعقود استمر هذا النهج، فيه لم تسع من خلاله الى بناء الدولة المدنية، وتداول السلطة مع بقية الأحزاب بشكل سلمي. محصلة هذه الاستراتيجية الغي دور الأحزاب، والمواطنين من اجندتها، وعززت دور

التابعـين، والداعمـين لهـا ووضعتهـم في المراكـز المفصليـة للدولـة، بذلـك أصبـح الحكـم ديكتاتـوري ،أقـرب الى حكـم العسـكر. غيبـت الديمقراطيـة، الا مـن بعـض مظاهرهـا الخداعـة كالانتخابـات التـي يرصـد نزاهتهـا مراقبـين دوليـين أجانـب، لتكـون مسرحيـة شـبه كوميديـة فيهـا نقنعهـم باسـتقامتنا ويقنعوننـا بدورهـم بغبائهـم. السـيطرة بالقـوة عـلى الشـعب آخـر عمليـة التنميـة، وشـجع هجـرة العقـول، والأمـوال للبحـث عـن حيـاة اكـثر امانا...نـزف العقـول لا يسـاهم الا في تخلـف المجتمـع، واسـتمرار القـوة الوحيـدة الحاكمـة، وتعقيـد حيـاة المواطنـين وتقيدهـا.

الديمقراطيـة في العـالم العـربي لا يتعـدى معناهـا حريـة الانتخـاب. وإنْ ذهبنـا بعيـدا أشـدنا بتحقيـق مكاسـب للمـرأة بالترشـح، وتـولي بعـض المناصـب. نهلـل ونبـارك، ونزغـرد ونعتهـا بالقـرارات الثوريـة. - آخرهـا كان في تونـس السـماح للمسـلمات بالـزواج مـن غـير المسـلمين، أطـرح سـؤال يسـتحق التفكـير والإجابـة... مـا هـو رد الحـركات الدينيـة، والغـير دينيـة عـلى هـذا القـرار؟، وكيـف سـيكون رد فعلهـم في حـال تطبيقـه وتوسـيعه ليشـمل حريـة اعتنـاق ديـن اخـر؟ - المعنـى الحقيقـي للانتخابـات منفـي في سراديـب مفاتيحهـا بأيـدي أصحـاب السـلطة ورؤوس المـال لا يجـرؤ ان يتكلـم عنهـا أحـد. هـذه النقطـة جعلـت مـن الشـعوب العربيـة رهائـن لـدى الزعـماء الذيـن يحكمـون مدعومـين برجـال الديـن. الزعـماء يصـدرون الأوامـر للأجهـزة، والأجهـزة تنفـذ الأوامـر التـي تبررهـا فتـوى رجـال الديـن.

انشـز الأصـوات، التـي تحـارب الديمقراطيـة بدعـوى انهـا بدعـة، تحـرض أتباعهـا دفاعـا عـن وجودهـا، وخوفـا مـن التحـول الاجتماعـي وانقلابـه نحـو الحريـات. تلـك الاصوات لم تجتهـد، وتكلـف نفسـها عنـاء التحديـث، وتقديـم حلـول، وبرامـج عصريـة منـذ قـرون خلـت، بالرغـم مـن معرفتهـا بالزيـادة الصاروخيـة في عـدد السـكان، وارتفـاع عـدد العاطلـين عـن العمـل، والفقـر، والمـرض، والجهـل، والتطـور الحضـاري العالمـي. لتخـرج بالنهايـة علينـا بسـيناريو هزيـل، وتنعـت الديمقراطيـة "بانهـا مظهـر غـربي شـيطاني منحـط ، يهـدف ضرب البنـاء الاجتماعـي، وأفـكاره، وعقائـده، وأخلاقـه". البنـاء المجتمعـي الحديـث العـصري للدولـة في خطواتـه الثوريـة الأولى لبنـاء

مستقبل أفضل، وأمن، ومستقر للأجيال القادمة، يجب عليه القيام بتمحيص، ودراسة كل مشروع وطني تتقدم به الأحزاب، ان كان لا يستند على قاعدة الديمقراطية، يكن توجهه تعطيل الحريات ، وإفشال تحقيق العدالة الاجتماعية. مسؤولية الحكومات ورفض الشعوب لها، والعمل على حلها، وحظر تكوينها.

كثيرا ما نتساءل أين هي المصالح القومية أو الوطنية في عدم تطبيق الديمقراطية؟... الديمقراطية مهمة في بناء دور الشعوب في التحرر الوطني، والسلم الاجتماعي، والتطور الفكري والمعرفي والقومي، كما تؤكد حقوق الأفراد والأقليات والأعراق وتصونها. هي الخيار الوحيد لا بديل عنه كمدخل للحريات. فمن يسعى الى استباق تحقيق استحقاق العدالة الاجتماعية قبل الديمقراطية يهدف الى مصادرة قرار الشعب وكلمته، ليقيم ديمقراطية زائفة مارقة.

المؤسسات الدينية والدكتاتورية القمعية المعاصرة، المكونة من اقطاعيين جدد واكليروس جديد، لا تجد توافق بين مصالحها والنظم الديمقراطية في العالم .كلاهما تتقاطع مصالحهما ليشكلا نمطا لحكم يتولى أمرهم رجال دين مرتبطون بمصالح رجال سلطة . تجاذب هذا التجانس بين الاقطاعيين الجدد والاكليروس الجدد تتمركز بأيديهم قوة بوليسية تحول دون تمكين المواطنين وتمنعهم بشتى الوسائل من القيام بأنشطة تنتقدهم ، أو تندد بهم ليبقى الفكر الديمقراطي ممنوع من التطبيق، وحبر على ورق.

كعرب، نجلب عارا لأنفسنا في قبولنا المساعدات المدعوة بالإنسانية لشعوبنا. دولنا غنية بخامات متعددة في باطن الارض، وبتربة صالحة للزراعة ومياه وفيرة، وأماكن سياحية عالمية، ودينية هامة مميزة، يحقق الدخل القومي فيها مليارات الدولارات كل عام، لكن نصيب المواطن الفرد منها لا يذكر، فلحساب من تدخل هذه الاموال؟ لذلك تكون عندنا نظام طبقي جديد ليس محسوسا بعمق ما حصل في اوروبا الذي يفصلنا عنها قرنان من الزمن ويزيد، وما نتج عن ثوراتها ، وبشكل خاص الثورة الفرنسي (١٧٨٩- ١٧٩٩) ولكنه بثقلها، بمظاهرها، مبينا ما يحمله مجتمعاتنا من ظلم اجتماعي، واقتصادي تتجلى مظاهره بالفقر والجهل والمرض. تعلمنا عن

الثـورة الفرنسـية أو قرأنـا عنهـا لم نتبنـى افكارهـا، ولا حتـى حاولنـا تطبيـق محتواهـا بمـا يناسـب فكرنـا في العـالم العـربي، وعجزنـا عـن اسـتحداث أفـكار جديـدة، وإنْ ظهـر فكـر مسـتنير معـاصر يدفـع نحـو نمـو المجتمـع فقـد رفـض، وطـرد المفكـرون واعتقلـوا، وسـجنوا، وعذبـوا، أو قتلـوا. فكيـف يـرضى السـاسة في القـرن الحـادي العـشرون بـإدارة شـؤون البـلاد والعبـاد دون التخلـص مـن ظاهـرة الإقطـاع والإكلـيروس الجديدتـين.

الديمقراطيـة هـي الطريـق الوحيـد للعدالـة الاجتماعيـة التـي تقـود البـلاد نحـو التحـول السـياسي والاقتصـادي والاجتماعـي دون المسـاس بالكفـاءات والطاقـات الإبداعيـة في الوطـن لـدى الافـراد، أمـام الاجحـاف والمحسـوبية والقبليـة والعائليـة. الديمقراطيـة تفتـح بـاب الحـوار بـين الأحـزاب لتوجـه اهتماماتهـا نحـو البنـاء ومناقشـة فاعلـة لـكل مشـاكل الوطـن. مـن خلالهـا يتـم اشـتراك الشـعب في أمـور بـلاده التـي هـي الضـمان الوحيـد ضـد كل طغيـان. للديمقراطيـة رهبـة لأنهـا تضـع الجميـع تحـت القانـون. فكيـف نشـعر بالراحـة والهـدوء، دون الكشـف عـما كسـبناه مـن أربـاح وخسـائر؟. دون بيـان السـلبيات والايجابيـات؟ ودون تحقيـق العدالـة الاجتماعيـة في ظـل المحسـوبيات، ولا المصالـح الذاتيـة، ولا الطمـع في الحكـم، واسـتغلال النفـوذ؟ وأيـن تذهـب أمـوال الشـعب ؟ ومـا عمـل مراقـب الدولـة؟ فـدون مسـاندة الشـعب لا يمكـن أنْ تكسـب القيـادات ثقـة الشـعب. غيـاب الديمقراطيـة سـبب رئيـسي للأزمـة بـين الشـعب والقيـادة في عالمنـا العـربي.

مـا زلنـا ضائعـين بـين وصـف مـن يطالـب بالتغـير والإصـلاح بالرجعـي، ومـن لا يحالفنـا بالعميـل ، ومـن يقـف في صفنـا ويدعمنـا بالثـوري، والمثقـف الناقـد صاحـب الكلمـة الحـرة بالمنافـق، ومـن لا يشـترك باحتفالاتنـا بالزئبقـي، ومـن يقـول الحـق متآمـر مـع الغـرب، لم يبـق النقـاء الا في يـد مـن يحكـم، وحـده يمتلـك الحقيقـة. اتسـاءل إلى متـى؟... الديمقراطيـة ليسـت صرعـة - موضـة – ولا مجـرد مفهـوم، ولا تقليـداً أعمـى، وليسـت مـن عنـد الشـيطان. هـي طريـق وعـي وثقافـة قبـل ان تشـكل حكـم وأخـلاق .وليسـت بدعـة. الديمقراطيـة هـي المسـار السـليم الـذي ينطلـق منـه الشـعب صـوب تحقيـق العدالـة الاجتماعيـة.

في عالمنا العربي التمسك بالسلطة بقوة يدفع ثمنه المواطنون، إرادة الشعب ليست إرادة الحاكم. بدون شك ، الديمقراطية تعمل على زلزلة الأرض تحت اقدام كل الديكتاتوريات العمياء التي تضخ أفكاراً خارج الإنسانية في عروق اتباعها، ودفاعا عن مكتسبات قد تجرد منها، ستنتهج أسلوب التخلص من كل من يقاوم ويحارب ومن يسعى الى تطبيقها. ما دام هذا السيناريو مطروحا في سوق السياسة العربي، سنبقى غارقين في الطبقية الجديدة ومظاهرها الماثلة في الفقر، والجهل، والمرض. وقد تطول عودتنا للمربع الاول والبحث فيه – ما بعد رحيل الاستعمار – ما لم نكرس الديمقراطية أسلوبا ونهجا لإقامة الدولة "العلمانية".

الزمن والهوية

لكل شعب مر عبر الزمن حكاية هويه. لكل فرد من البشر
حكاية مع اكثر من هوية. أسوأُها عندما يبحث عنها في
مكان لا يدري فيه بأي زمن يعيش.

الهوية دليل على وجود الإنسان ضمن مجموعة بشرية معينة، في مكان معين، في زمن معين، مجموعة لها هوية حضارية، وتاريخ جذوره يغوص في القدم. كما تعني الانتماء للأرض التي تحتضن رفات الأجداد بعلاقة مقدسة قوية لا تنتهي، وبعلاقة مع مواطنين مبنية على الاحترام المتبادل.

البحث عن هوية في زمن الاضطرابات يحتاج الى أكثر من وقفة مع الواقع الحياتي للإنسان. خلالها يبحث الفرد، والجماعة عن وجودهما في بقعة أرض تدعى وطن مرّ على ثراها اقوام، وشعوب، وأمم، واجتاحتها حروب طاحنة دامية سقطت فيها رؤوس، وملوك، وعروش.

في الماضي قامت حضارات ما لبثت أن ذوت، واصبحت ذكرى، فكانت جسرا لحضارات جديدة انبثقت أكثر تطورا وثراء في المعرفة والعلوم والحريات، على مفترقها تشكلت هويات جديدة. لذلك تحن الشعوب المقهورة في زمن التراجع الحضاري، في زمن التوحش الإنساني، لتراثها الغني العريق، فتعود بذاكرتها الى ماضيها تبحث عن جذورها الأصيلة، وانتسابها الحقيقي للأرض التي تقف عليها لتؤكد وجودها. أما الشعوب التي تعيش في تيه بعيدا عن الحضارة المعاصرة وفقدت القدرة على الاندماج بها، تحاول جاهدة للبحث عن موطئ قدم لها بين الأمم، تتلمس طريقها في عتمة الفكر لتؤكد حقيقة وجودها من خلال العودة للماضي، متناسية استحالة توقف الزمن، واستحالة العودة الى الوراء، أمنياتها وآمالها في العودة الى الماضي ستتحطم، معها وبها ستندثر إنْ حاولت عكس دورة زمن الحياة نحو الماضي.

الدستور، وأذرع الدولة أمنية وقضائية، من خلال تطبيق القانون تكفل حماية الهوية لكل مكونات المجتمع في كل زمان، وفي ظل كل الظروف، والمتغيرات في مجتمعات علمانية ديمقراطية تتمتع بالحريات. بينما المجتمعات التي تحاصر الحريات، الهوية الوطنية فيها وضعها غير مستقر، ومتخلخل في بعض الاحيان بفعل قوة الهويات المتعددة التي تميز بين فئات الشعب. هناك هوية قبلية تقسم لهويات أخرى الأفخاذ. وهويه دينية تقسم الى طوائف، وهوية حزبية، وهوية جنادرية ، وهوية طبقية، ومواطنين من درجة أولى وثانية الخ... فكل هوية من هذه الهويات تؤثر على شخصية الإنسان وتصرفه وسلوكه، البعض منهم قد يفوقها على هويته الوطنية، من هنا تبدأ المأساة الاجتماعية. التعددية في مجتمعات مغلقة لا تتمتع بالحريات تمنح مواطنيها هوية رمزية زائفة تبين اسميا انتماءَهم لها. فيها يكون الانتماء الديني والقبلي، والحزبي الخ... أقوى من الانتماء الوطني.

البحث عن هوية اخرى، قد يعده البعض خروجا على اعراف المجتمع. الدافع وراء البحث عوامل واسباب ظاهرة للعيان، تتحدث عن ذاتها بذاتها لم تأتِ من فراغ، هي ليست من الدولة ولكنها ولدت ونشأت في حضن الدولة، تيارات فكرية متطرفة داخل المجتمع بغض النظر عن طبيعتها

وحجمهـا، لم يكبـح طموحهـا وجماحهـا. ولم يتـم معالجتهـا واجهاضهـا في مهدهـا. فـإن كانـت ذات نظـرة فوقيـة وتفوقيـه فعـلى الدولـة عـدم التقليـل مـن اهميتهـا، التهـاون معهـا يـؤدي الى الخـروج عـن الاجـماع الوطنـي، حيـث يبـدأ المجتمـع بالتهـاوي رويـدا رويـدا لا يلبـث أنْ يتعاظـم مـا لم يجـد رادع لـه. الأمـور أي كانـت تبـدا بفكـرة، وبفـرد، وبنـواة، لا تلبـث ان تتسـع. الأفـكار الغريبـة التـي يمكـن ان تحـدث شرخ في المجتمـع يجـب محاربتهـا. الأفـكار التـي تحملهـا هـذه الفئـات تسـبب توتـر وازمـة يتبعهـما تهديـد للأمـن الشـخصي، والمجتمعـي مـما يدفـع الإنسـان الى التفكـير بالهجـرة بحثـا عـن أمـان، او الإعـداد لمعارضتهـا، ومواجهتهـا التـي لا يمكـن التنبـؤ بنتائجهـا فقـد تتعـدى قـوة المنطـق وتتجـه لقـوة السـلاح.

الزمـن يسـير نحـو اللانهايـة. المـاضي هـو الحيـاة العابـرة. المسـتقبل هـو الحيـاة القادمـة. الحـاضر هـو لحظـة فـراق المـاضي بلقائـه مـع المسـتقبل. والهويـة حضـور الأعـراق البشريـة في مـكان عـبر الزمـان الشـاهد عـلى اسـتمرار وجودهـا. في الـشرق تختلـط الهويـات مـع بعضهـا البعـض، لم تسـتطع ان تتكامـل، النـزاع مصابهـا. في الشرق ظاهريـا الهويـة الشـخصية تحـدد المواطنـة، لكـن مـا يحـدد انتماءَهـم الحقيقـي هـو القبـلي الصـارم الجامـد في تشريعـه، وولاء ابـن القبيلـة لهـا قـوي جـدا، وهـي ملجـأه في المصائـب، والكـوارث، والمناسـبات السـعيدة، وقوانينهـا ملزمـة. الهويـة الثانيـة هـي الدينيـة ومـا يتفـرع عنهـا مـن طوائـف، الانتـماء للطائفـة فيهـا قـد يكـون اقـوى مـن الانتـماء للديـن وللوطـن. ولا ننـسي مـا يتمخـض عـن الهويـة الحزبيـة المنغلقـة عـلى ذاتهـا مـن مـآسي ووبـلات. تعـدد الانتـماءات اسـبابه التربيـة البيتيـة، والدينيـة، والمدرسـية، والقبليـة، والحزبيـة الغـير قابلـة للانفتـاح والإجـماع عـلى الهويـة القوميـة الوطنيـة الصرفـة الواحـدة . نلاحـظ احيانـا الى انـه بالرغـم عـن حـذف خانـة الديانـة مـن الهويـة الشـخصية، الا ان الدسـتور يعرضهـا في بنـوده بقـوة لتشـمل كل مكونـات الوطـن تحـت مسـمى ديـن الدولـة، بحيـث يفـرض الديـن نفسـه كشـخصية اعتباريـة للدولـة، مـما يعنـى انهـا دولـة اقـرب الى الشـمولية وأبعـد عـن التعدديـة. لذلـك لا نـدري في أي زمـن نعيـش، كل فئـات الشـعب دون اسـتثناء تعيـش ازمـة هويـة. يتسـاءل هـل نعيـش في زمـن الجاهليـة، أم في زمـن الرسـول محمـد (ص)، ام في زمـن الخلفـاء

الراشـدين، أم العباسـيين، ام الأمويـين الـخ...ام العثمانيـين. ضبابيـة الهويـة تدفعنـا جميعـا الى العـودة لجذورنـا الفينيقيـة، الكنعانيـة، الآراميـة، الفرعونيـة، الامازيغيـة، او الفارسـية الـخ... علنـا نتمكـن مـن تحديـد هويتنـا ونجـد حـلا لواقعنـا الأليـم.

مـا دام التاريـخ البـشري حـاضرا بمسـمياته القديمـة لشـعوب آثارهـا باقيـة عـلى وجـه الأرض سـيبقى محافظـا عـلى هويتهـا، فمـن ليـس لـه اصـولا تاريخيـة يعجـز عـن انشـاء تاريـخ لـه، مهـما حـاول إبـادة مـن سـبقه مـن شـعوب، لأن شـبح مـا خلفـوه مـن تـراث وحضـارة يتحـدث عـن أمجادهـم. أصحـاب الحضـارات قـد يختفـون، او ينتقلـون مـن مسـمى الى آخـر ولكنهـم باقـون مخلـدون شـاء الطغـاة، او كرهـوا، فجـذور الإنسـان هـي المنبـت الحقيقـي لهويتـه، ورسـالة الأجـداد للأحفـاد سـتبقى. ومـن توالـد منهـم مـع شـعوب أخـرى عـبر هزيمتهـا واحتـلال أرضهـا سـجل التاريـخ مآسـيها، ولكنـه لم يتمكـن مـن أن يلغيهـا، فهـي حقيقـة قائمـة لا يمكـن تزيفهـا لهـذا يعجـز مـن يظـن ان الشـعوب التـي بيـدت غـير مخلـدة في ابنائهـا اليـوم.

عـبر التاريـخ معظـم الاديـان حاولـت جاهـدة لتوحيـد البشريـة في هويـة واحـدة. لم يتمكـن أي منهـا مـن تحقيـق هـذا الحلـم، ولـن يسـتطيع الوصـول الي مـا يصبـو اليـه عـبر الوسـائل والطـرق السـلمية لأن كل منهـا منقسـما في ذاتـه وعـلى ذاتـه الى طوائـف وملـل وفـرق ونحـل، ويـرى نفسـه متفوقـا عـلى كل خليقـة اللـه لـه المجـد، وينكـر انسـانية الانسـان، وحـق غـيره في الحيـاة.

الزمـن لا يتوقـف، والمسـتقبل هـو لحظـة الحـاضر العابـرة التـي أصبحـت في المـاضي، وهويـة الشـعوب الحـاضرة لا تسـتطيع أن تلغـي حتـى هويـة الشـعوب المنقرضـة، لحتميـة خلـود بصمتهـا الحضاريـة وآثارهـا التـي مـا زالـت ماثلـة للعيـان، وراسـخة في ذاكـرة الشـعوب وبطـون كتـب علـم الآثـار والتاريـخ.

معظـم مشـاكلنا في الـشرق قائمـة عـلى أسـس افتراضيـة وليـس عـلى أسـس منطقيـة، قائمـة عـلى اكاذيـب تاريخيـة وليـس عـلى حقائـق تاريخيـة، وعـلى أسـس المفاضلـة،

وليـس عـلى أسـس الابـداع. فالشـعوب التـي تتغنـى بالتعدديـة ظاهريـا، ولا تضـع الجميـع تحـت القانـون في كل زمـان، لـن تجـد لهـا مـكان تحـت الشـمس.

هـل سـيتمكن البـشر يومـا مـا مـن بنـاء حضـارة تضمهـم جميعـا في بوتقـة واحـدة ؟... اظنكـم مثـلي سـتجيبون "ممكـن، ولكـن الفكـرة أقـرب الى الحلـم والخيـال" .

حقائق من الواقع العربي

الانزلاق الى الحضيض ليس شيئاً مقدراً،
انه شيء مدبر من صنع يدي وفكر الانسان.

معظم المثقفين، والساسة، والاكاديميين ، ورجال الدين، والاثرياء، وحتى المواطنين العاديين في المجتمعات العربية يدركون، ويعرفون ومتأكدون انه ....

مع السلطة المطلقة يضيع القانون
ومع احتكار الحكم يضيع الوطن

وفي...
البعد بين الحكام والمحكومين يضيع النظام
التفاوت بين الاغنياء والفقراء تضيع المساواة
التميز بين الأكثرية والأقلية يضيع الأمان
التفريق بين الأديان والطوائف يضيع الاستقرار
غياب القيم والمثل العليا يضيع الضمير
فرز المواطنين بين مؤمنين وكافرين يضيع الايمان
تغليب المصلحة الخاصة على العامة تضيع الامانة
وفي الشعور...

بالوجود وغيابه يضيع الانتماء
بالحرية أو بعدمها تضيع الكرامة
بالفوقية أو بالدونية تضيع المحبة
بالعظمة أو بالجنون يضيع العقل

وبين ...
المعرفة والموت الاخلاقي يضيع الوعي
وهم الخرافة والحقيقة يضيع الفكر
عمل الخير والشر يضيع الصفاء
المدافع عن الحق والساكت عنه يضيع العدل
الطاعة عن حاجة والطاعة عن محبة يضيع الصدق
الممكن والمستحيل تضيع الحلول

....بالرغم من معرفتهم بذلك فما زالوا غافلين بقصد، وبدون قصد على كل هذه الأمور. المواطن - اثنى أو ذكر كان- الذي يعشق الحرية، ويقدس العدل والحياة الكريمة ينبذ كل ما يقود مجتمعه للضياع، فيسعى لإثبات قيمة وجوده كانسان.

في الشرق الكلام يفوق الافعال

من يغمض عينيه، ويحبس لسانه عن وجع الوطن
والمواطن سيتألم، ويدفع ثمن ذنب صمته.

في الشرق، أجيال وراء اجيال تعبت، سئمت، ملت من كثرة الكلام والمتكلمين، من ساسة، علماء اجتماع، واقتصاد، ورجال دين. طاحونة الكلام تطحن بهمة، بنشاط، بأقصى طاقتها، تطحن وعود ، وقرارات، وتعهدات ، وتوصيات، فان غربلت نواتجها، ستجد انك تقبض على هواء. آلة الأفعال في الشرق صدأت، اهترأت مفاصلها، وأصابها

عطب، وبرود، وخمول، ونعاس، واكثر ما اخشى عليها هو الاضمحلال ، والفناء. في الشرق، هناك اكثر من مليون متشائم، يتبعه مليون متفائل يحلم بالغربة، بالهجرة بالفرار من بلاد محطمة فيها التخلف، والتراجع، والفقر كل يوم يزداد بغرز انيابه .. في الشرق تسمع هجيج الريح، ومن حولك سكوت المقابر، ترى السماء بالغيوم ملبدة، غيومها للأسف عواقر، ترى إشراقة شمس الصيف، خيوطها عليك هبطت، لكن جسدك لا يشعر بسحر دفئها الفاتن، ترى النجوم ساطعات تزين السماء المعتمة، تلألؤها لا يعزز فيك الأحلام والآمال، ولا تبعث بالخواطر. تشتم رائحة الشيح، والميرمية، والزعتر، عطرها لا ينعش القلب والعقل بقدر لأن كلاهما مخدر... بلاد عقيمة ، ليس للإنسان فيها كيان، ولا وجود، ولا قيمة، ما أشبهه بحيوان في مزرعة يقتات على الوعود، ويعاشر كالقرود، وينتظر دنو أجله بشوق ليس له حدود.

الأحرار في الشرق على نصل السيوف يمشون، ملاحقين مطاردين من جوقة الأمر الناهي، المؤلفة من أجهزة أمنية، وشرطية، ومخابراتية، وعسكريه، وأخرى أجهل أسمائها، وأخرى تتشكل بجرة قلم، تديرها دون عدالة أصحاب المصالح، والمؤسسات، والمصانع ، ومن لف لفيفهم من أصحاب البنوك والمصارف، مجتمعين متفقين على منهج أقرب الى العبودية، يبقى خليقة الله بأيديهم يسيرونه كما شاءت قبيلتهم.

سفينة الحياة في الشرق قبطانها باسم الله في راكبيها يتجبر، يتحكم برقابهم وابنائهم ولقمة عيشهم. تتوسع مساحة سطوته كلما عزفت له دور العبادة بالخلود وطول العمر، ليستمر في حكمه، من بعده ابنه الذي لم يلد بعد، وابنه البكر الامير الموعود، ليدوم الى ما شاء الله كرسيه، متنقلا بين احفاده لعقود وعقود واكثر. تعيسة هي الامة التي تصلى طالبة مترجية الله، كي يديم عليها القيود.

في الشرق، باسم الله في احتفالاتنا، أعمالنا خطبنا نبدأ ... الخ - ليس اروع من ذلك- باسمه تعالى للأسف أيضا نلغي قراراتنا، ووعودنا، وعهودنا... اين استقامتنا؟... نستعمل اسم الله، نحلف، ونقسم باسم العلي الجبار، عشرات وعشرات المرات

في تعاملاتنـا التافهـة لننجـو مـن أعمالنـا غـير السـوية اليوميـة ... أليسـت الأكاذيـب، والحلفـان وسـيلة ظاهـرة للعيـان، نتعامـل بهـا مـن القاعـدة حتـى القمـة؟... نختبـئ وراء اسـم اللـه، لنسـتفيد، لنقتنـص الفـرص، لنظلـم، لنتسـلط ، لنعتقـل، لنتسـتر عـلى فشـلنا واخطائنـا، وفسـادنا ونهبنـا واختلاسـاتنا، وظلمنـا ... الـخ. هـل الاله الـذي يعبده ويؤمـن بـه، المؤمنـون الصادقـون أصحـاب القيـم والأخـلاق هـو بعينـه نفـس الههـم؟

في الـشرق، جحافـل مـن فجـر التاريـخ، شـعوب، قـادة، وأمم عـلى أرضه تعسـكره ومرة. لم تـدم إقامتهـا ، فانكسرت وتقهقـرت، ورجعـت مهزومـة، تجـر ذيـل خيبتهـا من حيث اتـت ... لكـن أن تبتـلى الشـعوب بقيـادات سـادية، تتسـلط بالحديـد والنـار، عـلى ابنـاء جلدتهـا، فذلـك ظلـم، وقسـوة، وعنـاد ومكابـرة. للأسـف بعضهـم كالنجـوم سـطعت في السـماء اسـماؤهم، وفي الحقيقـة كانـوا توابـع للغربـاء، يقـادون لا كـما تريـد شـعوبهم ، بـل كـما يريـد الغـزاة، أليـس ذلـك تحقـير واذلال لشـعوب، باتـت مُسـخرة؟ اتساءَل، هـل سـنعيد أمجادنـا التـي درسـت، أم نسـير نحـو مسـتقبل نبنـي فيـه أمجـاد عـلى اعمـدة مـن دخـان؟ أم نصبـح مـادة يـدرس فيهـا طالـب التاريخ عـن شـعوب منقرضة؟

في الـشرق، كل المواطنـين يتشـاركون الارض ، والسـماء، والهـواء، والمـاء، تضمهم مسـاواة، وعدالـة طبيعيـة. ولكنـي أتسـاءل كيـف يكـون هنـاك أقليـة مـن الأغنيـاء، والشرفـاء، والنبـلاء، وبحجمهـا طبقـة متوسـطة الحـال، وأكثريـة فقـيرة تبحـث عـن لقمـة عشـاء؟ هـل هـذه عدالـة الأرض، أم عدالـة السـماء؟ أليـس الوطـن بمـا فيـه مـن خـيرات ملـك لمواطنيـه بغـض النظـر عـن عقيدتهـم، وأيديولوجيتهـم؟ ..نعـم هنـاك اسـتحقاق أكـثر لمـن يبـدع ويعمـل بشـكل أكـبر وأفضـل، لكـن العدالـة تتطلـب ان نـوزع خـيرات الوطـن بنسـبة لا تـترك محتاجـين دون مسـاكن، أو فقـراء، أو جيـاع دون طعـام، أو مـرضى دون عـلاج ...الـخ. لا تحبطـوا الأمـل مـن قلـوب المواطنـين المعوزيـن، المحتاجـين، الفقـراء، الباحثـين عـن كرامـة، مثلهـم كالغريـق بقشـة يتمسـك، سـيحتج عـلى الظلـم، بـكل مـا اوتي مـن شـكيمة، وعزيمـة، وقـد يحمـل بندقيـة ليـصرع بهـا مـن تسـبب في عـوزه، وسـيبقى يقـاوم ويقـاوم عـسى يتحقـق أملـه وأمـل أحفـاده في الحيـاة. ايهـا الزعـماء انظـروا اليهـم كبـشر أسـوة بكـم، لا تسـمحوا للسـفهاء النظـر اليهـم كقمامـة.

لا تعيدوا أحاديثكم عن الله، لأن جل اهدافكم تخدير شعوبكم ...إن شعوبكم تعرف الله ورسله وكتبه وغاياته. لا تتحدثوا لهم عن القيم، فهم يعرفونها، ويعيشونها، هي سلوك وأسلوب حياتهم. لا تحدثوهم عن الوطن، لأن من ترابه جبلوا، واكلوا، وعرقوا. لا تحدثوهم عن الاستعمار، فهم احفاد الشهداء الذين وفروا لهم الحرية، وساروا على دربهم واعتقلوا واسروا وتعذبوا، واستشهدوا. لا تحدثوهم عن العلم، فهم على علاقة قوية بالمعرفة، لا تحدثوهم عن الفضيلة، فهم اكثر من يقدسها ويعمل بها، ولا يلبسون ثوبها دجلا. لا تقولوا لهم نحن مستهدفون، فهم يدركوا ان هذا الكلام مضغ فم مليء بماء الرياء، يخضع لهدف يقام على تدليس، وكذب، ونفاق، وشعور بالنقص. تعلموا ان لا تحدثوهم عن الأدب، والشعر فهم قصصه وأبياته.. لا تحدثوهم عن الفلسفة والفلاسفة، ولا عن الأساطير والقصص الخيالية المرعبة، ولا عن الأديان والطوائف والكفار والملاحدة، ولا تسرحوا بهم شمالا أو جنوبا، ولا تحدثوهم عن باطن الارض وما بداخلها، وما يوجد فوق في السماوات...الخ.

كفاكم ثرثرة ، شعوبكم على دراية، ومعرفة بحركاتكم، يدركون معنى أقوالكم، وأفعالكم، وصولاتكم وجولاتكم، وحجم معرفتكم وثقافتكم، وعمق ايمانكم... الخ... للمرة الثانية لا ثرثروا، فقط استمعوا لمطالبهم، وحققوا رغباتهم، وأمنوا احتياجاتهم، وتطلعاتهم ، ولا تدوسوا على كرامتهم، وحقوقهم، وحرياتهم... تذكروا دائما أن:" الثرثرة مقبرة الأفعال." وأنه: " سيأتي يوما تفرض فيه الشعوب إرادتها، لتستعيد نبض العز والكرامة لأحفادها، وتبعث من جديد، وتستمر في الوجود".

الثالوث الانتهازي

تسقط القيم، والاخلاق، ليتبعها أوطان وشعوب،
عندما يتحالف انتهازيون من سياسيين، ورجال
دين، واصحاب ملايين.

في الشرق، الحياة تبقى، وستبقى راكدة، ما دام من يقود ما يسمى " التغير" يظهرون ما لا يخفون، همهم الوصول وامتلاك الحكم، والسيطرة والتسلط، يتبعون نهج وأسلوب من سبقهم حاضرا، وماضيا، يجتهدون في ترتيب نمط حياة شعوبهم ليسير بوتيرة واحدة، على ايقاع موسيقي رتيب، مملل، بليد، خانق، كي يحافظوا على مكتسباتهم. معتبرين انفسهم أوصياء، أولياء على الشعب.

بالمصالح، ترتبط دول الشرق بعضها ببعض، فلا الدين، ولا اللغة تمكنان من توحيدها. يغلب على كل منها الطابع القبلي، فارضا سلوكه، وأدبياته، ومنهجه، محافظا، متمسكا بالقوانين العشائرية المعمول بها منذ قرون، الى جانب القوانين المدنية المعاصرة. كونه عشائري يكون ولاء ابنائه للقبيلة أكبر أو مساويا لولائهم للدولة . القبيلة تشكل ندا قويا للأحزاب السياسية، وشريكا لها أو منافسا، أو حليفا في أي انتخابات تجرى، معتمدة في تأثيرها على توجيه أبنائها. بعض العشائر تتبنى نظاما اقتصاديا، تجبي اشتراكا ماليا من افرادها – خاصة الذكور منهم – لتمويل المشاريع الخاصة بهم. من هنا يبدأ الخلل في التركيب المجتمعي. في هذه الدول الشرقية، الصراعات والتحديات تتغلب على التفاهمات فيما بينها، و الفساد يتجذر فيها بسبب حكمها ايضا، من قبل ثالوث انتهازي، متمكن متماسك من ساسة، ورجال دين، وأصحاب ملايين، مرتبط بتحالفات مع قوى غربية استعمارية رأسمالية تعزز صموده، من خلالها يستمد قوته، ودعمهما المالي، والعسكري في أي ظروف محرجة خارجية، أو داخلية قد يتعرض لها.

الواقـع الجديـد كـما في المـاضي القديـم، الحيـاة تسـتمر لتتمحـور حـول وجـود الفـرد، أو عـدم وجـوده، بـين مـا يكـون لـه قيمـة أو لا يكـون، في عـالم لا يمكنـه مـن تحقيـق تطلعاتـه، وأحلامـه، ولا حتـى العيـش بكرامـة، ليقـف متسـولا عـلى بوابـة الحيـاة، مناجيـا رب العالمـين ،متسـائلا : "أنـا مـن أكـون ؟ " و"مسـتقبلي، ومسـتقبل ابنـائي في وطنـي العزيـز الغـالي كيـف سـيكون؟ " . في المقابـل، يقـف مـن جثـوا عـلى رقـاب البـشر، حفنـة تمتلـك القـرار السـياسي، والدينـي، والمـالي يهندسـون كـما تحلـوا لهـم الحيـاة، بمـا يلبـي مصالحهـم، شـاكرين المعطـي، ومانـح المراكـز، رب العالمـين. ليـس كفـرا، بـل تعجـب مؤمـن اتسـاءَل: "أيـن انـت يـا اللـه؟ وعـلى أي مسـافة تريـد أن يقـف محبيـك مـن المحتاجـين أمـام محبيـك مـن الانتهازيـين؟، وكيـف تريدهـم أن يتصرفـوا معهـم؟، هـل تريدهـم أن يخرجـوا عـن طاعتهـم؟".

في الـشرق، المبـدأ التربـوي الاول هـو ان تتعلـم الطاعـة والخـوف، وخـيرة المعلمـين، وأفضلهـم هـم رجـال الديـن. بشـكل منهجـي ، يزرعـون الخـوف في قلـوب رعاياهـم، يسـتلمونهم، يقيدونهـم منـذ لحظـة الـولادة حتـى المـمات، ليطيعـوا جـبراً لا اختيـاراً، دون إدارة أو تفكـير، ليستسـلموا في كل صغـيرة وكبـيرة لمـن أوكلهـم، وأقامهـم، وأولاهـم اللـه نيابـة عنـه في ادارة شـؤونهم الروحيـة، أولئـك الذيـن يـرون في الديـن عبوديـة لا حريـة كـما أرداهـا الديـان أن تكـون، بأيديهـم مفاتيـح السـماوات. لذلـك يعيـش الفـرد مستسـلما بعقلـه وقلبـه كليهـما خوفـا مـن غضـب اللـه، وجبروتـه، وسـطوته وبطشـه،... الـخ دون إدراك محبـة اللـه لهـم، وعطفـه وتسـامحه معهـم، ولطفـه بهـم. ثـم ينقلونهـم جاهزيـن إلى حكـم الزعيـم الأمـر الناهـي الـذي يحـرص عـلى تطبيـق حكـم اللـه عـلى الأرض بحسـب دبلوماسـيته، ومفاهيمـه الغامضـة التـي لا تحتمـل التأويـل والتفسـير. فيغـدوا القائـد معصومـاً عـن الخطـأ لأنـه يبطـش، ويكـون الملهـم لأنـه مفكـر، والثـوري لأنـه مناضـل، المحبـوب لأنـه يتـبرع بسـخاء، بـين يديـه حـاضر ومسـتقبل الامـة، وبيـده الحيـاة والمـوت، مـن عصـاه تحـل عليـه لعنـات اللـه، ومـن أيـده تحـل عليـه بركاتـه. مـن المهـد الى اللحـد تسـتمر هـذه التعاليـم في توارثهـا، مـن جيـل الى جيـل، ليبقـى القائـد المبجـل سـليل الأباطـرة، والقـواد، والثوريـين العظـماء، القائـد الملهـم. قائـد صنعـه ثالـوث سـياسي، ودينـي، وراس مـالي يتناسـب مـع حجـم

مصالحهـم، ليتقاسـمو، ويحكمـوا الوطـن والإنسـان. مـا يترتـب عـلى المواطنـين هـو تقديـم الـولاء والطاعـة العميـاء. مـن يطيـع بشـكل أعمـى يفقـد الإرادة والفكـر، حتـى أنـه يفقـد صفتـه كإنسـان، ويفقـد علاقتـه السـليمة باللـه. وتصبـح كل كبـيرة وصغـيرة مفروضـة عليهـم تدمـغ باسـم الرحمـن. دون ضمـير أو إحـراج أو حتـى الشـعور بجريمـة يرتكبهـا كل مـن يسـتخدم اسـم اللـه كعنـوان ليمـرر مخططاتـه، ومعاصيـه. ليصبـح كل شيء مقـدر لهـم مـن اللـه. عندهـا يصبـح شـأناً محرمـا، مناقضـا للطبيعـة الالهيـة ان تدخـل بـه انسـان. فالـثروة حتـى لـو جمعهـا صاحبهـا مـن دمـاء الشـعب، هـي هبـة لـه مـن عنـد اللـه، مـن حقـه أن يحتفـظ بهـا في بنـوك الغـرب.

في مجتمعـات، فيهـا حاكـم ظـالم سـارق، يهلـل لـه أصحـاب رأس المـال، يسـانده رجـال ديـن ، يتعلـم المواطنـون منـذ الصغـر أن فقرهـم من اللـه، ونكباتهـم من اللـه، وأمراضهـم مـن اللـه، وإبتلاءَتهـم مـن اللـه، وضعفهـم الجنسـي مـن اللـه، ومـا تحملـه نسـاؤهـم مـن اللـه، وعدوهـم مـن اللـه، لا تتوقـع منهـم ان يتقدمـوا في المعرفـة والعلـوم، لأنهـم ينتظـرون اشـارة مـن عنـد اللـه، واهـب العقـول كي يبدأوا في اسـتخدام عقولهـم. في ذلك ايضـا للأسـف مرجعياتهـم سـتكون أوصيـاء اللـه الحاذقـين في الأمـور الدنيويـة والدينية. شـئت أو أبيـت فهـم يشـكلون لـك الطريـق في الحيـاة ومـا بعـد الحيـاة. ومـا خروجـك عـن طاعتهـم الا تحديـا لهـم. تأكـد، وأدرك بأعـماق أعماقـك ذلـك ليـس تحديـاً للـه.

الساسـة يصبحـون رهائـن طائعـين لأصحـاب رأس المـال، كلـما مولـوا حملاتهـم الانتخابيـة، ليسـهل توسـعهم في احتـكار المشـاريع المختلفـة. ورجـال الديـن يصبحـون أداة بأيـدي اصحـاب راس المـال، كلـما مدوهـم بحسـاناتهم المسـتترة بدعـم مخفـي، أو عـلى مـرآى وسـمع المؤمـن. لتسـهيل مصالـح الانتهازيـين، يتحـدون، ليسـيروا المجتمع بما يخدمهـم. البعـض في الـشرق يبحـث عـن دور للمعارضـة في احـداث تغـيرات اجتماعية. للأسـف المعارضـة صوريـة لا أكـثر، مشـلولة الأداء تسـتخدم كواجهـة تظهـر أن لهـا ثقـل وفعاليـة ودور في احـداث فـرق سـياسي واقتصـادي وتقدمـي. بصراحـة المعارضـة أقـرب الى الميوعـة في مواقفهـا، دورهـا لا يحـدث تغـيراً، أو تأثـيراً، وجودهـا مثـل عدمـه، هـي اسـم عـلى مسـمى. المعارضـة كسيحة يهمها مصلحتهـا، والمحافظـة على مواقـع زعمائها

المكتسبة، هناك غزل بين السلطة والمعارضة، وعلاقات حميمة في أحيان اخرى تسمح بانفراد الحكام للسلطة في قراراتها. السلطة الحاكمة بيدها الإبقاء والإجهاز على المعارضة بطرق ووسائل شتى. فقد تتهم لتصبح مسؤولة عن انحراف المجتمع وسلوكه المشين مثلا، ليعتقل أفرادها، كون حكوماتنا ديمقراطية اسماً لا فعلاً.

لو تم وضع كل فرد انتهازي يعشعش، ويسمن داخل هذا الثالوث تحت مجهر معاصر، وقسناه بمعايير أخلاقية، وحقوقية، ومدنية، لوجدناه تحت القانون، لكن من يتستر عليه، ويدافع عنه ليجعله فوق القانون. يدافع الانتهازيون الفاسدون عن بعضهم البعض، بمكر، بدهاء، بطرق شتى مستغلين المقدس، وغير المقدس ليقنعوك بأن ما انت فيه من حال سببه أولا الهي، كونك مبتعدا عن الدين وطقوسه، وثانيا قوى خارجية استعمارية، تهدف للنيل من انجازات الدولة . كما أنهم يبرروا افعال الفاسد بقولهم:" انه بشر، له ما له، وعليه ما عليه، ويجب عدم الالتفات الى ما يثير الجدل ويفرق الشعب". صحيح كلنا بشر، لكن إن كان حاصل على حصانة فذلك لا يعني اننا جميعا سواسية امام القانون، يحاكم فقير بسبب سرقة رغيف خبز، ومن سرق وطن لا يحاكم.

الثالوث الانتهازي لا يمكن ان يحقق تطلعات الشعوب، ويحقق أحلامها، وتقدمها. هو شر يحمل بذور انهيار المجتمع، مستغلا الفكر، والمقدس، والمال ابا الشرور، استغلالا خسيسا دنيئا، عوضا عن انتشال المجتمع من مستنقع الجهل، والتخلف، الى واحة التنوير والتقدم. الفصل بين السياسية والدين هو الحل الأمثل ، بذلك يتفرغ الساسة لقضايا شعوبهم ورجال الدين يتفرغون لروحانيات رعاياهم دون الارضيات المادية.

ان لم يستفد أي شعب، على وجه الارض، من كتبه المقدسة وأدبياتها، التي تقدم أسساً، ومبادئ، واساليب التعامل الانساني، والأخلاق الحسنة، والمحبة، والتسامح بين الإنسان والإنسان، أينما كان، بعيدا عن عقيدته، ولونه، وجنسه، فاعلم ان الدمار حليفه. علينا ان لا نحمل فشلنا البشري، وعيوبه، ونقائصه الا على اطماعنا، وجشعنا. عدم احترامنا لقوانين حقوق الانسان، وحرياته، وكل توجه لا انساني يصدر عنا ومنا، نتيجة لما زرع فينا منذ صغرنا.

أيها العاطلون عن العمل اتحدوا

الهبات العربية – الربيع العربي- قامت من أجل تحقيق الحرية والعدالة والكرامة الإنسانية. في ظل أنظمة فاسدة إداريا وسياسيا، لم تستطع تلبية مطالب الجماهير في الحصول على لقمة العيش. بالرغم من افتقارها لفلسفة ثورية إلا أن اندلاعها مؤشر على إمكانية تصاعدها وانتصارها في النهاية بعد ترتيب وتنظيم صفوفها.

بيّن ماركس أن الاقتصاد هو العامل الأساسي في تشكيل الحياة. يلاحظ أن الاقتصاد يتحكم في النظم السياسية ونوعية الحكم والأيديولوجيات ومعظم الدوافع المادية ألإنسانية. إلى جانب مقولة كارل ماركس الشهيرة "يا عمال العالم اتحدّوا"، علينا في هذا الزمن أن نرفع لافتات ونطلق صرخات مدوية تعبر عن الوضع المأساوي للبشرية وفقد الأمن والعدالة الاجتماعية في توزيع رأس المال ونقول: "أيّها العاطلون عن العمل اتحدوا". بشكل عام تشكل البطالة خطرا كبيرا على إنسانيتنا في العالم أجمع. خاصة في دول العالم الثالث بسبب غياب من يرعى شؤون العاطلين عن العمل. وافتقار الحكومات لسياسية مدروسة لإيجاد فرص عمل بديلة لهم أو خلق وظائف أو تقديم معونات.

نتيجة تطور المعرفة العلمية والتكنولوجية والمعلوماتية ووسائل الإنتاج التي اكتسحت عالم اليوم، يتجه السوق العالمي نحو الانفتاح الكامل لكافة الدول دون تمكين أي دولة من العيش في عزلة عن الكيان العالمي. أصبح موضوع إيجاد العمل والبطالة يمثل التحدي الأكبر الذي يواجه معظم حكومات وشباب دول شمال وجنوب الكرة الأرضية. بخلاف انتماء العمال إلى الطبقات الفقيرة والمظلومة والأميّة فإن البطالة تطال الجميع من الأمي إلى أصحاب الشهادات العلمية العالية. التقنية حلت مكان الإنسان في الإنتاج والعمل المكتبي، واجتاحت الروبوتات غرف العمليات والجيش والمختبرات العلمية...الخ. البطالة أصبحت

مشكلة عالمية أيضا تنذر بخطورة الأوضاع، والنتيجة صراع طبقي من نوع جديد. البطالة تعدّي على كرامة الإنسان، العاطل عن العمل يصبح تحت رحمة مؤسسات الدولة التي ترعاهم، وتوفر لهم بعض مما يسد رمقهم، أما في حال دول العالم الثالث يتركون دون اهتمام أو رعاية تذكر، في كلتا الحالتين يشعر الفرد بعدم قيمته ككائن حي، هذه الصورة أبشع من العبودية المفروضة على العمال.

في عالمنا العربي - جاء في تقرير" مسح التطورات الاقتصادية والاجتماعية في المنطقة العربية ٢٠١٢ -٢٠١٣ " الذي أعدته " الاسكوا" وصل معدل العاطلين عن العمل إلى ٢٠ مليون شخص غالبيتهم من الشباب . ونبه المسح أيضا إلى أن الانتفاضات الناتجة عن هذه الظاهرة في العالم العربي تطالب بالحرية والعدالة الاجتماعي أيضا. وأظهر التقرير أن معدلات النمو العالية في المنطقة نتجت عن عائدات النفط المتنامية في دول الخليج من جهة وترافقت مع ارتفاع في نسب البطالة من جهة أخرى ما يعني إن نسبة النمو لم تكن مدفوعة بنمو الإنتاج بل بنمو الريوع - . معظم عائدات النفط تدخل في حسابات أفراد وليس في حساب الدولة، والدول الغير نفطية تتلقي معونات سنوية من الدول الغنية تقدر بمليارات الدولارات، السؤال لماذا لا تفتح مشاريع للتشغيل....

عدد سكان العالم العربي يقرب من ٣٦٠ مليون نسمة، أغلبهم من الشباب دون سن أل ٢٥، وتبلغ نسبتهم حوالي ٧٠٪ من مجموع سكان المنطقة، وهم الأكثر تعلما، ولديهم خبرات ومهارات في مجالات التكنولوجية والاتصالات والمعلومات، وهم الأكثر تفاعلا مع ثقافات العالم والأكثر قدرة على الابتكار والإبداع والأكثر طموحا وتطلعا للمستقبل. نسبة البطالة بينهم هي الأعلى في العالم. بالرغم من تفاقم المشكلة في عالمنا العربي، لا يوجد حلول جذرية تلوح في الأفق أو تبشر بتغيير يذكر في وضعهم المأساوي.

الحكومات الغربية والعربية تحكم قبضتها على الدولة – بغض النظر عن نظام الحكم فيها والتزامها بالدساتير أو غير التزامها بها - جميعها من خلال رأس المال

تقيم إمبراطوراتها الهرمية من رؤساء معظمهم إما أن يكونوا من أصحاب الملايين أو من يدعهم من أصحابها. يقيمون هيكلية هرمية من أتباعهم قد تصل إلى فراش في مؤسسة تابعة لهم يستحيل اختراقها. وبالتالي الحديث عن التغير يكون شبه مستحيل . الهبات العربية في حال نجاحها المشكوك فيه، ستكون انقلابا غير حقيقي أو واقعي بحيث يستبدل فيه القدامى من الزعامات بوجوه جديدة وكما بيّنت في المقدمة السبب، افتقارها لفلسفة تغير. الدول التي تلتزم بدساتيرها وقوانينها تعمل على مكاشفة و تكون أكثر محاسبة لرعاياها ورؤسائها من تلك التي لا تلتزم بها كما في عالمنا العربي. هذا كاف لإخضاع العمال لجبروت المشغلين، فيزداد الفقراء فقرا والأغنياء غنى. ويتحتم على المقهورين من عمال ومن أضيف لصفهم من عاطلين عن العمل إلى القيام بثورة والتكاتف، والوقوف صف واحد وتحدي السلطات السياسية من اجل توزيع عادل لرأس المال. المستقبل الإنساني لا يبشر بخلاص الإنسانية وتوجهها نحو استقرار عالمي وسلمي ما لم يضبط رأس المال الذي يتمحور حوله معظم الشرور في العالم. الصرخة التي علينا إطلاقها مثقفون وأكاديميون وعمال.... هي: " أيها العاطلون عن العمل اتحدّوا".

أوطان هشة من ورق

أوطان هشة، من ورق
تصارع الموت، تصارع الغرق
سيول من أفكار ضبابية
استوت على عقلها وانغلق
سبحان رب السماء، سبحان رب الفلق
الله حياة ومحبة، وحكمته فيما خلق
مؤمنون دجالون يغتصبون العقول
ويمتصون أدمغة البشر كالعلق

ظلام، ظلام، ظلام
نتساءل متى...
سيظهر الضوء في آخر النفق؟

كأس وسكي، وكأس عرق...
مزّقت بعدها
من دفاتري القديمة
بعض من بقايا ورق
على سكرة لأكتب
بلا خوف، بلا قلق
بعيدا عن عيون...
كل عميل مرتزق
وكل حزب مخترق
وحكومة مهترئة تعيش على مفترق
حكاية شعوب عاشت وتعيش
في دول هشة من ورق

لا أريد أن أكون قديسا
شهيدا، سفيها
في وطن فيه
المقدس يضاجع المدنس
الكذب يضاجع الصدق
الموت....... شهوة الحياة
الحب........الكراهية
الفضيلة...... الرذيلة
الإيمان... .... الإلحاد
وأحزاب اليسار تضاجع أحزاب اليمين

أريد وطنا
أحمله في قلبي
يكون صبحي، وغدي
حاضري، ومستقبلي
وعندما أدقّ على الأبواب
يكون صوتي وحقّي
أمام القانون مصانا مستجابا
كذا حريتي وعقيدتي
وكل من شاركني الوطن
يا ذوي الألباب

أوطان تبحث عن نساء، عن رجال
ليقوّموا ما اعوج من إهمال، وأهوال
السياسة فيها هواية، وارتجال
الثقافة درب من المحال
الفضيلة يلبسها كاذب ودجّال
أخلاق، يتستر فيها كل سيّء الأفعال
معرفة يدعيها رجال
ما قرؤوا في حياتهم
كتاب، أو قصيدة، أو مقال
أو أذن سمعت لهم موّال

معظمنا لا يريد أن يعيش في أوطان
تقف على أعمدة من دخان
وتنسب تراجعها...
تخلفها لقلة الإيمان
تحكمها عشائرية، أو قبلية

وبعض أسر شكلت عنوان
وبعض أحزاب
تدعي أنها حامية للأديان

لا نريد وطن
لا يصنع فيه سوى الكلام
يحلل ويحرم بشرائعه
ويفرض على البشر الالتزام
يتصدى للتطور، ويعتقل الأحلام
يدعى الأخلاق والفضيلة
ويحرسها بالسهم والحسام
ويحاصر الأقليات بقوانين
ليحرمها من حقها كانسان

كفانا ادعاء بأن الغرب، وأهله لنا خدّام
وإلحادهم تهلكة لهم
ما لم يتبعوا شريعة الإمام
عجبي من هذا الكلام...
أموال العرب بالغرب مكدّسة
في بنوك أوروبا وأنكل-سام
جسور بحرية، وجوية، وبرّية
تنقل لنا ما طاب من الخمور، والعطور
وملابس داخلية تهيج الرجال والنسوان
وكل ما يتعلق بالتكنولوجيا ورفاهية الإنسان
وصناعة غذائية يبهج طعمها اللسان
أدوية، وعقاقير، وأدوات طبية
لتعالج الأمراض والسيلان

سيارات، وطائرات، وقوارب فاخرة
للزعامات، ولأبناء السلطان
وان توقفت جسورهم الاقتصادية
صرنا في خبر كان
أمة نحن تستهلك لا تنتج
فلا مكانا لنا بين البشر في هذا الزمان

نريد أن نبني أوطان...
ونشيد مصانع وجامعات
ومنابر، وقوانين، ومحاكم
تكفل حرية التفكير، والتعبير، والكلام
وتصون حقوق كل مواطن، وإنسان
وكل متعبد يشعر فيها بأمان
ونضمن للجميع معاملات إنسانية
مواثيق تحفر في القلوب
وليس فقط على ورق

عروبتنا تغرق بالأحلام

عندما...

تصبح لقمة العيش أهم من الكرامة.
ويتطاول الجهلاء على الحكماء بالاستقامة.
ويصبح السفهاء والمحتالون قادة طوال القامة.
والسارقون أشراف الأمة المهانة.
ويخفى الجبناء ومن يدعون الثقافة والأمانة

رؤوسهم في الرمل كالنعامة.
......قل ربنا على أوطاننا السلام.
لشعوب برغبتها للذل للقهر
بإرادتها قامت بالاستسلام.
اعذروني أحبتي إن قلت
هذا حالنا العربي الغارق بالأحلام.
سيبقى أسيرا يعيش في الظلام.
ما لم يحرر العقل من كبوته
ويسعى للعيش بكرامته وبحريته.

٣- الربيع العربي
توافق أو شرق أوسط جديد

بكثير من التفاؤل وبخطوات بطيئة قليلة الثقة تمرّ المجتمعات العربية بتغيرات جذرية لرسم خارطة مستقبلية معاصرة للاندماج والمساهمة في حضارة عصر الالكترونيات الذي سهل الحصول على المعلومات، ونقلها بسرعة فائقة، وأصبحت فيه المعرفة في متناول الجميع. ومن المثير للجدل أننا تغيبنا وفقدنا موقعنا كعرب في هذا السبق الإلكتروني...ومما يزيد الطين بلّة أننا لم نمر بعد في العصر الصناعي المؤدي للعصر الإلكتروني. فالعالم العربي لم يستقر ويتحرر بعد من التبعية للاستعمار، ولم يتحرر اقتصاديا لأنه لم يصل الى مستوى يمكّنه من التصنيع والانتاج، فالبضائع الغربية المتنوعة تغزو اسواقنا وتملأها. فالمستهلك لهذا الكم الهائل، يعد فاقداً للمعرفية الاقتصادية وأبجديتها، وليس له نصيب أو دور في المشاركة العالمية. أما على المستوى السياسي، فالمشاكل الايديولوجية والعقائدية في العالم العربي تبرح مكانها في مناكفات كلامية وليس هناك استراتيجية توفيقية للخروج من المأزق، أو حتى برامج سياسية واضحة، والوعى الجمعي مفقود، والأزمة الثقافية لم تحل بعد، وهناك رفض ومحاولة إقصاء وإلغاء وتخوين كل طرف للآخر، والأمية تزيد القضية تعقيدا، وهناك أطراف خارجية تؤيد وتساند كل طرف بالإعلام والمال والسلاح، بعضها عربي وبعضها أجنبي، يرسخ التبعية لهذه الدول ليعود ثانية الى أحضانها ويصبح دمية تسيره بحسب أهوائها وبرامجها، و بذلك نسقط في الشرك نفسه، ولم نحقق انجازات تذكر محليا وعالميا.

البعض يرى أنّ الصراع بين الدين والعلمانية جوهر القضية، لأن المتدين يفسر بدهاء الديمقراطية والانفتاح، وغيرها من المفاهيم على أنها علمانية مستوردة من الغرب اللاديني. العلمانيون في العالم العربي يدركون مكانة الدين ودوره وأهميته في حياة الإنسان العربي، كما أنهم لا يحاربون الفكر الديني - التعريف المتعارف عليه للعلمانيةْ - حيث تعني اصطلاحا "فصل المؤسسة الدينية عن

المؤسسة السياسية "، وقد تعنى ايضا عدم قيام الحكومة او الدولة بإجبار أي أحد على اعتناق وتبني معتقد أو دين او تقليد معين لأسباب ذاتية غير موضوعية، كما تكفل الحق في عدم اعتناق دين معين، وعدم تبني دين معين كدين رسمي للدولة. وبمعنى عام، فان هذا المصطلح يشير الى الرأي القائل بأن الأنشطة البشرية والقرارات، وخصوصا السياسية منها، يجب ان تكون غير خاضعة لتأثير المؤسسات الدينية". ما المانع في ان يكون الانسان المتدين علمانيا، أو العلماني متدنيا؟ فالعلمانية ليست لاهوتاً او فقهاً. بالرغم عما سبق فما زالت الدساتير العربية تنصّ على أنّ الشريعة الاسلامية تعد مصدراً للقوانين وأن الدين الاسلامي هو دين الدولة، حتى خلال وبعد ثورات الربيع العربي، والإجماع الوطني موحد حول هذه النقطة ويكنّ لها كل الاحترام..

للثقافة دور هام في تشكيل وعي الانسان العربي، لنعترف أن الأمية والأمية الثقافية منتشرة وبشكل واسع في عالمنا العربي. الانفتاح المعرفي العالمي وبخاصة الثقافي، تسبب بمعضلة لنا تمثل تحديا ثقافيا للهوية العربية. لذلك يسعى البعض لحماية هذه الخصوصية عن طريق منع الانتشار الثقافي من خلال وسائل الإعلام بأشكالها المتنوعة، المرئية والمقروءة والمسموعة عبر الفضائيات او الانترنت او أجهزة الاتصال المتقدمة. مواجهة التحدي لا يأتي بالتقوقع والانغلاق وخلق جماعات منعزلة، الانفتاح المعرفي والثقافي حتمية ضرورية للمجتمعات العربية لرسم خطوط المستقبل في عالم سريع التقدم أصبح العلم والاختراع ورفاهية الفرد وحرية عالمه الواسع. الانفتاح الثقافي يحتاج لعوامل منها حرية التبادل الثقافي، والحوار، والانفتاح على حضارات العالم لنهوض الأمة. وكونّي عربياً مسيحياً - ومعظم المسيحين العرب ايضا- أضيف أن الاسلام يمثل جزءاً من ثقافتي المتنوعة الواسعة، والمسيحية نادرا ما تمثل جزءاً من ثقافة العربي المسلم. فالعربي المسيحي يعرف، ويفهم، ويعايش، ويستوعب العربي المسلم من خلال القران الكريم والحديث الشريف. أما العربي المسلم يفتقر وللآسف لهذه الثقافة لأنه لم يتعرف على الاخر من خلال كتابه المقدس، فالفكر المسبق عن المسيحية يقف حاجزا ومانعا للتعرف عليه .

لماذا دخل التمييز العنصري للمشهد العربي في زمن الانتفاضات العربية؟ ولخدمة من؟ لم نشعر باختلافات دينية او مذهبية معمقة الاّ في هذه الفترة الأخيرة مع أننا نعي وجودها، واختلافها شكّل لوحة رائعة في التعاون المشترك على أرضية أساسية وهي حب الوطن والانتماء والإخلاص له. فالمسيحيون العرب جزء أساسي أصيل تمتد جذوره الي عصور المسيحية الاولى منذ اكثر من ٢٠٠٠ عام، فهذه الارض العربية هي التي حملت رسالة المسيح للعالم اجمع. أما المذاهب الاسلامية الفقهية المختلفة فلكل منها اجتهاداتها، والطوائف الاسلامية متعددة ولها اتباعها. ومحصلة هذا التنوع تشدد على أن جوهر الأديان يكمن في العبادات والمعاملات التي تسعى للخير العام للإنسانية جمعاء. أما لخدمة من؟ فهذا السؤال الجوهري أساسي، وبكل بساطة اجيب لخدمة أعداء الأمة للتقدم والتطور في العالم العربي. وأضيف ان استغلال الأمية والمرض والفقر عوامل تكّرس لنجاح هذا المخطط البغيض وإكاء الفتنة. التعصب لطرف دون اخر، دليل على هشاشة وضعف التفكير، كما أن التعصب يكوّن منطقة محرمة ترفض وتمنع دخول الأفكار الأخرى لها او مناقشتها او الدخول في حوار معها، مما يغلب القطيعة على الحوار، ويشجع منطق القوة والعنف واللجوء اليهما في نهاية المطاف، والضحية يكون الوطن والمواطن.

الأمة العربية من محيطها الى خليجها تجمعها عوامل مشتركة، مثل اللغة والتاريخ والأرض والمصالح المشتركة ايضا. ومع ذلك لم تشكل وحدة عربية، فالجامعة العربية ليست دليلا على وحدة العرب، فهي تجمع عربي اشبه بنادٍ له قوانينه، ويفتقر الى الإجماع والإلزام بقراراته يؤثر فيه ويتأثر بدول تستمد قوتها من ارتباطها بالاستعمار القديم الجديد، بذلك توفر سطوة القوى الخارجية المستمرة والممتدة من زمن السلاجقة مرورا بالعثمانيين الى زمننا الحاضر. فاستقلال القرار العربي معطل وغير قائم، فالمحاولات العربية للنهوض بالأمة العربية بتطبيق الفكر القومي تمّ اجهاضها. والدول المرشحة للنهضة القومية كانت العراق وسوريا ومصر تم ضربها وتفكيكها، وحرّض الشعب فيها على الاقتتال الداخلي، وكان لها أثر على الشرق الاوسط، حرب الخليج الاولى

بـين القـوات الايرانيـة/ العراقيـة التـي وقعـت بـين عامـي ١٩٨٠-١٩٨٨، ثـم حـرب الخليـج الثانيـة حـرب تحريـر الكويـت مـن الغـزو العراقـي التـي قامـت بهـا امريـكا والحلفـاء عـام ١٩٩١، ثـم حـرب الخليـج الثالثـة المعروفـة بحـرب العـراق عـام ٢٠٠٣. أمـا سـوريا فالهبـات الشـعبية – الانتفاضـة – التـي انطلقـت بتاريـخ ٢٥ /اذار ٢٠١١ بمطالبهـا العادلـة المقدسـة، كان لزامـا عليهـا الانتظـار والتريـث والمشـاركة في حـوار وطنـي واسـع يحافـظ عـلى وحـدة وقـوة الوطـن. أمـا الانجـرار وراء الغـرب وبعـض الـدول العربيـة، نتيجتـه كانـت تدمـير سـوريا والعـراق شـعبا وحكومـة. ومـا زالـت آثارهـا ونتائجهـا تتأجـج حتـى هـذه اللحظـة في صـورة اقتتـال طائفـي ومذهبـي. امـا مـصر فـإن الانتقـال السـلمي للسـلطة لم يـرضِ الغـرب ولم يحقـق سياسـته، اسـتلام الاخـوان للسـلطة صـادر اهـدافَ الثـورة وتطلعاتهـا بدعـم عـربي وعالمـي، فالمسـتقبل القريـب يتوعـد بنتائـج لا يحمـد عقباهـا مـا لم تتـدارك أطـراف النـزاع مصلحـة الوطـن والتوصـل لصيغـة توافقيـة بـين أطيـاف المجتمـع المختلفـة. فليبيـا وتونـس وغيرهـا مـن الـدول العربيـة مـا زالـت عالقـة، ولم تجـد بعـد حلـولاً تجمـع شـمل المواطنـين عـلى اختـلاف توجهاتهـم الفكريـة والعقائديـة. فهـذا العجـز العـربي دليـل ضعـف عـلى امكانيـة الحفـاظ عـلى وحـدة العـالم العـربي، او الأقطـار العربيـة، مـما يـسرع في تنفيـذ مخطـط تقسـيم الـشرق الاوسـط الجديـد والـذي نشرتـه موقـع المجلـة العسـكرية الامريكيـة عـام ٢٠٠٦ . مهنـدس هـذا المخطـط هـو برنـارد لويـس - بريطـاني الجنسـية - وضعـه عـام ١٩٨٠ يدعـو الى تقسـيم الـشرق الاوسـط. المحطـة القادمـة اكـثر تشـاؤمية، فالدمـار طـال الجميـع، وإعـادة الإعـمار تحتـاج الى عـشرات السـنين ومليـارات الـدولارات مـع أن العـالم العـربي مـا زال يتلقـى المسـاعدات الغربيـة العينيـة وغـير العينيـة. فكيـف سـينصرف للبنـاء دون الخضـوع للمؤسسـات الممولـة؟.

التغـير يحتـاج الى عقـول، والعقـول تحتـاج الى تفكـير... مسـتحيل هـو التغـير في ظـل برامـج لا تحـترم حريـة الـرأي والإعـلام والاختـلاف الفكـري والعقائـدي. وكرامة الإنسـان والعدالـة الاجتماعيـة والديمقراطيـة والمواطنـة والمسـاواة أمـام القانـون. لأنهـا أسـس التعامـل في عالمنـا المعـاصر .فالديمقراطيـة مظلـة الاقتصـاد المنفتـح الناجـح وسـابقة لـه. والحريـة هـي الهـواء التـي يتنفـس مـن خلالهـا التنـوع العقائـدي والأيدلوجـي

الوطني. والدستور القائم على وفاق وطني هو المناخ المناسب للتكامل الوطني والإنساني. إنْ لم نتدارك مطالب شعوبنا العادلة، وإنْ تأخرنا في الاصلاح، سيأتي الحل في النهاية من الغرب، ويكون مخطط برنارد لويس هو العلاج لشرذمتنا .

مسيحيون على صليب الثورات العربية

ثورات الربيع العربي – الهبّات العربية التي ضلّت طريقها، وهدفها في تغيير النظام وتوفير الأمن والمساواة والحريات للمواطنين بشكل يتماشى و حضارة القرن الحادي والعشرون - انحرفت عن مسارها وقصدها لتنزلق من فوضى الأفكار الى فوضى السلاح كما في ليبيا وسوريا، وفوضى عدم الاستقرار والمظاهرات كما في مصر واليمن وتونس، وفوضى الاحتجاجات الصّاخبة كما في باقي الدول العربية...أثبت التاريخ أن الفوضى التي تعم المجتمعات الانسانية ينزلق فيها النظام وأعوانه من جهة ، والمحتجون من جهة أخرى نحو إثبات الذات فتضرب الوحدة الوطنية لتوفر المناخ المناسب لصعود أحد الأطراف الى الحكم، والمتضرر الأكبر يكون الأقليات الدينية والطائفية والفكرية في عالمنا العربي وبشكل خاص المسيحية.

مضايقات، خطف، سلب، قتل، هدم، تشريد، تهديد وعيد، عنف، صدام، نهب، تكفير...أحداث لا تحتاج الى لجنة تفتيش أو تحقيق دولية أو عربية أو محلية، للتأكد من وقوعها في العالم العربي. تكفينا شهادة وسائل الاعلام العربية المرئية وغير المرئية والإلكترونية التي تقدم لمستمعيها ومشاهديها وقرّائها بالصوت والصورة الاعتداءات البشعة الهمجية اللاإنسانية التي تمارس في بعض الأوطان العربية مثل العراق وسوريا ومصر، توجه وبشكل خاص ومدروس ومخطط له ضدّ المواطنين المسيحين. من أساقفة، وكهنة، وأفراد، وجماعات، وممتلكات، ودور عبادة. من قبل فئة اسلامية متطرفة تستمد سلطتها من صوت الهي اختارها لتقيم دولة لله على الارض لتكفر ايضا كل من لا يبايعها ويتبع فكرها ونهجها من مسلمين شيعيين، وسنيين، وأيديولوجيين.

حتى الماضي القريب...نظرية المؤامرة تفسر، تقنع، وتغطي على فظاعة ما يجري، وحكوماتنا كالعادة تحمل المسؤولية لأعداء الأمة الإسلامية والعربية التي تتربص بها، والتي لا تريد لها التقدم والتطور ووحدة الصف...بينما يبين الواقع مرارا وتكرار، أن مرارة ما يجري من حوادث يتم على أيدي ذئاب أعجمية عربية تعيش بيننا تنمو وتترعرع بمليارات الدولارات التي تضّخها دول عربية واسلامية وأجنبية، أليست نظرية المؤامرة دليل ضعف وخوف حكوماتنا من اتخاذ قرار من واقع يستحق الإصلاح بقوّة القانون، التعامي والتغاضي عما يجري يولد انشقاقا في وحدة الصف الوطني، لنفضح الأمور لتسترنا..... تمرّ الأيام وبعدها تسير الأمور كأن شيئا لم يكن. ويبقي المسيحيون وحدهم يلعقون جراح الذلّ والهوان، يئنّون ويندبون ويعيشون في رعب وخوف على أرواحهم وأرواح أطفالهم وأبنائهم وبناتهم ونسائهم وشيوخهم. ويهجرّون قسرا من أرض الآباء والاجداد التي عاشوا ودفنوا فيها لألاف السنين، طالبين اللجوء لدول استعمارية، هاربين من اضطهاد ديني يمارس بحقّهم، في عقر دارهم من قبل جماعات اسلامية متطرفة لم تجد من يردعها من الحكام، والزعماء، والأحزاب، والشعب، ليتشتتوا في قارات الأرض الخمس. وتستمر المأساة ويعاد السيناريو ذاته...لا يلوح حلّ في الافق القريب، صوت السّلاح والتفجير والقتل يعلو على صوت الحق... ليل سياسي، ومستقبل ظلامي...وانسانية بائسة.

سويا عشنا همومنا، سويا بنينا تطلعاتنا وآمالنا، لم نعرف أن معنى أن تكون مسيحيا أو مسلما أنك مختلفا. أطفالا لعبنا وكبرنا سويا...وكعائلات نزور بعضنا بعضا في المناسبات والأفراح والأتراح. لم نشعر بالاختلاف، جلسنا جنبا الى جنب على مقاعد الدراسة، لم ننفصل سوى في حصة التربية الدينية. نلعب سويا، نركض سويا، نتشاجر ونضحك. ديننا كان المحافظة على العلاقات التي تجمعنا، وصلاتنا كانت أن نبقى سويا. وأن مرض أحدنا نتفقده، وإنْ تألم نتألم لألمه. وان بكى نبكي وان قهقه نقهقه. وفي وجه الآخر كأن كلّ منّا يجد بسمة أبدية ... كان صبحا تمنينا أن يبقى ابديا.

المسيحي العربي ليس صليبياً (فرنجياً)، وليس أجنبياً أو أوروبياً أو أمريكياً هو ابن العروبة. لا يمكن سلخه من بيئته العربية. كما يحلو للبعض ان يسوّق. وإن كانت بعض الطوائف المسيحية رئاستها الدينية في اوروبا مثل، دول الفاتيكان أو بريطانيا أو ألمانيا فذلك لا يعني أنهم مواطنون أوروبيون. من المعروف أن العلاقات بين الدول تقوم بها الحكومات، وحكام العرب كلهم من المسلمين، وعلى أيديهم وأيدي سفرائهم وان كان قلّة منهم مسيحيون يقومون بإقرار الاتفاقيات السياسية والاقتصادية والتجارية ويوقعونها. هل تتغير النظرة عند المسلمين المتشددين ان قلنا ان المسيحين الشرقيين رئاساتهم الدينية في سوريا ومصر؟ فالمسيحيون شرقيون او غربيون هم عرب أقحاح. جذورهم موّغلة في القدم منذ الاف السنين، هم سكان الارض الأصلين، لا يحتاجون الى شهادة من أحد كي يكونوا أو لا يكونوا عربا. المخططات الاستعمارية للعب سياسة "فرق تسد" لضرب الوحدة الوطنية من باب الدين لم تجد لها متنفسا أو طريقا في الماضي. أما اليوم فان بعض الفئات الاسلامية المتشددة المأجورة وبتوجيه بعض الدول العربية والغربية والمتزمتين دينيا، يقومون بتنفيذ هذا المخطط الجهنمي نيابة عنهم.

التعصب بشتى أشكاله وألوانه، إسلاميا كان أو مسيحيا أو بوذيا، دليل حالة مرضية لعقول مخدرة يسهل التحكم فيها، مَنبتُها الخصب هو الجهل، والفقر. المتعصب ضحية لمتعصب آخر يري انه الأكمل، له مصالح دنيوية يغلفها بثوب الدين ولا يري حكمة الله في خلقه المتنوع.

هل ننعى كل المحاولات التي هدفت الى تقريب وجهات النّظر بين الديانتين الاسلامية والمسيحية؟ هل فشلت كل الجهود المبذولة للتقارب بين الاديان التوحيدية؟ عشرات اللقاءات، والحوارات، والمناظرات جرت في العالم وبشكل خاص في العالمين الاسلامي والعربي تحت عنوان "الحوار الاسلامي المسيحي". عشرات الكتب تحتلّ رفوف المكتبات بعناوين مختلفة تهتم بالتقارب المسيحي الاسلامي...السؤال من قرأ؟.. اومن يقرأ؟...أين وزارات التربية والتعليم في العالم العربي من مناهجها التربوية.؟ لماذا لا يدرس مساق تعرّف على دين المواطنين

الـذي يشـاركونك الارض والتاريـخ والمصير؟ لمـاذا لا تخصـص حصـص يدرّس فيهـا القران والانجيـل في المـدارس والجامعات؟ لماذا لا يدرسـون أن المسـيحية سـبقت الاسـلام بسـتة قـرون في الـشرق الاوسـط؟ لمـاذا يغيـب الأدبـاء والمفكـرون والوطنيـون المسـيحيون في كتـب الأدب والتاريـخ والجغرافيـا؟. مـا هـي قيمـة الـتراث العـربي ان لم يوغـل الى مـا قبـل ظهـور الاسـلام؟...هذه التسـاؤلات، فعـلا تمثّـل دليـلاً سـاطعاً عـلى فشـل الحـوار الاسلامي المسـيحي. وعـدم قـدرة أطـراف الحـوار الى نقـل نتائـج الحـوار لرجـل الشّـارع، فـلا الإسـلام اسـتطاع تحقيـق الانفتـاح عـلى الآخـر ولا المسـيحية اسـتطاعت الوصـول لذلـك ايضـا، ولا الدولـة اسـتطاعت أن تكـون لـكل المواطنـين. لسـنا هنـا في معـرض التطـرق الى أيهـما المقـصّر لأنني لا أنـوي الدّخـول في جـدل فقهـي أو جـدل لاهـوتي لأن هـذا مـن اختصـاص علـماء الديـن ومرجعياتهـم الدينيـة وكتبهم المقدسـة.

السـائل، هـل سـفك دمـاء المسـيحين العـرب وقتلهـم وتهجيرهـم يسـاهم في تقدمنـا الفكـري؟ أو في تقدمنـا العلمـي؟ أو في تقدمنـا الاقتصـادي؟ أو تقدمنـا الحضـاري؟ - الـذي ليـس لنـا حضـور عالمـي فيـه - هـل المسـيحيون العـرب هـم السـبب في تفـشي الفسـاد في مجتمعاتنـا العربيـة؟ أم هـم وراء الجهـل المـلازم المتـوارث مـن جيـل الى جيـل؟ أم يمثلـون الاسـتعمار القديـم؟ هـل هـم حجـر عـثرة لتطورنـا عـلى الصعيـد المحـلي والعالمـي؟ هـل يذمـون ويقدحـون وينتقـدون المسـلمين في كنائسـهم وعـلى منابرهـم وفي خطبهـم وصلواتهـم؟ إنْ كان الجـواب نعـم... أجيـبُ أنتـم واهمـون فالمسـيحية عنـصر حيـاة وليسـت عنـصر مـوت، عنـصر توافـق وليسـت عنـصر تفريـق. تعلـم أبناءَهـا المحبـة والتسـامح. تعلمهـم محبـة ومسـامحة أعدائهـم ومضطهديهـم وكل مـن يشـتمهم، ويقـول عنهـم كلمـة سـوء...

الثّقافـة الإسـلامية جـزء مـن ثقافـة معظـم المسـيحيين العـرب المتنوعـة، ومـا ألخصـه عنهـا الاحـترام والمحبـة والتسـامح، ومـا أعيشـه الآن ضبابيـة لمـا يقـوم بـه المتعصبـون مـن أتباعهـا. الأمـور تحتـاج في هـذه الفـترة بالـذات الى تفسـيرات لتوضح مـا يجـري في زمـن ثـورات الربيـع العـربي الفاشـلة. نحتـاج الى شـيوخ متمرسـين في فقـه الديـن، وإلى دار افتـاء واحـدة، نحتـاج الى عقـلاء، الى مفكريـن، ليشرحـوا لنـا،

أن كل ما يجري سراب فكري أو واقع حقيقي. لماذا لا يتحرك الحكام العرب؟ لماذا لا يتحرك المواطنون العرب؟ لنتذكر المواقف المشرفة للمسيحين العرب كهنة وعلمانيين في تصديهم لكل ما يسيء للرسول الكريم محمد وللدين الاسلامي من أفلام ورسوم. ألم يحاربوا بأقلامهم وأصواتهم لرفع الظلم والعنف الموجّه ضد المسلمين في البوسنة والهرسك والشيشان وميانمار وغيرها من أصقاع الدنيا؟ أدعوا أصحاب الضمائر الحية للتحرك، فمن يغمض عينيه ويصمّ أذنيه ويغلق فمه عن قول الحق شريك خائن لمواطنته وللآخر الذي يعيش معه.

آن الآوان يا عرب الى قول كلمة صدق بحق المواطنين المسيحين....هويتهم العربية ليست عطية من أحد. رسالتهم الدينية إنسانية، عالمية الطابع تحمل المحبة والتسامح والاحترام لكل من يشاركهم الوطن، ومن يعيش معهم على هذا الكوكب المعرّف بالأرض. مسكينة هي الشعوب التي تنام قبل أن تواجه مشاكلها وتحلها. لأنها لا تدري بأن سكوتها يزيد الأمور تعقيدا ودمارا، ويساهم في تعزيز وإعطاء دفعة قويّة وترخيصا مجانيا لتكرار المآسي، لتصبح نهجا لا يمكن ضبطه ومنعه وايقافه. فالسكوت على المجرمين وجرائمهم، يعنى موافقة مستترة غير معلنة على تكرار ممارستها وحدوثها. الكلّ يتحمل وزر المأساة من رئيس الدولة القابع في قمة الهرم حتى الجالسين في قاعدته. ان كان ما يحصل يعنيهم وطنيا وانسانيا فليتحركوا، وان كان لا يعنيهم فماذا يريدون من المسيحيين؟ .... اليهود صلبوا مسيحا والمسلمون المتشددون منهم والصامتون صلبوا ويصلبون كل يوم مسيحيين ومسلمين معتدلين. للبيت المسيحي ربّ يحميه والمسيحية العربية لن تموت في المهد الذي ولدت فيه وانتشرت منه رسالتها للعالم اجمع.

القيامة مع الربيع العربي

اقدم هذه الباقة النثرية الى كل مواطن عربيّ
ليتعرف على المسيح والمسيحيّة التي انطلقت

من أرض العروبة، بلاد الشام...من فلسطين الحبيبة
قبل أكثر من ألفي عام
عاشت هنا عشيرتي
الموت طواها جيلاً بعد جيل
ليعودوا ترابا في حديقتي
لأرسخ فيها شجرة عائلتي
جهارا لا سرا
مسيحي عربي أنا
مسيحيي حتى النخاع
الأمة العربية أمتي
ومسيرتها مسيرتي
القضية الفلسطينية قضيتي
المسلمون أعزائي إخوتي
يشاطرونني حياتي معيشتي
افراحي احزاني وهواياتي
حبي، دمي، روحي، وعاطفتي
للشرق أهديها
لا للغرب
أساس كل مذلتي
باسم الصليب وان جاءوا
فالصليب منهم براء
منذ البدء...المسيح
كلمة عند الله كان
جاء ملء الزمان
كما تنبأت به الاديان
هو علمنا...قائلا
في الناصرة

وبكلمة من روح الله
مريم تسلمت بشارتي
في بيت لحم ولادتي
في أريحا معموديتي
الجليل أرض رسالتي
شوارع القدس وأزقتها
تشهد صلبي، موتي
قيامتي، وصعودي
ومنها للعالم انتشرت رسالتي
رسالة سلام ومحبة
تذكروهنا يا أحبة
لا تقاوموا الشر بالشر
كالحمام كونوا ودعاء
كالحيات كونوا حكماء
هذه هي شريعتي
لأعداء فلسطين
وأن أتباهى بصراحتي
أقول مسيحيون نحن
صامدون هنا
إشاعة لن تزعجنا
سيفا لن يخيفنا
موتا لن يرهبنا
أحد من أرضنا لن يقلعنا
العدل والمساواة لنا كلنا
أنا لست غريبا
لاجئا، طريدا
انا ابن الوطن العربي

وان كانت الحياة مدرستي
فالكتاب المقدس مدرسة حياتي
ومصائب العرب مصائبي
ومن يمسّ عقيدة مسلم
يمس عقيدتي
الصليب عنواني
عزّتي، كرامتي
المسيح ملجأي
ومتى دنت ساعتي
في ثرى العروبة
في ثرى فلسطين
بين جدودي
صليبا سيرفع
فوق مرقدي
هويتي
مسيحيّ عربيّ

ربيع الثورة عورة

أهدي هذه الباقة النثرية لكل العرب الشرفاء ولكل العرب الصامتين، ما أكثرهم، ولكل رجال الدين، ما أحكمهم وأعقلهم، ولكل من اغتصب من الأطفال والنساء والرجال، ما أرذلهم وأحقرهم، ولكل من دُفِعَت على الدعارة.
ومن تزوجت قهرا سرا وجهرا..........كما قال المسيح عيسى بن مريم: "من كان منكم بلا خطيئة فليرجمها بحجر".

من عالم منسي على خارطة الجغرافيا
وملغي من قاموس اللغات
ومن دوائر الأبحاث العلمية والمجتمعات
من عالم يغفو في أفكار الجاهليات
لا كرامة، لا حرية، لا مساواة...فقط شائعات
من عالم قدم في الماضي انجازات
وصنع للبشرية المعجزات
يقف متعثرا اليوم ليبحث عن الذات
ويقتل كل من يطالب بالحريات
أو ينتقد خلل أو انحرافات
من عالم هجرته قهرا عقول وأدمغة
علماء وأدباء وشعراء وفلاسفة
حرّموا الفكر وجرموه
وعدّوه كفرا من الموبقات
كأنّ السماء نوافذها وأبوابها مقفلات
لعنتنا وأوقعتنا في سُبات

*****

العرب لغز يحتاج الى حلّ
معظم زعمائه يحج للغرب
وشعوب تبحث عن حاضر أفضل
عن تقدم عن حرية عن مستقبل
وتعيش بين تناقضات الحاضر والماضي المعتل
المرأة عورة شغله الشاغل
يخاف على رجولته غير متفائل
من أن المرأة قوية في فن التعامل
وفي الفكر والقيادة والإبداع
في الأدب، في الفنون لها طول باع

جاريها يا متخلف إنْ كان في المستطاع

*****

جريمة القرن الحادي والعشرين
لم يقترفها رجل دين
أتت من رجال تسربلوا بأثواب الدين
قرون عربية.....أصبحوا مبشرين
بالدين بالشرف يتشدقون
بالفضيلة بالقيم يخطبون
الصوم والصلاة خلفها يختبئون يتحصنون
يفرضون خبثهم وهم يعلمون
الله امكر الماكرين ألا تعلمون؟
كثر هم رجال الدين
لعلاج مجتمعاتنا نحتاجهم
ونحتاج لأطباء نفسانيين
ولعلماء اجتماعيين
كي نخرج من مهانتنا
ونطهر قلوبنا وعقولنا من نتانتها

*****

تربيتنا فاشلة قاتلة عقيمة
خنقنا الأنثى بخوفنا عليها
وحرصنا عليها
سلبناها حريتها وأصبحت بلا قيمة
وجعلنا من المرأة لغزا أحجية وقارة
يستعصي على الذكر فهمه بجدارة
وككولومبس دار دورته ليكتشف قارته
كذا العربي يتعب في بعثته
ليغزوا زوجته كمسبية ومحظية

مريض... يربي مريضاَ
أميّ ... يتبعه أميّا
الرجال والنساء كالعقول تصنع
ليس بسكين، بمشرط أو مبضع
*****
الإعلام العالمي يعرينا
ويظهر الحقارة القابعة فينا
في التعبير عن الذّات
استبيحت في المظاهرات
النساء المحصنات وغير المحصنات
دمار دمار دمار
أعلى أنفسنا نعلن الانتصار؟
أعلى شعب مكره ترك الديار؟
وهام بوجهه صوب كل الأقطار
يلعن حظه يلعن الأقدار
يبحث عن كسرة خبز للعشاء للإفطار
وخيمة تقيه الثلوج والأمطار
وحبلى تنزف وراء حطام جدار
تبكى حظ وليدها العثار
تضمه لصدرها وتناجي الرب الجبّار
*****
سلاطين الجنس دخلوا
كذئاب بين اللاجئين استوطنوا
تركزوا تجمهروا
قواد يبحثون بين من تحطموا
من الجوع من القهر تفككوا
بمأساتهم كفروا وسكروا

فتح سماسرة الجسد
بأسلوب غريب جديد
اغتصاب...بلا تحديد
منهج بربري بالتأكيد
مشدوهون مندهشون
بعضنا محتار
وآخرا حائر
وأم تجدل لابنتها الضفائر
ترتعب خوفا عليها
من بالعرض متاجر
وطاعن بالسن يبحث
عن متعة مع طفلة
تبكي تصيح تستجير
يا عرب يا عرب يا عرب
لتنهار ضحية في الزمن الغائب
صراخها تسمعه السماء
ويسمعه البشر كحمل دبّ به الثغاء
تصمّون اذانكم يا شرفاء
بماذا انعتكم... من ألف الى الياء
لو للحظة بينوا الغضب
ضمائركم أصابها عطب
قلوبكم صلبة متحجرة لا أرى السبب
عقولكم بين ناصب ومنتصب
بتم بلا أدب
بلا أخلاق ليس عليكم عتب
لأمم الأرض حتما
بهمة الرجال الرجال... لن نكون أبداً ذنب.

حسناوات في الربيع العربي

كثير هو العمل وقليلون هم الفعلة... هذا النثر هدية لكل السواعد الأبية التي تنظر لصنع مستقبل مشرق لأبنائها في الساحة العربية. على كافة مشاربهم المختلفة دينية فكرية.... بعيدا عن الخوف والقتل والقهر والذل والخضوع. وبعيدا عن التمييز والعنصرية... ولكل من قدم نفسه شهيدا رسالة خلاص لخدمة الحرية والكرامة والعدالة الاجتماعية. ولكل النساء في العالم العربي اللواتي ما زال الظلم والجور يمارس في حقهن. وبشكل خاص للماجدات الباسلات اللواتي لا يرهبهن إحداث التغير في عالم لا يعترف بمساواة المرأة بالرجل ويرفض كل الحركات النسائية. وأيضا الإنسانية والعلمانية والتقدمية منها.

تمنينا
ربيعا عربيا فيه شفاء
علاجا لهمومنا لطموحاتنا لها دواء
شعوبا
من المحيط إلى الخليج
يغمرها شوقٌ للحياة
تبحث عن ...
لقمة عن كساء
وحرية خالية من كل نفاق
ديمقراطية لا ديكتاتورية عمياء
مساواة حقيقية بين الرجال والنساء
ووطن يعيش فيه
الفقير والغني على حد سواء
توافق وسلام يتمتع فيه
السياسيون والفقهاء

وصمام أمان يحافظ على أمن
المفكرين والعلماء
آلاف الأمنيات من الرجال والنساء
أدراج الرياح ذهبت هباء
تناثرت آمال العمال والفلاحين
والمثقفين والأدباء
في رحاب الكون الفسيح ضاعت
تبخرت في الفضاء
هل كتب على العرب الفناء؟
وعلى مواطنيهم الشقاء؟

من ارض عربية فيحاء
في زمن يزداد فيه العداء
بين الزعماء والمواطنين والدخلاء
ومن خلف الكواليس
انسّل أربع نساء
من مصر جاءت علياء
وحسناء وحسناء وحسناء
من تونس الخضراء
يعترضن بأسلوب جديد جراء
بطريقة خرساء
بصمت يصرخن
وامعتصماه وامعتصماه ...
استبدلنها بعراء الأثداء
كيّ تحرك المشاعر الجرداء
في عقول باتت كصحراء
وقلوب متحجرة من الحب جدباء

بلا سيوف بلا خناجر بلا دماء
بهدوء بسكون بصفاء
ظهرن بصدور جميلة مرداء
أشهامة منهنّ؟
شجاعة أم كبرياء؟
صمدن وقفن معترضات
في زمن ماتت فيه الكلمات
ولم يعد لها أصداء

أرجوكم
لا تقولوا أساليب هوجاء عرجاء
ولا حتى قلت حياء
في زمن الغدر والقهر
أصبح كل شيء مباح
مهما علا الضجيج والصياح
انطفأ الشعب
وذوى كصوت شهرزاد في الصباح
أربع نساء
تحركن بدافع الفضيلة لا الإغراء
خوفا على مجتمعات قيدتها الأغلال
ودين صنع منه مسيلمة رداء
وساسة أفسدوا وأسأوا
أوطان بات فيها المواطنون
تعساء بؤساء

من المحيط إلى الخليج زعامات
هزتها أثداء أربع نساء

يا للخزي يا للعار
قفزتم ووقفتم
تصرخون، تتوعدون
تنددون، تهددون، تولولون
يا عرب خدش الحياء
وأسقطتم كعادتكم تراجعكم وتخلفكم
على المرأة كل بلاء
لم تهزكم قصيدة مظفر النواب
وتريات ليلية
يا شرفاء؟!
وبقيت عروس عروبتكم
زهرة المدائن
القدس المقدسة مشرعة
يمارس فيها البغاء

ذئاب أنتم جبناء
رأس حية فيكم أشراف ونذلاء
تدّعون الطهارة يا نبلاء
داخلكم قاذورات الأرض لا السماء
مات الحياء
يوم سالت الدماء
لأطفال لشيوخ لنساء
لحظة تفجرت المدارس
والجوامع والكنائس
يوم خلطتم المقدس بالمدنس
يوم حللتم وحرمتم
وعلى وتر الدين لعبتم
لم تتحرك النخوة فيكم

مصالحكم دون المروءة تناديكم
الحياء الحياء الحياء
اغتالته يد الجهلاء
ويد كل من ادعى النبوة
وأساء لله والأنبياء
وأباح القتل علي الأرض
لكسب السماء
كونوا للحرية للسلام صنعاء
الرب قبلكم كان لها معطاء
تحرروا من عقدكم
اخرجوا عن صمتكم
دون إبطاء
قبل أن تصبح معظم نساء العرب
حسناء وحسناء وحسناء
وعلياء.

العرب في ربيع

الأحداث مستمرة ، وما زالت تتدحرج بغير هدى على الساحة العربية باتت تشكل ضبابية أكثر على مصير شعوب المنطقة.

"مسافر يا أمي، سامحيني، ما يفيد ملام، ضايع في طريق ما هو بإيديا، سامحيني كان عصيت كلام أمي، لومي على الزمان ما تلومي عليّ، رايح من غير رجوع، يزي ما بكيت و ما سالت من عيني دموع، ما عاد يفيد ملام على زمان غدّار في بلاد الناس، أنا عييت و مشى من بالي كل اللي راح، مسافر و نسأل زعمة السفر باش ينسّي " اخر كلمات محمد بوعزيزي على الفيس بوك.

اخترت السفر من الحياة الدنيا وكان الوطن حضن لجسدك . أبيت أنْ تهاجر كما هاجر الملايين من العرب قهرا للبحث عن الكرامة، والحرية، والأمن، والعمل. وسيادة القانون.... قدمت نفسك وقودا لتشعل ثورة الربيع العربي وباستحقاق نجحت في بعث روح الثورة في عالم عربي يقبع في سبات عميق.. بعيدا عن التقدم، والتطور، بسبب نفر من البشر، وأعوان لهم نصبوا انفسهم قيادات وزعامات حللوا ومارسوا ما شاء لهم. باستعارات ومسميات مختلفة... أملت في حياة افضل، لم تتمكن من تحقيق حلمك، لكنك اصبحت رمزا وارضى أثمرت لملايين المنادين بالعدالة، بالمساواة، والحرية والديمقراطية على امتداد مساحة الوطن العربي.

مع انحسار الاستعمار عن البلاد العربية جرب الشباب وصفات ايديولوجية وفكرية مختلفة من اقصى اليمين الى اقصى اليسار. في كل مرة كانت تجهض افكارهم ومساعيهم... الا تلك التي هادنت الزعامات... وتعرضوا لأصناف متنوعة من الظلم منهم من اعتقل وسجن. آخرون تم تصفيتهم. وبعضهم مفقود.. الا أن جاءت شرارة الربيع العربي، شرارة التغير لتطوير المعادلة وتنضهما بين الحاكم والمحكوم وبناء مجتمع الرخاء والازدهار وتكون فيه السيادة للقانون.....

أزهر الربيع العربي نتيجة التحرر من الخوف، والتحرر من الخوف جاء نتيجة لفقد الكرامة. وفقد الكرامة جاءت نتيجة تهميش العقول والبطالة بشكل خاص بين المثقفين والأكاديميين. وكان الهدف هو نقل البلاد الى حال أفضل. والحصول على حياة كريمة وتعددية حزبية وحريات....

الربيع العربي استغرق المناداة به عقود كثيرة قد تعود جذورها لحملات استعمارية متعاقبة . جاء الربيع العربي كنتيجة حتمية لمجتمعات فارغة او شبه فارغة من محتوى الحرية، والديمقراطية...والفضل في هذه الصحوة يعود للانفتاح العالمي بتطوراته واختراعاته التي جعلت من الإعلام والمعرفة والاتصال والتواصل الاجتماعي في متناول الجميع، بحيث لا يمكن ولن يتمكن أي نظام في

المستقبل من السيطرة عليها. ولم يترك للأنظمة سوى خيار واحد وهو قبوله والتعامل معه. الهدف الرئيس لهذه الانطلاقات في العالم العربي كان المطالبة بالتغير . وتطورت المطالب الى تغير الانظمة، تم إسقاطها. مع إدراكنا أنّ الشباب الثوري نادى بالحرية، والديمقراطية، والدولة المدنية، الاّ أنه في معظمه يفتقد الى الخبرة السياسية. هو يريد تحقيق مطلبه، وألأحزاب المتعددة لها برامج سياسية مختلفة قد تتفق او لا تتفق مع مطالب الشباب.

اتساءل إذن، أي نوع من الحكم يتطلع الى الحصول عليه؟ ...دولة مدنية؟... يمينية؟...يسارية؟...قومية؟... الخ. سباق لا يخرج عن تعصب لرأي يظهر ميول الناس ورغباتهم. ولكن هل يمكن ان نصل الى صيغة تمكن الجميع من العيش المشترك في حدود الوطن الواحد؟ وهل نحن مثقفون ، منفتحون على كل ما يسمى الآخر الذي يعيش معنا في قلب الوطن ، والوطن يعيش في قلبه، ماضيا، وحاضرا.

الطائفية، القبلية، المحسوبية، والانتماء العائلي والسياسي عوائق من الماضي ما زالت تعشعش في عقول من يخافون الانفتاح والتطور، وفي عقول المنتفعين الذين نصبهم الغرب أوصياء على شعوبهم. من واجب الدولة ان ترعى مصالح رعاياها، أنْ توفر لهم التعلم والعلاج الصحي والرفاهية والأمن والحريات . ومن مصلحة الشعب أن يعتنق فكرة التغيير، أنْ يجسد في صدق الدوافع التي قامت عليها ثوراته . والمطلوب منا جميعا هي أنْ نواجه جاهدين كل من يعطل مطالبنا السامية والمبادئ التي قامت عليها ثورتنا ونحافظ على مكتسباتها. فالمستقبل هو الأمل الواعد للأجيال القادمة الساعية للتغيير. لا تنهزموا للعقبات والمتاريس التي يقيمها الساعون لسلبكم انتصاراتكم. فالتطور يكون للأمام فقط. يحدق الخطر من أولئك الساعين لمصالحهم الخاصة ليمرروا برامجهم غير المعلنة وباسم الديمقراطية لمصادرة الحريات.

الدستور هو الحامي الوحيد للحريات ، والديمقراطية. ويل لامة تبحث

عـن مَـنْ يحمـى دسـتورها. وويـل مـن يـدوس القانـون مـرة ولا يحاسـب عـلى فعلتـه لأنـه سـيتمكن مـن أنْ يضـع قانونـه اخـيرا. هنـا اركـز عـلى مناهـج التربيـة والتعليـم لانهـما يسـبقان الحريـة وتحميهـا. عندهـا نسـتطيع أن نقـول كلنـا منتـصرون عـلى اختـلاف مذاهبنـا الدينيـة وانتمائنـا السياسـية. فالحريـة هـي الرئـة التـي تمدنـا بالحيـاة. فإطـلاق الحريـات هـي السـبيل الوحيـد للتحـرر مـن تبعـات المـاضي. وهـي المدخـل الرئيـس للديمقراطيـة ولسـيادة القانـون. مسـتحيل هـو التقـدم والتطـور في غيـاب الحريـات. فحريـة المعتقـد، والـرأي، والتعبـير تعـد ممارسـات أوليـة للديمقراطيـة. والحريـة ابنـة الوعـي ، وهـي مسـؤولية وأمانـة.

وبناء على ذلك ما زال المستقبل مجهولا....
هل ثوراتنا العربية والانقلابات الشعبية ستغير التاريخ؟
هل تتمكن من تحقيق الحلم العربي بالوحدة؟؟
هل ستفرز انظمة استبدادية جديدة؟؟؟
هل نستبدل طاغية بطاغية اخرى؟
هل تساهم في تحرير العقل، وإطلاق الحريات والديمقراطية؟
هل سنخرج من دوائر الجهل والتجهيل، الكفر والإيمان، الاتهام والأوهام، التخوين والانتماء....الخ؟
هل هشيم الربيع العربي سيستمر ليطال معظم الدول العربية؟
هل نصبح اسياد انفسنا؟
هل نصبح أمة منتجة للتكنولوجيا، وللصناعة؟
هل نتحرر من التبعية للغرب؟؟... ومن دعمه المالي؟

"هـالات" كثـيرة تحتـاج الى اجابـات شـافية، صادقـة، واعـدة، تسـاهم وبحـق في السـمو بالكرامـة الانسـانية ، وتحقيـق الحلـم بحيـاة افضـل. وبحريـات تكفـل للجميـع المسـاواة والعـدل... والسـؤال الرئيـس مـن سـيحمي ويحافـظ عـلى كل المتغـيرات، هـل هـو القانـون ام الوعـود التـي تحتـاج الى وضـوح... والمهـم أنّ الامـر لـن يعـود كسـابق عهـده لان العقـل العـربي قـد خـرج مـن عقالـه، واللسـان العـربي خـرج مـن صمتـه. اذن مـا مصـير الحـركات الثوريـة في العـالم العـربي؟ حاليـا مـن الصعـب أنْ نحـدد

مصير ومستقبل الربيع العربي. الضبابية تغشاه. الشعوب تطالب بحريات، وبالديمقراطية، وبالدولة المدنية.... لكن خفايا الأمور والأسرار غير المعلنة ما زال التداول فيها بالسراديب، فالطريق الحقيقي غير معلن بعد. فالأقليات بكافة أطيافها تخاف على وجودها، الأحزاب لم تنته من اجندتها وتصوراتها. فهل يتجه العالم العربي نحو تعددية ديمقراطية ام ديكتاتورية... الأمور لم تنضج بعد . وأي صراع داخلي سيهز المنطقة وتتدخل قوى خارجية دولية واقليمية من أجل انهاء الاقتتال، كما حصل في ليبيا...... والنتيجة تقسيم العالم العربي الى دويلات . وبالتالي تتغير جغرافيته. وديمغرافيته. وطبيعة التحالفات والمعاهدات. بذلك نكون قد سقطنا في فخ استعماري جديد.

لاهوت في زمن الربيع العربي

الاختلاف بين البشر مصدره الله... أما الخلاف بينهم، فمصدره الإنسان.
ليس من أجل التمييز، أو التفضيل، أو المقارنة، كتبت هذا المقال،
ولكن من أجل الاستنارة، والتزود بمعارف جديدة تخدم الزمن الذي
نعيشه. وتخدم روحانيات الإنسان الذي بات فيه القتل والذبح على
الهوية الدينية عنوانا، أمل أن يكون وجود الله وسيلة تسامح ومحبة
تجمع الاختلاف بدل تعميق الخلاف.

انطلاقا من احترام عقائد كل من يشاركني هذا الكوكب، فإني استخدم تحليلي العقلي أولا وأخيرا في كتابة هذه المقال. الأمر الذي دفعني لكتاباته، ومشاركة القراء بما أفكر فيه، هو أهمية الموضوع عند الكثيرين من محبي الفكر، والمعرفة، والبحث، والاستطلاع. أدعو كل من يقرأه، إلى عدم التردد في تصويب، أو دعم، أو نقد ما أطرح، فكل ما يقدمونه من ردود يثري الفكر البشري الإنساني، وما أقدمه يتقبل النقض والنقد، والاعتراض لأنه بشري المنشأ. ليكن المنهج، والطريقة، والأسلوب ديمقراطياً، علمياً، وبعقل متفتح، بعيداً عن أسلوب

التشـهير والوعيـد، والشـتم، والتكفـير، وأذكـر أن الاختـلاف لا يفسـد الـود. ويفرحنـي أيضـا أن ينظـر القـارئ، إلى هـذا المقـال بعيـون عقلـه مـن خـلال الإنجيـل المقـدس.

مـن أكتـب عنـه، هـو يسـوع المسـيح – المسـيح عيـسى ابـن مريـم- صاحـب رسـالة:" السـلام والمحبـة"، الـذي يحتفـل بعيـد ميـلاده كتقليـد سـنوي ومنـذ أكـثر مـن آلفـي عامـاً المسـيحيون في كل أرجـاء العـالم. عـادة دينيـة، واجتماعيـة مسـتمرة، ومتكـررة، ذكراهـا باقيـة، وقصـة ميـلاد تحـكى. مؤمنـون، وملحـدون وغيرهـم يتشـاركون في هـذه المناسـبة لأن التاريـخ الميـلادي يبـدأ منهـا، ويتبعهـا دخولهـم في عـام جديـد يتطلعـون أن يكـون أكـثر اخـضراراً وازدهـاراً مـن شـجرتهم المنتصبـة في بيوتهـم وقلوبهـم الدافئـة. فمـن يشـكك بميـلاده عليـه مراجعـة المصـادر التاريخيـة القديمـة التـي دونهـا المؤرخـون المعـاصرون لـه. أرجـو أن لا يتشـنج البعـض، أو ينتفـض غضبـا بعـد قراءتـه هـذا المقـال، لأن هـذا المقـال كتـب لأجـل كل مـن يؤمـن بقـدرة اللـه سـبحانه وتعـالى العجائبيـة . قدراتـه غـير المحـدودة، لـه العـزة والمجـد يسـتطيع أن يقـول للـشيء كـن، فيكـن. يسـتطيع أن يخلـق مـن الحجـارة طيـوراً، وحتـى بـشراً.... فمـن يقـوى أن يمنـع اللـه أن يـأتي ويعيـش بيننـا بصـورة إنسـان؟ مـن يتحـدى اللـه بذلـك؟ مـن يعـصى أمـره؟ مـن يمنعـه؟ مـن يقـف ضـد إرادتـه؟ مـن يواجهـه؟. أليـس هـو القـدوس الجبـار المهيمـن... فـأي تحـدٍ للـه تعـدي عـلى ألوهيتـه، وأي تحديـد لـه يعنـي تقيـد ألوهيتـه، وتكبيلهـا، ووضعهـا في مرتبـة دون المقاييـس البشريـة.

الكتـاب المقـدس يقـول: "إن الإنسـان ينظـر إلى العينـين، وأمـا الـرب فينظـر إلى القلـب " (١صـم١٦:٧). انطلاقـا مـن هـذه الآيـة الكريمـة اسـأل القـارئ الكريـم أن يتـأنى في حكمـه عـلى مـا يقـرأ، ويفكـر مـن خـلال عقلـه المجـرد الحـر، ثـم يصـدر أحكامـه. الحريـة هبـة اللـه مـن السـماء للإنسـان عـلى الأرض، وخصـه وحـده بهـا. منعهـا، واحتكرهـا بعـض مـن البـشر غلفوهـا بقداسـة لمصالحهـم الذاتيـة. معظمنـا تعـرف، أو عـرف المسـيحية مـن خـلال مـا قـرأه، أو تعلمـه، أو سـمعه. فالمسـيحية منـذ فجـر انطلاقهـا، ومرورهـا خـلال العصـور السياسـية، والفكريـة التـي عاشـتها شـهدت ارتفاعـاً، وهبوطـاً، وكسـاداً، وانتعاشـاً، وأخطـاء. ومـا زالـت لغايـة ألآن تواجـه أزمـات

المجتمعات المتغيرة الساعية للتطور، التغيير ظاهرة طبيعية. التطور حقيقة لا يمكن إنكارها، أو وقف مسيرتها. صمدت الكنيسة أمام كل الأزمات التي عصفت بها، وحافظت على بعدها الروحي سليما معافى. في العلاقات الإنسانية اليوم لا نتعجب من رؤية بعض الخارجين عن القانون، أو الشاذين جنسيا يتوافدون على الكنيسة من اجل التزود بالروحانيات. فذلك لا يعني أن الكنيسة تشجعهم، الكنيسة لا تمنع أحدا من دخولها، أو يؤمن بمعلمها. فكل من أراد أن يتزود روحيا بتعاليم السيد المسيح وبمبادئه فذلك من حقه ككائن حي يتواجد في مجتمع بشري إنساني، يؤمن بإنسانية الجنس البشري، وتعدديته الثقافية، و تنوعه العرقي...أقول ذلك انطلاقا من قول السيد المسيح:" ما جئت لأدين العالم، بل لأخلص العالم"(يوحنا١٢:٤٧)، لقد جاء المسيح من اجل المرضى وليس الأصحاء.

الحكماء قالوا: " قل لي من تصاحب، أقول لك من أنت"، فما رأيك هنا إن كان المقصود هو المسيح. هذا الرجل كان لا يتردد في مجالسة الزناة من رجال ونساء، سارقين ومرضى، ومضطهدين، وأصحاب عاهات، برص، كسيحين، ومرضى نفسيين، وفقراء، وبسطاء، وعميان، وأرامل، ومرائين، مساجين، ومهمشين ...وغيرهم كثر. يصادقهم، يأكل معهم، يرعاهم، يعالجهم، يسهر في بيوتهم، يسامرهم، ... ببساطة سيقول معظمنا " هذه التشكيلة صعب التعامل معها، أو بعض منها حثالة يفضل تفاديها والابتعاد عنها، كونهم عاهات أخلاقية، قد يسيئوا لسمعتنا. ويشوهوا صورتنا الاجتماعية، ومخالطتهم عار ومجتلبة للفضيحة. فإن كان المسيحي هو القائل. فكيف يمكنه أن يقتدي بالمعلم المسيح ؟ الذي جاء لعلاج عيوب المجتمع، ليس بحسب الشريعة الموسوية بالقتل، أو الرجم، أو النبذ. بل جاء ليقدم العلاج النفسي لهم، لمشاكلهم التي يعود سبب وقوعها على المجتمع، والتربية الخاطئة، وليس على الفرد، فالمجرم نتاج مجتمعه، وبيئته التي أدرنا لها ظهورنا بدل عن معالجتها...باستحقاق، وبامتياز نقول أن المسيح أول طبيب نفسي جاء لمعالجة قضايا البشر الاجتماعية والنفسية.

المسيحيون يرددون إن أعظم حدث في التاريخ هو صلب المسيح وموته وقيامته،

وهـو جوهـر، وحجـر الزاويـة، وصخـرة الإيمـان المسـيحي - لا اعـتراض عنـدي أو شـك في مـوت المسـيح وصلبـه وقيامتـه- لكـن مـن وجهـة نظـري الخاصـة، فـإن أعظـم حـدث في التاريـخ البـشري هـو ميـلاد المسـيح، ميـلاده ألمعجـزي، خصـه اللـه بـه دون غـيره ممـن سـبقه، أو جـاء مـن بعـده، مـن البـشر. اجتهـد بقـولي هـذا، رغـم أني لسـت لاهوتيـا، ولا رجـل ديـن، ولم أكـن يومـا طالبـا في معهـد لاهـوتي، بـل علمانيـا كغـيري ممـن يتمتـع بثقافـة متواضعـة ،ومحـدودة، لا تحرمـه، أو تجرمـه، أو تكفـره مـن قـول مـا يفكـر في عـالم يشـهد ثـورات فكريـة في شـماله، وأزمـات فكريـة في جنوبـه، فمـن أجـل تفاهـم عالمـي، ومسـتقبل أنسـاني أفضـل، علينـا أن نتقبـل مـا يقـول الآخـر ومـا يفكـر بـه دون الطعـن بدينـه أو مبادئـه أو معتقداتـه.

المسيح لم يكـن ثمـرة جـماع بـين رجـل وامـرأة، بـل كان كلمـة اللـه، وروح مـن اللـه ، التـي زرعـت في رحـم مريـم. فكلمـة اللـه تجسـدت في رحـم مريـم لتصبـح بـشرا، فـلا نسـتطيع بـأي مقيـاس بـشري، أو لاهـوتي أن نقـول أن المسـيح بـشر كسـائر البـشر لأنـه وبـكل وضـوح وببسـاطة لم يـأتِ للعـالم بفعـل جنـسي، لم يكـن هنـاك مضاجعـة ذكـر لأنثـى، فالمولـود المبـشر بـه للـولادة مـن مريـم أعظـم، وفـوق البـشر أجمعـين، مـن فجـر التاريـخ حتـى سـاعتنا هـذه، عقيـدة المسـيحي مرتبطـة بهـذا الميـلاد ألعجائبـي. الـذي يؤكـد أن المسـيح ولـد بجسـد بـشري بخلـق الهـي، فهـو ابـن اللـه، هـو اللـه. كـما أنـه ابـن الإنسـان، هـو إنسـان فـلا يمكـن للعقـل أن يفـترض انـه بـشر مثلنـا مثلـه. لهـذا اجـزم انـه فـوق البـشر أجمعـين وأعظمهـم خلقـا.

المسـيح كلمـة وروح مـن عنـد اللـه، كلمـة اللـه الخالـق قـوة غـير محـدودة أو مقيـدة، اللـه يقـول للـشيء كـن، فيكـون. هـو صنـع الكـون بكلـمات منـه، كلماتـه نافـذة تغمرهـا الحكمـة ولا شيء يضاهيهـا فـكل مـا أراد ويريـد يكـون. هـو البدايـة والنهايـة هـو العقـل اللامحـدود، إنـه العقـل الكـوني الجبـار الـذي يجمـع كل العقـول البشريـة في ذاتـه اللامتناهيـة للوجـود منـذ الأزل . ارتـضى اللـه أن ينـزل مـن عليـاء مجـده ويأخـذ جسـدا بشريـا، وأن يلـد في مغـارة للحيوانـات، لا شـك عنـدي بذلـك، أن ينتابنـي نـوع مـن الشـك، أكـون قـد أدنـت نفـسي بـأن اللـه لا يحمـل صفـة

الخالق والقدوس والقدير والمهيمن والجبار... بمعنى أن أفكر لو للحظة باستحالة حدوث هذا الأمر فإني ألغي صفة الألوهية عن الله، لذلك احترم إرادة الله ونزوله للعيش بيننا كبشر، أو كبشر والله، ولبسه جسدا بشريا مثلنا من صنعه .

خلال حياة المسيح، صنع عجائب عظيمة كثيرة على الأرض، لا يقوى بشر أن يقوموا بمثلها. فكان الشافي والمقيم من الموت، من أقام الموتى أيعجز عن القيامة من الموت؟. أيستحيل على الله الذي عاش بيننا، أن يصرع الموت بالموت؟، ويقوم من الموت ويرتفع إلي السماء، إلى مجده العلوي كما جاء ونزل وعاش بيننا، فإن كان جوابنا إيجابا فذلك دليل آخر على قدرته الفائقة العجائبية، وإن كان سلبا فذلك دليل على عدم وجوده وضعف قدراته.

ليس من أجل الفضول، كتبت هذا المقال، ولكن من أجل الاستنارة، والتزود بمعارف جديدة تخدم الزمن الذي نعيشه، وتخدم روحانيات الإنسان التي بات فيه القتل والذبح على الهوية الدينية عنوانا، والإلحاد يتصاعد، نموا وازدهارا. السبب في ابتعاد الإنسان عن الفكر الروحي، وعدم تدخله به هو توظيف الدين في السياسية والاقتصاد، فالإلحاد بات جوابا على معاملات المؤمنين السيئة التي تناطح مفاهيم علمية واجتماعية جديدة لا تقوى على مجاراتها أو إخضاعها، وبسبب التزمت الفكري المنطوي بين صفحات الكتب التي ندعوها مقدسة، فان لم يلبِ الدين مطالب البشر الروحية بطريقة سمحة، وبأسلوب حواري مقنع، فسيخسر مكانته الروحية وقوته الدينية، فالكفر كالإيمان مصدره الدين.

البعد عن الدين لا يأتي إلا بسبب المواقف المتزمتة التي يقف رجال الدين فيها من إيمان البشر، فكلما زادت ترهيبا وعنفا كلما ابتعد الإنسان عن الإيمان لأنها لا تترجم إلى التسامح والمحبة، إلي طريق الخلاص البشري، بل تسعى لإثبات وجودها بالقوة. القوة تخضع الناس لبعض الوقت، وليس كل الوقت ولا تدوم لأن الزمن متغير غير مستقر ولا يحتمل الجمود، وإن دامت فإنها تبنى مجتمعاً متخلخلاً لا يسعى للنمو والتطور، بل المحافظة على نفسه من خسارة مكانته

ودوره. والنتيجة انهياره، وموته لأنه يحمل بذرة فنائه. يقوم على التهديد يطويه الزمن، ولا يقدر على الصمود، أو الاستمرار لان التطور حتمية حاصلة متواصلة من أجل سمو وسيطرة الفكر البشري المبدع، المستقل، المنفتح، الديمقراطي الحر، الواعي.

تعددت آلهة الربيع العربي

من المهد إلى اللحد
مؤمننا كنت أو ملحداً
بأخلاقك عشّ بنفسك معتدّاً
أهل الأرض كفار معظمهم عند العدّ
وبقيتهم للرب يعيشون عبداً
في عرفهم كافر أنت مرتد
إن خرجت عن طاعتهم أقر عليك الحد
أعبيد نحن لخالق؟... أم لفرد؟
شعوب الأرض قاطبة لها مثلنا
قيم وفلسفة حياة ومجد
الغرب تفوّق بالثقافة بالعلم توسع وامتد
بالجهل نغرق من الرأس حتى أسفل الفخذ
نسعى لبناء أوطان بجهد بتعب بكد
سطعا لنور التقدم وظلام التّخلف ليرتد
للماضي يشدك متخلف عنود
لا يري في التطور مهد
الفكر المستقل عدّوه اللدود
في عرفه مكره وغير مجدّ
صراع تاريخي قديم جديد

لا يخص شعبا بالتحديد
لا ينتمي لأمة، لعرق، للون بالتأكيد
السعادة محور الوجود
التقدم سرها الموعود
ثقافة وفكر وعلم
وفنّ وموسيقى وعود
بها يكمن سر الوجود
ولله الخلود
كن شمسا يفتخر بعروبته كن فرقداً
كن إعصارا كن موجا ثائرا كن أسداً
دمر كسر الحواجز وكل من بنى أمامك سداً
فالحياة للأحرار ومن عنده رؤيا وعهد
أنت، أنتن، هم، نحن، كلنا قضية
فكرة معضلة فلسفية
تشترك فيها الأسرة البشرية
باختلافها، بتنوعها، بأجناسها
بشعورها، بتفهمها، بإحساسها
حقيقة واقعية ليست فرية
لا يخوض غمارها
متشدد أعمى متشنج لعصبية
يفرض نفسه ورأيه بوحشية
هو شر قرف وبلية
جذوره تشده ليعيش روح الجاهلية
تسممت أغصان وأوراق شجرة حياتيه
وخنقتها كراهيته للروح العصرية
مصيبة محزنة هذه القضية
أصحابها قتل الحب في قلوبهم

انتزع العقل من جماجمهم
أضحت مفرغة مسبية
أسبابها معرّفة للجميع معلنة
في كل يوم محكيه
فساد مريع ومطالب شعوب مهملة منسية
زعماء سرقت استثرت وباتت مع أعوانها غنية
تجثم فوق صدور الشعوب العربية
باسم دولة مدنية ...ديمقراطية
يتمتع فها أبناؤها بمساواة ووطنية
حقيقة لا رياء ديكتاتورية حلت مكان ديكتاتورية
تغلفها أكاذيب وأساطير إلهية
أوطان تعددت أصنامها الإلهية
وأصبح فيها
للزعماء آلهة
للطائفة آلهة
للحزب آلهة
للرعية آلهة
للفقراء آلهة
للأغنياء آلهة
للمؤمنين آلهة
للملحدين آلهة
للقتلة آلهة
للزناة آلهة
للمجانين آلهة
للأغبياء آلهة
كذا أصحاب الوعي المثقفون
الأكاديميون العقائديون

الثوريون يسعون
يبحثون عن آلهة
أنخرج الثائر الديني اخناتون (أمنحتوب الرابع) من قبره
ليعرفنا معنى ديانة توحيدية
أليست تسامح ومحبة هي
في اليهودية والمسيحية والإسلامية
بحرارة بلا انقطاع نردد: ورحمة للإنسانية

اختلفنا، تفتتنا، تمزقنا، تقاتلنا
ولم نتفق على حل للقضية
تشتتنا، تبعثرنا، تناكفنا، تصارعنا
أضعنا اللحمة الاجتماعية
البعض شدّه التاريخ للانتماء لقومية
أناس كفروا بعروبتهم كونهم ضحية
من حقهم أن يعودوا لجذورهم
واستنهاض وعيهم وإبراز هوّية
في زمن بات فيه العيش مغامرة وحشية
وقطع الرؤوس وأكل القلوب نزهة برية
واختطاف كهنة وشيوخ يتعبدون بصوفية
العرب تقطعت بهم السبل وقضت
على كل الشعارات الوحدوية

هنيئا لكم يا عرب
لقد وصل البراز حتى الركب
رائحته أنتنت امتدت
للشمال، للجنوب، للشرق والغرب
متى تتفقون وتخرجون من هذا الكرب

استعجلوا احزموا أمركم
تصالحوا تفاهموا ولا تتفرقوا
إن كنتم تحترمون الحياة وتقدسون إلها أو رباً

٤- العلمانية
العلمانية حل للإنسانية المفقودة

هبطت وتراجعت ممارسة القيم الإنسانية في عالم اليوم ، وازداد العنف والكراهية الموجهة بين الشعوب، وارتفعت وتيرة الصراع. فكانت شاهدا و دليلا على الإنسانية المفقودة. الأكثر تضررا لنتائجها الطبيعة والإنسان. واجبنا كبشر العمل الدؤوب لجلب الشعوب تحت مظلة إنسانية واحدة. ألا وهي مظلة العلمانية، بصفتها النموذج الأكثر حضاريا، والحامية الحقيقية لقيم الإنسان وحقوقه التي يكفلها الدستور لكل أطياف المجتمع.

جوهر الإنسانية ومضمونها يكمن في القيم السامية الخالدة التي حملها لنا تراث البشرية، عبر آلاف السنين منذ فجر الخليقة إلي يومنا الحاضر. هذه التراكمات الفكرية شارك في صياغتها نساء ورجال عظام من أنبياء، وفلاسفة وحكماء وأدباء الخ... كانت جهودهم ثمرة خبرات وتجارب في الحياة. فالإنسانية لا يمكن نزعها من التراث البشري ولا تشويه معناها، إلا عند مَنْ بني معتقلا فكريا متينا حول عقله، سجنا لا يليق بجوهر الحياة وعظمة الإنسان المخلوق الأرقى. فعقول الخارجين عن قانون الحياة وتطورها، والمنعزلين في بيئات تمنعهم من مشاركة الجنس البشري في نهضته، هم الأكثر بعدا عن الانسجام مع الطبيعة، والكون، والحياة، وإخوتهم من البشر. لذلك يصعب اندماجهم مع المحيط العالمي، فيسعون لبناء عالم منغلق متشدد، فلسفته القضاء على كل ما هو آخر وتدميره وإنهاء وجوده.

تنمو الإنسانية، وتترعرع، وتكبر، وتثمر في بيئة مليئة بقيم الحرية، المساواة، العدالة، الحب، الجمال، النزاهة، الأمانة، الصدق الخ...فيها الذكر ليس أفضل من الأنثى، والمثقف من الجاهل، والمتكلم من الأبكم، والسامع من الأصم، والمشاهد

من الضرير، والواقف على قدميه من الكسيح، ومن له أب أو أم ليس أفضل من اليتيم أو اليتيمة، والمتزوجة من العز باء، وأعجمي اللسان من العربي، والمؤمن من الملحد، والمسيحي من البوذي، وأحزاب اليسار من أحزاب اليمين، والأبيض من الأسود ... فقط يكون الإنسان أفضل من أخيه الإنسان بإنسانيته.

أصبحت الإنسانية عندنا شعارا بلا مضمون، واجهة بلا معنى، هدفا لا يطبق، وحلما لا يتحقق. نكتفي، ونفتخر ونكابر بما نحن عليه، وفيه، وبه، ونكرره في كل مناسبة. نخاف أن نعيش في عالم بلا حدود، في عالم منفتح على الأمم والشعوب. نخاف أن نذوب وتضمحل حضارتنا لأننا نشكك بقدرتها على الثبات والمعاصرة، نشكك بتماسكها وقوتها وعمقها، لقرون توقف تواصلنا بها، ومنعنا تفعيل العقل. حضارتنا لم تكن يوما نقية عربية صرفة، كما يفترض البعض أن تكون. أتساءل متى كانت الحضارات العالمية نقية يوما ما؟ الم تتلاقح الحضارات بعضها مع بعض على مر العصور؟.

نشكك أيضا بما نؤمن به من ثقافة وفكر، شكنا في بعض الأحيان يصل إلى زعزعة ثقتنا بأنفسنا لأننا دائما متوترون وفي جبهة مفتوحة ضد من يخالفنا. لا نعرف قدر أنفسنا وعمق أحاسيسنا. تربيتنا خاطئة غير قائمة على أسس علمية، تعلمنا أن التفكير والسؤال درب علينا أن لا نسلكه أو نخوض فيه، لأنه سيدخلنا في متاهات عقلية ويخرجنا من وعينا وتقاليدنا وثقافتنا . زائرون، مستجمون نحن على شاطئ بحر العقل، والفكر والمعرفة لا نخوض غماره. نعيش مغتربين في عالم كبير يمتد ويتسع كل يوم في اكتشافاته. نغرق في إعادة صياغة الذات ولا ندري أين وكيف نبدأ. علاوة على ما نحن فيه من تراجع نريد أن نحقق ذاتنا الضائعة وطموحاتنا المعلقة في الماضي، ونعمل بديكتاتورية، بقسوة كي نسترجعها. عجلتنا الحضارية تسير إلى الوراء. فعندما لا نتمكن من التقدم نعود إلى نقطة البداية، إلى الصفر الحضاري، إلى الماضي السحيق ، ثم نعلن عن بدء انطلاقة جديدة بعزيمة، وشكيمة، وقوة، نحشد لها أنصارنا، نهلل ونقيم احتفالات ومهرجانات وخطابات تدوي ولا تروي، تبهر ولا تملأ عين،

كلمات لا تقنع أُذُن . كلما فشلنا نعيد الكره من جديد، بنفس أمنياتنا وأفكارنا وأساليبنا القديمة، غير متسلحين بثقافة، وتخطيط، وروح إبداع عصرية... لعنة الجمود حلت علينا، لا مكان للتجديد عندنا. نصغ مفاهيمنا الإنسانية و نقيسها، ونمارسها، بما يناسب أفكار زعمائنا، ونرفض بشراسة، بهمجية ما لا يتقبلونه منها.

في العلمانية الفروقات والثقافات المتنوعة والمتعددة بين شعوب العالم تأخذ طابعا إنسانيا شاملا مع محافظة كل منها على خصوصيتها دون أن تنصهر الواحدة بالأخرى. العلمانية تنادي بفصل الدين عن الدولة، وليس منع ممارسة الدين والروحانيات كما نروج. فيها لا يكون الدين بديلا للأحزاب السياسية، ولا الانتماء الديني بديلا للمواطنة، ولا تميز بين معتقد وآخر. كما أنها لا تعمل على إلغاء الأديان ومحاربتها، بعكس الأديان التي تحاربها، وتتهجم عليها. توفر العلمانية المناخ المناسب لازدهار الأديان ونشرها من قبل رجال الدعوة والمبشرين دون التعرض لأي فرد منهم أو اعتقاله وسجنه.

إذن لماذا نحارب العلمانية؟... لأنها في نظر اغلب قياداتنا شرا، بدعة، كفر. دولة إلحاد، ديمقراطية منحلة، إباحية الخ... علنا وبشكل فاضح نلعب أيضا لعبة مزدوجة. من جهة تعمل على إثارة وعي الشباب وتهيئته، وتشحنه نفسيا وذهنيا لمحاربة العلمانية، ومن جهة أخرى تستمر في علاقاتها معها. محاربتنا لها قائمة على واقع له تفسير منطقي. كمواطنين تم خديعتنا، وجرنا لمحاربة كل من يحارب الرموز، والمسئولين، لأنهم مستهدفون. فمن واجبنا العمل على تثبيتهم وتمكينهم في مراكزهم والمحافظة عليهم كمكسب لاستمرار الدولة وسياستها من أعداء الأمة. شهوتهم لاستمرار مصالحهم والبقاء في حكم وإدارة البلاد والعباد أهم من أي تغير على المستوى المحلي والعالمي.. هذه المنهجية أدت إلى تراكم رأس مال الدولة وملكيتها محصورا بين أيديهم ، يتصرفون به متى وكما يشاءون. اوجدوا لهم، أعواناً منتفعين، ينفذون الأوامر المطلوبة بالقوة والبطش ضد كل من ينتقدهم أو يطالب بالحريات والتغيير، تحت حماية قانونية مرنة متساهلة. لتامين أنفسهم، وعائلاتهم من غدر الزمان مدوا إلى ادخار أموالهم خارج حدود

الوطن في الدول العلمانية، كما شجعوا هذه الدول على إقامة قواعد عسكرية في أرضهم خوفا من سقوط أنظمتهم ومحاسبة الشعب لهم. في غياب شفافية القانون وتفعيله يصبح كل ممنوع مباح . در الرماد في العيون، أسلوبهم... يتبرعون بسخاء من جيوبهم، التي هي أساس أموال الشعب. فلا مكان لتنمية اقتصادية حقيقية، ولتطور علمي، وحريات. الهدف إبقاء الشعب أميا ليسهل التحكم به وقيادته. سنبقى ملغيين محليا، ومغيبين عالميا برضي، ومعرفة، وإرادة زعمائنا.

نتيجة لهذه السياسة، يكون دورنا كدول وشعوب، تابعاً ومستهلكاً لما تنتجه هذه الدول من آلاف الكماليات، والسلع، والأسلحة الخ... التي بإمكاننا معاينتها وإحصائها في أسواقنا، وشوارعنا، وبيوتنا، وجيوشنا. هذا ما يغيظنا كشعوب لأننا لسنا مشاركين في أي من الصناعات والاكتشافات والاختراعات العالمية. لا مكانة لنا في عالم اليوم إلا من خلال آبار النفط التي نملك، قريبا وخلال عقود قادمة ستجف آبارنا، وتجف مواردنا دون وجود بديل نعتمد عليه كمقوم للدولة مستقبلا. نحن نعيش في ظل دول تتفوق علينا، نستورد منتجاتها، بينما أبناؤنا يبحثون عن فرص عمل ويعيشون في بطالة شبه دائمة. بغياب من يرعاهم من وزارات، ومسؤولين، ومؤسسات لوضع خطط تنموية لاستيعابهم، أو منح معاش بدل بطالة لهم. هذه السلبيات لا تحتمل، بقوة أثرت في شعور الشباب القلق العاطل عن العمل بشكل خاص، ونظرتهم للدول العلمانية – المعرفة مسبقة بالعدو، بالمستعمر الصليبي الذي يتربص بنا ويستهدف عروبتنا ليدمر مجتمعاتنا "المدمرة أصلا"- مما ساهم بشكل خاص في نبذ مفهوم الإنسانية بشكلها العالمي الحالي وتبني مفاهيم قبلية. مجمل القضية في عالمنا العربي "قضية طبقية". لن تنجح نتائج ثورات الربيع العربي الدموي من تخطيها وتصحيحها لعقود قادمة ما لم تقضي على الفروق الطبقية والمذهبية والحزبية بين مواطنيها.

في عالم العلمانية لا وجود لطبقية، أو اختلاف، أو تمييز، أو أفضليه مكون بشري على مكون آخر. في العلمانية كل البشر متساوون. لا أظنها يوتوبيا ومستحيلة الممارسة. لأن كلمة "مستحيلة " تعني عدم رغبتنا في الشروع لتبني هذا الموقف

الإنسـاني. الإنسـانية لا يحميهـا سـوى نظـام واحـد وهـو النظـام العلـماني. نظـام بـلا قيـود بـلا ممنوعـات بـلا حـدود تقـف حائـلا أمـام طمـوح الإنسـان وإبداعـه الفكـري والفنـي والأدبي والنقـدي مـن نسـاء ورجـال وشـيوخ وشـباب... نظـام فيـه الجميـع تحـت القانـون، لا أحـد فوقـه مهـما كان منصبـه، أو نسـبه، أو طائفتـه...

مـا كتبتـه في مقالتـي هـذه معظمنـا يعـرف حقيقتـه وبعمـق، ويدركـه كل الإدراك، ويقـر بواقعـه كل الإقـرار... لكـن للأسـف... إمـا لا يفهمـه- اشـك بذلـك- وإمـا يكـون متصلبـا، عنيـدا، عنصريـا الـخ... لا رغبـة تعتريـه للتنـازل عـن وضعـه، وأنانيتـه، ومكاسـبه التـي يجنيهـا مـن وراء تعنتـه. لذلـك نجـده يحـارب، وغـير مسـتعد لممارسـة إنسـانيته مـن خـلال العلمانيـة، ولا حتـى مـن خـلال القيـم الإنسـانية... مـع العلـم أن الـدول العلمانيـة تفتـح أبوابهـا كملجـىء آمـن لمعظـم المشرديـن، والمضطهديـن في عالمنـا العـربي الغـارق في خلافاتـه عـلى نمـط داحـس والغـبراء.

علينـا أن نغير خطابنـا، وإيقـاف جرعـات الوريـد التـي نتعاطاهـا كمضـادات لمقاومـة المعرفـة والحداثـة. والاعـتراف باسـتحالة التقـدم مـن جيـل إلى جيـل إن حصرنـا المعرفـة في زمـن معـين. حـاضرا نحـن بأمـس الحاجـة إلى البحـث، وعمـل دراسـات دقيقـة عميقـة في الـتراث الإنسـاني – السـجل الحضـاري- المـدون في بطـون مئـات الكتـب كي نكتشـف أسراره لمسـاعدتنا في فهـم وحـل لغـز نظـرة العـالم الغـير ايجابيـة لعالمنـا العـربي، ولفهـم أعمـق لذاتنـا ولموقعنـا مـن حضـارات العـالم اليـوم. إمـا الاندمـاج الحضـاري العالمـي وإمـا الاحتضـار الحضـاري البطـيء.

ثورة فكرية نحو العلمانية

افتقارنا الى الابداع الفكري تسبب في تراجعنا الحضاري.
بناء الوطن يحتاج الى عقول مستقلة. الأفكار الجامدة
لا تبني سوى الجهل، والنخب الجاهلة غالبا ما تكون تابعة

مستسلمة لا يمكنها بناء مشروع وطني علماني، مقابل
مشروع ديني سياسي دكتاتوري متشدد.

المشاكل التي تواجهنا خطيرة، نفتقر لآلية ردمها. على الصعيد العالمي مرتبطة بضعفنا كقوة فاعلة، وبشح ثقافي يتعاظم يوما بعد يوم، وبعجز عن اللحاق بالتطور العلمي المتسارع النمو في الدول المتقدمة، وعدم امتلاكنا المعرفي لبناء تكنولوجيا حديثة. وعلى الصعيد المحلي عدم قدرتنا على التغير الاجتماعي وبناء مجتمع العدالة والمساواة والحرية. الإرباك الذي نعيشه للخروج من هذه الورطة أدي الى تخبطنا الفكري، وأعاق التوصل لقرارات مناسبة تخرجنا من هذه المعضلة. عدم وجود برامج تتعهد بإنجاز نقلة نوعية على الصعيدين العالمي والمحلي سيبقياننا تحت رحمة الديكتاتورية، والتطرف، والاستعمار.

مع بدء ثورة فوضى الفكر والسلاح - الربيع العربي- ظهرت حركات إصلاحية تنادي بالتغير، وإطلاق الحريات الخ....، في الواقع معظم هذه الحركات التقت عند نقطة تغير النظام، أي استبداله بنظام آخر – التغير في العالم العربي مطلب رئيسي ومهم لأن من يحكم في العالم العربي معظمه عائلات آثرت على حساب الشعب، تتعاون أغلبها مع رجال الدين في معظم الأحوال، توافقها مع بعضها البعض يفرض سياستها، فهي مدنية شكليا، ودينية باطنيا، ليست حزبية بالرغم من وجود الأحزاب المختلفة. معظم الأطر التي تبحث عن التغيير ليس في جعبتها سوى تغير النظام واستبداله بآخر ليعيد أسلوب سلفه حتي يهرم دون طرح أو وجود برنامج سياسي متكامل تعمل من خلاله، فقط تريد التغير. الشعب يائس لعدم وجود ما يبعث فيه روح الأمل بمستقبل مشرق كما أراد وتوقع. فمن سيقود المجتمع نحو التغيير، بالرغم من وجود عشرات التنظيمات التي افرزها الواقع الحالي، سيبقى السؤال الملح والجوهري من منها سيتمكن من قيادة المجتمع؟ وما هي برامجه التنموية على مستوى الوطن؟ علينا ان لا ننسى أن من يغيبون عن صنع القرار يشكلون الشرعية الأكبر وهم الأكثرية، بينهم نخبة من المثقفين والأكاديميين، الا أنهم يخجلون من إبراز وإظهار قدراتهم، او يغيبون عمدا.

نحتـاج الى ذهــن - فطنــة وذكاء وفهــم- متجـدد متفتـح مــن نــوع جديـد يتحـدى الاختلافـات والتحديـات القائمـة. ويزعـج المنتفعـين والراضـين عــن أوضاعهــم وأنفسـهم، ويعـترض، ويقـاوم النفعيـين، ويشـكك في كل مـا يطرحـون مـن أفـكار لا تمـت للحقائـق الطبيعيـة والعلميـة بصلـة ولا حتـى تلائـم القـرن الحـادي والعشريـن.

نحتـاج الى عقليـة ثوريـة تـؤرق مضاجـع الحـكام ورجـال الديـن، وتدغـدغ عقولهـم، وتبـدد أوهامهـم الزائفـة. نريـد ثـورة تخرجنـا مـن وضعنـا اليائـس، مـن فكرنـا اليائـس المتحجـر دون المسـاس بخليقـة اللـه وإفسـادها وتدميرهـا وتحديهـا. ضميرنـا يمـلي، ويوجـب علينـا المحافظـة عليهـا ونكرسـها مـن أجـل خدمـة الانسـان. نحتـاج الى ثـورة فكريـة تسـتأصل روح الـشر وتنمـي فكـرة الحـق فينـا.

معظـم الأديـان، إن لم يكـن كلهـا في قـارات العـالم، في توجههـا لمبـدع الكـون -اللـه - لا تخـرج في دعوتهـا عـن سـمو الأخـلاق، مهـما كانـت طقوسـها، وشـكل عبادتهـا فإنهـا تحـترم الحيـاة والطبيعـة والكـون. لقـد أبـدع الخالـق - العقـل الكـوني الجبـار- في خلقـه المتنـوع، وأبـدع مـا يكـون هـو خلقـه الفريـد للإنسـان، فوهبـه وحـده عقـلا حـرا مسـتقلا ليبـدع. خلقنـا كائنـات ذكيـة عاقلـة لنخضـع الأرض ونسـتثمرها ونسـيطر عليهـا. ميزنـا كي نفكـر بحريـة ومسـؤولية وإرادة مسـتقلة لنتـصرف بإنسـانية كبـشر وليـس كوحـوش. هنـاك ملحـدون، ينتـشرون في انحـاء العـالم ليـس لهـم ايمـان باللـه، وهنـاك لا دينـين أيضـا يؤمنـون بخالـق وليـس بديـن، مـن خـلال التعامـل معهـم نجدهـم كباقـي البـشر غـير مجرديـن مـن محبـة الإنسـان للإنسـان، يمتلكـون اخلاقـاً، ويقومـون بأعـمال محبـة لأجـل الخـير العـام أكـثر مِـن مَـن لـه ايمـان، أمثـال المؤمنـين الاوصيـاء عـلى البـشر بـدل الرحـمان. ليـس عيبـا او خطـأ اخـي المؤمـن ان وهبـت بعـض مـن ذاتـك لخدمـة الإنسـانية كلهـا ايضـا، أنظـر حولـك وابحـث واعمـل واسـعى لإيجـاد حلـول للبشريـة المقهـورة في هـذا الزمـن. إبحـث عـن حلـول للتغـير الاجتماعـي المتصـدع قبـل ان يحصدنـا الاقتتـال والمـوت الـزؤام. أقـم مجتمعـا، عـادلا، صالحـا متعـدد التوجهـات، لا ادعـو مثلـك أيهـا المؤمـن لمثاليـة فذلـك غـير ممكـن، لأن الطبيعـة البشريـة تحـول دون ذلـك، لأنهـا تتمركـز حـول الـذات.

جميعنا على اختلافاتنا نحتاج الى تظافر الجهود وتوجيهها لتقليص مقدار الفساد الاجتماعي واحتوائه، مقابل قدر أكبر في التقدم والنمو والتطور الإنساني العلمي العالمي. عندها كلنا سنبدع، ونبني معا مشروعاً وطنياً علمانياً لكل إسان.

الوصول للحقيقة يتطلب دقة البحث ومضاعفة الجهد رغم كل الصعوبات والتعقيدات التي يفرضها مغيبو العقل، ومن يبحث عن حلول ارتجالية أسطورية لا تخضع للبحث العلمي الدقيق، ليخرجوا علينا مؤكدين على عدم وجود حلول مناسبة لأننا مستهدفون، هذه الوجوه الماكرة دليل على استهزاء بالمواطنين. نعم نحن مستهدفون كما كنا في الماضي، بسبب حاجة المستعمرين منذ فجر التاريخ الى أرضنا لخيراتها، ولموقعها المميز كممر نحو القارات، ولخصوبة أراضينا، ولكن ليس بسبب ديننا. يظهر بؤس تفكيرهم عندما يقولون ان التبشير يسبق الاستعمار، صدقا لغاية الآن لم أجد إحصائيات تبين، وتدل على ان آلاف أو المئات أو العشرات من الأشخاص تركوا مثلا الإسلام ودخلوا في المسيحية، لا عنوة ولا عن رغبة. حجتهم حجة المواطن المفلس ألذي يريد ان يحكم باسم الدين فقط، عن طريق تعزيز الشعور بالاضطهاد لرعاياهم، وتأجيج نار العنصرية الدينية لخلق فوضى يتمكنون من خلالها استيلاب الحكم. لنسرع حثيثا ونطور عقلية تعتمد على حقائق علمية كأساس للخروج من المأزق الذي نعاني منه، فهي وحدها القادرة على منحنا إجابات لمشاكلنا العصرية.

هناك من يستنتج وجود عيوب في أنظمة الحكم أي كان نوعها. فيرى أن النظام الرأسمالي يشجع المبادرة الإنسانية الفردية وروح المغامرة، لكنها لا تبالي بعجز الفقراء عن مجاراة التنافس الشديد الذي تولده الرأسمالية. النظام الاشتراكي لا يبدي تعاطفا كبيرا مع الفقراء والضعفاء، ولا تبالي لروح المبادرة الفردية فتخنقها أمام المؤسسات الحكومية الاشتراكية. والنظام الثيوقراطي، دكتاتورية جماعية بيد سلطة دينية تجبر الناس على الطاعة العمياء لها، ولا تعامل جميع المواطنين بمساواة كاملة. من منطلق الحق اللالهي الذي تمنحه لها الشرعية التي تسلمتها استجابة للإرادة الإلهية. النظام العلماني يستند الى الديمقراطية – حكم الشعب للشعب –

كونه أسلم وأحكم أشكال الحكم لأنها تهتم بالكرامة الإنسانية وتعطي لكل فرد دورا مسؤولاً في عملية اتخاذ القرار، وتصر على توزيع السلطة، وتحارب الفساد لأنها ترفض ان تركز السلطة في يد شخص واحد او بضعة اشخاص. العلمانية تتميز بان شرعياتها الحكومية، وأحكامها، ونظرتها لجميع الأمور إنسانية، ناتجة عن فكر مبدع خرج من عقل خلقه الله، بعيدة عن الاستناد الى الحكم طبق المعتقدات الدينية. بالنتيجة يكون أفضلها هو الحكم العلماني، اي فصل الدين عن السياسة.

هناك تناقض واضح في الانسان، سببه مكونات تربوية لم يستوردها، بل نمت في مجتمعه الذي ترعرع فيه واكتسبها منه. فنجد النبيل والخسيس ، المحب والكاره، الاناني والمعطي، العقلاني واللاعقلاني الخ.... القائمة تطول فكل منا يحمل هذه التناقضات بنسب مختلفة تعتمد على ثقافته، وتربيته، وبيئته. لذلك لا يمكننا أن نحدد مقدار أي منها. في مجتمع المظاهر كمجتمعنا الذي ينظر الى عيني الشخص لا الى قلبه، ويمجد ما يراه ولا يمجد سيرته وأخلاقه وأعماله. فإننا نحدد مقدار إيمان الشخص حتى لو كان مواظبا على القيام بالواجبات والطقوس الدينية المقدسة والصلوات المفروضة. نحن نحكم على ما نرى وليس على ما لا نرى داخل الإنسان. - ننظر إلى الوجه المقنع ولا ننظر الى الوجه الحقيقي- لذلك نبالغ في وصف الانسان بالمتدين والمؤمن- تركز الأديان "على ان التغيير يبدأ من الذات" - للأسف في مجتمعاتنا حتى الذات باتت مقهورة-. الذات ليست الظاهر من الانسان، بل من قلب الإنسان لأن منه تأتي القبائح وأعمال البر والتقوى والمحبة والبغض والسعادة الخ... صُنعنا للإنسان المؤمن بالظاهر هو التفاف على الله الذي ينظر الى قلب الإنسان وليس الى عينيه.

للأسف ما افرزته مجتمعاتنا هو تنافس فوضوي لأحزاب دينية وسياسية، يمتد من أقصى اليمين الى أقصى اليسار. ليصبح طرحها السياسي والاقتصادي والاجتماعي مشروعاً وطنياً حزبياً . لتضيع الفرصة وتفوت الإجماع حول قرارات تستنهض الوطن والمواطنين. فبدل أن يكون بينهم قواسم مشتركة تستند الى عقد اجتماعي، يتولد تفرقة تعزز وتقود الى فرط العقد الاجتماعي. النتيجة، أن كل حزب منها يحاول ان يفرض نفسه حتى لو تطلب استخدام القوة والسلاح.

بناء الوطن، يحتاج الى تظافر الجهود ووضع برامج، ومشاريع قصيرة وطويلة الأمد متكاملة تقوم على تلبية حاجات الناس وإيفائها ومعالجة همومهم، فقرهم، أمورهم الأمنية، الصحية، التعليمية والاجتماعية الخ... لا تخضع لفروق دينية، او فكرية، او جنسية. بغياب وجود رؤيا أو برامج تنموية سياسية واقتصادية واجتماعية للقيام بهذه المهام يستحيل بناء دولة عادلة يستمتع فيها الناس بحقوقهم بحرية ويقدموا واجباتهم بحسب القانون، ليحل حكم قانون أقرب الى الاستبداد منه الى العدل.

الديمقراطية أسلم، وأحكم، وأفضل أنواع الحكم التي استنبطت حتى الآن لأنها تعكس التناقض الظاهري في الإنسان. في النظم الدينية الشمولية يستغل الإنسان من أجل مصلحته في الآخرة، في الرأسمالية يستغل الإنسان أخاه الإنسان، في الاشتراكية يستغل الإنسان لمصلحة الجماعة الخ... للخروج من أزمتنا لنباشر بإصلاح حالنا واوضاعنا العالمية والمحلية، علينا المبادرة والإسراع في بناء مجتمع علماني جوهره ديمقراطي ينادي بفصل الدين عن الدولة يحتضن كل مكونات المجتمع.

الخير والشر من منظور علماني

كم من خير كان هدفه شراً، وكم من شر ظهر بمظهر الخير.
ما لم نهذب الشر فينا، ونُغلب الخير ستنهار قيمنا الإنسانية.

في أعماق كل انسان، منذ فجر التاريخ، قوتان أبديتان تلازمانه طوال حياته، وتسيطران على أفكاره، وأعماله، وأقواله هما الخير والشر. لو تخيلنا عالما خاليا من الشر سيكون عالما مملا لا شعور ولا أحاسيس بشرية فيه، ولو كان خاليا من الخير سيكون عالما مملا أيضا لا شعور ولا احاسيس بشرية فيه. فمن لا يختبر الشر لا يعرف قيمة وأهمية الخير، ومن لا يختبر الخير لا يعرف دناءة الشر. لذلك يتأرجح الانسان في أعماقه بين الخير والشر. ما يُغلبه يصبح سيدا بلا منازع. إنْ غلب الشر تنعدم المحبة وتموت العدالة والحرية والسلام بين البشر.

وإنْ غلـب الخـير تتفتـح أزهـار المحبـة لتزهـر عدالـة وحريـة وسـلاما بـين البـشر.

سـؤالان أزليـان، يـترددان في كل العصـور والحضـارات الإنسـانية، كيـف دخـل الـشر الى العـالم؟ وكيـف دخـل الخـير الى العـالم؟ لا وجـود لإجابـة شـافية تفـسر هـذا الـسر الفلسـفي، الوجـودي، العميـق الـذي تـدور حولـه حيـاة ومسـتقبل الجنـس البـشري. لم نتلـقَ سـوى بعـض إجابـات، واجتهـادات وصلـت الينـا مـن خـلال الفلاسـفة، والأسـاطير، والصـور الرمزيـة في الكتـب الدينيـة، التـي ظهـرت منـذ فجـر بـدء الحيـاة عـلى الأرض لتنسـجم مـع تفكـير ومعرفـة أهـل زمـان ومـكان كل حقبـة تاريخيـة منهـا. اجتهـادات جـاءت مـن كل الشـعوب المنتـشرة في قـارات العـالم. كـما أنّ العلـم حتـى هـذه اللحظـة بتطـوره لم يقـدم لنـا تفسـيرا أو دليـلا علميـا عـلى كيفيـة وصولهـما الينـا. نسـتنتج إذن أنّ الحيـاة والكـون كلاهـما لا بـد وإنْ قامـا عـلى الاضـداد، الـشيء مقابـل نقيضـه، مثـال: الحيـاة يقابلهـا المـوت، السـعادة يقابلهـا الحـزن، المحبـة يقابلهـا الكراهيـة، الصحـة يقابلهـا المـرض، الليـل يقابلـه النهـار الـخ...

الخـير والـشر مفهومـان لا ماديـان، يتسـببان بالكثـير مـن المصائـب الماديـة والمعنويـة، ولقيمهـما آثـار نفسـية عميقـة عـلى الإنسـان وعـلى البشريـة. يلـد الإنسـان ومخزونـه الفكـري فـارغ - لا يحتـوي شـيئا -، عقلـه يحمـل غريـزة البقـاء، حتـى هـذه الغريـزة مـا لم تجـد مـن يرعاهـا لـدى البـشر كالأبويـن وبشـكل خـاص غريـزة الأمومـة – أعدهـا مصـدر أمـان لاسـتمرار الجنـس البـشري- فـلا قـوة للرضيـع كي يواجـه الحيـاة لضعفـه، خـلال فـترة نمـوه الجسـدي والعقـلي يتعلـم قيـماً ومفاهيـماً يطرحهـا مجتمعـه، ليحملهـا بوعيـه ويبنـي عليهـا قيـم الخـير والـشر مـن منظـوره الخـاص ان اسـتطاع الى ذلـك سـبيلا، نلمـس لاحقـا أثرهـما في تصرفـه وسـلوكه. للثقافـة أيضـا دور في تهذيـب هـذه المفاهيـم. فمـن يعـش في عـالم ضيـق في عالمـه الخـاص، دون إدراك وجـود حضـارات أخـرى واسـتيعاب دورهـا الإبداعـي، مـن العسـير أن ينسـجم وعيـه مـع كل مـا هـو انسـاني عالمـي، ولـن يتمكـن مـن إحـداث نقلـة حضاريـة. سـيكون الانحطـاط سـابقا لانهيـاره، والتطـرف والعنـف البربـري مقدمـة لسـلوكه الشريـر.

الأنظمـة الاسـتبدادية شر، تدمـير بيـوت العبـادة والسـينما والمسرح وقتل مـن فيها شر، تهريـب وزراعـة المخـدرات شر، صناعـة أسـلحة الدمار الشـامل والمتاجرة بهـا شر، تدمير الطبيعـة شر، تجويـع الشـعوب وترويعهـا شر، الفقر شر، التمييز العنـصري شر، التعصب الدينـي شر، منـع الحريـات شر الـخ... الخـير يعنـى المسـاواة والعدالـة، والحريـة. يعنـى الاهتـمام ومعالجـة قضايـا النسـاء والأطفـال والمحرومـين والفقـراء. الخـير يعنـي توزيـع عـادل لمـوارد الدولـة بـين المواطنـين. يعنـي عـدم احتقـار النـاس وتفضيلهـم لانتمائهـم الدينـي او السياسي او العرقـي الـخ.... يعنـي رفـع الظلـم عـن المقهوريـن. يعنـي قضـاءً عـادلاً. يعنـي تعليـماً جيـداً. الخـير يعنـي محاربـة العنصريـة. ومحاربـة كل مـا يميـز بين البـشر الـخ... فمـن لا يجـد هـذا الخـير في ذاتـه وفي مجتمعـه ويبقـى صامتـا بالتأكيـد يعـش في نفـاق وشر أبديـين. لـن يتحقـق الخـير في غيـاب اهتـمام، ورعايـة، ومحبـة الجنـس البـشري بعضهـم لبعـض، وللطبيعـة التـي عليهـا يقيمـون. مـا لم ندعـم كل فكـر إيجـابي انسـاني بنـاء، سـيكون الـشر سيد العـالم، وسـيفه مشرعـا يهلـك البشريـة.

مصالـح الـدول العظمـى وبشـكل خـاص المنتجـة للسـلاح، والراعيـة للتطـرف والإرهاب تـرى الخـير لهـا في تأجيـج الـصراع والحـرب بـين الشـعوب في العـالم مـن جـل زيـادة دخلهـا المـالي لخـير شـعوبها. اذن أولى واجبـات البشريـة هـو توسـيع مسـاحة الخـير وتضيـق مسـاحة الـشر بـين كل الـدول الغنيـة منهـا والفقـيرة، وزرع قيـم الخـير في الفـرد والمجتمـع مـن خـلال نظـام تربـوي تعليمـي سـليم، ونبـذ واقتـلاع كل المسببات المدمـرة التـي تدعـو وتسـاند التمييـز العنـصري بكافـة أشـكاله، ونتخلـص مـن فكـرة تفـوق أمـة عـلى أمـة، او شـعب عـلى شـعب، او عقيـدة عـلى عقيـدة بـين البـشر.

الخـير والـشر كلاهـما يدفـع الشـعور والأحاسـيس والأعـمال والأفعـال والأقـوال عنـد الانسـان صـوب هـدف معـين مـن أجـل غَلبـة الخـير في بعـض الأحيـان او الـشر أحيانـا أخـرى، تدفعنـا بقـوة دوافعنـا الإنسـانية المرتبطـة بالوجـود البـشري واسـتمرار الحيـاة عـلى الأرض. فالتربيـة هـي المسـؤولة الكـبرى عـن تفـوق أحدهـما عـلى الآخـر. السياسـة وبعـض العقائـد تبيـح اسـتخدام أحدهـما او كلاهـما مـن اجـل نصرتهـا. بذلـك تفـوق أحدهـما عـلى الاخـر. أيضـا عـدم البحـث عـن القيـم

في الذات والوعي الذي يشكل مبنى وجودنا بضمير صالح لا يمكننا من أنْ نخرج منتصرين على ذاتنا. لذلك يبقى الانسان متأرجحا ناصرا أحدهما على الآخر وفق معايير يحددها وعيه المجتمعي. إعادة تشكيل هذه القيم بين الناس ممكن في مجتمع علماني يتجه نحو العدالة والمساواة.

تجاربي في الحياة أكدت لي، بمجال لا يدعو للشك، إنّ كل الشر لا يحمله الأشرار فقط، وإن كل الخير لا يحمله الأخيار فقط. لقد وجدت عند من يدعي الفضيلة والإيمان من علمانيين ورجال دين شرور مثل الإساءة والكذب والسرقة الخ... يجملون النجاسة بالقداسة. وبنفس الوقت يدافعون عن مبادئهم متسترين بثوب الإيمان...لا ننسى أنّ لكل قاعدة شواذ، والشواذ لا يعمم. إذن المؤمن كالملحد يحمل في أعماقه الخير والشر. لذلك لا تربطوا الخير والشر بالإيمان او عدمه، مع أن الإيمان كأخلاق يعزز الخير ويقدسه.

كيف يمكن إيقاف الشر ومنعه؟ ... الانسان يحمل بداخله بذور الخير والشر. فلا تكون الغلبة الا للذي يتم تغذيته أكثر. تميل البشرية الى ترجيح الخير على الشر ولكن مصالحها التي هي جزء من وجودها يحتم عليها فعل الشر. لا يقاوم الشر بالشر... مقاومة الشر لا تأتي الا بتغير نمط التفكير لدى الإنسان، وعدم التلاعب بعواطفه وشعوره، وهذا أيضا لن يتم الا من خلال تربية سليمة منفتحة على كل الاختلافات في المجتمع الواحد. من العقل والقلب تخرج الأفعال الشريرة والخيرة، لتتظافر جهود الحكومات والمؤسسات الدينية والتربوية يشكل خاص، ولتضاعف العمل وترجح كفة الخير وتقلص كفة الشر الذي لا يمكن الغاؤه لأنه جزء من الطبيعة الإنسانية تتحكم فيها الأنانية لتحقيق منافع ذاتية حتى لو كان ذلك على حساب وسمعة وحياة الاخرين، ولكن يمكن الحد من آثاره وتقليلها إنْ كان سعينا صادقا لمحاربة الشر.

مهما استرسلنا في الكلام وتعمقنا في الفلسفة والايمان، فلا جدل ينفع ما لم نجعل الحديث عن الخير نبعا لحرية فكرنا الإنساني كي لا يتسلط الشر ويدمر إنسانيتنا

وحضاراتنـا البشريـة. فحريـة الفكـر ليسـت ثرثـرة عقليـة ذاتيـة، إنهـا نظـام قائـم علـى بنـاء معـرفي مسـبق. كل منـا يسـتطيع أنْ يعتـز بأفـكاره، فالإنسـان لا يحتـاج الى شـهادة جامعيـة كي يكـون مفكـرا، او تابعـا لمؤسسـة مـا... التفكـير مـع الجـرأة يمنحـان الإنسـان القـدرة علـى تغيـير مجـرى التاريـخ مـن الحـوادث الفظيعـة التـي يمكـن أنْ تحـل بشـعب في اللحظـة المناسـبة في الزمـن والمـكان المناسـبين. الهـروب مـن تحقيـق ذلـك يعطـل تقـدم البشريـة ويرخـى الـشر بظلالـه علـى البشريـة.

لا تقلقـوا، لا تخافـوا مـن التفكـير، ناضلـوا مـن أجـل أفكاركـم، لا ترهبـوا أحدا...هـذا الشـعور لا يتقبـل الخسـارة. الفكـر يعنـى الحيـاة والحيويـة وبنـاء جسـور الأمـان بـين البـشر علـى أسـاس الخـير العـام للجميـع. ابنـوا دول الحريـة والعدالـة، ابنـوا دولا علمانيـة، أبعـدوا عـن عقولكـم فكـرة إقامـة دولـة للـه علـى الأرض، هكـذا دولـة لـن يحكمهـا سـوى بـشر مثلنـا – وليـس اللـه سـبحانه وتعـالى- يحملـون التناقضـات التـي نحملهـا، فليـس بـين البـشر مـن يحمـل الخـير المطلـق. فاللـه – العقـل الكـوني- المحبـة لا يبحـث عـن حكـم بـل يبحـث عـن خـلاص الجنـس البـشري مـن الـشرور. الـدول الدينيـة تسـعى لأن تكـون دولاً يوتوبيـا - دول مثاليـه - دولاً مـن المسـتحيل اقامتهـا في عـالم مـليء بالمتناقضـات. اجتهـدوا في بنـاء الـدول العلمانيـة، فهـي أقـرب الى واقـع واسـتقرار المجتمعـات البشريـة. لا تسـتخدموا الديـن لأن قداسـته وجوهـره خـير ومحبـة وتسـامح بـين الإنسـان وأخيـه الإنسـان.

العلمانية حرية تقدم ومستقبل

تقدم الحس الوطني المتحرر من كل
القيود، على الحس الإيماني، نحافظ
على قدسية رسالة الدين ، وسمو
المواطنة.

الإنسـان مركـب مـن عـدة هويـات. لـكل منهـا دور في بنـاء شـخصيته، وأدائـه عـلى المسـتوى الإنسـاني. عـلى الكـرة الأرضيـة هـو فـرد في الأسرة البشريـة، ومواطـن في دولـة تقـع ضمـن قـارة جغرافيـة. يعيـش في دولـة تتعـدد فيهـا الهويـات، منهـا الدينيـة، الطائفيـة، القبليـة، الحزبيـة، الجندريـة، الثقافيـة، العائليـة ... الـخ، لتفـرزه، لتصنفـه، لتخضعـه بدورهـا لقوانينهـا ودسـتورها وأعرافهـا الاجتماعيـة. يعتمـد اسـتقرار المجتمـع، ونضجـه الفكـري الفنـي والثقـافي، وتقدمـه العلمـي، عـلى حجـم الحريـات الممنوحـة لمواطنيـه، وعـلى الأولويـة الممنوحـة للهويـة التـي يركـز عليهـا نظـام الحكـم. لذلـك نجـد التشـدد وغيـاب الحريـات في دول تضـع الأولويـة للهويـة الدينيـة، وهامـش أكـبر في تلـك التـي تركـز عـلى المواطنـة خاصـة في مجتمـع علـماني.

أنظمـة الحكـم في العـالم تقـع بـين الحاكميـة للـه والحاكميـة للبـشر. بـين نظـام ثيوقراطـي - يسـتمد شرعيتـه وسـلطته وقوانينـه مبـاشرة مـن الإلـه- ، ونظـام علـماني - قوانينـه ودسـتوره يضمنـان حياديـة دينيـة ويعامـل جميـع مواطنيـه بالمسـاواة بغـض النظـر عـن انتمائهـم الدينـي - .

حـروب، ونزاعـات، وصراعـات البـشر عـبر التاريـخ، بـدأت مـن الفـرد، مـرورا بالقبيلـة، وصـولا للدولـة، ليسـت كـما ينسـبها البعـض الى أمـور دينيـة. هـي ليسـت مـع، أو مـن، أو بسـبب وجـود، أو عـدم وجـود اللـه. مشـاكلهم لا تتعلـق بأسـباب إيمانيـة أو غـير إيمانيـة، إلا في حـال تجيرهـا لإخضاعهـا لمصالـح ولاحتياجـات منفعيـة ذاتيـة خاصـة على المسـتويين المحـلي والعالمـي. منـذ فجـر التاريـخ النزاعات قامـت لتوفير حاجات الانسـان للبقـاء، واسـتمرت حتـى بنـاء الـدول الحديثـة المعـاصرة. مـا الغـزوات والحـروب إلا للاسـتحواذ والسـيطرة عـلى خـيرات العـالم، مصـادر الطاقـة كالنفط أكبر مثـال على ذلك.

في العـالم العـربي، الحكـم يصنـف ضمـن أحـد الأنظمـة الآتيـة: أولاً- ثيوقراطـي. ثانيـاً- ملـكي: حكـم شـخص واحـد يسـتمر حتـى الممات ثـم يـورث غالبـا للأبنـاء الذكـور. ثالثـاً- جمهـوري: يتـم اختيـار الحاكـم مـن قبـل الشـعب، أو مـن قبـل البرلمـان المنتخـب. رابعـاً - ديكتاتـوري: حكـم شـخص واحـد، يملـك

كل السلطات في يده بشكل مطلق دون التقيد بالدستور او القانون الداخلي للدولة. خامساً – ديموقراطي (حكم الشعب): الحاكم يستمد فيه صلاحياته من قبل الشعب، حيث يكون فيه الشعب شريك فعلي في إدارة شؤونها .

في العالم العربي الرئيس يعد زعيم وخليفة، يستمد قوته من الهرمية السياسية ومن رجال الدين. معظمها ان لم يكن جميعها، تتميز عن غيرها من الدول هو وجود بند في الدستور يحدد دين الدولة (إسلامية)، والشرع الإسلامي أحد مصادر قوانينها. بذلك تصبح الدولة شخصية اعتبارية (أي دولة اسلامية)، كل الدول العربية حافظة على أسمائها القديمة تاريخيا دون اتباعها بكلمة اسلامية على المستوى العالمي، لكنها مدركة محليا. بذلك يكون لله دور بارز في الحاكمية، لهذا ضبابية تغطي نظام الحكم، حيث أنك لا تمييزه إنْ كان خضوعك لنظام ديمقراطي أو ديني؟ كما ويسهل على الحاكم التلاعب بالقانون حسب ضرورة الموقف. لهذا بإمكاننا القول إنّ التيارات (الأحزاب) الدينية أكثر وضوحا لأنها تحدد فلسفة نظام حكمها، لكن يحسب عليها فقرها الى وضع صيغ لطروحات معاصرة، كونها أدرى بشؤون دينها ، من دنياها.

كمحصلة لما سبق نستنتج أنّ الهوية الدينية هي الغالبة بالرغم من عدم وجود خانة للديانة على الهوية. الهوية الدينية تقسم الناس الى طوائف متعددة حتى دون الإشارة للطائفة، الطوائف الإسلامية بسبب أغلبيتها العددية في أوطانها، تتزاحم، وتتصارع، وتتقاتل من أجل السيطرة على الحكم، مثال سنة وشيعة، دون الخروج بإنهاء الأزمة التي مر عليها قرون كثيرة. هذا يذكرنا بالحروب الدينية التي مرت فيها أوروبا، التي استمرت بصورة متعاقبة لمدة مئة وواحد وثلاثين سنة بين عامي (١٥١٧ – ١٦٤٨)، يتضارب تقدير عدد ضحاياها بين ٣ مليون الى ١١,٥ مليون إنسان. قامت هذه الحروب بسبب الطغيان الكنسي، والصراع بين الكنيسة والعلم، ظهر مفكرون - سبينوزا، جون لوك...الخ – يطالبون بالحد من دور الكنيسة، وفصل الدين عن الدولة - الكاتب الإنجليزي جورج هولويك أول من اطلق مصطلح " العلمانية" عام ١٨٥١. العالم العربي مليء بالمفكرين المبدعين

الذيـن يدفعـون نحـو المعـاصرة، لكـن وجـود طغـمات تؤخـر وترفـض أفكارهـم، لتمنـع كل تغـير لا يتوافـق مـع مصالحهـا، وأيضـا وجـود عامـل سـلبي آخـر يتمثـل في ضخامـة حجـم الأميـة الثقافيـة ، التـي تلعـب في تكوينـه السـلطات الحاكمـة عـن طريـق وضـع اشـتراطات وقوانـين حظـر – جنايـات - عـلى الكتـب ومنعهـا من التـداول بـين مثقفيها .

يعيـش الانسـان مهـما كان انتـماؤه الدينـي في دولـة نظامهـا دينـي أو علـماني عـن طيـب خاطـر. لكـن العيـش في أنظمـة تقـع بـين هذيـن النظامـين فيـه نـوع مـن الخطـورة عـلى الأحـزاب السياسـية والأقليـات الدينيـة والعرقيـة خاصـة عندمـا يحـدد ديـن للدولـة، وبـأن عـلى الأقليـة احـترام قـرار الاغلبيـة، أو تقييـد الحريـات الخ....هـذه المخاطـر هـي مـن سـاهم في دفـع المواطنـين للهجـرة.

في عالمنـا العـربي، الانتخابـات تجـري بصـورة ديمقراطيـة، لكنهـا لا تفـرز حكومـة ديمقراطيـة، بـل حكومـة أقـرب الى الدكتاتوريـة. – ننتخـب ديمقراطيـا عـبر صناديـق الاقـتراع لنجـيء بحكومـة دكتاتوريـة يكـون فيهـا الحاكـم رئيـس دولـة وخليفـة. للخـروج مـن هـذا المـأزق، ولأجـل الأجيـال القادمـة علينـا نْ نتوجـه نحـو بنـاء مجتمـع علـماني، في الحكـم العلـماني لا يلغـى الديـن ولكـن الفكـر الدينـي لا يدخـل بشراكـة سياسـية، بـل أعمـق مـن ذلـك بشراكـة اجتماعيـة قويـة، ليولـد بذلـك تنـوع ثقـافي. بالرغـم مـن هـذه الحريـة فـإن اللاوعـي لـدى المكونـات الاجتماعيـة المهاجـرة مـن العـالم العـربي مـا زال يرفـض ذلـك. لهـذا نشـاهد سـلوك اتبـاع كل ديـن يختلـف عـن الآخـر لان الثقافـة التـي تلقاهـا الانسـان مـن صغـره تلعـب دورا رئيسـياً مـما يسـبب لـه إشـكاليات في الاندمـاج مـع المجتمعـات الجديـدة بالرغـم أن مجتمعـه السـابق أكـثر انغلاقـا – صراع داخـلي يتولـد لديـه بالرغـم مـن اختيـاره في البحـث عـن حيـاة أفضـل... فهـل سيتمكن مـن التنـازل عـما تعلـم بالرغـم أنـه يرفـض مجتمعـه السـابق؟

الشـعوب التـي تعتمـد عـلى تحـرك الآلهـة للتغـير أكـثر مـن تحركهـا ذاتيـا مـع التـوكل عـلى اللـه لإحـداث التغيـير تعيسـة، لأنهـا لا تـدرك قيمـة العقـل الـذي وهبـه اللـه – سـبحانه وتعـالى - للإنسـان ليسـتخدمه بشـكل

إنســاني مطلــق ويســخره للإبــداع والازدهــار والتطــور عــلى المســتوى الكــوني.

طالمـا لا يتقـدم الحـس الوطنـي، عـلى الحـس الدينـي والحـزبي، سـيبقى التغـير يعشـعش في مسـتقبل النسـيان. لذلـك كل ثـورات، وحـركات التحـرر نتائجهـا تكـون فاشـلة، مدمـرة لا قيمـة لهـا في أوطـان لا تبحـث عـن وجـود حـر لأبنائهـا.

٥- الانسانية
الانسانية منطق وعقل

الانسانية، لست ديناً ولكنها مرآة لجوهر الدين ومن يستبدلها بدين فقد أخطأ، ومن فصلها عن الدين فقد ضلَّ، ومن لغى علاقتها بالدين فقد زل. ليست قانونا ولكنها شريعة عالمية، ليست قيمة ولكنها مجموعة من القيم. انها الانسان بمجمل تفاعلاته الإنسانية الموجهة لخير البشرية جمعاء، والإنسانية تعنى أن أحافظ على الآخر مهما كانت عقيدته أو فكره او رؤيته في الحياة او لونه او جنسه او عرقه، واحترامه واحترام حقه في البقاء والحياة مهما كانت غايتي التي اسعى للوصول اليها، من تجرد منها تجرد من صفته كإنسان .لا أدعو الى مبدأ الانسانيين، الذين ينظر اليهم بلا دين. ولكنّي أناصر أسلوبهم في استخدام العقل والمنطق. ومن حق كل إنسان أنْ يتبع مذهبهم إنْ رأى فيه سبيلا او تعبيرا لخواطره او متنفسا لشعوره. انطلاقا من تحمل المرء لمسؤوليته التي هي وجه من وجوه حرية المرء في الاختيار.

ما نعاصره من ويلات مروعة في عالمنا العربي اليوم يستحق أنْ نتوقف عنده لحظات، ونلتف حول ظاهرة الهبوط الإنساني وانحداره المروع الذي يستحق منّا الكثير من التفكير والعمل من أجل تصحيح المسار. واجب كل عربي وبشكل خاص المثقفون العرب التكاتف لمنع الانزلاق نحو المجهول .

هناك أكثر من سبع وعشرين عقيدة والعشرات من المذاهب والايديولوجيات في العالم ومعظمها -إنْ ليس جميعها- تتسم بصفات حضارية وإنسانية بين جوانبها، وتدعو الى التحلي بمفاهيم الحرية والعدالة والمساواة والمحبة والتسامح...وتؤكد على المعاملة الحسنة نحو الآخر. المجتمعات الشّرقية ينظر اليها كمجتمعات متدينة ولا يمكننا تصديق او إنكار ذلك لان لا أحد يجرؤ أو تجرأ على القيام بأبحاث او دراسات علمية تثبت هذا الأمر او عدمه، ومع ذلك فهي لا تخلو من هذا التنوع، وان كان البعض يخاف من التعبير عما يدور بأفكار في عقله .

في داخـل كل منّـا طبيعتـان هـما الخـير والـشر، وأيّهـما نغديـه أكـثر ينمـو ويكـبر ويقـوى عـلى حسـاب الآخـر الـذي ينتهـي بضعفـه. قـوة الخـير فينـا دافـع حيـوي لسـمو المجتمـع بمبـادئ تعـزز الانتـماء المجتمعـي بـكل أطيافـه وتعدديتـه الفكريـة. قـوة الـشر فينـا تنـذر بمأسـاة الانسـانية في حـصر اهتمامهـا في دفـع الطاقـة السـلبية المحتجـزة داخـل وعـاء الـشر في أعـماق قلوبنـا، وإطلاقهـا لنـصرة دوافـع ذاتيـة نحـو الكراهيـة والقتـل وعـدم قبـول الآخـر.

المـاضي ثابـت لا يمكـن تغـيره، أو محيـه، أو طمسـه. مسـتحيل أن يكـون الحـاضر جامـدا، ويحتـم علينـا أن نعيـش في المـاضي بـكل مقاييسـه وأبعـاده الفكريـة والحضاريـة. الحـاضر يمكـن تطويعـه حسـب متطلبـات مجتمعاتنـا المعـاصرة وبمواصفـات عالميـة تلبـي متطلبـات الانفتـاح العـصري والتكنولوجـي الـذي لا يمكـن الهـروب منهـا. مـا يمكـن فعلـه هـو تغـير موقفنـا تجـاه المـاضي بمـا يتـلاءم مـع روح العـصر العالمـي بالتخلـص مـن الغطرسـة التـي تتملكنـا بأننـا الأفضـل في حقيقـة الآمـر تمثـل هـذه الصفـة هذيـان، ووهـم تلقينـاه مـع أول جرعـة حليـب مـن ثـدي امهاتنـا.

نبحـث عـن الصفـة الإنسـانية في داخـل الإنسـان ونتسـاءل لمـا القتـل عـلى خلفيـة عقائديـة او ايديولوجيـة؟ لمـا انتهـاك حرمـات الكنائـس والمسـاجد ودور العبـادة وتفجيرهـا وقتـل المصلـين فيهـا في لحظـة خشـوع وورع وتقـرب مـن الـذات الالهيـة؟... هـل هـذه المجـازر لهـا علاقـة بالمقـدس؟ هـل هـو أمـر الهـي؟ لـن نجـد أجوبـة سـوى مـبررات ومـبررات لأنـاس نصّبـوا انفسـهم لسـان اللـه عـلى الأرض. في عالمنـا العـربي أصبحـت الحاجـة ملحـة لطـرح هـذه التسـاؤلات عـلى طاولـة النقـاش للخـروج بإجـماع يكـون مرشـدا ودليـلا للأجيـال القادمـة. المهمـة ملقـاة أولا عـلى رجـال الديـن، وثانيـا الشـعب ليخـرج الجميـع مـن خوفـه وصمتـه، فالسـاكت عـن الحـق شـيطان أخـرس.

بنـاء السـلام، تنميـة الديمقراطيـة لدعـم حقـوق الانسـان والحريـات، وتقديـم المسـاعدات زمـن الحـروب والكـوارث، وإغاثـة النـاس في النوائـب والأمـراض تلـك مهـمات إنسـانية عـلى المسـتوى المحـلي والعالمـي حيـث للعـرب نصيـب، وهـم شركاء فيهـا. الترّهيـب،

ورؤيـة الألم والاشـلاء، ورائحـة المـوت المنتـشرة، أضحـت صفـات ملاصقـة لـكل مـن هـو عـربي. العـالم لم ينصفنـا بهـذه النعـت ولكـن علاجـه بـين أيدينـا، وهـو اسـتعمال آليـاتي المنطـق والعقـل الإنسـاني، وتطبيقهـما في حياتنـا اليوميـة وبذلـك ننصـف أنفسـنا، ونغلّـب انسـانيتنا.

التمييز العنصري يحط من إنسانيتنا

لا يمكن للماضي والحاضر أنْ يلتقيا زمنيا،
لكنهما يلتقيان في عقلية كل من يستنسخ
الماضي ويجبر الناس على الإيمان بما لا
يعتقدون، أو ممارسة سلوك ما لا يريدون.
فرض الاعتقاد وفرض السلوك عنصرية.

تعـرّف الاتفاقيـة الدوليـة للقضـاء عـلى جميـع أشـكال العنصريـة، التـي بـدأ تنفيذهـا في ٤ /كانـون الثـاني/ ١٩٦٩ " التمييـز العنـصري": بأنـه أي تمييـز، أو اسـتثناء، أو تعبـير، أو تفضيـل، يقـوم عـلى أسـاس، العـرق، أو اللـون، أو النسـب، أو الأصـل القومـي، أو الاثنـي ويسـتهدف أو يسـتتبع تعطيـل، أو عرقلـة الاعـتراف بحقـوق الإنسـان والحريات الأساسـية، أو التمتـع بهـا، أو ممارسـتها، عـلى قـدم المسـاواة في الميـدان السـياسي، أو الاقتصـادي، أو الاجتماعـي، أو الثقـافي، أو في أي ميـدان آخـر من ميادين الحيـاة العامة.

لـو توقفنـا لبرهـة وجيـزة، وتأملنا حجـم تطبيق هـذه الاتفاقيـة بين شـعوب دول العالم، لتبـين لنـا أنّ حجـم تطبيقهـا يعتمد على حجم الحريات الممنوحـة في كل من تلك الدول، ونظـام الحكـم فيهـا. تتفـاوت تسـهيلاتها مـن دولـة لأخـرى، مـا بـين تقديسـها للحريات أو قمعهـا. بنـاء عـلى هـذا القيـاس يكـون اسـتحقاق تطبيقهـا في دول العـالم الثالـث - دول الـشرق منهـا - مفزعـا مرعبـا، فنخـرج بنتيجـة حزينـة، أن العنصريـة قـد تمكنـت

منا، وإن كانت بدرجات قليلة نلاحظها ونعيها، فإننا نتدثر بالرياء لنخفيها، عدم القدرة على ضبطها ومعالجتها أدى الى استفحالها في بعض المناطق، فخرج المجتمع عن تماسكه ووحدته، وصعد الصراع ضد كل من هو آخر يختلف عني ومعي.

هذه القضية باتت تمس كل المجتمعات البشرية، يختلف حجمها باختلاف تركيبته الاجتماعية وتراثه وثقافته وعاداته ودينه ونزعاته القومية. العنصرية حول العالم باتت في تصاعد ملحوظ، الدول الغربية التي فتحت أبوابها للهجرة سعيا الى بناء اقتصاد قوي، ومجتمع متعدد الثقافات، وللفارين من جحيم الصراع في إفريقيا وآسيا بشكل خاص تواجه الإرهاب العنصري الممارس من قبل فئات قليلة، بعنصرية الخوف ليؤدي الى شحن بعض المتطرفين – إمكانية وصولها لأحزاب أيضا واردة - في الغرب ودفعهم الى ارتكاب مجازر ضد الأقليات التي هاجرت اليها، ليس بدافع رفضهم لوجودهم لكن بسبب عدم قدرتهم على الاندماج الثقافي في المجتمعات التي وفدوا اليها. بالتالي، أصحاب قصر النظر السياسي والاجتماعي والديني – في آسيا وإفريقيا - سيوجهون انتقامهم من الأقليات المسيحية في بلادهم على أساس أنهم امتداد ورأس حربة للغرب المسيحي الصليبي. كما أن الشيعة والسنة سيطالهم الانتقام بسبب قربهم الديني من إيران، او من السعودية وغيرها، كذلك الأقليات الأخرى. القصد لمن يدقق في الأمور هو تحويل الصراع من صراع مصالح الى صراع ديني. فيصبح كل من هو آخر معرض للإبادة والاستئصال من جذوره التاريخية في موطنه الأصلي بلد الآباء والأجداد. المستقبل قاتم للجميع، تصاعد حدة العنصرية سيخلف ويلات ومآسي وكروباً ودماراً. جميعنا نعيش خطره ونلمسه اليوم في شرقنا الحبيب. من صعّد وتيرة العنصرية هو من قسمّ العالم العربي، هو الغرب العلماني، وليس من يشارك في المواطنة.

التعصب سلاح يوجّه بالفتنة والإثارة لتحقيق أهداف جماعة ما تستحوذ عليها أيديولوجية وعقيدة بأنها متفوقة على كل من يختلف عنها من البشر. هذا التفوق يلغي التوجه السلمي لدى أتباعها مما يولد عندها دوافع الشرور

والقتـل والدمـار. منـذ ن تكونـت الحيـاة عـلى كوكـب الأرض لم يسـتطع الإنسـان تهذيـب سـلوكه، ولم يتعلـم مـن دروس التاريـخ ولم يخـرج بعـبرة عـن الآثـار المدمـرة للمجموعـات والأعـراق حـول العـالم. لذلـك مـا زال مسـتمرا في اندفاعـه نحـو التعصـب الأعمـى دون تمحيـص او بحـث يمكـن أن يقـوده أو يردعـه عـن إلغـاء كل مـا هـو آخـر. لذلـك أنعـش بعضنـا إعـادة التاريـخ الدمـوي.

العنصريـة تشـعل فتيـل فتنـة قاتلـة، مرعبـة، مدمـرة بـين النـاس، الداعيـة لهـا لا يعـرف كيـف ومتـى سـتنتهي. للتوضيـح نحتـاج الى تعريـف معنـى الفتنـة بـين النـاس، يعرفهـا قامـوس المعـاني: " هـو مَـا يَقَـعُ بَيْنَهُـمْ مِـن اخْتِـلاَفٍ فِي الـرَّأْيِ يَجْعَلُهُـمْ يَتَطَاحَنُـونَ وَيَتَقَاتَلُـونَ ". هـذا التعريـف لا يبقـى مجـالاً للشـك، ولا أي غمـوض، ولا أي التبـاس او إبهـام للمقاربـة بـين العلاقتـين -الفتنـة والعنصريـة - لأن أحدهـما لا بـد أن تسـبق الأخـرى بالفكـر ومـن ثـم بالعمـل. لذلـك نبهنـا النبـي محمـد (ص) بحديـث شرف يقـول: "الفتنـة نائمـة لعـن اللـه مـن أيقظهـا".

نتيجـة فشـل حـركات الاحتجـاج السـلمي في معظـم دول العـالم العـربي التـي انطلقـت في أواخـر عـام ٢٠١٠ ومطلـع ٢٠١١، تحـول الاحتجـاج الى صراع، واقتتـال داخـلي، ليتعـداه الى احتـكاك عالمـي فيـه تـكاد الـدول العظمـي أن تتصـارع بعضهـا مـع بعـض مـن أجـل مطامعهـا، ونفوذهـا في المنطقـة العربيـة. المجتمـع العـربي ابتـلى بكراهيـة عميـاء يؤجـج بأجنـدات مـن الداخـل والخـارج لتتحـول الى عنصريـة مقيتـة. مـا طفـى عـلى السـطح مـن عنصريـة في صـور شـتى مـا كان ليظهـر ايضـا لـولا وجـود احقـاد دفينـة لـدى البعـض في الـشرق فقسـم الوطـن دينيـا، وطائفيـا، وعشـائريا، وقبليـا، وحزبيـا، والى طبقـات، واثنيـات، وعائـلات، وجنادريـة الـخ... بذلـك قسـم الوطـن ليصبـح الآخـر المختلـف عنـي هدفـا لتصفيتـه. فظهـرت موجـات النازحـين، واللاجئـين الهاربـين مـن المـوت او المدفوعـين قهـرا بالملايـين فتشـتت العائـلات وأبيحـت الأعـراض ودمـرت بيـوت العبـادة المسـيحية والإسـلامية مـن سـنّة وشـيعة وأزيديـة، كـما دمـرت الآثـار رمـز حضـارة الوطـن ومجـده.

لبنـاء مجتمـع سـليم متماسـك خـالٍ مـن العنصريـة يتطلـب تظافـر جهـود الدولـة والشـعب. مـن واجـب الدولـة العمـل عـلى تغيـير الخطـاب والكلـمات والألفـاظ والمصطلحـات والمفاهيـم التـي لهـا دلالة على العنصريـة. من واجب الشـعب أنْ يطالب حكومتـه بتحقيـق العدالـة بـدون تمييـز، والانسـجام بـدون نـزاع، وقبـول الآخـر بـدون الغـاء، والحريـات بـدون ظلـم، والجنادريـة بـدون تفريـق، والإيمـان بـدون اسـتخفاف، والمسـاواة بـدون تحيـز، والعمـل بـدون خـداع، والتوافـق بـدون خبـث، والتنـوع الثقافي في جـو مـن التسـامح المتبـادل. والبعـد عـن كل مـا يضـع العائليـة والقبليـة، والجنـس الـخ.. قبـل الكفـاءات الفرديـة، والابتعـاد عـن تكـرار مقولـة الواحـد مـن أجـل الجميع، بـل القـول الجميـع مـن أجـل الفـرد، إنّ بنـاء شـخصيه الفـرد المسـتقلة حتـما سـتوجّه اهتمامـه نحـو مصلحـة الجميـع ومـا عـداه يصبـح المواطـن ظـلاً لرجـال يحكمونـه.

عندمـا يكـون رد فعلنـا تجـاه موقـف عنـصري بعنصريـة معنـى ذلـك أننـا لم نسـتفد مـن تربيـة الانفتـاح. كـما أن الإذعـان لمثـيري العنصريـة يعنـي الاستسـلام لهـم في النهايـة، المطلـوب مـن الدولـة والأحـزاب ورجـال الديـن والمواطنـين الـخ... دراسـة الموقـف دراسـة علميـة تسـتوفي كل الـشروط المطلوبـة لتحديـد السـبب والمسـببات لهـذه الأفعـال وتصويبهـا. كـما أنْ اختـلاط القيـم بالفسـاد العنـصري يـؤدي الى تداعـى المجتمـع، وتبديـد كفاءاتـه. القيمـة الأكـبر في مجتمعنـا الـذي لم تتبلـور بعـد صـورة نظـام الحكـم فيـه منـذ عقـود عـدة هـي المحافظـة عـلى الوحـدة وصـون كل مـا هـو آخـر، والدعـوة الى الترابـط بـين كل مكونـات المجتمـع، والمحافظـة عـلى الاختلافـات الموجـودة فيـه. الشـعور بالانتـماء لوطـن يمنحنـا جميعـا الأمـن والسـلام. بمجـرد النظـر الى جماعـة أنهـا تختلـف عـن الآخريـن سـيتولد لديهـا شـعور بأنهـا مسـتهدفة وغـير مرغـوب فيهـا وينتابهـا القلـق.

مواجهـة العنصريـة لا تكـون الا مـن خـلال إعـادة رؤيتنـا لـكل مـا تلقنـاه مـن معـارف تشـكل فيهـا عقولنـا مفهـوم الفوقيـة لدينـا وكل مـن يختلـف عنـا فهـو بمنزلـة دونيـة. علينـا ان نعيـد دراسـتنا بشـكل علمـي مفهـوم الذاتيـة المتفوقـة المنحـصر في موروثاتنـا الفكريـة والعقائديـة والتاريخيـة. فـكل مـن الأديـان السـماوية وغيرهـا مـن الأديـان

أيضا ساوى بين أتباعها فقط ولم يساوي بين الآخرين باتباعها. الجهل المطبق لكل من يختلف عنا، أدّى الى سوء التربية والثقافة التي تربينا عليها وهو عدم تقبل الآخر. ما لم تردم هذه الفجوة ستستمر البشرية في المعاناة من العنصرية.

البشر جميعا ينحدرون من ارومة واحدة، العنصرية بينهم تقوم على مبدأ تفوق متشدد لمجموعة ما، ضدّ كل من يختلف عنها. هي ليست ترجمة جينية تنتقل من الآباء الى الأبناء، ولا تنمو بين أحضان الجهل والتمييز فقط، إنما منبتها الرئيس تربية وثقافة المجتمع القائم على الأحقاد والكراهية. في الشرق، دون إعادة تقييم مناهجنا الدراسية ومكانة ثقافتنا الحالية ضمن الثقافة العالمية المعاصرة، وما لم نتمكن من ايجاد ثقافة يرى فيها المسلم المسيحي من خلال الإنجيل المقدس، والمسيحي يرى فيها المسلم من خلال القران الكريم - (ألف الأب الدكتور بيتر دو برول اليسوعي، أستاذ مساعد في جامعة بيت لحم في الدراسات الثقافية، والدينية، والفلسفية كتاب بعنوان "بوصلة جديدة لقراءة القرآن الكريم". صدر في حزيران ٢٠١٤، يحفز فيه الفرد المسيحي الى التعرف على القرآن وواقع الإسلام وواقعه المشرق. أتمنى من أعماق قلبي ان يخطوا إخوتي المسلمين وإصدار كتاب يعرف فيه القراء المسلمين على المسيحية من خلال الكتاب المقدس) -، وما لم نعيد تدريس مادة الفلسفة، ونعتني بالثقافة، فكل مساعينا للتغيير ستبوء بالفشل.

التمييز العنصري من أشد مظاهر الانحطاط الإنساني. بدلا من تبدد طاقتنا بالدفع نحو العنصرية لنوجه طاقتنا لبناء مجتمع سليم متعدد الثقافات والحريات، ينعم فيه مواطنوه رجالا ونساء بالرفاهية والعدل والمساواة والكرامة، ونستبدل عنصرية التفوق بعنصرية البناء السلمي الإنساني العادل الشامل.

الاديان بإنسانيتها

تنافس الأديان، وصراعها لإثبات سمو، وعظم، وصدق

رسالتها وروحانيتها، وعالميتها، ليسجل أتباعها انتصارا على خليقة الله، في حقيقته ما هو إلا تسوية حسابات ومصالح بشرية.

ككل إنسان لديه أسئلة وشكوك، أُجالس نفسي أُحيانا، أتساءل لماذا ورثت عقيدتي عن جدي الأكبر منذ قرون عديدة مضت؟ هل جدي، دخل الدين عن قناعة، ومعرفة، وعمق، وتفكير؟ أم دخله عنوة، وإكراه، وإجبار؟. نبش الماضي يقنع الباحث، وقد يكون عند البعض شبه صعب، أو غير مجدٍ أحيانا كونه أصبح واقعا، بالرغم أنّ نتائجه تفسر أسباب الانتقال الديني والجغرافي وفوضاهما عبر التاريخ. التاريخ الديني مليء بالجرائم، بالأحداث اللاإنسانية، وتفريغه منها شبه مستحيل.

الغوص في لاهوت الدين وفقهه يحتاج إلى وقت وجهد، وقبوله كمسلمات غير خاضعة للنقد والشك ليس اسلوبا علميا، لذلك بات من المحظورات المقدسة التي لا ترضي رجال الدين، ممنوع البحث فيها. الجمود الفكري، وعدم الانفتاح، وسطحية المعرفة بين دين وآخر أسباب رئيسة مباشرة تدفعنا لعنصرية تتراوح بين مخفية وظاهرة للعيان، يسهل بها أنْ تهيء المجتمع للتصعيد نحو الإرهاب. لتجنب ذلك من واجبنا دفع الأديان نحو إبراز العنصر الإنساني فيها لكل البشر، وليس لاتباعها فقط، مع احترام خصوصية كل دين.

الاحداث الشنيعة، البشعة التي يمر بها عالم اليوم دفعت الإنسان ليتوجه فيها لخالق الكون مترجياً متضرعاً بإيمان حار ليخلص البشرية من مآسيها – فقر، مرض، حروب، اضطهاد، عنف، تشرد الخ...- لم تسجل أي استجابة لكل هذه الطلبات والتوسلات لرفع المظالم عنها، بالعكس، حدتها ودمويتها ازدادت. مما دفع البعض الى التساؤل أين الله؟ لماذا لا يستجيب لأدعيتنا؟ لن أتهكم في الإجابة وأقول: بسبب بعدنا عن الدين، ولن استخدم مفردات تشعر الإنسان بالنقص، ولن أحمل وزر ما يحدث لأي كان، ولن ادع احدا يشعر بالندم، والعار،

والانتقاص، بكل بساطة الله لا يعمل بأسلوب "العرض والطلب"، ويحابي طرف على حساب طرف آخر. في كل الأديان الخالق وهبنا العقل "جوهرة الوجود والكمال البشري" لنستعمله بمنطق وعقلانية روحية في خدمة البشرية كلها دون مفاضلة بينها. فإنْ خرجنا عن هذه الرسالة خرجنا عن تعاليمه، يريدنا أن نصلي بقلب وعقل منفتحين.

معظم الأديان تفرض، وتزعم أنها وحدها تملك الحقيقة المطلقة، وتعاليمها كاملة مميزة بلا منازع، ولها الحق في السيطرة والاستحواذ على أتباعها، وغيرهم من الشعوب وعلى نمط تفكيرهم وحياتهم الاجتماعية والسياسية. أشك في أن أولئك المتدينون منذ لحظة دخولهم المدرسة، وخلال مسيرتهم التعليمية التربوية قد قرأوا كتابهم المقدس بتمعن وفهم، كما وأشك انهم قد استوعبوه. البشر يقومون بأعمال ظاهرة للعيان كالطقوس، وبعض الواجبات التي تفرضها الشريعة، فهذه ليست مرآة الإنسان، مرآته الحقيقية هي أعماله التي تفضح دوافعه النفسية والسلوكية.

الحوارات، والخطب التي تدور حول الأديان، جذورها، رسالتها، تعاليمها، طقوسها، رموزها، الخ... عبر مراكز التواصل الاجتماعي، وعبر وسائل الاعلام المختلفة على شكل لقاءات، وفيديوهات، وأفلام غالبا ما تأخذ طابعا محرضا، لتستفز، وتصعد حملات عدائية ضد كل من هو آخر لا يحمل فكرها وعقيدتها. هذه المواقف لا ولن تخدم مصلحة الجنس البشري في بناء مستقبل عالمي آمن. عوضا عن وضع النصوص الدينية لمن يحمل كتابا مقدسا يختلف عن نصوص كتابك تحت المجهر، ضع كلام الله الوارد في كتابك تحت المجهر أولا، ودقق كي ترى إنسانيتك فيه.

إشهار العداء الديني مخالف لتعاليم وارادة العقل الكوني - الله- في خلقه للإنسان كائن عاقلٌ حرٌّ... اذن، لماذا بين الحين والآخر في بعض زوايا الأرض تطلق حملات عداء؟ ... لتخدم من؟ لست أدري...وقد أدري حين اربط ما يحصل بضيق أفق،

وعـدم فهـم قصـد اللـه لخليقتـه التـي وهبهـا لـلأرض لتجـد حلـولاً بيئيـة وزراعيـة مـن خـلال العلـم، وإجابـات تـدور حـول طبيعـة الكـون والانطـلاق لاكتشـافه، والتنقـل مـن مـكان الى آخـر بـين المجـرات. عجـز بعـض الفئـات عـن فهـم القصـد الالهـي لتحقيـق ارادتـه يدفعهـم للفـوضى، للاقتتـال لأن وجودهـا المعـاصر بـات خـارج الفضـاء الحضـاري.

بعـض الاديـان، تضيـع العلاقـة بـين الإنسـان واللـه، والإنسـان والإنسـان أيضـا، حـين تركـز عـلى تفسـير الظواهـر العلميـة بطريقـة دينية...للعلـم أسـاليبه كـما للديـن أسـاليبه، ليحـدد كل منهـا منهجـه، كي لا نصـل الى مرحلـة فيهـا تتداخـل المفاهيـم والعلاقـات بـين العلـم وبـين اللـه، نصـل فيهـا الى مرحلـة لا نـدري هـل اللـه يبحـث عنـا؟ أم أننـا نبحـث عـن اللـه؟. لا تربطـوا وجـود اللـه بخرافـات يرفضهـا العلـم. دعـوا العلـم لأهلـه، وخـدوا الديـن مـن أهلـه، ومـن كان عالمـا بأحدهـما ليجتهـد كي لا يقـع فريسـة للآخـر، العلـم كـما الديـن يوصلاننـا الى معرفـة منظـم الكـون.

فهـم رسـالة العقـل الكـوني - اللـه - للإنسـان عـبر التاريـخ - مـن بـدء الخليقـة لهـذه اللحظـة - مهـم جـدا كونـه مرافـق مـلازم لتطـور اللغـة والعلـوم والمعـارف عـبر كل عـصر، وفـترة، ومرحلـة تاريخيـة. لذلـك يتبـدل الفهـم البـشري للطقـوس، ولعـدد الآلهـة الـخ...في الماضي الأضحيـة البشريـة وغيرهـا مـن طقـوس غريبـة لا يقبلهـا عقـل او منطـق كانـت تقـدم لاسـترضاء الالهـة. تبدلـت الأديـان عـلى مـر العصـور مـن بدائيتهـا ودخـل فيهـا عـالم الأسـاطير، والخيـال القادمـان مـن بيئـة الإنسـان الطبيعيـة الى أن وصلتنـا في شـكلها النهـائي الحـالي المعـاصر ليدخـل الديـن فيهـا مرحلـة الحداثـة. شـكلها النهـائي الحـالي ايضـا سـيخضع للمتغـيرات دون فقـدان الروحانيـات ليسـتمر مـع مسـيرة التاريـخ دون جمـود الى انقضـاء الدهـر، الـذي يحـاول البعـض فلسـفة الامـور لاهوتيـا ويدعـى امتلاكـه الى ميقاتهـا، وعلاماتهـا، الـذي لا يعرفـه سـوى اللـه الابـدي الوجود.

حـين تلتقـي المصلحـة مـع الحاجـة، ويلتقـى اصحـاب المشـاريع الهدامـة مـع البؤسـاء، يتمكـن الإرهـاب ويفقـس تحـت ركام الأفـكار المغلوطـة، وينتعـش الفكـر العنـصري.

الإرهـاب كارثـة عالميـة إن اطلقـت مـن ايدلوجيـا او عقيـدة، ليـس كل متديـن إرهـابي وليـس كل إرهـابي متديـن. الإرهـابي يريـد أنْ يبنـي عالمـه الخـاص. يحمـل أفـكار رجعية معاديـة للإنسـانية. لبنـاء مجتمـع محصـن مـن العنصريـة والإرهـاب يجـب تجـاوز كل الاختلافـات والهويـات وصهرهـا في هويـة واحـدة هـي المواطنـة، وإطـلاق الحريـات والإبـداع والتواصـل بـين فئـات المجتمـع والمسؤولين المتواجديـن في أعـلى قمـة الهـرم، عندهـا تتقـزم العنصريـة وفعلهـا الإرهـابي أمـام العدالـة الاجتماعيـة. للأسـف مـا قـام بـه أتبـاع الديانـات الابراهيميـة مـن همجيـة، ووحشـية، وقتـل عـبر تاريخهـا فـاق مـا قامـت بـه الأديـان الأخـرى في العـالم.

الهـروب مـن الحـركات التـي تشـوه قدسـية الديـن بنفـي أن يكـون ذلـك مـن داخـل الديـن، وإنـكار إلصاقـه بالديـن لا يكفـي. عـلى لاهـوتي الأديـان أن يحاربـوا بالإعـلام و يـبرزوا الشـواهد، وينقضـوا، وينتقـدوا افـكار المتطرفـين منهـم الذيـن يلجئـون الى نصـوص مقدسـة لارتـكاب أعـمال مشـينة بحـق خليقـة اللـه. أن نقحـم اللـه في علاقاتنـا غـير السـليمة، ليـس سـوى مظهـرا لهروبنـا مـن واقعنـا السـلوكي غـير السـوي. إرادة اللـه انْ تكـون خياراتنـا بالقـول، والفكـر، والعمـل صادقـة وصالحـة فيهـا دلالـة عـلى أننـا ننـشر الوئـام، والمحبـة، وننشـد السـلام بـين البـشر.

في بعـض الأحيـان أفكـر هـل هنـاك مبالغـة في طـرح قيـم مثـل المحبـة والسـلام والتسـامح والعيـش المشـترك في عـالم يتخلخـل غـير مسـتقر. وتـراودني فكـرة:" لـن نسـتفيد مـن مئـات الكتـب المقدسـة المختلفـة المنتـشرة حـول العـالم بـين أتبـاع الديانـات مـا لم نفهـم محتواهـا ورسـالتها وتوجههـا الإنسـاني". اللـه وتعاليمـه تتقاطـع مـع التطـور الفكـري والمعـرفي والعلمـي للبـشر في كل مراحـل التاريـخ. فـإن عجزنـا عـن موائمـة ذلـك يعنـي أننـا نسـير عكـس تيـار التاريـخ. انـت حـر فيـما تؤمـن وفيـما تقـدس مـا دمـت تؤمـن أن المقـدس عنـدك كالمقـدس عنـدي يجـب احترامـه حتـى لـو اختلفـت طقوسـنا وصلواتنـا.

هنـاك نقـاط كثـيرة خـيرة في كل ديـن تحتـاج الى ايضـاح وتفسـير تلتقـي وتتقاطـع مـع

مفاهيـم الحـاضر مـن حقـوق الإنسـان العالميـة وغيرهـا مـن المواثيـق الدوليـة. مـن لا يسـتطيع منهـا الوصـول الى هـذه الحقيقـة حاقـد، وكاره لـكل مـا هـو آخـر جـاء مـن لـدن اللـه - العقـل الكـوني -. لا يهمنـي الطريـق الـذي تسـلكه ليوصلـك الى الإيمـان، والفـوز بالفـردوس الأبـدي - جنـة اللـه – أو الوصـول الى الاسـتنارة الـخ... لكـن يهمنـي أن لا تـدوس عـلى كرامـة النـاس، وتسـتبيح أعراضهـم، وأموالهـم، وتشـتت شـملهم، وتقتلهـم بوحشـية خـلال سـعيك للوصـول الى الحقيقـة المطلقـة – اللـه جَلَّ جلالـه -.

الأديـان المختلفـة تخضـع لقانـون ديمومـي " لـكل زمـان ومـكان"... فهـم، ديـن جـاء لـكل زمـان ومـكان، يترجـم الى تطبيـق رسـالته الإنسـانية، وإنْ لم يسـتطع، فهـو خـارج الزمـان، وعبـث وجـوده في مـكان.

الله يتجلى في انسانيتكم

الإيمان بالله، أو عدمه بعيدا عن تطبيق المحبة
والسلام، ظلالة تبعث السأم بالحياة لتشويه معنى
الإنسانية، يجنح فيها الإنسان دون وعي ومسؤولية
لاقتراف أبشع الجرائم نحو إخوته في الأسرة
البشرية.

تعـدد الكتـب المقدسـة لا يعنـي تعـدد الآلهـة ،لكـن يعنـي وجـود عقـل كـوني واحـد – اللـه – تتوجـه اليـه كل شـعوب الأرض، حسـب جذورهـا التاريخيـة والحضاريـة، وتراثهـا ومفاهيمهـا الاخلاقيـة . اللـه أظهـر ذاتـه وقدراتـه لـكل شـعب مـن شـعوب الأرض في زمـن وسـياق تاريخـي محـدد منـذ نشـأة الكـون مـن خـلال البـشر . التفاسـير الدينيـة –فقـه لاهـوت- مـا هـي الا المعنـي الروحـي لبلـورة أفـكار سـامية ترتقـي إلى تجميـع البـشر تحـت مسـمى "إنسـانية الإنسـان". حيـث تجتمـع القوانـين الطبيعيـة والوضعيـة مـع الإلهيـة لتحقيـق العدالـة ، لـكل الشـعوب مـن خـلال المحبـة والسـلام.

الاعتقـاد بالغيبيـات التـي تتمحـور حـول وجـود خالـق للكـون – العقـل الكـوني- لا يمكـن أنْ يخضـع الى قيـاس علمـي لتحديـد طبيعتـه، وعنـاصره، وماهيتـه، وبدايتـه، ونهايتـه ولا يمكـن إنكارهـا مهـما تفوقنـا علميـا لأن العلـم ليـس لـه نهايـة الا في حالـة واحـدة ربـط المطلـق بالقتـل، والتدمـير، والإرهـاب، نقتـل بذلـك الأخلاقيـات والسـلوكيات الحميـدة فينـا .لأننـا سنفشـل. وفشـلنا أيضا يـأتي مـن تركيـز دور المطلـق وتحكمـه في تصرفـات وسـلوك الإنسـان فنخنـق الدوافـع العلميـة والإبداعيـة فينـا ونعطلهـا.

نحـن نحـب الحيـاة لذلـك نسـعى للخلـود، لذلـك نحسـم وجودنـا بخالـد سـابق ودائم الوجـود خالـد يمنحنـا بعـد المـوت حيـاة، مـا يقـوم بـه البـشر مـا هـو الا محـاولات جـادة لبنـاء معـرفي، لا يمكـن أنْ نـدرك مـداه لأنـه لا نهايـة لـه، منـذ القـدم يعيـش الإنسـان هـذا التحـدي، ويعيـش مفهـوم وجـود مـن هـو متفـوق علينـا، لنسـتنتج وندعـو ان مـن أوجدنـا هـو اللـه – العقـل الكـوني- الـذي تظهـر تجلياتـه لا بمرسـليه فقـط بـل بعظـماء، وقـادة، ومفكريـن، وفلاسـفة، وعلـماء همهـم تطـور العـالم ونوعيـة الحيـاة، والكـون نحـو الأفضـل، عملهـم يتمحـور حـول الإنسـانية بأبهى صورها. السـلام والمحبـة وحـق الشـعوب في العيـش برفاهيـة وسـعادة. لذلـك ربـط التقـدم بقـوة غيبيـة يعطـي دافعيـة للإنسـان كي يسـتمر في بحثـه عـن أسرار الكـون، إنّ فكـرة نهايـة العـالم هـي فكـرة انتهـاء الوجـود البـشري، لكنهـا أقـرب الى مـوت الكائـن البـشري، الإنسـان المكـون (microcosm)، العـالم المصغـر الـذي هـو جـزء في (cosmos) الكـون.

كبـشر يمكننـا أنْ نخـدع النـاس ونصنـع لهـم رمـزا مقدسـا وندفعهـم للمـوت مـن أجلـه، ولكـن هـل هـي مشـيئة واهـب الحيـاة؟ ...كونـوا صنـاع حيـاة لا مـوت. فالأديـان تتكلـم عـن قدسـية حيـاة الإنسـان عـلى الأرض نحـو ذاتـه ونحـو الآخريـن، لا عـن الإنسـان والحيـاة في أرجـاء الكـون. والمـوت مـا هـو إلاّ الرجـوع لعنـاصر الارض، ورجـوع كنـزه الروحـي الى العقـل الكـوني – اللـه- مُنشـئ الكـون. اللـه لا يحاسـب البـشر عـلى انتمائهـم الدينـي ولا عـلى حجـم صلواتهـم، بـل عـلى أفعالهـم وأعمالهـم مـع المظلومـين والفقـراء والمـرضى والمقهوريـن والمحتاجـين والرامـل والأيتـام...الـخ، فـإن

فعل – الله (سبحانه وتعالى)- على محاسبتهم فهو لا يتمتع بعدالة، إلاّ في نظر المرائين.

الأديان جزء من هذا الواقع وتحتاج الى تغيير، ما لم تحتوى في داخلها على مواءَمة العصر والزمان ليس بالعنف أو القوة بل بالمحبة والسلام. الإنسان المؤمن هو من يحدث تغيير يدفع البشر نحو البناء العالمي، بهذا يكون ارتباطه بالعقل الكوني – الله – خالق الكون. عظمة أي دين تكمن في التوافق والمصالحة والاتفاق مع غيره من الأديان، وحتى مع من لا دين له ايضا، من خلال إنسانيته، وليس تفرده لمصلحة أفراده المادية الملموسة الخاضعة للحواس، بل الروحية الخاضعة لسمو الحياة ونبلها الفكري والاجتماعي ، فكل ما هو روحي يربطنا بتقديس الحياة ويربطنا بالعقل الكوني – الله -، وليس بأفراد يحملون أفكاراً هشة لا تتحمل النقد، يميل أفرادها الى استخدام العنف ضد كل من يعارضهم، أفراد يتحكمون بنا مخالفين إرادة الله بحرية الإنسان، دافعين نحو توحش الإنسان.

الإنسانية طريق حياة

الإنسانية، ثورة محبة هي، في أعمق وأسمى معانيها.
بها تحطم الحدود، والحواجز بين إنسان وإنسان. هي
خلود أزلي صالحة لكل زمان ومكان.

المجتمعات التي تعيش في أزمات، تحتاج الى إدراك معنى الإنسانية العميق، ودورها وأثرها على السلوك الإنساني. تحتاج الى قراءات معاصرة لثقافتها، لتشيد صروح فكر تعالج همومها وتنقلها بأمان نحو المستقبل.

ما هي الانسانية؟ سؤال أتوجه به الى كل من لا يؤمن بإنسانية الإنسان، وفحوى رسالتها ومحتواها، ويرفضها لا لسبب الا لأنها لا تتوافق مع ما تعلمه في مجتمعه، ولا تلتقي به . مجتمع ينتج انساناً بداخله أضرمت نار شك في كل ما يخالفه.

اخـي الإنسـان تخلـص مـن النـار الموقـدة في أعـماق أعماقـك، التـي اكتسـبتها في حياتـك، تخلـص مـن السـموم التـي في داخلـك، التـي تؤججهـا الكراهيـة، والأحقـاد.
مـاذا تعنـي الإنسـانية لـك؟ هـل انـت مؤهل للعيـش في بيئـة تؤيـد، وتدعم الإنسـانية؟ وتتفاعـل قوانينهـا وأحكامهـا مع مبادئها؟ هل بيئتك تثقفك وتنمي فيك روح الإنسـانية؟ الثقافـة الباليـة المهترئـة، تعـد شـعوباً تعيـش في فضاء مـليء بأزمات اخلاقيـة، وضميرية، واجتماعيـة، في هـذه الأجواء يتحجر الفكـر، وتتجمد المفاهيم الإنسـانية ويتعذر تغيرها.
الإنسـانية هـي ولاء محبـة تقـدم حلـولاً عادلـة لقضايـا الجنـس البـشري، وليـس لأحـد سـواه. فهـل أنـت مسـتعد أنْ تضـع مصلحتـك الخاصـة مـن أجـل الجنـس البـشري؟
الإنسـانية ليسـت ثوبـا نلبسـه ثـم نتخلـص منـه. وليسـت ثوبـا نتسربـل بـه لنسـتر قرفـا اسـتفحل في داخلنـا مـن ثقافـة ترعرعنـا عليهـا نخـرت عقولنـا.
الإنسـانية تعنـي عمـل الخير العـام وبمحبـة، دون تطـرف، فهـل يمكنـك أنْ تتخـلى عـن نزاعاتـك الشريرة؟
الإنسـانية ليسـت أنْ أبلـل وجنتـي وعينـي بالدمـوع لفقـر الآخريـن وعوزهـم، ومصائبهـم فقـط. الإنسـانية طاقـة متدفقـة لا تطفـو للحظـة عـلى سـطح حياتنـا ثـم تختفـي، فيهـا ديناميكيـة الديمومـة والاسـتمرار إنْ سـعيت لتحقيقهـا.
الإنسـانية في معناهـا العميـق ثـورة نقمـع بهـا معضـلات ومشـاكل الجنـس البـشري وتقلعهـا مـن جذورهـا.
الإنسانية كأس مليء بالمحبة والسلام والتسامح، بإمكان البشر جميعهم تجرعه.
الإنسـانية لا تتجـزأ ، كاملـة غـير منقوصـة هـي ، لا عيـوب فيهـا ، لا تعاليـم مظللـة تشـوبها، ولا سـلوك منحـرف يشـوهها ، لا مقاصـد شريـرة تتخللهـا... هـي ليسـت منة أو عطيـة مـن أحـد ، لا تمنـح لبـشر دون غيرهـم ، ولا تفـرق بـين إنسـان وآخـر. هـي الـذات الأسـمى المـزروع فينـا، فيهـا خـير بـلا حـدود لا يشـوبه شر ، ولا يدخلـه شر ، فيـه الكرامـة الإنسـانية وحيـاة البـشر قيمـة عليـا لا تعلـو فوقهـا قيمـة أخـرى.
الإنسـانية هـي الأعـمال الصـادرة مـن عمـق المحبـة المزروعـة فينـا، لـكل البـشر بعيـدا عـن هويتهـم، وعقيدتهـم، وجنسـيتهم، ولونهـم، وعرقهـم، وجندرتهـم، وإيمانهـم وإلحادهـم.

الإنسـانية، ليسـت ابنـة ديـن أو طائفـة، إنهـا عقيـدة لا تخضـع الا للخـير العـام، إنهـا نبـع المحبـة الصـادر المنبثـق عـن حقيقـة وفكـر إنـارة العقـل الكـوني فينـا.

الإنسـانية حديقـة الحيـاة التـي تنمـو فيهـا مـا يـزرع مـن فكـر يسـتنهض حريـة الإنسـان، ومسـؤولية الإنسـان وإرداتـه المسـتقلة. كـما وتعيـد للمعذبـين، والمحرومـين، والمحتاجـين، والمضطهديـن الآمـال التـي حلمـوا ويحلمـون بتحقيقهـا.

الإنسـانية فضاؤكـم الواسـع الصامـت الهـادئ، فيـه لا ينمـو تطـرف، أو كراهيـة، أو حقـد ، أو إسـاءة ، فيـه لا يشـعر فـرد بدونيـة، أو عبوديـة، فيـه لا تغتصـب حقـوق وكرامـة، ولا يقتـل إنسـان عـلى الهويـة.

الإنسـانية لا تعـترف بحـدود، ولا بحواجـز، ولا باختلافـات بـين البـشر، حقيقـة هـي، طريـق هـي، حيـاة هـي، سـمو روحـي

وفكري هي.

هي ثورة، يدفعها وجداننا الصادق، وضميرنا الحي وموافقنا الشهمة لتحقيقها.

هي المسامحة والمصالحة التي تعطش لها شعوب العالم.

هي الشمعة التي تضيء للبشرية حلمها ومستقبلها الجميل.

هي البوتقة الي تذوب فيها آلام البشر المعذبين.

هي المعرفة الراقية التي لا تفرق بين البشر.

هي ترياق يعالج اختلافات الأمم والشعوب. وتعصبهم المقيت.

هـي انـا وانـت، نحـن وانتـم وانـتن وهـم وهـن، هـي ذوبـان الـكل البـشري مـن أجـل تحقيـق السـلام، والعدالـة، والسـعادة، والأمـن والأمـان.

اقرعـوا عـلى جـدران ضمائركـم ووجدانكـم أيقظوهـا، لتحيـوا إنسـانيتكم لتبنـوا عالمـا أفضـل لكـم ولأبنائكـم، عالمـا يزيـل رواسـب المـاضي وأحقـاده، مـن آلام، وأوجـاع البـشر، وبؤسـهم وأحزانهـم، والتفرقـة والعنصريـة والمجـازر التـي مـرت بهـا البشريـة المعذبـة عـبر تاريخهـا الدمـوي المريـر.

الانسانية محبة

الأفعال، التي لا ترتقي الى مستوى الإنسانية حتما تفتقر الى المحبة.

المحبـة، تربـة خصبـة ، منبـت العلاقـات الإنسـانية الصالحـة هـي رسـالة حقيقيـة في ظاهرهـا وباطنهـا بلا شـوائب تتلألأ سـاطعة، عطـاء لا يعرف تميز أو حـدود، مفتاح آمال الإنسـان وأحلامـه النقيـة، مـن يعيـش في مهدهـا يمتلىء قلبـه هـدوءاً ، فرحاً، وسـكنية .

هـي الـروح الخالـدة المبعـوث فينـا، هـي لحـن روحـاني سرمـدي أبـدي يعـزف عـلى قيثـارة حيـاة البـشر بنغـمات تبعـث النشـوة بموسـيقاها في القلـوب المجروحـة، المكروبـة، طمأنينـة رائعـة، فاقدهـا يتجـرع كأس مـرارة ويـذوّق غـيره علقـم الحيـاة.

بغيابهـا، وعينـا يتـلاشى ويترعـرع في سراديـب البغـض والكراهيـة والأحقـاد، وينقلـب الإنسـان الى وحـش مـن الضـواري الـكاسرة ، يقتل، يعذب، يدمـر، يفترس خليقـة الله، لا لسـبب الا لكونهـا عنـه مختلفـة مغايـرة، في جعبتـه رسـالة مـوت يحمل لا رسـالة حياة.

المحبـة مقدسـة... زنـاة الفكـر، يحشرونهـا مـع الرذائـل والموبقـات . هـي قداسـة تنبـع مـن لـدن العقـل الكـوني – اللـه -، هـي أطهـر تجلياتـه التـي زرعهـا فينـا. باسـمها لا تضلـوا أحـداً، لا تزرعـوا الأشـواك، لا تتسـتروا بهـا ريـاء، ولا تنادوا باسـمها كذبـا وخداعا.

الويـل كل الويـل لكـم، إنْ قتلتـم ضمائركـم، وشـوهتم صـورة المحبـة في قلـوب أطفالكـم،.... اللـه محبـة ودفـق حبـه يغمـر كل خليقتـه ولا يميـز ولا يحـابي أحـدا.

المحبـة هـي ... سراج العقـل والقلـب السـليمين، سراج الفكـر والعواطـف النقيتـين. هـي البعـد الإنسـاني الراقـي، هـي الكـون اللامتناهـي في أبعـاده، هـي الطبيعـة المتسربلـة بأجمـل حللهـا، هـي الطفولـة في براءتهـا.

المحبـة تناديـك، لأن تفتـح عينيـك لنورها، وقلبـك لها، وعقلك لمعرفتهـا. تهمس في أذنيك كعاشـق، فافتـح لهـا فـؤادك لتـزرع الفـرح والجمال والسـعادة في بسـتان الحيـاة. المحبة تدعـوك، اتبعنـي أيهـا الإنسـان كي نبنـي أنـت وأنا عالم بـلا ألم وبؤس وفقر وعـوز وجوع.

تعال أيها الإنسـان معي أحتضنك في دفء رب الكون معا نتدثر، ونقف سـدا في مواجهة جحافـل القتـل، والمـوت، والإرهـاب، والكراهيـة التـي حتـما أمامنـا سـتهزم وتتقهقـر.

ترجـل عـن حصـان كبريائـك أيهـا الانسـان، واجعـل مـن قلبـك للمحبـة قلعـة تقيـم فيـه، أمامهـا كل باغـي وكل الحواجـز والحـدود بـين النـاس تنهـار وتسـقط وتتكـسر.

علمـوا أبناءَكـم المحبـة، سـيروا معهـم في سـبلها وطرقهـا بقلـوب نقيـة لا تـدع المجـال لعـثرة. اهمسـوا بأذانهـم اسـمها القـدوس لحظـة ولادتهـم ، لينمـو أسـوياء لا أشـقياء سـيئين. اقلعـوا القسـاوة مـن قلوبكـم وانبذوهـا، اسـتبدلوها بالمحبـة .

تذكـر أخـي الإنسـان، أن الاختـلاف بـين البـشر ظاهـرة صحيـة طبيعيـة سـببها الاختلافـات الجينيـة، ولكـن الخـلاف بينهـم منشـأه العقـل المتحجـر غـير المنفتـح، تتعد أسـبابه ودرجاتـه، منهـا النفسـية والاجتماعيـة الاقتصاديـة والعرقيـة والدينيـة والفوقيـة والدونيـة ...الـخ. فكلـما ابتعدنـا خطـوة عـن المحبـة، نبتعـد عـن أخلاقياتنـا الإنسـانية خطـوة، لينتهـي المصير بنـا الى السـقوط في أتون الأحقـاد والكراهيـة والبغضـاء، ونصبح أداة مـوت لا أداة حيـاة ونهـوي في صراعـات ونزاعـات دمويـة يكـون الإنسـان فيهـا هـو الضحيـة. عندمـا تهـزم الإنسـانية تحتـضر المحبـة وتصبـح قيمـة حيـاة الإنسـان رخيصـة بـلا قيمـة. فكلـما ابتعدنـا عـن المحبـة تـزداد عبوديتنـا للأفعـال الشـائنة الشريـرة.

٦- المرأة
تقتل غسلا للعار

المجتمع القبلي عبد لأفكار جامدة تتوارثها وتتناقلها الأجيال.
قتل المرأة على خلفية الشرف غسل للعار، موروث قبلي
لا يستند على مرجعية دينية، وان كان وما زال قائما
في الدول العربية والإسلامية.

الدين الإسلامي، وفي حال تم إقامة الدولة الدينية الإسلامية فان تنفيذ حد الرجم على كل من الزاني والزانية يتطلب شروطاً، ليست سهلة لإثبات فعل ألزني وهي: الإقرار بالفعل، والحمل، وشهادة أربع رجال شاهدوا بأم أعينهم العلاقة كاملة. فأين تقف القبيلة من هذه التعاليم.

من المحيط إلى الخليج ما زلنا نقدس القبيلة ونعيش روحها، وما زال دورها بارزا في الحياة الاجتماعية، وما زال أبناؤها يجتمعون ويتداولون في أمور حياتهم اليومية وانتخاباتهم البلدية والبرلمانية والحكومية... حتى أنها أصبحت حكومة داخل دولة لها مقوماتها وعزوتها، والتسلسل الهرمي بها قائم، وعاداتها قائمة، وحلولها مطروحة، وإحكامها نافذة كالقانون. القبيلة ماضية في جمودها. ماضيا وحاضرا ومستقبلا. وروح القبيلة لم تتغير بالسلوك وبالجوهر، فقط تغيرت بالمظهر، وامتلكت التكنولوجيا ولم تمتلك التقدم، وإنْ اختلف المكان فما زلنا نعيش الزمن القبلي. القبيلة منذ نشأتها الصحراوية القاسية، كان صراع البقاء هو الدافع الوحيد للعيش والحصول على الكلأ والماء. قامت القبائل يغزو بعضهم لبعض، ونهب وسلب وقتل وسبي النساء والأنعام كمقوم، وكشريعة واجبة، لاستمرار الوجود والحياة.

مجتمعات تعتبر المرأة شيطان وبوابة جحيم، و تسعي في نفس الوقت للتطور والنمو، وبناء دولة حضارية، علمية قائمة على القانون والحق والعدل والمساواة.

لا يمكـن إلا أن تكـون أكذوبـة يرددهـا أشرار كذبـة، تهيـم عليهـم روح القبليـة الجاهليـة. فالنظـرة الدونيـة للمـرأة، والنعـوت السـلبية التـي توصـف بهـا يجـب أن تـزول مـن قاموسـنا العـربي.

عاصفـة مـن الاشـمئزاز تثار في العقـول حينـما نسـمع أن فتـاة لا تتجـاوز ربيـع العمـر أو أكـبر قـد قتلـت عـلى خلفيـة الـشرف، قتلـت لأن الأهـل ظنـوا بهـا سـوءا، وقتلتهـم الإشـاعة المغرضـة التـي تطلـق عـلى ابنتهـم وسـمعتها. وأحيانـا يكـون القتـل تسـترا عـلى فضيحـة سـببها سـفاح القـربى، أخ، أو أب، أو عـم، أو خـال، أو جـد نفذهـا. فبـدل مـن محاسـبة الجـاني تـدان الضحيـة كي لا تفضـح عـرض العائلـة... الحكـم الجائـر هـو هـدر دمهـا لأن العـرف القبـلي لا يغسـل العـار إلا بالـدم... تـصرخ، تسـتنجد يمـوت صوتهـا اختناقـا متوسـلة، متمسـكة بخيـط مـن الحيـاة كي تبقـى حية....مـا مـن سـامع، مـا مـن مجيـب، السـماء صـدت أبوابهـا. يتوقـف الزمـن وتنحـر الضحيـة..... قبليـة مـا أتفههـا مـن قبليـة، ومـا أرعبهـا وأقسـاها بهـا تجلـد الضحيـة، والذكـورة المتمرغـة بالفضيحـة طليقـة عنتريـة، والأسـوأ أن تقـوم الأم أو الأخـت بالإنابـة عـن الذكـور بتصفيـة الضحيـة. أنثـى تقبـع في نـير العبوديـة، أتقتـل عبـدا مثلهـا؟ أليـس مـن واجبهـا الدفـاع عـن الضحيـة؟ عـن بنـات جنسـها؟.... بفعلهـا تقهـر ذاتهـا بذاتهـا وتهـزم روحهـا وتزيـد مـن عبوديتهـا لتعيـش ألمـا ومـرارة وحـسرة حتـى آخـر دقيقـة مـن حياتهـا. وان كانـت الفتـاة قـد غـرر بهـا، وإن كانـت قـد قامـت بفعلتهـا، أيسـتوجب ذلـك قتلهـا؟ فلـماذا تكـون الضحيـة؟ أليـس مـا يحـدث إفـراز مجتمـع منغلـق، يخـشى التغـير.

القبليـة أسـوأ التشـكيلات الاجتماعيـة؟ ووجودهـا برهـان عـلى وجـود خلـل عميـق في الأنظمـة السياسـية. أيضـا وبشـكل خـاص الاجتماعيـة والفكريـة منهـا كـون الدولـة لم تسـتطع الخـروج والتخلـص من سـلطة القبيلـة. التغير لا يحتاج إلى تفكـير، بل يحتاج إلى اسـتعداد ورغبـة في إحداثـه. السـيف لا يحمـي الـشرف، مـا يحميـه هـو التربيـة، التربية لكلا الجنسـين بالقدر نفسـه ،والأسـلوب نفسـه، والتعليم نفسـه، وعطاء الفرص نفسـها.

أسـفي عـلى مجتمعـات تئد بناتهـا وتربـط شرفهـا، حضارتهـا بغشـاء بـكاره. لم نتعلـم

مـن تلاقـح الثقافـات، ولا مـن التاريـخ، والحضـارات الأخـرى، واختـلاف الأجنـاس. فالعقليـة البدويـة والذهنيـة البدويـة لا تسـتطيع أن تعيـش روح العـصر. والنتيجـة الـدول العربيـة سـتخنقها وتفككهـا القبليـة، إن لم تضبطهـا.

تنتقـل الضحيـة مـن عالمنـا لآخـر... ونمنـى أنفسـنا بنـوع مـن الفـرح الممـزوج بضمـير شـبه صـاح مخـدر . ونقـول: "ماتـت الضحيـة بغـير ذنـب، فـما أسـعدها لان الجنـة في انتظارهـا". إنـه نـوع من سـخافة لا تسـتند إلا على جهـل وعمى لألون الطبيعـة الجميلة التـي عطلناهـا وهدرنـا كرامتهـا. فالذكـرى لـن تمحـى بمـوت الضحيـة بـل تبقـي عالقـة في قلـب وعقـل مـن رحلهـا عـن هـذه الدنيـا، لـن تغيـب الذكـرى سـوى عـن مَـنْ كان معتوهـا آو مجنونـا. علينـا العبـور والتخـلي عـن قبليتنـا التـي تجعـل مـن خطـأ الأنثـى عـارا ومـن خطـأ الذكـر رجولـة. وتفـوق الفسـاد، والسرقـة، وإسـقاط الأنثـى شـطارة، المجتمعـات التـي تتعامـل بازدواجيـة المفاهيـم وتطبيق الأحـكام رجعية وغـير حضارية.

السـكين يتـألم ويبـكي دمـا، والضحيـة تتـألم مـن الظلـم، والقاتـل يتـألم مـن بشـاعة المـوت، والمجتمـع يتـألم مـن جهالتـه، ينـام الجميـع ثـم يصحـو الجميـع لأن الآلام أصبحـت طقسـا مـن الشـعوذة وعرفـا وقانونـا مـن صنـع أيـدي أبنائـه، ويصبـح القتـل عـلى خلفيـة الـشرف عيـدا... جريمـة تسـتدعى الخجـل، لا شرف في مثـل هـذه الجريمـة.

تدفـن الضحيـة ونظـن أن العـار قـد انمحـى واختفـى، لكنـه ينمـو مـن جديـد في عقـول النـاس، ليزهـر بعـد مئـة عـام قصـة يتـداول سردهـا كبـار السـن، والخارجـون المعرضون عـن القوانـين البغيضـة التـي أقرتهـا القبيلـة، ليقصـوا حكايـة الـشرف المرتبطـة بـشرف العائلـة والقبيلـة.... تقـول الفتيـات في سرّهـن مـا أقبـح الذكـور... ويقـول الذكـور في سرّهـم مـا أقبـح الإنـاث...وهكـذا تسـتمر الحكايـة مـن جديـد وتبعـث وتتجسـد... ويسـتمر القتـل والتفنـن في سرد الحكايـة كي نخيـف الأنثـى ونقـوي سـلطة الذكـور، إلى أن نصلـح همنـا القبـلي ونجـد حـلا يدخلنـا لفجـر جديـد أكـثر إشرقـاً ... ومـا يدعـى بعـار الـشرف لـن يمنعـه، أو يوقفـه القتـل بـل التجـرد مـن مـا يبغضنـا مـن روح القبليـة القابـع فينـا. ومعاملـة مرتكبهـا كمجـرم قاتـل دون تخفيـف الأحـكام عنـه.

اضطهاد المرأة

دراما إنسانية ، تحكي كيف نشأ اضطهاد المرأة، وكيف أسقطت معظم عاهات وقضايا المجتمع عليها. العناصر الرئيسة في هذه القصة كما في كل الأساطير القديمة، حول العالم، تبدأ، وتنتهي بالنزاع بين الخير والشر، ودور كل من السلطة الحاكمة والدينية من جهة، وبقية الشعب من جهة أخرى. يزداد الوضع سوءاً عندما يرتبط الإصلاح بالغيبيات، والفساد بالغيبيات. مما يشكل دليلاً قوياً على ازدراء العقل، وتحقيره، وتعطيله [١].

تقول الحكاية... في قديم الزمان وسالف العصر والأوان ...
عاث البشر في الأرض فسادا، وساد بينهم الشر والكراهية.

البعض قال: "العيب في القوانين".
آخرون قالوا:" العيب في العقيدة".

كثرت القضايا أمام المحاكم المدنية، والدينية.
المنتفعون، والمسترزقون، والمستفيدون زادت ثروتهم.

تفاقم الوضع بؤساً، وفسداً
تأخرت إجراءات تنفيذ قرارات المحاكم.

علا صوت الشعب مطالبا بالتغير، والاستماع لمطالبهم، ورفع المظالم عنهم.
ومحاكمة كل مسؤول تمادى على الشعب، ولعب بقدراته، وحرمه من حرياته.

خرجت مظاهرات، واعتصم الشعب، وسفكت دماء
واغتصبت نساء، واستخدم أطفال لتنفيذ المأرب، وكدروع بشرية...

أعلنت السلطة، عن عقد اجتماع عام، وطارئ، للبحث في أسباب الفساد. والخروج من الأزمة.

تجمعت الأحزاب السياسية، والدينية، وأصحاب الأفكار التصحيحية، وعموم الشعب...

تناقشوا، تحاوروا، تناوشوا، تصادموا، تلاكموا....
في النهاية، أجمعوا... ورفعوا توصيتهم ...

السبب وراء كل ما حدث هو الشيطان، المجرم الأخطر في الدولة...
تهمته، أنه يوسوس في صدور الناس، وعقولهم ويفتعل مشاكلهم...

الشيطان المشتبه الوحيد... أصبح مطاردا، ملاحقا من قبل رجال الدين، والسياسية، والشعب، والعسكر...
أعلن عن جائزة قيمة لمن يدلي بمعلومات عن مكان وجوده، أو كل من جاء به حي.

ليقدم للعدالة، ويحاكم لأفعاله الدنيئة...
كي يعود الوفاق، والسلام، والوئام، والأمان بين مواطني الدولة، وحكومتها.

ابتهج الناس، وسرّوا لسماعهم هذا النبأ
تراكضوا، مندفعين كي يقبضوا على الشيطان، ويحصلوا على الجائزة الثمينة.

شهور مضت دون إحراز أي تقدم...
كلّوا، وملّوا...وأحوال الدولة في اضطراب متسارع..

تأزم المجتمع، لا حلولا تظهر في الأفق..
الشيطان ما زال طليقا، يشعل الدنيا فسادا

صممت امرأة على الإيقاع به، والقبض عليه
عرفت بتمتعها بذكاء وعلم ،وعقل راجح

جالت في الأسواق، والمساكن المهجورة، والمقابر...
تبكي تنوح على موت الشيطان...

إن صادفها أحد وسألها: ما بك يا امرأة تنوحي وتبكي ؟
كانت تجيب وتلطم على خديها: لقد مات الشيطان...لقد مات الشيطان... وتجهش بالبكاء

استمرت بعنادها، وأصرت أن تقبض علي أب الشر، والشرور، والأشرار في العالم في إحدى الأيام، ظهر لها الشيطان .

معاتبا، قال: أيتها المرأة... أنا حي لم أمت، فلماذا تبكينني؟
أجابته: أنت لست الشيطان، ابتعد عن طريقي، أغرب عن وجهي...الشيطان مات وانتهى.

مرارا حاول إقناعها... باءَت جهوده بالفشل...
واستمرت في إصرارها، وعنادها أنه ليس الشيطان

قال لها: مستحيل إقناعك أيتها المرأة... أمنيتي أن أعرف كيف يمكن إقناعك؟
امرأة عاقلة، ذكية، كانت تنتظر هذه اللحظة... والفرصة أتتها على طبق من ذهب .

عليها التصرف بسرعة وإلا ذهبت جهودها هباء.
قالت، كشخص متيقن من قدراته: لو كنت أنت فعلا الشيطان أثبت لي ذلك؟

قال لها: كيف يمكنني أن أثبت ذلك، لم اترك حيلة إلا وجربتها معك... كلها فشلت.
قالت بصيغة الأمر : إن كنت أنت الشيطان فادخل في هذه القنينة...ثم اخرج منها

فقال: حسنا إن كان هذا يقنعك.
ما أن دخل، حتى أسرعت وأغلقت فوهة القنينة، وحبست الشيطان.... وانتهى أسيرا.

دخلت القاعة الكبرى في القصر ، حيث تواجد الملك، و حاشيته من حوله...
قالت: ها قد جئتك أيها الملك العظيم بالشيطان، ودفعت له بالقنينة...وحصلت على جائزتها الموعودة.

خبّأ الملك القنينة في خزنة فولاذية، وضعت في سرداب تحت الأرض.
وأمر أن تحرس جيدا، ليلاً نهارً...

تمر الأيام، والشهور، والسنون دون أي اضطرابات، أو مشاكل في الدولة

رجال الدين خسروا رزقهم، تركوا معابدهم، أغلقوها ..... مكاسبهم يجنونها نتيجة لأعمال الشيطان
كسدت تجارتهم... وهاموا على وجه الأرض يبحثون عن رزق لهم

أغلقت المحاكم، ومراكز الشرطة...
أما الملك وحاشيته، اطمئنوا للوضع، فأخذوا يتجبرون بالمواطنين، ويستغلونهم.

تذمر الشعب، نزلوا للشوارع يتظاهرون يعترضون ينددون يطالبون بالتغير، وبرحيل الملك.
أبت السلطة الاستجابة لمطالبهم...

استغل رجال الدين، ومن لف لفيفهم الأزمة.. فرصة تاريخية لن تعوض...
اندفعوا للشوارع يحتجون يطالبون بالتغير....

خاف الملك على كرسيه....
خاف من اتحاد رجال الدين والشعب
خاف من أن يتحالفوا معا، ويقضوا عليه وينتهي ملكه
شهوة الحكم، والسلطة، قوية... من يتنازل عنها بملء إرادته !

بالخديعة، بالدسائس ، وبالتآمر يكمن الحل
فكر، وقرر أن يجتمع بعجلة، وخلسة بالزعماء الدينيين

تحاوروا، تعاهدوا على توقيع ميثاق شرف ينظم عملهم
ويناصر كلا منهم الأخر، ويتقاسمون الحكم

على أن تكون لرجال الدين، السلطة الدينية المطلقة
وأن يكون للملك ،السلطة المدنية المطلقة

طالب رجال الدين بإطلاق سراح الشيطان
وتقيد حرية المرأة...

ومحاصرة الناس بقوانين، وطقوس... أبعد من التعاليم الإلهية
فمن يقيد الحريات ويحاصر الناس بقوانينه، يهدف إلى تعطيل العقل.

هلل أقطاب التخلف لهذا الاتفاق...
تم أخيرا تحالف الملك، ورجال الدين

دعموا بعضهم البعض، بالسراء والضراء
بالحسنى، بالتكفير، وبالقوة إن لزم الأمر...

عاد الشر يقارع الخير
واحتسبت منذ ذلك الحين المرأة شرا، ارتبط اسمها بالشيطان

جردت من حريتها، من عقلها
من طفولتها، من براءتها...

من كونها كائن بشري
أصبحت متعة للجنس، ووعاء للإنجاب

ما كتبته نسج من الخيال . أما الأحداث المروية فهي حقيقية، للواقع الذي نعيشه.

بالرغم عما قيل، ويقال...
فقد حصلت المرأة على حريتها، وكرامتها، وحقوقها في دول عده حول العالم...

السؤال الأهم: ما الذي يمنع، ويؤخر من إعطاء المرأة كافة حقوقها في عالمنا العربي؟
الجواب : لا يكمن الخطأ في الدين، أو العقيدة.

الدين انزله الله، وهو صنع الله، أما تفسيره فترك لعبيد الله، للبشر، للمؤمنين.
اتقوا الله يا عبيده في خلقه، وخاصة بنسائه...

الحرية، لا تعني الانحلال الخلقي، كما تروجون لها.
الكرامة، لا تعني عدم احترام الذات ، كما ترونها.
المساواة، لا تعني السيطرة، كما تفسرونها.

لرفع العتب، والمسؤولية عن عيوبنا، ونقائصنا... نقول في أدبياتنا:" الشيطان شاطر". ستزداد ألأمور سوءاً ، إذا استمرت مجتمعاتنا بربط الإصلاح بالغيبيات، والفساد بالغيبيات.

(١) فكرة المقالة مستوحاة من قصة ابليس والملك، الواردة في صفحة عشرين من كتاب د. رشدي الاشهب "حكايات شعبية من فلسطين".

لك في عيد الحب "فالنتين"

شوقي إليك
كالقش اليابس يحترق
في ليالي وحدتي
أضجرني السكوت
مخلبا صار لساني
ينشب في جدران الليل الطويل
لأخرج كلماتي من قوقعتها
وأسقط عنها كل الحواجز
لتحلق طائرةً
لتحلق أغنية
في الفضاء الفسيح
لا تظنني مشعوذا
أو عرافا
ينقلب حرباء
لست عنكبوتا ماكرا
يحيك شباكه
لاصطياد حلمه الجميل

سأنفخ في الأبواق
وأضرب على الطبول
وأملأ الدنيا ضجيجا
وأحمل الرياح بساطا
أملأه أشواقا
أملأها حنينا وحبا

وأرسلها إليك

تبتسم روحي منتعشة
على صوت شمس ضحكتك
ترفرف مهجتي
ترقص بهجة وحبور
كونك ربيعا
جاءني
بعد شتاء قارص طويل
تبددت غيوم آلامي
غشاوة ضبابية تقهقرت
نمت أوراق قلبي
تفتحت أزهاره
بعد أن ماتت فصول وشهور
أمنيتي أن يكون ألأخير
فأنت وعدا إلهيا
فصل خامس سبق الربيع
خلق لي وحدي أنا
سأتمسك بك عمرا ودهراً
حتى لو ارتجفت جفوني
كبرا وشيخوخة
ومللت من عمري الطويل

في الحب معك
تكون الحياة
صبية يافعة
ترنم قصيدة

ترقص حيوية
عل صوت
أوتار قلبك الشجية

القلاع الرملية
أحلام الطفولة
علي شاطئيْ بحر الهوى
لن تفسد تفكيري
لن تغير مصيري
لأنك صخرة حبي
عنترية المخادعون لن ترهبني
أشباح الإشاعات لن تردعني
تمتمة السحرة لن ترهقني
ولا خطباء الرومان
وعظماء السريان
و حكماء الهند، والصين
وفلاسفة اليونان
أو شعراء سوريا ولبنان
كلهم ما استطاعوا أن يحبوك
كما أنا أحببتك، وعشقتك

منذ فجر التاريخ
أشهرت حسامي
قطعت رقاب ورقاب
قتلت من أوقفني
ومن أغلق أمامي الأبواب
ومزقت شرايين

كل من أَحبك وتاب

أزهر ربيع الحب
الذي زرعته في قلبي
ليس هناك فصول أخرى
وخمرة أخرى
غير خمرة حبك
التي تسري في عروقي
فالعطش المختبئ بداخلي
تطفئه شفتيك
والمساحة الشاسعة في عينيك
يركض، يصهل
عليها جواد

لن يكون لي غيرك بديل
لأنك شمسي ونهاري
وحلمي الأبدي، السرمدي الجميل

المرأة والحرية

هل الحرية حق طبيعي؟ أم هي حق مكتسب؟ وهل الحرية نعمة يتمتع به أبناء البشرية عامة، أم هي تقتصر على فئة دون أخرى؟ أو بعبارة أخرى، هل هي احتكار الرجل وحده لا غير؟ ما هي الجنحة التي ترتكبها المرأة عندما تحاول إثبات مكانتها وإبراز شخصيتها والمطالبة بحريتها؟ وما العيب في مناداتها بالمساواة مع الرجل...؟ أطرح هذه الأسئلة في مستهل مقالتي هذه راجيا أن أوفق في إيجاد ردود صريحة، وشافية عليها، وأنْ أحظى من القارئ العزيز بتحليل غير منحاز يتسم بالصدق والأمانة والموضوعية.

ليس من شك، أن المرأة تشكل نصف المجتمع أو يزيد على ذلك من الناحية الإحصائية، ولكن من الناحية الاجتماعية فهي تدور في دوامة مجتمع يطالبها بإلحاح، وبوعيد، وبتهديد، خاصة في عالمنا العربي، بأن تحافظ على نفسها وعلى شرف العائلة وتقاليدها ومكانتها... بمنطق آخر هي تعيش في غابة الرجال السياسيين، والدينين، والاجتماعيين والاقتصاديين...الذين يحللون ويضعون الشرائع... بأسلوبهم الذكوري الخاص الذي يكسبهم القوة والسلطة فيحرمون المرأة منها ويبسطون سيطرتهم عليها. بصريح العبارة، هم يستمدون ذلك من التربية الاجتماعية، والدينية الخاطئة، والأسلوب البالي في هذه البيئة الاجتماعية التي ما زالت عالقة وسجينة في زمن بعيد عن هذا العصر ومتطلباته. كما وان الثقافة التي حصل عليها الرجال، وما زالوا يحصلون عليها ما زالت ناقصة منقوصة كجسد بترت أحد أعضائه وأصبح مريضا مقعدا .

إننا نضرب هذه الحقيقة، والكثير مثلها عرض الحائط، لهذا نجعل من الفتاة في مجتمعنا كبش فداء لعيوبنا، ونقصنا، وفشلنا، وضحية لزلات لساننا، وطيش عقولنا، والتهاب مشاعرنا، وتعصبنا الأعمى. ليس بغرابة من مكان، أننا وفي بعض الأحيان نلجأ للتلويح بالسكين ليس حفاظا على عرضنا، وإنما انطلاقا من خوفنا على رجولتنا، وتسلطنا، مستغلين الشعار الزائف أن المرأة عقلها صغير.

ورغم كل هذا الاستغلال، والاعتقاد الخاطئ المرفوض طبيعيا، فقد نجحت أعداد لا بأس بها من النساء بالوصول إلى مراتب عليا، تدعو إلى التقدير والفخر في مجتمعنا العربي، هذه الظاهرة يجب أن تتحول إلى مثل يقتدى به، وشعار ترفعه كل امرأة، بأن من واجبها أن تكافح، وتناضل لكي تكتسب حقها الطبيعي... حقها في المساواة، والحرية. على المرأة أن تدرك أن الحرية لا تعطى ، ولا تستجدى، بل تكتسب. فالحرية التي تعطى تكون ناقصة، ومزيفة يمكن خلعها، أما الحرية التي تكتسب حقيقة قائمة لا تزول. لأنها تفرز الإنسان الواقعي، وتطلعه واندفاعه نحو الأفضل والأسمى، وتؤكد كيانه ومكانته حاضرا ومستقبلا.

أتساءل هنا، كيف يمكن لمجتمع يعيش في القرن الحادي والعشرين أن يستمر بالمحافظة والتمسك بهذا النمط الحياتي...اقتبس قول ينتقده هشام شرابي، جاء فيه "تنتمي البنت إلى فئة مختلفة عن تلك التي ينتمي إليها الذكور. والواقع أن الأنثى يجري تميزها عن الذكر بصورة أساسية والذكر كسب للعائلة...هي عبء عليها. البنت منذ نعومة أظفارها تدفعها العائلة إلى الشعور بأنها غير ضرورية وغير مرغوب فيها، وتعلمها على قبول وضعها كأنثى...وهذا صحيحا في العائلات المحافظة أكثر من غيرها"... اعتقادا كهذا يعود بنا إلى جاهلية العرب، في حين أننا نعيش في عصر يفرض علينا أن نتأقلم مع واقع ملموس بعيدا عن التعصب لقوانين ونظم بالية تدخلنا في دوامة يصطدم فيها الواقع المنطقي مع التصرف غير المسؤول.

ليس المطلوب فيما أقول أن يتنازل الرجل عما يرتبط برجولته أو يقلل منه، وإنما أن يشارك ويساهم في تفعيل دوره لنهضة المرأة الاجتماعي في كافة مجالات الحياة شئنا أو أبينا، فإن بصمة المرأة على مختلف مراحل الحياة حقيقة ساطعة لا غبار عليها، فهي الأم، والصديقة، والزوج، والابنة، إنها نصف الرجل المكمل له، وليس التابع له. لكنها في وضعها الحالي تعيش في زحمة من الأفكار، والصراعات، وأنانية الرجل، المطلوب منها شيء، وما تريده كي تنطلق شيئا أخر.

يحتم علينا الواجب أن نسعى بحزم، وإخلاص للمساواة بين الرجل والمرأة على حد سواء، إن مجتمعنا العربي في وضعه الراهن نصفه مشلول، والجزء الأكبر من نصفه المتبقي مشلول فكريا. الاعتبارات والقيم الإنسانية لا يمكن أن تقوم على الرجل منفردا، وإنما بالمشاركة الوجدانية للمرأة أيضا. فإن أي محاولة لنا للنهوض بالمجتمع وبناء جيل المستقبل يجب أن يقوم على كاهل الرجل والمرأة، على أساس من التفاهم، والمساواة، والتعاون المتبادل.

وإذا تساءلنا، ما هي الجريمة التي ترتكبها المرأة إذا حاولت أن تبرز شخصيتها، وتثبت مكانتها؟ وما الخطأ في مناداتها بالحرية، والمساواة؟...الجواب: لا جنحة، ولا جريمة في ذلك. إنما ما تفعله هو انتزاع حقها العادل ومطلبها الإنساني الذي لا

جدال فيه...هي من لحم ودم، وعقل وفكر وإبداع وعطاء، أسوة بالرجل، وفي بعض المواقع، لا يتمكن حتى بعض فحول مجتمعنا من مجاراتها. ليس من العار أن تمارس الفتاة استقلاليتها، العار يقع على المجتمع المتخلف، الرجعي الذي تحكمه، وتقيده أفكار منبتها الجاهلية. على المجتمع فتح جميع الميادين السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والدينية، والمهنية أمامها. بل من واجبنا كرجال أن نساعدها في تحقيق ذلك، لأن من العار فعلا أن يبقى مجتمعنا غير ناضج فكريا.

المناداة بمساواة المرأة بالرجل سيقوي من شخصيتها، ويعزز كرامتها الذاتية، ولن يعرض رجولة وأبوة آدم للذوبان والتلاشي. الرجل العاقل لا يمكن أن يفقد احترامه للمرأة، أو يكبح عواطفه نحوها استنادا إلى مجرد استقلالها أو مناداتها بالمساواة والحرية. بيد أن اندفاع المرأة لإبراز مواهبها، وقدراتها يجب أن لا يقترن بكبرياء أو تعالٍ أو طموح يتميز بالإسراف.

هنا بودي أن ألفت الانتباه إلى أمر حساس فأقول: " أن فاقد الشيء لا يعطيه".... هذا ينطبق على قطاع واسع من شبابنا العربي الذي ما زال خاضعا لسلطة الأب، نراه يعاني من الإحباط، ويتعثر في تحقيق تطلعاته وآماله وطموحاته. ويشكل هذا لديه عقدة نفسية تزداد قوة مع مرور الزمن، وتزيد في نفسه مرارة الإحباط، فيجد في المرأة كبش فداء وهدفا سهلا ليطبق عليها الكبت والتسلط الذي عانى منهما. تجاهل الآباء لقدسية الحرية الفكرية لأبنائهم، آفة خطيرة يعاني منها مجتمعنا العربي، كما وتعد أسلوب آخر من أساليب العبودية المنبوذة، المستمرة من جيل إلى جيل.

في مجتمعنا، رأي يقول: " إن المرأة الصالحة هي التي تكرس نفسها لمطبخ زوجها، وأولادها فقط، وليس التي تكرس نفسها لعملها أيضا". في الشطر الأول من هذا القول تتجلى فكرة العبودية المطلقة، تدخل فيها الفتاة في قفص الزوجية مسلوبة الإرادة، ومشلولة القدرة، حيث أن الهدف الأول والأخير في هذه الحالة هو سعادة الزوج والعمل على راحته وإمتاعه لتكون بالتالي

تابعة له، وجارية... أما الشطر الثاني منه فإن الفتاة تدخل الحياة الزوجية بإرادتها المطلقة بقناعة صادقة وحرية تامة بدون أي إكراه أو تردد لتعيش مع، وفي أسرتها بسعادة وتفاهم، وتقدم للمجتمع جيلا أفضل لأن: " ألام مدرسة...".

هناك فرق كبير بين الأصوات المتزايدة بمنح المرأة الحرية والمساواة، وبين تقدير هذه المطالب والتعامل معها بشكل صحيح. يتوجب على الفتاة أن تعي واجباتها وحقوقها كي لا تفوت الفرصة على كل محاولة لوضع العراقيل أمام وصولها إلى هدفها. لأن سماع صوت الرعد شيء، وسقوط المطر شيء آخر. ومتى اكتسبت الفتاة حريتها، من أولى واجباتها ألاّ تقف عاجزة عن التقدم، وإلا سقطت ضحية التردد، والحيرة، والإحباط.

إن مفهوم حرية، واستقلالية المرأة لا يعني، ولا يمكن تفسيره بحرية جنسية حسب ما يتخيله البعض، ويردده، ويسوقه لغاية في نفسه. قول كهذا يقطع الطريق أمام تقدمها، وكرامتها، وسمعتها، وإرادتها، وقدرتها، على العطاء. إن كانت فكرة اعتكاف المرأة، وانعزالها تقليدا، يترتب عليها رفضه بصورة قاطعة. فالعمل بالفكرة الموروثة بعودة المرأة إلى دور الحريم معضلة لا تشكل ولا يمكن أن تشكل أسلوبا للإصلاح الاجتماعي، أو العائلي بل تعطيلاً مقصوداً لكل محاولة إصلاح.

مطلب الفتاة بالحصول على حريتها، ثورة في حد ذاته على الجذور المتعفنة، والأفكار السمجة البالية، إنه خطوة إصلاحية يشكل تكاملاً اجتماعيا يدل على تطور المجتمع فيه ما يكفل وضع حد للأنانية والتسلط وحالة الجمود والشلل ، التي تستنزف قوانا الفكرية، وقيمنا الأخلاقية وتزيد الخطأ خطأ.

لا بد من الاعتراف أنّ الطريق لتحقيق الفتاة هدفها، ما زالت طويلة وشائكة، وما زالت هناك حاجة ماسة، وعملية شاقة لإقناع الرجل في مجتمعنا العربي، " أن لا حياة، ولا تغير إلا بواسطة الاحترام المتبادل بين الرجل والمرأة، واقتسام الحقوق والواجبات، لكي يتسنى مواكبة العصر وتطوره، والسير قدما بعجلة سريعة نحو المستقبل.

"ولـد النـاس جميعـا أحـراراً متسـاويين في الكرامـة والحقـوق، وقـد وُهبـوا عقـلا، وضمـيرا، وعليهـم أن يعامـل بعضهـم بعضا بـروح الإخـاء". هـذا مـا نـص عليـه الإعلان العالمـي لحقـوق الإنسـان في بنـده الأول.

سلام للمرأة في الثامن من اذار

بمناسبة الثامن من آذار أقدم باقة نثرية لكل صديقة وصديق ولكل امرأة عربية .

سلام للمرأة في عيدها
سلام للتي بعد الرب
يليق تمجيدها
سلام للثائرات الماجدات
سلام لطالبات المساواة
والعدالة، والحريات
ورفع المظالم، والتابوهات
سلام للمعتقلات، والسجينات
سلام لأرواح النساء المكوية
بنار التخلف القبلية
بسيوف العشائر الهمجية
بأفكار تغلفها الجاهلية
بقوافل أغلبها أمية
تمجد الدكتاتورية
وتلعن العلمانية
والديمقراطية

اغتالوا طفولتك
قهروا روحك

سلبوا حريتك
حاصروا جسدك
لا أستوعب لا أعرف
لا أفهم ...
كيف أمة تحصر شرفها
تقدمها، وتطورها
قصيدتها، وشعرها
فلسفتها، وأدبها
مستقبلها بامرأة
يدعونها عورة

في السلم أنت ضحية
في الحرب أنت ضحية
سقطنا في امتحان التاريخ
وعلم الفلك، والنفس
والاقتصاد، وزراعة البطيخ
تركنا العلوم للغرب
بحثنا عما يسر الجسد
لا العقل والقلب
وتناحرنا بدعوة من الغرب
في هبات عربية
دعوناها ثورات عربية
فيها لم تتمخض القضية
عن حلول جذرية
لأزمة العرب الفكرية

سباقة كنت في المصائب

شريكة في النوائب
وقفت أسوة بالرجال
على كل جانب
سقطت شهيدة
بالدم غسلت الشرعية
لينبلج فجر الحرية
وتغير القوانين الاجتماعية

للأسف حاصرتك العصبية
لتعود من جديد القضية
من ألف إلي الياء
لا سرا لا إفشاء
العقول الرجعية
ظهرت على السطح
بعد طول خفاء
تفاقم الوضع يا شرفاء
وما زلنا نبحث عن شفاء

كل عام يا نساء العرب
يا نساء كل العالم
وانتن بألف خير
لتكن كل أيام السنة عيداً
تشجعن وانتصرن فيها
على كل جبار عنيد
لا تخفن التهديد والوعيد
أعلنها ثورة أبدية دائمة
للتغير والتجديد

أعراف المجتمع تقيد المرأة

الصورة النمطية عن المرأة في مجتمعنا العربي تحتاج لاستئصال من جذورها. حصرها في جسد بلا عقل وروح، لن يساهم في تحررنا من عقليتنا القبلية، ولن يسعفنا على إصلاح تراجعنا الفكري البالي القابع في جحور العصور الغابرة المظلمة. رؤيتنا المستقبلية ستبقى مشوشة، ما لم نردم الفجوة بين الرجال والنساء، ونعلن مساواتهما الكاملة.

المرأة والرجل، يعيشان في عالم يلفه الجهل والأمية والفقر والمرض، والعصبية الطائفية، والأفكار الرائعة، أو الأفكار البالية، الخائبة الحزينة التي تهدف لاسترجاع الماضي بسيئاته. ليشطح بالتالي معتنقيها بعيدا عن الحضارة العالمية وانفتاحها، ظنناً منهم أنها إبداعية، ليزداد عشقهم للعودة الى الماضي وإعادة استنساخ ظروفه التاريخية والاجتماعية ليبلغوا نشوة الوصول لأمجاد تجدد ذاتهم الهائمة في تيه الصحراء التي ابتلعت رمالها عبر قرون إبداعاتهم.

منذ كنت طفلا وأنا أسمع "أنّ للمرأة عقل بحجم عقل الدجاجة"، وأن "في المرأة نجاسة -غير طاهرة- لا تستطيع ان تمارس بعض الطقوس الدينية بسببها". كانت هذه التعابير في طفولتي تستفزني، فرأس أمي مقارنة بحجم رأس ابي متساويان تقريبا، وكلاهما كان يتمتع بنفس القدرات العقلية وإن تنوعت فتدل على الإبداع الذي كان كل منهما يتحلى به. ما لم أعرفه حينها في ذلك السن هو سر النجاسة، بعد أن أدركت لاحقا معنى (غير طاهرة)، تساءلت لماذا هذا التميز والاجحاف بحق المرأة؟ أليس ما يخرج من أجسادهن مثله كمثل افرازات جسم الانسان، وفضلاته؟ لاحقا استنتجت أن هذا الاختلاف تعبير ثوري لجسد المرأة، وأن جسدها يستعد منتظرا لبناء طفل في رحمها

تسعد به كل البشرية في هذا العالم .... في المرأة يكمن سر وجود البشرية واستمراره الذي خصها الله به وأودعها اياه.... فمتى نتخلص من هذه المفاهيم المقززة؟ ومن أفكارنا السقيمة؟ ... لنرمي بها في سلة نفايات التاريخ.

مجمل القضية سببه ثقافة المجتمع الذكوري الذي لا ينتقي من الاختلافات سوى الاختلاف البيولوجي، فتهيمن الذكورة على فكره، لتحصره في اعضائه التناسلية، فلا يرى في المرأة سوى متعة جنسية. فنعتها بعورة ليسهل عملية فرض ملكيتها، وخوفه غير المبرر حاصرها كي لا يفقدها. فبات جسد المرأة هو الساحة العامة لأمن المجتمع، وفرجها مصدر استقراره. صورة جنسية جاءت نتيجة دعارة فكرية. أما الاختلاف في القدرات العقلية فغيب تماما، فشرط الرجل هو جوانب استعمال العقل عندها، وحرمها من قدسية عمله، وعطله بأفكار هرائيه كي يدخلها في رعايته تحت سيادته لتصبح طيعة بلا إرادة او هوية او ذاكرة. لا استثني أحدا من أقصى اليمين الى اقصى اليسار. ولا حتى الرافض والمؤيد لهذا الفكر. لكنني ألوم المجتمع الصامت الذي يعرف القرار لكنه يتغاضى عن اتخاذه. لن استثنى معظم النساء أيضا صاحبات الحق المهدور، كيف لا يتساعدن من أجل قضية كرامتهن وحريتهن وأجسادهن ومستقبلهن.

... تمضي بنا الأيام الخوالي ... ومرورا في حرب حزيران وما تبعها من ويلات، وصراعات، وحروب في الشرق الأوسط وصولا الى الربيع العربي، كان معظم نتائجها هبوط أرصدتنا في العلاقات الدولية ونجاح المستفيدين، والمنتفعين والمتآمرين على شعوب المنطقة. أرصدة دولنا في الفشل تعاظمت وارتفعت بشكل حاد فأزمت أوضاعنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية. معظم القوى السياسية الدينية وأحزابها أجزمت على أنّ أحد الأسباب الرئيسة الهامة التي أدت الى فشلنا هو الابتعاد عن الدين. فطفت على السطح أصوات أصحاب الحلول الدينية وكان أول أهدافها موجهة ضد المرأة وحملتها عواقب فشلنا، وظهرت مقولة: "لماذا نصلي ولا يستجاب لنا!". فكان الحل هو العودة الى الدين. أؤيد هذا الطرح، وكل طرح ديني يقف على أرضية صلبة، به تمنح الحرية لأتباعه دون وضع حدود وحواجز

أو محللات ومحرمات. الله، سبحانه وتعالى ميّز الإنسان عن كل خليقته بأن وهبها عقلا حرا يستعمله بإرادته وحريته ... نستنتج من هذا الطرح أن سبب انتكاستنا الفكرية ليس البعد عن الدين بل البعد عن تحقيق الحريات وخاصة المتعلقة بالمرأة أكثر منها المتعلقة بالرجل، هذا الفكر فرضته الأفكار التكفيرية في العالم العربي وما وصل من تعسف بحق النساء العربيات اللواتي تم بيعهن في سوق النخاسة كما تباع الأنعام – الفكر الجنسي يطفو على السطح مجددا بشكل سبايا -.

مَنْ ليس لها الحق في اختيار شريك حياتها ليس لها حق على جسدها وعقلها، خاصة في مجتمع يلقن أبناءَه منذ طفولتهم "أنّ الحب يأتي بعد الزواج". يؤكد بعض الذكور ذلك بقولهم أحببتها بعد ليلة الدخلة. مما يفسر أنه في ليلة الدخلة فهم طباعها، ونفسيتها، وعقليتها الخ...من خلال مضاجعتها. جواب شخص عقيم الفهم والإدراك. فما جمعه بها هو الجنس وليس الحب. بالتالي يكون الهدف من الزواج الإنجاب والمتعة الجنسية، مما يحرم المرأة من الحب الأبدي الذي تأملته في طفولتها. بذلك تنتقل من وصاية، وسيطرة، وطاعة الأب والأخ الى الزوج، كقطعة أثاث... الزواج شراكة يقام صرحها على أساس متين من الثقة والاحترام والتقدير والمحبة المتبادلة. المجتمع الذكوري يحافظ على هذه المكاسب التي شرعها المجتمع، والمرأة قد تستكين ونرضى بذلها...على المرأة أن تنتفض، أن تثور، أن تكسر القيود التي تكبل حريتها وتلغي قراراتها. عليها أن تحارب من أجل الانعتاق من عبوديتها من أجل تامين أكثر عدالة لأنبائها خاصة للإناث منهم.

هناك خلل في الوعي الجمعي، سببه رواسب التربية الخاطئة المميزة بين الجنسين منذ الطفولة، تستقر في اللاوعي، تسترجع لاحقا ليعيش الإنسان تناقضاتها. الدولة تساهم بذلك وطقوس العبادة والمجتمع يساندانها، لتصبح قضية المرأة قضية وطنية مصيرية مهمة. يتبعه مراقبة تحركات المرأة ومحاسبة خطواتها خطوة خطوة... لباسها، مشيتها، حركتها، كلامها ...أليس من الأفضل تربيتها على تحمل المسؤولية، والشعور بالاستقلالية، كي تكون لها تجاربها

الخاصة لتبني خبرتها الذاتية في الحياة وتستعد لمواجهتها... في عرفنا باتت المرأة صمام أمان المجتمع، وأصبحت كأسطوانة غاز ما لم نحكم إغلاقها جيدا ستقتلنا... أفكارنا الرجعية المحاصرة للمرأة قتلتنا ودفنت عقولنا المريضة في مستنقع التخلف... متى سنتقدم ونرتقي كباقي المجتمعات الإنسانية؟

تحجيم المرأة يعني وضع نصف المجتمع في دائرة الغائب، مما يسهل السيطرة على باقي أفراده. تحجيمها بحجة الشرف لا يؤدي الى مثالية المجتمع وطوباويته. مجتمعاتنا المنغلقة فيها الكثير مما يدهش، لم تسعفنا مباؤنا ونظرياتنا السامية من علاجها. - يمكن الإبحار، والبحث في الإنترنت عن ظاهرة الدعارة، وعدد اللقطاء، والانحرافات الجنسية وسفاح القربي الخ... في مجتمعاتنا. لا تصبوا حقارتكم على النساء.

كثيرات هن النساء الرائدات اللواتي غيرن وجه التاريخ، وشاركن الرجال في ميادين الحياة العلمية والسياسية والأدبية والاقتصادية. قد يجيب شخصا من أنهن حالات استثنائية، وجود مثل هذه الزمر بيننا لا يمكن أن يساهم في تحقيق أي تغير أو إنجاز نتطلع اليه ونتمناه منذ أجيال. أتمنى ان لا تتحكم هذه الزمر بمصير دولنا وشعوبها المتطلعة للحرية والكرامة والعدالة الاجتماعية الإنسانية.

التحية والتقدير والاحترام، لكل الماجدات المناضلات الداعيات الثائرات المبدعات - دون ذكر الأسماء، وهن كثيرات في العالم العربي- اللواتي يجاهدن لتحقيق مطالب النساء وحقوقهن، وحريتهن في هذا الصراع الحضاري في عالمنا العربي. عاجلا أم آجلا سينهار جدار الصمت وجدار الفصل بين الرجال والنساء، وتنطلق انتفاضات تنادي بالمساواة بين الرجال والنساء.

هنيئا للنساء الماجدات المتطلعات لغد مشرق ولمستقبل أفضل في عيدهن. وكل عام ونساء العالم والعرب خاصة بألف خير.

بتحرر المرأة يتحرر العقل

لا تحترم المرأة لأمومتها، او لأخوتها، او لبنوتها فقط ،
لكن لكونها مخلوقاً عاقلاً كاملاً اسوة بالرجل.

المرأة كائن حي ،إنسان، فرد في الأسرة البشرية، ليست جزءاً من مقتنياتنا وأملاكنا، ليست ملكاً عقارياً، ليست سلعة. هي حجر زاوية في المجتمع، لها روح وجسد ،عقل كامل يفكر، تمتلك أحاسيس إنسانية مرهفة فياضة جياشة تتناسب مع وضعها الاجتماعي، ودورها البيولوجي، لها كرامتها واحترامها. تعي جيدا معنى الحريات، والحقوق، والمساواة ، وكيفية التعامل معها جيدا لتحقق وتنمي شخصيتها المستقلة دون قيود، أو إرادات الآخرين، بعيدا عن فريق او طرف، يحددها أو ينتقص منها شيئا في مجتمعات منغلقة، ملازمة لفكر جامد متصحر بالٍ يدعي التحضر.

اهتمامنا في تحجيم دور المرأة وحصره في الإنجاب، وقولبة عقلها بتحديد إمكانياتها الفكرية، أكثر من اهتمامنا في قضايانا المصيرية والتنموية، التي أوصلتنا الى أدني مستويات في سلم التطور التقني العالمي المعاصر والإبداع الفكري المستنير. بعزلها عزلنا أنفسنا، أشعلنا في ذاتنا خوفاً غير مبرر نحوها مبني على حجج واهية، فرضنا عليها انماطاً سلوكية، تقليدية قديمة لا تتماشى مع الزمن المعاصر... ألا يثير هذا سلوك الاشمئزاز، ويبعث روح التمرد فينا وفيها.

الرجال والنساء متساوون ، في الوقت نفسه ليسوا متماثلين، يجب عدم الخلط بين المساواة والتماثل كما يحلو لبعض المروجين المناهضين المدججين بأقوال وأفكار باهته يقفون سدا منيعا ضد الحركات النسوية النهضوية، المصرين على سيادة الرجل ودونية المرأة، ليعملوا من خلال مخططاتهم الرجعية على تعطيل مشاريعها التحررية وتجريدها من حقوقها الإنسانية، تساندهم فئات ضالة تمثل نسبة عددية قليلة جدا لكنها تمتلك قوة ثائريه إنتقامية إرهابية. نحن نختلف عن بعضنا البعض من حيث الصفات النفسية، والتركيبة الجسدية المميزة لجنسيتنا، ونتساوى في كل أمور الحياة .

ليتذكر كل مؤمن، أن الآلهة في الأساطير، كان منها نساء، وكان منها رجال، تعيش خالدة في السماء ولها ذرية وأبناء. في بعض الثقافات الدينية هناك إله واحد -تمجّد اسمه- مالك وخالق الكون، بما أنه خالق غير مخلوق يمتلك القدرة على تشكيل الكون كما يراه مناسبا للحياة. خلق الإنسان على صورته ومثاله، خلقهما ذكراً وأنثى، ذلك لا يعني بتاتا ان الله – سبحانه وتعالى - ذكر أو انثى أو خلافهما هو، لكنه يعنى أنّ الذكر والأنثى هنا نفخة من روح الله، ويمتلكان الحرية والمسؤولية بالتساوي لاستكمال قصد الله سعيا لبناء الكون وإعماره. بذلك يمثلان تكاملاً بيولوجياً في دائرة كونية متكاملة، دائرة لا تكتمل إلاّ بأمر الله ووجوده.

باطن مجتمعات العالم الثالث يختلف عن ظاهرها، فإن كان ظاهرها متدنٍ فكيف باطنها. المرأة في معظم هذه المجتمعات تعاني من ظلم، جور، احتقار، مهانة نابعة من تصرفات وسلوك مجتمع ذكوري، يضع المرأة في منزلة أقل من منزلة الرجل، من خلال برمجة تربوية يتلقاها الفرد الذكر في سن مبكرة من قبل أهل، وحفنة رواد فكر خانق ظلامي، حاقد، يعيشون في الماضي ليتعلم بتشجيع منهم أن الذكورة صفة سلطوية تعطيه الحق في الهيمنة على الأنثى والتحكم بها. معلمون، يتمترسون وراء ادعاءات، ذرائع، ومخاوف كاذبة، مخجلة بدعوى "حمايتها" كونها الحلقة الأضعف في المجتمع. اتسأءَل حمايتها من مَن؟ الجواب من الذكر. ولماذا؟ لأنه يعجز عن كبح شهواته. المغالاة دليل عقم فكري، مرض سيكولوجي غير مبرر في مجتمع يعاني أصلا من أزمات نفسية وغير نفسية عديدة، في طليعتها أزمة نفسية تدعى: "عقدة أعضاء الذكر التناسلية وعلاقتها بالمرأة –الخزي والعار لهذا الانتاج الفكري الهابط -" التي لا يرى فيها الا الجنس، تولدت نتيجة غياب ثقافة سليمة، في مجتمع جامد خارج عن روح العصر والتقدم، في مجتمع لم يتمكن من تغير نظرته الشهوانية وفكره الشهواني عنها. ما يطرحه الغلاة اعتقاد زائف. حرروا عقولكم، ثقوا ببناتكم، لا تحملوهن وزر تخلفكم، لا تسقطوا عليهن تراجعكم.

حجر حرية المرأة بذريعة الخوف من الانزلاق في علاقات جنسية، دليل على الضعف التربوي المجتمعي، لا دليل على القوة التربوية. التربية السليمة تنير الفكر، وترشد العقل الى اتخاذ القرارات والخيارات السليمة الصحيحة، وبناء شخصية مستقلة قادرة على مواجهة صعوبات الحياة. الخوف يطمس شخصية المرأة، وقدراتها، وطاقاتها، عوضا عن إبرازها . تربية المرأة وتعليمها ومعاملتها أسوة بالذكور ضرورة ثورية حتمية لإحداث نقلة اجتماعية نوعية، تقف فيها المرأة والرجل على قدم المساواة في مواجهة الأفكار السلبية اللاإنسانية.

نساء اليوم دخلن في كل مجالات الحياة، يقمن بأعباء العمل والإنفاق على ذاتهن. تبوأن مراكز قيادية عليا، تحملن كل الأعباء المفروضة عليهن أسوة بالرجال من زملائهن بالعمل. فإن قلنا الذكور والنساء متساوون فذلك لا يعني أنّ الرجال فقدوا ذكورتهم والنساء فقدن أنوثتهن، ولكن يعني مساواتهم في تحقيق العدالة الاجتماعية بينهم. تميزهم يقاس فقط بقدراتهم العقلية على استخدام طاقاتهم الإبداعية.

مساندة المرأة يكون في إخراجها من دعارة فكرنا الى سموه، ومن تبعيتها الى استقلاليتها، ومن كونها انساناً ناقصَ العقل الى إنسان كامل، ومن دناسة الجسد الى طهارته، ومن مشروع تفريخ الى بناء. ثم دعمها واعتبارها شريكة الرجل في الحياة، لها ما له من حريات وكرامة، وعليها ما عليه من حقوق وواجبات، وتتمتع بالقدر ذاته من المساواة أمام القانون، خلاف ذلك إهدار وتهديد لوجودها ككائن بشري له تصورات وأحلام يرغب في تحقيقها بعيدا عن الدونية التي تطمس دورها في العطاء والإنتماء.

تغير نظرتنا نحوها وتحويلها من عنوان جنسي الى عنوان شريك يحرر المرأة، كما تتحرر مساحة واسعة من عقل الرجل، تمكنه من استخدم هذه المساحة المحررة الى محاربة أصحاب الفكر الرجعي، ويعلن انتصاره على المفاهيم التقليدية البالية التي يطرحونها، لينطلق الجميع نحو مستقبل مزدهر أجمل، وأفضل، وأكثر ثراء، وعزة، وإنسانية.

٧- ألدين
أديان اليوم مع ماركس ونتشه

إنسـان، مثقـل بالهمـوم، يغـرق في أوهـام في خرافـات باليـة تشـده بقـوة، بجنـون إلى زمـن بعيـد سـحيق، ينتظـر معجـزة سـماوية كي تحـرره مـن عجـزه وتغـير واقعـه الأليـم، يبحـث فيـه عـن مـكان لـه تحـت الشـمس، في عـالم يسـير بإطـراد سريـع لا يعـرف الكلـل أو الملـل نحـو التطـور والتقـدم العلميـين كي ييـسر ويحسـن نوعيـة حيـاة الإنسـان عـلى الأرض، وإنقـاذه مـن بؤسـه. إنسـاننا العـربي يتـوه ويـدور في خـلاط المـاضي والحـاضر الجامديـن لعلـه يتوصـل لحلـول مسـتقبلية في زمـن كـثرت فيـه الأفـكار العقلانيـة واللاعقلانيـة، العقائديـة والأيديولوجيـة التـي تغلـو في تطرفهـا أو تتشـدد في طرحهـا، ولا تنصـت للصـوت الصريـح العقـلاني الواضـح الـذي تقـره تعاليمهـا .لا يـدري في أي زمـن يسـتقر وكيـف ينتهـي بـه المصـير. تركنـا الثقافـة والعلـم جانبـا، تركنـا أنفسـنا فريسـة للجهـل، ألغينـا العقـل، ابتعدنـا عـن المنطـق، ركضنـا وراء قراصنـة وسـماسرة مـن الدجالـين اخترقـوا حواجـز عقولنـا وأصبحنـا منسـيين. نزحـف مكبلـين محملـين ببؤسـنا وإحباطنـا نحـو مسـتقبل ضبـابي، لا أمـان فيـه لإنسـان سـوى كالعـادة لمـن يـضرب بسـيف السـلطان.

تعلمنـا وتربينـا أن اللـه خالـق الكـون والحيـاة والإنسـان، موجـود في السـماء وفي قلـوب المؤمنـين، عرفنـا أن العقـل موجـود في الدمـاغ، يشـترك فيـه بنفـس القـدر والكميـة العاقـل والمجنـون، الأنثـى والذكـر، وكل أجنـاس البـشر. الديـن صنعـه الخالـق. تفسـير الديـن تـرك للإنسـان، والإنسـان قـد يخطـئ أو يصيـب. الإنسـان جـزء مـن حركـة التاريـخ بهـا يـدور، والتاريـخ يخضـع لمتغـيرات الزمـان والمـكان. الزمـان والمـكان متغـيران غـير ثابتـان يخضعـان لمتغـيرات التقـدم والتطـور الفكـري الفلسـفي والعلمي....نسـتنتج بذلـك أن الديـن خاضـع للمتغـيرات التـي تواكـب عجلـة التقـدم، وبالتـالي يفـسر كوجـه لواقـع متغـير باسـتمرار. وكحـدث يجـري اليـوم وليـس أمـس...

عجلة التاريخ تستمر في الدوران، لذلك من الواجب تفسير الدين بما يتلاءم مع روح العصر والإنسان، وليس إلغاء أو تشويه فكرة الله الدّيان ،فالدين الذي لا يتلاءم مع روح العصر يندثر، ويصمد متعكزا على عقول المتزمتين الذين يخافون من التغير، لأن مصالحهم ستتضرر، فالدين الذي لا يساير التطور والتقدم في المجالات الحياتية الطبية، والفضائية، والصناعة، والنفسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية...لن يخدم هدف الخالق مبدع الكون والعقل، الذي خلق الإنسان ليفكر ويرسل، لا ليستقبل ويغفو، بل ليجتهد ويعمل لا ليتكاسل.

فيلسوفان فجرا ثورة فكرية، وغضبا عارما، انقسم معهما العالم إلى قسمين، بين مؤيد أم مناهض لهما. كل قسم يدلو بدلوه ويجتهد في المناصرة أم المنازعة. في معركة اشترك فيها الفلاسفة والأدباء، واللاهوتيون فقهاء الدين، والسياسيون...الأول كارل ماركس (٥/ أيار/ ١٨١٨- ١٤/ آذار/١٨٨٣) فيلسوف ألماني، صحفي، سياسي، ومنظر اجتماعي قال: " الدين أفيون الشعوب". والثاني فريدريك نيتشه (١٥/ تشرين أول/ ١٨٤٤- ٢٥/ أب / ١٩٠٠) فيلسوف وشاعر ألماني، مهد لعلم النفس، عالم لغويات قال: " مات الله". لن أدافع عن كارل ماركس أو نيتشه ولكنني سأحاول أن أجتهد فمن اجتهد وأصاب له حسنتان، ومن لا يصب له حسنة واحدة...كما وإنني اترك للقارئ مهمة البحث عن انجازات القرن التاسع عشر الفلسفية والأدبية، والإحداث التاريخية والحركات الثورية، والعلمية ، والعسكرية ... وغيرها كي لا يقع فريسة لأكاذيب يشيعها مغرضون يمنعون الحقيقة والمعرفة ويحجبونها كي يمرروا فكرهم المسموم. فمن لا يمتلك المعرفة عليه بالصمت والاستماع لمن يملكها كي لا يبقى الفرد والمجتمع ألعوبة تدار بأيدي الجهلاء... كما عليه أن لا يكون محاربا أعمى يندفع بجهله ليدمر مجتمعه.... المعارف التي توصل إليها في القرن التاسع عشر أعطت دفعة قوية مشكلة متتالية هندسة تراكمية علمية وقاعدة عريضة لنهضة القرن العشرين، والحادي والعشرين...

لاحظ كارل ماركس كيف يخدّر الناس باسم الدين، بمعنى أوضح كيف يُستغّل الدين من قبل رجال الدين والسياسيين للتسلط على عقول البشر. وهمّه

كان بيـان أثـر اسـتغلال الديـن في حيـاة الشـعوب. وفضـح ممارسـاتهم. أمـا نيتشـه همّـه كان أن يكشـف سـلطة رجـال الديـن والسياسـيين معهـم وتعريتهـم. فمحاولتـه كانـت إحيـاء الديـن وصحـوة العقـل وتنشـيط الفكـر مـن خـلال قتـل صـورة اللـه الرهيـب الـذي زرع في عقولنـا، ومخيلتنـا، ووعينـا، وتربيتنـا الخاطئـة التـي علمتنـا أن نخـاف منـه في طفولتنـا بـدلا التقـرب منـه ومحبتـه... بالتـالي نسـتنتج أن محبـة اللـه، والإنسـان، والكـون الواحـد الـذي نعيـش فيـه ومعـه وبـه هـو نموذج متكامـل لخـلاص البشريـة ودعـوة للتعـاون العالمـي المشـترك مـن قبـل أهـل الأرض جميعـا.

الديـن لـن يكـون أفيـون الشـعوب إذا كانـت مهمتـه تنحـصر في...عـدم تجـرد الإنسـان مـن إنسـانيته، لا يدفـع الإنسـان لتكفـير أخـاه الإنسـان، لا يحـشر نفسـه في السياسـة، لا يجيـز لواعظـه الإسـاءة للمتدينـين والملحديـن، لا يشـيد معابـد لتفريـغ العقـول، لا ينشـئ مفرخـه للإرهـاب، لا يدعـو لقتـل الآخـر والتفنـن في أسـاليب القتـل، لا يحـارب أفـكار النـاس وتوجهاتهـم وحرياتهـم ومعتقداتهـم، لا ينـشر مفهـوم أفضليتـه عـن الأديـان الأخـرى، لا يبحـث ويركـز عـلى عيـوب الآخريـن.......

أتسـاءل هـل اللاهوتيـون والفقهـاء هـم ورثـة اللـه عـلى الأرض؟ ولسـان حالـه؟ هـل الحكمـة والمعرفـة عندهـم وصلت إلى مستوى العصمة؟ مع علمنـا أن العصمة لا تكون إلا لنبـي .مـن يخدمـون اللـه؟ أم أنفسـهم ؟ أم أطـماع الحـكام؟ أم أجنـدة أجنبيـة؟... اللـه المحبـة لا يبغـي شـيئا سـوى الخـير للبشريـة جمعـاء، هـذه هـي رسـالة الديـن.

التلاعـب بالعقـول والتسـتر بالديـن طريقـة سـهلة، يغـرّر فيهـا الجاهـل، والمحتـاج، والمهـووس مـن قبـل مـن اختطفـوا الديـن وصادروه ليعرضـوه، ويسـوقوه سـلعة عـلى مقـاس مصالحهم...فهـو مسـتعد لتصديـق أي شيء كي يغـير واقعـه المريـر. المـوت يصبح رحلـة تبعـده عـن عذبـات الحيـاة القاسـية، مأسـاة، عندمـا تتحـول الخرافـات الدخيلـة عـلى الديـن إلى حقائـق. ومأسـاة المـآسي إن لم نخـرج العقـل مـن عقاله ونفكـر بعقائدنا ومصادرهـا بعقليـة كـما أرادهـا اللـه أن تكـون لـكل زمـان ومـكان... فالديـن يـسر وليـس عـسر .. لنقـرأه ونفهمه ونعيشـه في سـياقه التاريخـي للقرن الحـادي والعشرين.

الديـن حريـة وليـس عبوديـة، محبـة وليـس كراهيـة، حيـاة وليـس موتـاً، بنـاء وليـس هدمـاً، علـم وثقافـة وليـس جهـلاً. انـه المسـتقبل الجميـل للبشريـة جمعـاء إذا عـرف وأحسـن اسـتخدامه. أو وسـيلة دمـار وقتـل إن أُسيء اسـتعماله. رحمـة اللـه عـلى أمـي التـي علمتنـي اسـتخدام العقـل، كانـت تقـول:" اللـه مـا شـافهوه بالعقـل عرفـوه".

تضخم الأنا الديني

خاطرة إيمانية في عالم يصنع موته
باسم الدين. في عالم فقدت الإنسانية
فيه معناها، وقيمها، وأخلاقها. وسقط
الجميع في أتون الموت، والانتقام
والأحقاد. التي وإن استطاع الزمن دفنها
يوما ما فلم يستطع محيها من ذاكرة
الشعوب المكوية بنارها لحظة ما.

معظـم البـشر يعتقـدون أن إيمانيهـم قـوى كالفـولاذ ، وصلـب كالصخـر، وعظيـم كالرعـد وتلاطـم كمـوج البحـار والمحيطـات، وكبـير كالكـون اللامتناهـي ارتفاعـا وانخفاضـا وامتـداداً، وان بإمكانهـم صنـع المعجزات....سـائر أنـا مـع الجمـوع الغفـيرة المكتنـزة بالمحبـة العميـاء، والرحمـة الخرسـاء، والتواضـع الممـزوج بالكبريـاء وبخمـر الخبـث والخـداع، وجـدت الجنـس البـشري مندفعـا في هـذا العـالم متباهيـا معتـزا بشـعلة الحـب الإلهيـة المتقـدة في أعـماق قلبـه حاضنـة الـشر، والنفـاق، والكبريـاء، وكل وبـاء نفـسي، ومـرض اجتماعـي وكـذب سـياسي، وعهـر ثقـافي.....

بعنـف هزّتنـي نفـسي، وصدمنـي واقـع الإنسـانية الأليـم المريـر، والكراهيـة البشريـة الآخـذة بالاتسـاع ....مـرارا وبعـدد نجـوم السـماء، رجـوت ربي لرفـع هـذه المعانـاة.. طـال انتظـاري لتوسـلاتي، ولم اسـمع صـدى لصلـواتي بعد عـدة ملايين المـرات لمعجزة من رب السـماء ، لوقـف شـلال الدمـاء المتدفـق عنفا وإرهابا بـين عباده الورعـين الأتقياء.....

أخيرا قـررت البـدء في تنظيـم حمية إيمانيـة لأقلـص إيمـاني حتـى يصـل إلى حجـم مثـل "حبـة الخـردل".... تبعـت فكـرة المسـيح عيـسى ابـن مريـم القائـل: " الحـق أقـول لكـم لـو كان لكـم إيمـان مثـل حبـة خـردل لكنتـم تقولـون لهـذا الجبـل انتقـل مـن هنـا إلى هنـاك فينتقـل ولا يكـون شيء غـير ممكـن لديكـم ".(متـى ١٧: ٢٠).....

فهمـت قصـده، واسـتوعبت فكرتـه، وأيقنـت أن الإيمـان لا أبعـاد لـه، لا طـول، لا عرض، لا ارتفـاع، ولا يقـاس بمقاييـس صممهـا واخترعهـا وسـوقها اللاهوتيـون الفقهـاء. ..... وأن البـشر واحـد وكلهـم سـواء ومَـنْ أظهـر تقـواه تيهـا كطـاووس فهـو مريـض نفـسي يعـاني مـن نشـوة قدسـية سـوداء. ومـن لا يتواضـع يقتـل نفسـه وغـيره بالكبريـاء.

منـذ ذلـك الحـين وأنـا أحـاول أن أتنـازل عـن غـروري وعـن الأنا الدينـي المتضخـم الذي زرعوه في عقلي وقلبي، الذي كنت أتباهى به أمام الناس كي يصبح بحجم حبة الخردل...

قـد تمـر أجيـال وأجيـال قبـل أن تصـل الإنسـانية إلى مرادها أو قمـة هدفها في المسـاواة، والعـدل .... لأن مثـلي كثـيرون مـن المؤمنـين المغـرر بهـم في هـذا العـالم يسـيرون كمـوتى وهـم أحيـاء. يسـيطر عليهـم أنـاس يزرعـون فيهـم تعاليـم تضخـم الأنـا الدينـي عندهـم وتـأسر ألبابهـم.

فالإيمان بدين يعني محبة، وعملاً، وأخلاقاً. هكذا علاقات تنتهي بأفضل ثواب ... فالبشر جميعهم سواء.

بين العلم والدين

أبدا بحقيقة لا لبسَ فيها، ولا غبار عليها. وهي أن الدول
المتقدمة علميا تتمتع شعوبها بقدر كبير من العدالة الاجتماعية،
والمساواة الاقتصادية، والالتزام بالقانون، وانخفاض معدل
الجريمة، وشعور مواطنيها بالأمان، و أكثر تمسكا بالمبادئ
والقيم الإنسانية من الدول الدينية.

الديـن ظاهـرة اجتماعيـة سـبقت ظهـور العلـم: الأولى تتنـاول مظاهـر غيبيـة تتعلـق بمـا وراء الطبيعـة تتجـه نحـو السـماء مركـز الوحـي للبـشر، أمـا العلـم فيركـز عـلى المتغـيرات المسـتندة إلى الطبيعـة والكـون وتفسـيره.

العلـم الحديـث ثـورة، مسـتمر وهائـل، وكل لحظـة يقـدم لنـا إبداعـا، واختراعـا جديديـن. وكل يـوم يظهـر علـماء عـلى مـسرح الحيـاة، وعـلى نقيـض مـن ذلـك في أركان الكـون الأربعـة هـو الديـن، الـذي كبـح، وأوقـف، ومنـع مـن العصرنـة، ومـن جعلـه وسـيلة تسـهل حيـاة الإنسـان في الحضـارة الإنسـانية التـي نواكبهـا.

العلـم كمنهـج للتفكـير، يخضـع للعقـل، ويعتمـد عـلى التجربـة والبرهـان ليؤكـد صحـة أو خطـأ مـا يطـرح، ويسـتمر عـلى حاله لزمن قد يقـصر أو يطول، إلى أن يـأتي من يبرهن عكسـها. أمـا الديـن كمنهج للتفكـير، لا يعتمد ولا يحتاج إلى تجربـة وبرهان، كونه صادراً عـن خالـق الكـون، فعلينـا أن نصدقـه ونؤمن بـه دون إثبـات أو تردد أو إخضـاع العقل.

في بعـض الـدول - ومنهـا العلمانيـة- الديـن والعلـم يترعرعـان وينمـوان بشـكل طبيعـي ومسـتقل دون تدخـل قوانـين الدولـة فيهـما، ودون الضغـط عـلى طـرف ومنعـه مـن ممارسـة نشـاطاته، فـكل مسـتقل في تخصصـه ومجالـه. تقـوم الدولـة بحمايـة كل مواطنيهـا باختـلاف توجهاتهـم الفكريـة، بالتـالي شـخصية الديـن تكـون مسـتقلة ومكفولـة ومصانـة دون تهديـد مـن أحـد. كـما أن العلـم يسـتمد قوتـه مـن الحريـة المطلقـة المستندة عـلى القانـون بخـلاف مـا يمكـن أن يجـري في الـدول الدينيـة التـي تحتـاج إلى مرجعيـات وقوانـين قـد تمنـع أو تعيـق التطـور، لأنهـا لا تتوافـق أو تسـتجيب لنموهـا النوعـي في العلـوم الطبيعيـة، أو لمصالحهـا السياسـية.

بالحقيقـة العلـم لا يسـتطيع أن يقيـس صلابـة الإيمـان، أو قوتـه، أو حرارتـه، ولا يسـتطيع إجـراء تجـارب عـلى الـروح، والقداسـة في مختبراتـه. كذلـك لم يسـتطع الديـن تفسـير عمـل الجهـاز التنفـسي في لاهوتـه، أو تحديـد جنـس الجنـين، أو شرح طريقـة بنـاء مركبـات فضائيـة، أو وضـع خارطـة جينيـة. فالديـن

والعلــم في عصرنــا الحــالي يســيران في خطيــن متوازيــين لا يتقاطعــا في نقطــة مــا، وان تقاطعــا تنافــرا، وتحاربــا، واشــتبكا، وتشــابكا وبــرزت القطيعــة بينهــما.

وجهــة الديــن روحيــة وهــي إعــداد الإنســان عــلى الأرض مــن أجــل كســب الســماء، يجهــزه لآخــرة ســعيدة. ويتــم ذلــك بطــرق، وضوابــط،، وشروط روحيــة، ضمــن طقــوس خاصــة، عــلى المؤمنــين التقيــد بهــا وبحرفيتهــا خــلال رحلــة حياتهــم عــلى الأرض، والاستســلام المطلــق لــكل مــا يمــلى عليــه مــن أصحــاب المعرفــة اللاهوتيــة المتسربلــين بثــوب الديــن. أمــا العلــم فإنــه يســعى لنقــل الإنســان نحــو الســعادة عــلى الأرض، بعيــدا عــن الفقــر، والمــرض، والجهــل، مــن خــلال تفســير الطبيعــة والكــون بطــرق علميــة عقليــة وتســخير التكنولوجيــا، والاختراعــات لرفاهيــة الإنســان.

اللــه خالــقٌ للبــشر يــدرك الميــول البشريــة ويعــرف ســلوكها، فلأجــل اســتقلال الإنســان، زرع فيــه العقــل حــرا مســتقلا ليعمــل دون تدخــل أحــد و ليفــسر الوجــود بــلا حــدود. فلــو كان اللــه يريدنــا أن لا نفكــر، لــزرع فينــا عقــول منــذ خلقنــا محــدودة التفكــير والإرادة، بمعنــى فــرض، وحــدد، وبرمــج كل مــا أراد أن نعرفــه وانتهــت القضيــة بحيــث لا يشــكل عبئــا أو اختلافــا بــين البــشر. التّزمــت الدينــي صفــة تعنــي التعــدي عــلى خليقــة اللــه التــي لم يخلقهــا لتكــون دميــة بــين يــدي أحــد. اللــه لم يخلــق دمــى، بــل خلــق أحــرارا، لينهضــوا بالإنســانية دون تشــنج أو عنــاد أو تصلــب أو إلغــاء الآخــر.

الاقتتــال بــين رجــال الديــن والعلــماء كبــير، صراع هــو ونــزاع، وليــس منافســة. كل يســعى لإثبــات طرحــه. وبســبب قســوة الإنســان فــان كل طــرف يســتأثر مصلحتــه، ويقــدم نفســه عــلى أنــه الأفضــل. فالاقتتــال قديــم قــدم وجــود الأرض، ولــو كان هنــاك لحظــات في التاريــخ تقاربــا فيهــا، إلا أن داخــل كل منهــما تــوق إلى إنهــاء الآخــر.

سـعي معظـم رجـال الديـن لإخضـاع العلـم لمشيئتهم، دليـل يقدمونـه على عـدم قدرة الديـن عـلى السير منفـردا دون الاتـكاء عـلى عصـا العلـم. نتيجـة لذلـك معظـم العلماء لا يـرون في الديـن نـدّا أو منافسـا للعلـم بل معطلا لـه...فالعلـم يفسر الوجود بأسـلوب

علمـي، يسـتند إلى أدلـة وبراهـين لا يمتلكهـا الديـن لذلـك يتعلـق المتدينـون بالغيبيات.

سياسـة فشـل العقل وقدراته الواسـعة يعني إجهاض وموت التفكير، فالدين بذلك يمثل تهديـدا للعـالم والحضـارة العالميـة. وأيضـا اسـتقلال العلـم يمثـل تهديـدا لمصلحـة رجـال الديـن، وليـس للحكمـة الربانيـة، لأن الحكمـة الربانيـة هدفها خير الإنسـان والإنسـانية.

في العلـم نتعلـم كيـف نفكـر ونحلـل ونفسر ونسـتنبط ثـم نقـرر. أمـا في الديـن هنـاك قـرار موجـود وموجـه لا يحتـاج لتفكـير، كل ما عليك هـو قبوله ومتابعته كـما هو، دون أن تسـأل لأن طـرح السـؤال تعـدٍ عـلى حرمـة رجـال الديـن، وليـس الدين. فذلـك يهدد مكانتهـم، لأن بأياديهـم مفاتيـح الحـل والربـط لـكل العلـوم والإجابـات لـكل الأسـئلة المطروحـة، وعلومهـم محكمـة وتحـاصر كل شـاردة وواردة مشـكوك فيهـا أو مشـبوهة. إذن، عليـك قبـول مـا يطرحونـه دون نقـاش أو تفكـير وخلافـه يعـد ضربـا مـن التكفير.

العلـم هـو الـشيء الوحيـد في العـالم القائـم عـلى حقائـق ونظريـات ملموسـة ومطبقـة، وقوانينـه ثابتـة لا تتغـير ويصلـح لـكل شـعوب العـالم. بينـما الديـن لا يصلـح إلاّ لقلة أو كـثرة موزعـة عـلى كوكبنـا. إذن، العلم شـكل بكليتـه عموميـة لجميع الأجنـاس البشرية. الديـن شـخص وجـد لمسـاعدة الإنسـان عـلى مواجهـة التحديـات واجتيـاز المخـاوف... الديـن المبنـي عـلى المحبة والتسـامح يعمل على خلق اتجاه نفسي سـوي لـدى معتنقيه .

العلـم لا حـدود لـه، يضيـق دوره ويتسـع بمقـدار فهـم عقلنـا لـه في الزمـان والمـكان الـذي نعيـش فيـه. متابعتنـا للتقـدم الهائـل للعلـم يجعـل الخضـوع للفكـر الدينـي ضربـا مـن المسـتحيل، كونـه يسـير بوتـيرة سريعـة أكـبر مـن قـدرة العقـل الدينـي عــلى اللحــاق بهــا لتؤيدهــا أو لتنفيهــا، أو بسـبب عـدم انفتـاح رجـال الديـن وفهمهـم للعلـم الحاصـل...أو فهمهـم السـطحي للعلـم الـذي لا علاقـة لهـم بـه سـوى الاسـم. كـما أن معظمهـم لا يعرفـون ولا يتبعـون طـرق القيـاس العلمـي. فـما أسـهل العـداوة التـي تنشـب بـين فهمنـا للـشيء مـن عـدم فهمـه.

أمـا العلـم فـإن الـصراع الموجـود فيـه سـبق ومنافسـة في التقـدم والإبـداع والازدهـار، وبذلـك يكـون رائـدا ومقدمـا شـيئاً جديـداً لسـعادة لبشريـة جمعـاء. ويشـارك فيـه الجميـع مـن أجـل مصلحـة الجميـع. أمـا الديـن يشـترك فيـه قسـم مـن النـاس... ويقسـم الباقيـة إلي فئـات كل منهـا لهـا تفسـيراتها.

سـأطرح سـؤال ثـوري عـلى علـماء الديـن أولا، وفيـه الكثـير مـن التحدي...مـا هـو موقفكـم مـن العلـم والعلـماء الذيـن يتطلعـون إلى قبـور العظـماء وأخـذ عينـة مـن بقاياهـم واستنسـاخها؟ هـذا السـؤال يحتـاج إلى جـواب جـريء يبـين عظمـة تحديكـم للعلـم في حـال توصـل لذلـك. السـؤال الثـاني موجـه إلى العلـماء، مـاذا يمكنكـم أن تفعلـوا أمـام تحـدي رجـال الديـن لكـم بإثبـات وجـود، أو عـدم وجـود الـروح، والآخـرة بطـرق علميـة في مختبراتكـم؟ هـذا أيضـا يشـكل تحديـاً كبـيرا لكـم لإثباتـه.

سـنبقى في حـيرة مـن أمرنـا إلى أن يـأتي الزمـن الـذي فيـه يبرهـن ويلغـي كل التناقضـات الموجـودة إن اسـتطاع العلـم والديـن ذلـك ... وخـلال هـذه الزمـن مـن واجـب الإنسـانية أن تتعامـل مـع بعضهـا البعـض عـلى أسـس متينـة مصدرهـا العلـم والديـن، بحيـث يقومـان عـلى قاعـدة تقـول نريـد قلوبـاً نقيـة، وعقـولاً نـيرة، وأرواحـاً سـامية، وأعـمالاً إنسـانية، وتفاهـماً عميقـاً ومحبـة بـين الأجنـاس البشريـة يلتـف ويتدثـر عالمنـا كلـه بهـا، كي لا نصحـوا يومـا وتكـون حضارتنـا الإنسـانية في مهـب الريـح. مـن مصلحـة البشريـة أن يكـون هنـاك مثـل عليـا ليسـت لخدمـة ديـن ضـد علـم، أو علـم ضـد ديـن. العلـم باسـتطاعته التطهـير، والتنقيـة، وتنظـف الأديـان مـن الأخطـاء، ومـن كل معتقـد خـرافي، والديـن يسـتطيع تنقيـة العلـم مـن الوثنيـة وكل خـداع اسـتبدادي مجـرد. فالأفضـل للبشريـة وجـود ديـن بـدل مـن عدمـه.

إيمانـنـا بقـدرة العقـول عـلى تحقيـق السـعادة عـلى الأرض بواسـطة العلـم قويـة، وأيضـا إيمانـنـا بتحقيقهـا للسـعادة المرجـوة في السـماء عـن طريـق الديـن قويـة، نكـون بإيمانـنـا هـذا قـد حققنـا معنـى الوجـود ومعنـى الخلـود.

متدين أم مؤمن

إن كنت من " شعب الله المختار "، أو من " أبناء
الله "، أو من " خير أمة أخرجت للناس "، عليك
أن تتحلى بالإنسانية أولا، وتكون قدوة حسنة لجميع
أمم، وشعوب الأرض.

من اليأس، يتساءل الإنسان العربي اليوم، وتساءل بالأمس، وسيتساءل غدا، هل هناك حياة قبل الموت؟... خلال مسيرة حياة الإنسان على الأرض، همه الأكبر هو السعي، والبحث لتحقيق السعادة، والعدالة، ومعرفة حقيقة وجوده، ومعناها وهدفها. في هذا المقال أتناول فقط عنصرين مؤثرين يلعبان دورا رئيساً، ويرتبطان في جوهر حياة الإنسان وهما التدين، والإيمان. محاول إظهار الفرق بينهما، وتبيان أيهما أكثر قربا للإنسانية التي نتطلع لتحقيقها بين البشر.

المتدين يؤمن باله يعبد، وبنبي يقتدي به، وبكتاب مقدس يستقى منه أدبياته، وأسلوب حياته. أما المؤمن، فيؤمن باله، وبأنبياء، وبقدرات الإنسان، وبكتب دينية، وغير دينية، يستقى أدبياته وأسلوب حياته منها. المتدين يعيش محاصرا في دائرة مغلقة مجالها ضيق، ينحصر بالذات، ويهتم بأتباعه فقط، وتزداد ضيقا في المحن والكروب، دفاعا عن أتباعها فقط، لتحافظ على خصوصيتها واستمراريتها. المؤمن يعيش في دائرة تزداد اتساعا لتشمل، وتحتضن دوائر أخرى، فلسفية، اجتماعية، أدبية الخ... منطلقة خارج محيطها، في مجال أوسع، غير منحصر، يهتم في الكل الإنساني. بخلاف المتدين، يدرك المؤمن صلب ومعنى حياة الإنسان وتطوره التاريخي، والفكري...

معظم شعوب العالم لها دساتيرها، يقف فيها جميع مواطنيها متساوين أمام القانون. كلهم تحت القانون وليس فوقه. ومن أخطأ يخضع للمساءَلة ويصدر بحقه العقوبة التي يستحقها كما تحددها القوانين. أما نحن، فالقوانين عندنا

هـي الالتـزام بالأخـلاق، والقيـم، والعـادات، والفضائـل دون وضـع أي معايـير لهـذه المفاهيـم. هـذه تعاليـم، وليسـت دسـاتير. هـي مواثيـق ، ومعامـلات، وممارسـات إنسـانية شريفـة وراقيـة، اتفـق الجنـس البـشري كلـه عـلى تطبيقهـا اسـتنادا عـلى ميـزان عقـلي لتحقيقهـا لأهميتهـا. هـي لا تصنـع قانونـا، سـوى عنـد الذيـن يريـدون إخضـاع النـاس، وإركاعهـم لمشـيئتهم ونفوذهـم، وتصبـح بذلـك بوابـة، وطريـق سـهل للسـيطرة عـلى العقـول الجاهلـة. معظـم شـعوب العـالم تؤيـد هـذه المفاهيـم دون أن تصنـع منهـا دينـا، أو عقيـدة.

كعـرب نعيـش في ازدواجيـة الفكـر، والمنطـق طـوال حياتنـا، نعيـش ونختـبر الحيـاة والمـوت في كل لحظـة، وعـلى كل لسـان، أثنـاء أحاديثنـا اليوميـة. نعيـش بـين باطـل وحـق، .بـين المحلـلات والمحرمـات، بـين مـا نريـد ومـا نرغـب، مـا نسـتطيع ومـا هـو ممكـن. نحـن ضائعـون في شـخصية أخلاقيـة مصطنعـة. فالأخـلاق، والقيـم الـخ... أصبحـت مجموعـة مـن القوانـين نحـاصر فيهـا أنفسـنا، عبادتنـا، وإيماننـا، ومذاهبنـا، ونوعنـا، وجنسـنا الـخ... الشـباب في عالمنـا العـربي يريـد أن ينطلـق، أن يعيـش في حريـة، في أمـان، وفي إيمـان، يريـد أن ينطلـق في عـالم يتسـارع فيـه التطـور والنمـو العلمـي، يشـعر مـن خلالـه بوجـوده عـلى قيـد الحيـاة، وليـس عـلى قيـد المـوت.

في" معجـم المعـاني الجامـع" عـرّف التديـن:" تشـدد في أمـر دينـه وعقيدتـه"، وعـرّف المؤمـن: "مصـدق، يؤمـن باللـه واليـوم الآخـر". لنخـرج مـن تعريفينـا السـابقين، ونفكر ببسـاطة رجـل الشـارع، وليـس بتعقيـد المفسريـن مـن رجـال الديـن المتشـددين. كي نكـون أقـرب إلى صـواب فكـر القـارئ العـادي. فلـو سـألنا مجموعـة مـن النـاس عـن مفهومهـم للتديـن، بـكل بسـاطة سـيجتهد كل منهـم بإعطـاء جوابـا مختلفـا عـن الآخـر معتمـدا عـلى قيـاس وتقييـم شـخصي للديـن، كـما عـاصره عـن قـرب أو بعـد خـلال مسـيرة حياتـه. منهـم مـن يقـول: " أن يعـرف اللـه، ويصـوم، ويصـلي". آخـر: " أن يخضـع للـه وتعاليمـه ويطبقهـا قـدر المسـتطاع في حياتـه" وآخـر:" أن يتقـى اللـه في أفعالـه ". وآخـر: " أن يحـرص عـلى إتمـام واجباتـه الدينيـة، وإقامـة شـعائر اللـه، وأن يجتهـد بالعبـادات". وآخـر: "أن يسـمو بتعاليمـه لمسـتوى السـلوك الإنسـاني الرفيـع".

وآخر: " أن يتعامل بحرفية النص الديني في كل أمور حياته الدنيوية". نجد أن كل منهم قدم جوابا مستقلا، أقرب إلى فهمه، وتربيته، ومستواه الفكري، والثقافي، وبيئته الاجتماعية.

ما يقلق الإنسان الشرقي هو ما بعد الحياة وليست الحياة بحد ذاتها، لأنه يعيش في قهر متواصل منذ قرون عدة مضت. أقلها عنده أن يخرج بمكسب يضمن له حياة رغدة ونعيماً يشعر فيه بذاته، يشعر أنه يعيش. لذلك يتجه نحو الغيبيات، مسلوب الإرادة، وليس بدافع روحي. من غير المعقول أن تكون بائسا على الأرض وفي السماء أيضا، لذلك يستسلم لكل ما هو ديني بغض النظر اذا كان إيمانه صادقاً أو متشككاً....في مجتمعنا المظاهر تسيطر فيه على بواطن الأمور، والحقائق، وداخل قلب الإنسان. لذلك يسهل كثيرا على صناع الدين أن يقيدوه ويحجموا فكره ويسيطروا عليه...طبعا ذلك يكون أكثر سهولة عندما تكون الأمية بأشكالها المختلفة كتابة، وقراءة، وثقافة الإلكترونية الخ... قاعدتها عريضة في المجتمع، بين أغلبية الشعب.

يسهل جدا أن يتحول المتدين إلى متشدد ومتعصب لأن الوعي عنده تشكل على حصر الذات في قالب فكري عقائدي له نبع واحد يغديه، ويتلاعب بعواطفه، ويستحوذ على أفكاره وهو أنه:" المتفوق، والأسمى، والأفضل، والمميز بين البشر أجمعين على هذه الأرض". عندما تهيمن هذه الفكرة على الإنسان لا يستوي الآخر به أو معه. والعداء يصبح سهلا، مرخصا. بعض المفاهيم، كمفهوم الشعب اليهودي أنهم" شعب الله المختار"، والمسيحي أنهم" أبناء الله"، والإسلامي أنهم" خير أمة أخرجت للناس"، لا تعني شيئا مطلقا . فمن كان "مختارا"، أو" أبن الله"، أو من "خير امة"، عليه أن يتحلى بالإنسانية أولا، ويكون قدوة حسنة لجميع أمم، وشعوب الأرض. أما أولئك المظللون بالتدين الأعمى فيظنون أن غيرهم لا يملك قيماً وأخلاقاً أو مبادئاً، كما هم يملكون. وموهومون بأن هناك قوة خفية تقف إلى جانبهم ولن تتركهم وحيدين في معارك الحياة، وما عليهم إلا الاستسلام لها، وبشكل خاص لكل من يقوم

بإدارتها، مثل هذه التعاليم والظنون دليل على أن هذا الإنسان تربى ورضع من مدرسة فقيرة فكريا لا تمت بصلة إلى العائلة الإنسانية العالمية الكبيرة.

القضايا التي تنظر فيها المحاكم المدنية في العالم، وحتى في العالم العربي ليست في مستوى من ارتد عن دينه، أو زنى، أو لم يَصلِ ، أو غنى، أو رقص، أو شتم الخ.... فكل تلك القضايا ترتبط بأمور شخصية، ونفسية وسلوكية، وليست روحية، إنها قواعد، وسلوك اجتماعي. مجتمعاتنا تبحث وتركز على ألأخلاقيات، ولا تركز على توظيف العقل لفهم الطبيعة والكون، وكشف أسراره التي لا حدود لها.... أتفق مع كل من يطرح بأن الأخلاق، والقيم ضرورية. أقلها لنعترف بأننا لسنا الوحيدين في العالم المتمدن من يسعى لها. نحن نختلف عنهم كوننا نخفي عورتانا خلفها، وهم واضحون، يظهرون على حقيقتهم من خلالها، الفساد الذي يغرق فيه العالم العربي إحدى صورها، ومظاهرها الظاهرية للعيان.

ضياعنا بين متدين، ومؤمن جعل منا وقود يحرق بعضنا بعضا، مركزية الدين تسيطر على وعي الإنسان على أحاسيسه وتقولبه، وتحجمه كونها تستثمره منذ الصغر ليخدم أتباعها فقط، لا ليخدم الإنسان، الذي خلقه الله على صورته ومثاله. لهذا يتأصل التشدد عنده، ويتماسك به كحل لمعنى حياته، ويناصر المتدينين من أمثاله، ويهاجم كل من يختلف عنه بالعقيدة، والمبدأ.

كل دين يجمع أفراده بطقوس وليس بنصوص فقط، أتساءل كم متدين قرأ التاريخ الديني لطائفته، ومذهبه بعمق، وناقشه بانفتاح، وتحرى عن صدق دعوته في التوجه نحو الإنسانية جمعاء وليس نحو أتباعه فقط. إن لم نفعل ذلك سيأتي من يقودنا كقطيع أعمى نحو أمور، إما تكون مخفية أو تم إخفاؤها خوفا من أن ندرك معناها ونفهم قصدها اللاإنساني وتعطل الحواس عندنا. ونساق كنعاج بلا إرادة تصدر منا، يدفعنا فيها حماس غير مبرر، مؤكدين على حسن نية من يسوقنا، كل ذلك يستند على إشباع فكري يبدأ مع أول رضعه من حليب الأم، لا يلزمك بالبحث بل بالقبول دون اعتراض. الطقوس تلعب دورا هاما في بناء شخصية المتدين، هي عبارة عن تكرار مستمر

ومتواصـل لشـعائر وأقـوال جامـدة لا يمكـن الخـروج عـن نصوصهـا، تلفـظ منـذ الطفولـة وتسـتمر خـلال الحيـاة، تسـتعمل فيهـا الشـموع، والبخـور لإضفـاء القدسـية، وبعـض الحـركات الجسـمية لإظهـار الخشـوع، كلهـا مجتمعـة تقيـد الإنسـان بتتابعـه، المحافظـة عليهـا شرط وواجـب والقيـام بهـا ضرورة للخـلاص، والحصـول عـلى الثـواب المتديـن يعيـش ضمنهـا وتتولـد لديـه رؤيـة محصـورة معينـة، وأذنـان تسـتمعان، ولسـان معقـود، وشـعور معـين، ورائحـة معينـة، كل حواسـه تصبـح ملـك غـيره لا ملكه...سـيطرة تامـة.....لا تتكـون مـن ذاتـه بـل مـن ذات الآخريـن تجعـل منـه آلـة، إنسـان يكـرر مـا يقولـون وينصـت إلى مـا يقولـون، ويـرى بعيونهـم، ويتنفـس برئاتهـم. هـذا ليـس إيمانـا بـل إدمانـا قاهـرا، وجنوحـاً إلى نزعـات لا تـرضي اللـه ولا الإنسـانية. . اللـه يريدنـا أن نكـون مؤمنـين أحـرارًا نملـك عقولنـا، وتوجهاتنـا نحـو الإنسـانية مـن خـلال المحبـة، والتسـامح، والسـلام الـذي علمـه لنـا كونهـا القاعـدة الذهبيـة، والأسـاس، والسـبيل الأسـمى، والأفضـل للعيـش الإنسـاني المشـترك.

التديـن أضيـق مـن الإيمـان، مـع أن الأول لا ينتهـي بالثـاني، ويكـون ظاهـرا لا باطنـا، إلا أن الثـاني يمكـن أن ينتهـي بـالأول ويكـون جـزءاً أساسـياً منـه ويكـون باطنـا لا ظاهـرا. الإيمـان يشـكل خطـا متفرعـا يتجـه نحـو نقـاط عـدة تمتـد لـكل مـن هـو قريـب أو بعيـد عـن المؤمـن في مجتمعـه، وفي مجتمعـات أخـرى حـول العـالم، لتضـم أيضـا المخلوقـات الحيوانيـة، والنباتيـة الخ...جميعهـا مشـكلة انفتاحـا نحـو المجتمـع الإنسـاني المتعـدد الأجنـاس، والأعـراق، والعقائـد، والأحـزاب... بينـما يشـكل التديـن دائـرة مغلقـة يتجـه فيهـا الإيمـان نحـو مركزهـا، مشـكلة مـا يدعـى بالتقـوى، لكـن في حقيقتهـا تمثـل التشـدد، والمحافظـة، والتعامـل مـع كل مـا هـو داخـل محيطهـا، التديـن يشـبه بحـرا مغلقـا تصـب فيـه ميـاه الأمطـار والجـداول، ولا يعطـي الحيويـة إلا لمـن يعيـش معـه، وفيه...المؤمـن يشـبه الينبـوع، والنهـر، والجـدول الـذي يتفـرع ويتفـرع ويهـب ميـاه الحيـاة لـكل أرض جدبـاء، وصحـراء قاحلـة يصلهـا. الأول مياهـه لا تصلـح للـشرب، والثـاني مياهـه تمنـح الحيـاة.

في التديـن تكمـن الخطـورة، وفي الإيمـان يكمـن الأمـان، الأول يرى نفسـه فـوق الجميع،

ويتكون من مجموعة بشرية تمارس عبادات منظمة رتبها الإنسان حيث أنّ لها إيقاعات معينة، لها توجهاً معيناً، لها تفسيراً مرتباً، لها نمطًا محدداً، لها توجهاً محدداً نحو الإنسان والطبيعة والغيبيات ترتبط بمقدس وبنبي محدد وتسلسل ديني هرمي من رجال أو نساء يقيد أتباعه ليصبحوا عبيدا خاضعين يحدد مسار حياتهم، ويشكل طرقها ويمنعهم من الخروج عنه، ومنه، حتى لو تطلب الأمر استخدام العنف، والقتل أحيانا، بعد كل هذه التراكمات التي تعلمها وورثها أفرادها، واكتسبوها خلال سنيين حياتهم وتراكمت في اللاوعي عندهم لا يتوقع منهم أن يقبلوا كل من يخالف تعاليمهم، بذلك يكون قرارهم متشددا عنصريا أحيانا.

في الإيمان نرى أتباعا أكثر استقلالية من المتدينين كونه يحتوى على مجموعة أكبر من البشر، يكتمل إيمانها علاوة على أن مصدره الهي، بالحرص على كل ما هو من التراث البشري، جاء به كتّاب عظام ومفكرون، وفلاسفة، وأدباء، وشعراء وغيرهم ممن غيروا مجرى التاريخ الإنساني، عشقهم، ورحلتهم لله، ترتبط بمحبتهم لكل ما أنتج من فكر، وفن، وموسيقى الخ... من خلال العقل الذي زرعه الله في الإنسان، مؤكدين أن العمل لا يقتصر على مجموعة معينة تشاركهم الإيمان بل ينطلقون نحو الكون بانفتاح على كل ما هو آخر...إنهم يعملون، ويؤيدون على جوهر الوجود لدفع الإنسانية للأمام، ليست أقوال الأنبياء وحدها تبهرنا بل أقوال العظماء أيضا، كتبهم وأقوالهم يمكن أن تكون نبراسا للبشرية جمعاء، ويمكن أن نجعل منها دستورا لحياتنا، وما هو اللإلهي ينقلنا لعالم روحي، وما هو دنيوي ينقلنا لسلوك إنساني، ويقوي اللاشعور عندنا، ويدعم روحانياتنا.

يستحيل النقاش مع المتدين فان قام بذلك يكون مناورة، والتفاف، ونفاق على الواقع فقط، ويخفي حقيقته وراءه، كي لا يحرج، ويظهر بمظهر من يحارب الحوار، بينما المؤمن يتقبل كل حوار يتفق مع توجهات الله للخير العام لكل البشرية وقيم الحياة الإنسانة، التي وهبها الله لنا، ويخدم الجميع بغض النظر عن الانتماء العقائدي أو الإيديولوجي الخ... ولا يفرق، أو يميز بين الأجناس البشرية، ومذاهبها، وطوائفها. يركز المؤمن على حق الجميع في الحياة، والوجود من خلال إطلاق

الحريـات، وحقـوق الإنسـان لدفـع الإنسـانية للأمـام، نحـو مسـتقبل عالمـي مـشرق.

المتديـن يهتـم بالقشـور، بالظاهـر أكـثر مـن المؤمـن الـذي يهتـم بلـب، ومعنـى الديـن، المتديـن سـطحي أعمـى يأخـذ الأمـور كـما تحقـن في عقلـه دون استفسـار أو تسـاؤل. بينـما المؤمـن ينظـر بعمـق للرسـالة الدينيـة الموجهـة إليـه، يتفحصهـا، يتشـكك بهـا ثـم يسـتوعبها. المشـاركة في الاجتماعـات والاحتفـالات الدينيـة لا تعنـي أنـك مؤمـن، أو متديـن، المظاهـر عمـل دعـائي أكـثر منه عمل إنسـاني. كل الخطـورة تكمـن في أن يصاب الإنسـان في هـوس الديـن، الأديـان بتعاليمهـا لم تسـتطع أن تمنـع الحـروب، والقتـل، والدمـار عـلى مـر التاريـخ، بـل شـجعتها في بعض الأحيـان. الإيمـان بالله، وبحـق خليقته بالعيـش بسـلام، ومحبـة يسـهل علينـا منعهـا، ويحقـق العدالـة، والمسـاواة للجمـع.

المؤمـن يرغـب، ويحـب، ويتطلـع أن يعيـش حياتـه دون الانتقـاص مـن إيمانـه. دون معضـلات، أو موانـع، يريـد أن يرقـص، يفـرح، ويغنـى بحريـة ويتمتـع بالطبيعـة والحيـاة، وكل مـا خلـق اللـه ضمـن نواميـس وقوانـين طبيعيـة. المتديـن أشـبه بالعبـوس، والقنـوط، والجديـة يكـره عالمـه الحـاضر مـن أجـل الآخـرة. بينـما المؤمـن يعيـش دنيـاه وحـاضره، ويسـتعد للآخـرة. المتديـن لا يعـترف بالإنسـانية بشـكل عـام بـل بعقيدتـه، وأتباعـه فقـط، ولا يعـترف بأخـوة تربـط البـشر. المتديـن يسـهل اقتيـاده، والتأثـير عليـه سـلبا وتوظيفـه لمصالـح فئويـة ضيقـة. المؤمـن يصعـب اقتيـاده أو توظيفـه لمصالـح فئويـة ضيقـة. بشـكل عـام المؤمـن متفهـم لـكل مـا يـدور حولـه ويـرضى اللـه بحسـن معاملـة خلقـة أجمعـين. يتمتـع بعقـل متفتـح وحريـة تفكـير، يخضـع النصـوص للعقـل، صفـة نـادرة جـدا مـا نجدهـا عنـد المتديـن. عنـد المتديـن تعتـبر ثقافـة العنصريـة أقـرب مـن اللـه. أمـا المؤمـن فانـه يرفـض ثقافـة العنصريـة، لأنـه يعتـبر التقـرب مـن اللـه هـو أقـرب مـن أخيـه الإنسـان.

لا طـول الصـلاة ولا قصرهـا. ولا حتـى عدمهـا، دليـل عـلى تديـن الإنسـان. الحديـث عـن الديـن لا يجعلـك مؤمنـا. التواجـد في دور العبـادة ليـس دليـلاً عـلى تديـن. القيـام بالفـروض ليـس دليـلاً عـلى تديـن. باسـم الديـن نضـع ملصقـات عـلى سـياراتنا

وأعمـدة شـوارعنا، فهـل هـذا دليـل تديـن؟ البعـض كـما في كل العصـور يهـرب مـن جرائمـه الظاهـرة والباطنية...ويظهـر تدينـه. اللـه، وأنـت أدرى بعمـق إيمانـك. إن لم يسـتطع معتقـدك الدينـي أن يجعلـك مؤمنـا بالإنسـانية والخـير العـام لـكل البـشر، عندهـا تعجـز كل الوصفـات الطبيـة ، والسـحرية أن تجعـل منـك كائنـا بشريـا.

دين واخلاق

الأديان عديدة ومختلفة، تلتقي وتتفق على وجود خالق منظم
للكون. الأخلاق واحدة عند كل شعوب الأرض المؤمنة والكافرة.
نظرة الأديان للأخلاق تقاس على مقدار توافقها مع تعاليمها.
نظرة الأخلاق للأديان تقاس على مقدار إنسانية تعاليمها.
باطل وعقيم وجود الأديان، والأخلاق، إن لم تحمل للبشرية
جمعاء" محبة وسلام " في قدس أقداسها. (١)

وعـي وإدراك المقـدس في كل عـصر، جـاء بسـبب تطـور الديـن مـن شـكل إلى آخـر، من البـدائي إلى السـامي. فقـد بـدأ مرتبـط بالظواهـر الطبيعيـة. ونتيجـة لتطـور المعرفـة في المتجمعـات السـكانية مـع مـرور الزمـن في كل الحقـب التاريخيـة طمـس الديـن وحـل آخـر مكانـه. المؤمنـون يفـسرون هـذه النقلة "بأنها مشـيئة اللـه وإرادتـه وتجلياته التي تسـير عجلـة التاريـخ، وتديـره في حركـة أبديـة مسـتمرة لـن تتوقـف أبـدا". لهـذا مسـير التطـور الدينـي، واسـتمراره، يرتبطـان بفهـم الإنسـان لحضـارة عصره، وتقدمـه، وأخلاقه، ومعالجـة أفـكاره وعلومـه. محصلـة اسـتيعابه واندماجـه مـع عـصره يحكـم عليـه إمـا لبقـاء أو الـزوال. انقـراض الديـن يبـدأ بطيئـا مـن داخله ملتمسـا حلولا منطقيـة لمكانته مـن عـصره، فـإن اسـتطاع الإجابـة عليها اسـتمر بالوجـود... هـي حركة جدلية مسـتمرة. الكـون صناعـة اللاهيـة تنسـب إلى "عقـل كـوني" أزلي جبـار، ندعـوه "اللـه". هـو كلمـة الوجـود، بكلمتـه كان الوجـود، كان كلمتـه المحـرك الدافـع لـكل مـا هـو موجـود قبـل ظهـور الأسـاطير، والخرافـات، والأديـان. لـه تجليـات وحضـور مسـتمر

ودائـم عـلى مـر العصـور ماضيـا، وحـاضرا، ومسـتقبلا. بكلمتـه ظهـر التطـور البـشري للوجـود، ووهـب الإنسـان عقـلاً دون قيـود أو حـدود، وحريـات مطلقـة لا يقيدهـا شيء في الوجـود، سـوى أخلاقيـات إنسـانية عامـة واحـدة غـير مجـزأه، تمتـد لتشـمل الكـون كلـه، لا تقتـصر عـلى عقيـدة دون أخـرى، أو شـعب دون آخـر، أو جماعـات مؤمنـة دون كافـرة. ظهـور الأديـان كان مرافـق لتاريـخ التطـور الفكـري البـشري، أسـوة بالأخـلاق. الأديـان تـرى في مهمتهـا الرئيسـة وضـع العـالم في نظـام كـوني شـامل يرتبـط بعلـة كلمـة الوجـود الأولى –"العقـل الكوني"-،ينتهـي وجودهـا لتصبـح دون جـدوى أو قيمـة في حـال خـرج هدفهـا عـن كونهـا عالميـة الأخـلاق.

الديـن علاقـة بـين اللـه والإنسـان. الأخـلاق علاقـة بـين الإنسـان والإنسـان. علاقـة الإنسـان باللـه علاقـة تبادليـة لا تقـوم عـلى الخـوف بـل عـلى المحبـة. الخـوف يدمـر العقـول ويسـتحوذ عليهـا ، ويعطـل التفكـير. المحبـة تبنـي الإنسـانية لتزدهـر وتنعـم بالسـعادة والتقـدم والرخـاء والسـلام. اللـه يريدنـا أن نكـون دائمـا في المحبـة مـن أجـل الخـير العـام للبشريـة كلهـا. لذلـك علاقـة الإنسـان السـليمة بأخيـه الإنسـان يجـب أن تبنـى بالمحبـة عـلى أسـس أخلاقيـة سـليمة. في غيـاب المحبـة يصبـح الإنسـان خـارج إطـار الإنسـانية، ويكـون اقـرب إلى الضـواري.

التصـاق الديـن بالأخـلاق دليـل عـلى أهميـة دور الأخـلاق في المعامـلات الإنسـانية. كل ديـن يحـاول احتـواء الأخـلاق وتقيدهـا بـضرورة الإيمـان بـه. كل ديـن يصر عـلى أهمية الإيمـان كأسـاس للحفـاظ عـلى الأخـلاق وحمايتهـا، وضرورة خضـوع الأفـراد لطقوسـه وأحكامـه، والعمـل بالواجبـات المفروضـة عليهـم. ليصبـح الديـن هويـة شـخصية للمجموعـة الدينيـة. هويـة الأخـلاق عالميـة، لا تسـعى للالتصاق بالديـن ولا ترى ضرورة في ذلـك. ولا يحتـاج الفـرد إلى تأشـيرة دخـول في عضويتهـا، والدليـل تمتـع الشـعوب الكافـرة والعلمانيـة بأخـلاق سـامية نبيلـة. الأخـلاق عـبر التاريـخ جـاءت نتيجـة لمواقف إنسـانية، فدعيـت بثقافـة فكـر الأسرة البشريـة، تبدلـت مـع مـرور الزمـن، كـما تبدلـت الأديـان والعلـوم والمعـارف الـخ... . الديـن يسـعى لفـرض سـيادته، وسـيطرته عـلى الأخـلاق كي يعـزز وجـوده وديمومتـه، الشـعور الروحـي الدينـي للفـرد يعـزز ويقـوي

الدافـع الأخلاقـي. كبـشر لا نملـك أجهـزة لقيـاس مقـدار صـدق السـمو الروحـي للفـرد، لأنـه داخـلي وذاتي. أعـمال الإنسـان وسـلوكه الأخلاقـي يخضعـان لفهـم وترجمـة عقلنـا لما تنقلـه عيوننـا. النـاس مـن حولنـا يمكنهـم أن يمتحنـوا أخلاقنـا...واللـه وحـده يمتحـن إيماننـا. إذن لنـترك حكـم البـشر للـه ولنركـز عـلى حكمنـا كبـشر، مـن منطلـق أن اللـه ينظـر للقلـب لأنـه الأعلم بمكنوناتـه، والإنسـان ينظر إلى العينـين ويميز ألوانهـا وجمالها. الأديـان تتحـدث عـن الفضائـل وتدعـو لممارسـتها. قناعـة أخلاقنـا بهـا تدعونا لسـلوكها.

في الـشرق منـذ كنـا أطفـالا صغـاراً تعلمنـا وفي مناسـبات عديـدة رُدِّد عـلى مسـامعنا، أن الديـن معاملـة – أعـمال-، أن الديـن أخـلاق – منهـج سـلوكي- ، كبرنـا، وعينـا، أنـه معاملـة حسـنة، وأخـلاق حميـدة.. تجاربنـا في الحيـاة علمتنـا أن للمعاملـة وللأخـلاق وجهـان أحدهـما مـشرق والآخـر مظلـم... لاحقـا مـع فـوضى الأفـكار في العـالم العـربي انكشـف، وظهـر جليـا أن مجتمعنـا منافـق أخلاقيـا، ويمـارس عكـس مـا يدعـو إليـه مـن قيـم. أدركنـا أن جماليـة أخلاقنـا معظمهـا مصطنعـة، وأننـا مـراؤون ممثلـون محترفـون كاذبـون عـلى مـسرح الحيـاة. الخـير الـذي ندعيـه لا وجـود لـه. الـشر لم ينـزع مـن قلوبنـا، وأعمالنـا الحسـنة تعـرت وظهـر حقيقـة زيفهـا.... باتباعهـم الأديـان مـن المفـروض أن يكونـوا قـدوة في الأخـلاق والمعاملـة. لا أن يجيـزوا لأنفسـهم الكـذب، والريـاء مسـتخدمين قداسـة مـا يؤمنـون بـه. أتمنـى أن لا تتصاعـد الأمـور فـوق تحمـل الجميـع، وتصبـح وبـاء مسـتفحلا يصيـب أصحـاب النفـوذ وينتقـل لـكل مـن هـو دونهـم. الوضـع في مجتمعنـا العـربي الكبـير – الـذي يصـارع باحثـا عن مصيره وحضوره في دوامـة إثبـات الوجـود العالمـي المعـاصر- الغـالي عـلى قلوبنـا جميعـا يحتـاج إلى عـلاج سريـع، كي لا يـزداد الـشرخ عمقـا ويتمـزق النسـيج الاجتماعـي فيـه. فالتعدديـة أفضـل مـن التفـرد، كـما أن لـون قـوس القـزح أروع جـمالا مـن لـون السـماء الزرقـاء.

ليـس كل مؤمـن متديـن قديـس، وليـس كل مدّعـي أخـلاق مسـتقيم. إنهـا الطبيعـة البشريـة التـي لـن تقـوى القوانـين عـلى إلغائهـا سـوى عنـد مـن يحلمـون بيوتوبيـا – بمثالـة- عـلى الأرض. شـاء القـدر، أن أتعـرف خـلال حيـاتي العمليـة عـلى أشـخاص مـن مذاهـب وأيديولوجيـات مختلفـة. ثبـت لي أن الديـن يـكاد أن لا يلعـب دورا رسـميا في

الأخلاق، مع انه يحاول أن يشكلها. قد تجد قله من رجال الدين في مناصب رفيعة الخ... يستخدمون اسما القدوس من اجل تمرير مصالحهم وأكاذيبهم، وقبائحهم. أسفي على ما يمثلون من قيم وأخلاق أمام رعاياهم والعالم، والمقدس الذي يعبدون. أليس من المفروض أن يكونوا قدوة دينية وأخلاقية حسنة. وجدت أيضا عند العلمانيين، والكافرين، والملحدين أخلاق في قمة المعاملات الإنسانية. مجمل القضية نسبية، لذلك نخطئ إنْ ربطنا الدين بالأخلاق و الأخلاق بالدين، إلا في حالة واحدة، وهي توافر ثراء روحي سامي إنساني العمق لدى الشخص المتدين، المؤمن بالأخوة الإنسانية. في كلتا الحالتين بوجود الدين أو عدمه، تتولد لدينا قناعات بممارسة الأخلاقيات لأنها المنهج السليم لضبط العلاقات الإنسانية في المجتمع.

الأخلاق معاملة، والمعاملة أخلاق، كلاهما بحجم الدين....إن ساءت أخلاقنا ساءت معاملتنا، وان ساءت معاملتنا ساءت أخلاقنا، عندها نقول هذا ليس من الدين. لكننا نصمت عندما يسيء رجل دين لأديان ومذاهب الآخرين. صمتنا دليل رضا وقناعة بان ما قيل من قبل رجل الدين هو حقيقي. تراخينا عن التمحيص والبحث وعلاج ما يقال يمثل موقفا لا أخلاقيا. ترك الأمور شاردة دون ضوابط حتما سيؤدي لهلاك وسقوط المجتمع. . الأخلاق لا علاقة لها بارتباط الإنسان بدين معين... الأخلاق ثمرة التربية وليست ثمرة الانتماء الديني. هذا ما يفسر التزام الشعوب التي لا دين لها بالأخلاق... الدين قد يعزز الأخلاق إن أحسن استعماله.

يسعى الدين جاهدا إلى ترسيخ الأخلاق ليتحكم بها، ليبدو انه الأصل لها، وبدونه لا وجود للأخلاق. بعكس الأخلاق لا تسعى إلى ترسيخ الدين بل إلى ترسيخ العلاقات البشرية الفاضلة في المجتمع، فهي تهيب بالإنسان إلى ممارسة السلوك الإنساني الحسن. الأخلاق هي من يحمي الأديان . بعض الأديان العنصرية الطابع ، تدعو إلى حماية أتباعها فقط. لذلك أرى ضبابية أخلاقة فيها تحتاج إلى توضيح. التربية الوطنية السليمة هي السور المنيع لحماية الأخلاق والأديان. مآسي البشرية لم تأتِ بسبب الأخلاق بل بسبب الأديان – هذا ما نلمسه عند قراءتنا لتاريخ المجتمعات البشرية. معظم المجازر التي ارتكبت في الماضي والحاضر

ارتكبت باسم الدين- . علينا أن نتأكد من صدق مقولة " إن ذهبت الأخلاق انتهت الشعوب"، وأن نتوقف عن تحميل فشل الدين على الأخلاق. إن لم تكن الأديان موجهة نحو الخير العام للبشرية جمعاء فإنني أشك أن مصدرها اللاهي.

(١) مقالي هذا لا ينتقد أو يتعرض للاهوت الدين وفقهه. ولا على رسالته، أو مؤمنيه. فكل الاحترام مني لكل البشر على اختلاف عقائدهم، وأفكارهم.

الاديان في ظل صراع البقاء

أمم بيدت، مسحت عن وجه الأرض، وحضارات
سقطت لم يبقَ منها الا ذكرى وجودها، وأخرى
نهضت سترحل كغيرها، وإن تجبرت فالتاريخ
يأبي تخليدها، وسيعيد نفسه عبر الزمن الذي لا
يتوقف حاملا حضارة لا نعرف وليدها.

صراع البقاء، غريزة الوجود متجذرة في الكائنات الحية العاقلة وغير العاقلة منذ ظهر الانسان على وجه الأرض. صراع دائم لا نهاية له، تتصاعد وتيرته بحسب الحاجة الحيوية، ومصالح مراكز القوة العظمى في العالم. يمكن تخفيفه، لكن يستحيل الغاءَه من القاموس البشري.

يرتبط الوجود البشري بتوفير حاجاته الأساسية أهمهما الغذاء والتكاثر، ما يتبعه من قيم وأخلاق مظاهر عقلية عاطفية تنظم العلاقات بين البشر وفق قانون يجمعون عليه، به تتوفر الحريات، من خلاله يكون الدفاع عن وجودهم منظما داخل المجتمع وخارجه . معظم الحروب، دون تقدير نتائجها، تحدث استجابة للحاجات الاقتصادية المرتبطة بسيطرة فكرة تفوق عرق، أو أمة، أو شعب، حجم القوة التي تمتلكها تحفظ استمرار وجودها،

وسلامة مواطنيها وأرضها. الحياة للأقوى، والأقوى هو الأفضل والبقاء له. هذا هو عالم الأمس، واليوم، والغد. في الحروب يجند الناس للدفاع عن وجودهم وكرامة أوطانهم. لكن في حقيقة الأمر وبشكل خاص في العالم الثالث يجندون كعبيد للدفاع عن أباطرة شهوة الحكم والمال ومن يدعمهم .

نحن جزء من آلة ضخمة تسير العالم، والفرد البشري، رقم يهبط من قائمة الوجود حين يموت. وما كل النزاعات القائمة على الدين والسياسة إلا أوهام، ومبررات يسقط فيها البشر كبيادق لسلاطين شهوة الحكم والمال. مهما بلغت روحانياتنا من سمو، ومهما تعمقنا في ممارستها فليس لها القدرة على وقف شلال الدماء بين البشر الا بما يناسب، ويلتقي مع مصالحها، والمأساة إنْ أصبحت جزءاً منهم.

اذا أسقطت الأديان أسباب الحروب ونتائجها على العقل الكوني – لله - فإنها تعمل على الشك بوجوده. ليصبح الله جل جلاله الذي نؤمن به، كأحد ألهة الأساطير الغابرة، التي تعيش في بطون الكتب. الهه لم تستطع أن تصمد وتتكيف مع التغيرات الفكرية والعلمية الحاصلة في زمنها فاندثرت وأصبحت جزءاً من الماضي. بالرغم من خشية، وخوف البشر لطبيعة معبودها الإلهي ، وقدرته وقوته الساحقة الهائلة المدمرة، التي تسببت بسقوط ملايين البشر في صراعات البقاء لإرضاء الحكام المنحدرين من نسلها، فإنهم بقيوا وهي انطمست.

منذ فجر التاريخ، بسبب ويلات الحروب يحلم الانسان في بناء عالم مثالي، عالم خالياً من الحروب يتمتع فيه البشر بالأمن، بالسلام. يحلم في أن يخفف من واطئات الحروب ودمويتها وآثارها. في نشوة أحلامه لا يتذكر أن الطبيعة البشرية مجبولة على الاختلاف والأضاد والتنوع، يصدمه الواقع ويهزه عندما تجنح البشرية للقتل.....فمن يبحث عن المثالية في عالم بين بشر غير كاملين لن يجدها، ولكنه يولد شعورا طيبا لديه بأنه شخص على مستوى انساني راقٍ. المثالية المطلقة لا تقوم إلاّ في عقول المنسيين البسطاء، السذج من البشر. سمو القيم ينبع من مقدار تمكين الإنسان من تطبيق العدالة، والحريات التي تمنع صراع

الحـروب، مقابـل نجـاح صراع السـلم الأهـلي والعالمـي. النفـس البشريـة مضطربـة تجنـح للسـلم او الحـرب بدرجـات متفاوتـة تتأثـر بالتربيـة وفلسـفة المجتمـع والديـن.

ان كنـا فعـلا معنيـين في سـلام عالمـي فـلا بـد مـن إعـادة حقـوق الشـعوب التـي مـورس بحقهـا كل أنـواع الاضطهـاد منـذ عقـود مضـت، أقلهـا الاعتـذار والاعـتراف بالمجـازر التـي ارتكبـت بحقهـا والمصالحـة معهـا، فـلا الإعتـذار ولا الإعـتراف سـيعيد المـوتى الى الحيـاة ولكـن يعمـل عـلى تهدئـة خواطـر مـن اضطهـد، الطغـاة المتعجرفـون لا يروقهـم هكـذا شرط. مـن حـين لحـين ينعـش التاريـخ ذاكرتنـا ويعيـد عـرض شريـط هـذه المجـازر أمـام عيوننـا ليثـير الذكريـات والآلام في صـدور الأحفـاد، لتسـتيقظ ثانيـة في عـالم الحـاضر او الغـد وتدفعهـا للانتقـام.

فكـما أنْ الكتـاب المقـدس لم يبـين لمـاذا تقبـل، استحسـن، رضى اللـه ذبيحـة هابيـل الماديـة، ولم يرفـض ذبيحـة قايـين الماديـة سـيبقى البـشر يقتتلـون لأسـباب ماديـة وليسـت روحيـة، ليخوضـوا حروبـاً تحـت مسـميات وحجـج عديـدة. ... جـاء في الكتـاب المقـدس (سـفر التكويـن ٤: ٣-٧) وحـدث بعـد مـرور أيـام أن قـدم قايـين مـن ثمـار الأرض قربانـا للـرب، وقـدم هابيـل ايضـا مـن خـيرة أبـكار غنمـه وأسـمنها، فتقبـل الرب قربـان هابيـل ورضى عنـه، لكنـه لم يتقبـل قربـان قايـين ولم يـرض عنـه، فاغتـاظ قايـين جـدا وتجهـم وجهـه كمـدا. فسـأل اللـه قايـين لمـاذا اغتظـت؟ لمـاذا تجهـم وجهـك؟ لـو أحسـنت في تصرفـك ألا يـشرق وجهـك فرحـا؟ وان لم تحسـن التـصرف، فعنـد البـاب خطيئـة تنتظـرك، تتشـوق أن تتسـلط عليـك، لكـن يجـب أن تتحكـم بهـا"... الخطيئـة هنـا، هـي الـصراع الأزلي المـادي الـذي يهاجـم الإنسـانية ويتسـلط عليهـا ليبتلعهـا. أيـن قوتـك، وذكاؤك، وحكمتـك أيهـا الإنسـان العاقـل المسـتعبد لشـهوة السـلطة، وسـطوة المـادة التـي لـن تتغلـب عليـه لأنهـا تسـيطر عليـك، وعـلى بقائـك.

سـؤال مطـروح للنقـد، الواقـع الـذي نعيشـه في أي مرحلـة مـن صراع الحضـارات يقـع... في قمتهـا، في هبوطهـا، في نزاعهـا الـخ... الأحـداث التـي يمـر بهـا عالمنـا العـربي تحتـاج الى اسـتنهاض وبعـث إحيائها من جديد ومفاهيم جديدة. إنْ لم نتمكن من الدخول واجتياز

مرحلـة العلمانيـة لـن نسـتطيع ان ندخـل في مرحلـة الحداثـة العالميـة، بالرغـم أننا أكثر شـعوب العـالم إيمانـا عـلى وجـه الأرض وأقلهـا مركـزا في سـلم التطـور العلمـي والمعـرفي.

أؤكـد ثانيـة أن سـبب حروبنـا هـي الماديـات، وليسـت الروحانيـات المقدسـة. اللـه يطلـب منـا باسـتمرار بمحبتـه ومحبـة القريـب وكل مـن يختلـف عنـا مـن البـشر. فمـن يلبـس الاقتصـاد ثـوب ديـن يخالـف مشـيئة اللـه – العقـل الكـوني- في دعوتـه لحريـة وكرامـة الأسرة البشريـة. لذلـك معركـة السـلام أشـد ضراوة مـن معركـة الحـرب، إنهـا معركـة بـين دعـاة الخـير ودعـاة الـشر. إنهـا معركـة تغلـب الإنسـان عـلى ذاتـه التـي قـد تدفعـه إلى تعميـق فجـوة الكراهيـة والعـداء بـين الشـعوب، أو تزيـل أسـباب الاختلافـات لبنـاء سـلام عالمـي لـكل الشـعوب ... طـوبى لصانعـي السـلام مـن مؤمنـين، ولادينيـين، وملحديـن فإنهـم أبنـاء الخالـق وأبنـاء الحيـاة يدعـون.

٨- المواطنة
الكرامة حياة

كرامة الوطن في سيادته واستقلاليته، كرامة
المجتمع في إنسانيته وعدالته، كرامة المواطن
في حريته وسلامته.

تنبع الكرامة من شعور الإنسان بتحقيق ذاته وعزته، في حضن سرته ومجتمعه ووطنه. نتيجتها تشكل طريق سليمة لحركة ناهضة لكل المكونات الاجتماعية في الوطن. فالوجه المشرق لأي شعب، يسطع عندما تجتمع هذه المكونات تحت مظلة الإنسانية، والعدالة والحرية والاستقلالية والمساواة. وتطبقها من خلال مؤسسات الدولة، وفق معايير وركائز واسس قانونية تحمي منهجية حرية الراي، والكلمة، والفكر، وديمقراطية ممارستها، لتخضع بالتالي الجميع للمحاسبة والمساءلة القانونية دون تمييز، من قمة الهرم حتى قاعدته. المسافة بين المواطن والمجتمع والوطن، تعتمد على تطبيق واحترام وتحقيق الكرامة أو مصادرتها، لتتأرجح تباعا بين مغتصبه مستباحة مهدورة، أو مكرمة معززة مصانة.

اغتصاب الكرامة يبدأ لحظة، التراخي، الاستهتار، عدم متابعة القضايا الهامة، فرض قيود وموانع على الحريات، تحديد نوع ولون ثقافي ونظام تربوي معين. الخروج من هذه المعضلة يأتي بالتغيير، يأتي كمحصلة للوعي الحقيقي لمتطلبات الشعب والوطن، ومعالجة الواقع بصدق، بأمانة، بكفاءة، بإخلاص، بعيدا عن المكابرة والتبرير، والترقيع، وبلاغة الكلام . لا للمزايدة، لا للتفلسف، لا لثوب الورع والتقوى، لا للخطب الرنانة، لا للوعود المارقة... الخ.

فالكرامة هي:

استحقاقي إنساني اولا وأخيرا.
تحقيق أمن الإنسان وسلامته.
تأمين حاجات الإنسان الضرورية.
حرية اختيار المبدأ والعقيدة.
تحقيق العدالة والنزاهة القانونية.
شعور بأن المواطنة لا درجات لها.
الحصول على وظيفة لكفاءة لا لمحسوبية، أو لطائفية، أو حزبية.
عدم الإحساس بالتفرقة الجنادرية، أو الدينية، أو العرقية.
تفاعل القمة مع القاعدة، بعيداً عن البطش.
توفير فرص العمل.
احتضان الدولة للخريجات والخريجين.
وضع الرجل المناسب في المكان المناسب.
خلو المجتمع من الكراهية، والحقد، والتعصب.
الاستمتاع بحرية الرأي والفكر.
ديمقراطية الممارسات البناءة.
عدم تهميش المفكرين والفنانين والناقدين.
الاهتمام بكبار السن، والمرضى والمعوزين، ومن بذل نفسه لوطنه.
أن يكون الجميع تحت القانون.

الباحثون عن الكرامة، خاصة في أوطان المنافسة فيها لا تخضع للتغير في الوجوه، والأفكار، والبرامج، في أوطان رموزها تعيد استنساخ ذاتها وفكرها وأعمالها ومصالحها، يستحيل أن يعثروا فيها على ضالتهم. هذه الممارسات انتجت ضغوطاً نفسية عليهم، وعلى المبدعين في شتى مناحي الفكر والفن والعلم، مما دفع غالبيتهم الى الاغتراب.

الاعتزاز بالكرامة مفخرة كل وطن وشعب ومواطن.
الكرامة التي نتغنى بها في أدبنا، حبيسة تبقى ما لم تترجم الى واقع.
وويل كل الويل لكرامة أمة، تجلي الفرد لشخصه وليس لما يمثل.

فان كنت بلا كرامة
بإمكانك أنْ تفعل ما تشاء...
أنْ تكذب فلا حرج عليك.
أنْ تكفر فلا ملامة عليك
أنْ تقتل فلا حسيب عليك
أنْ تسرق فلا رقيب عليك
أنْ تستخدم كل أسلحتك
وإن كان لديك أقذر منها فلا تتردد بتوجيهها .
ولكن إياك أياك ان تتحدث عن الكرامة
الكرامة عزة نفس، وشرف
مَنْ لا يدركها لا يطبقها
ولا تعنيه كرامة الوطن والشعب والمواطن.

عدم تحقيق حلم الانسان بالتمتع بكرامة، ينذر، يشعل ضوء أحمر، يدق ناقوس خطر ويعلن:" بأن الشعب لن يستكين، ويسكت عن حقوقه فطالما لم يحصل آباؤه على كرامتهم كاملة دون انتقاص، ليس من العدل أنْ يورث المهانة والذل لأبنائه، صفتان من العار ان تورثان، فلا بديل للكرامة وعزة النفس، وشرف العيش بحياة كريمة".

ما هذا الوطن ؟؟؟

إلى كل الأحـرار الصامديـن المنزرعـين في أوطانهم ..إلى كل من يتطلع ويصنع غدّ عربي حر مـشرق.. إلى كل نسـاء ورجـال الوطن العربي المعتقلات والمعتقلـين، المدافعات والمدافعين عـن الحريـة، والعدالـة الاجتماعيـة، والمسـاواة، وحقـوق الإنسـان، والكرامة...الـخ. وإلى كل مـن يحلـم وسـعى ويسـعى لتتحقـق الوحـدة العربيـة، أقـدم هـذه الباقـة النثريـة.

هذا الوطن
معظم ما فيه...
يمزقه أكثر مما يجمعه
يفرقه أكثر مما يوحده
يباعده أكثر مما يقربه
بالرغم أن
لسانه عربي واحد
ويعبد رباً واحد
واكتوى باستعمار واحداً

ما هذا الوطن
ألذي يخاف فيه العاشق
أن يكتب لحبيبته قصيدة غزلية
والثائر قصيدة ثورية
واليتيم والأرملة مرثية
والفيلسوف قصيدة فكرية
والليل قصيدة للنهار
والشمس قصيدة للقمر
والندى قصيدة للأزهار
والرضيع قصيدة لثدي أمه

ما هذا الوطن
الآمال والأحلام والحب فيه
استبدلت بموت بكفن

ما هذا الوطن
الذي بوفرة خيرات أرضه ونفطه
المواطن فيه يموت من الجوع
والحرية فيه ضوء أحمر ممنوع
اللاجئون والنازحون فيه يخافون الرجوع
لمنازلهم لأرضهم لشجرهم المقلوع

ما هذا الوطن
الذي لا يملك فيه زعماؤه
قرار الاستقلال
ولا استقلال القرار
عصمته بأيدي أجنبية
تديره تحكمه
تتحكم فيه بعنجهية

ما هذا الوطن
فيه تتشدق زعامته
بأن شعوبها تعيش بحرية
وفي كل عام بلا خجل
تحتفل بعيد الاستقلال
عيد الحرية
يتكالب عليها احتلال
ثم يتبعه احتلال

في كل لحظة
هناك مستعمر واستعمار
برا وبحرا وجوا
يصول فيه ويجول
ينهشه بمخالبه
يعضه بأنيابه
لتبقي فريسة سهلة الاستغلال
يملى فيها مشيئته
كذا إرادته
فما أسوا هذا الحال
نتمتم نقول بسرية
"لكل مقام مقال"
آه آه آه آه
على هذه الموال

ما هذا الوطن
الذي تسيطر فيه العشائرية
وقوانينها المتخلفة الرجعية
وبكبرياء ندعي أنها دول تقدمية

ما هذا الوطن
الذي أصبحت قيمة الإنسان فيه
ابخس ثمن
الأحرار والشرفاء مهشمون
والكاذبون والفاسدون
أصبحوا نخبة الوطن

ما هذا الوطن
الذي تستبدل فيه الحرية بكفن
والكلمة الحرة بزنزانة
بمقصلة برسن

ما هذا الوطن
الذي يرحل كل يوم عنا
ونرحل كل يوم عنه
ونتحسر لفراقه
ونلعن رجوعنا إليه

هذا الوطن
المذبوح الموجوع
رغم الألم والحزن والجوع
رغم الجروح والدموع
أعشقه أحبه
فراقه مستحيل ممنوع
بصوت عالٍ مرفوع
للطرش سأغنى
وليكن مسموعاً
بلاد العرب أوطاني
...
من المهد إلى أللحد

المراؤون يغتالون الوطن

بعض المواطنين في عالمنا العربي مصابون بعقدة نقص تسمى "عقدة قيادة"، يطمحون للزعامة، يستميتون من أجل الوصول لمنصب أو لقب أو سيادة...الطموح دليل صحة نفسية وعقلية جيدين. إما أن يكون مرائياً مخادعاً للناس مجمل نفسه بالفضائل، يظهر خلاف ما يضمر، وينصب نفسه وصيا وقيما على مصالح الناس والدولة والمؤسسات، فهذه مصيبة كبرى تتجاوز الطموح.

نتعرف على الإنسان من خصاله، ومن ثم نحكم عليه من أفعاله. المرائي يوصف ككائن حي، بشر مثلنا، يعيش بيننا، لم يأتِ من عالم أو كوكب أخر. أشبه ما يكون بزاحف بشري... ليس حشرة يمكن قتلها بمبيد حشري، أو آفة زراعية أو نبتة ضارة يمكن القضاء عليها بسموم. المرائي كائن حي أصغر من الفيروس يستطيع أن يخترق معظم الأجسام. وأضخم من الحوت يستطيع أن يبتلع المساكين والمعوزين والفقراء. يظهر نفسه ككبير القوم وخادمهم. له قدرة عجيبة خارقة على التلون والتغيير. يجمع في ذاته التناقضات جميعها ويمزجها ببراعة فائقة، صدقا منمقا، وكذبا مجملا، يجمع بين النميمة والتملق. قادر على إحداث الفرقة. يمتاز بالحقد الأعمى والمحبة المبتذلة. فنان هو، يستطيع أن يمزج الألوان بريشته ويرسم النفاق والشقاق والألم، له استعداد عظيم ليصبح حشرة طمعا في مصلحة ذاتية، له قدرة هائلة ورهيبة على التهام العطايا والقرابين من صناديق الصدقة والزكاة، ليوزعها على أقاربه ومعارفه وحاشيته من أمثاله. من صفاته: محب للتقدير والتكريم لأدوار لم تسند له أو قام بأدائها. كثير الأصدقاء هو، أحبابه قليلون. كثيرا ما يجمل نفسه بمحاربة الآخرين وتكفيرهم والطعن بهم. أجمل متعه عنده ذم الآخرين والقدح بهم بشكل حضاري ديمقراطي.

يمثل دور المسكين المستهدف، بينما يركن في قوقعته يضمر الشر للآخرين، شكاك في طبعه، متقلب المزاج، يمتلك براعة فائقة في قلب الحقائق. يوعد ولا يفي،

يستثمر خبرته في التلاعب بشعور وعواطف الناس. يناصر من يغض الطرف عنه، يعادي من يواجهه بحقيقته الخبيثة، لا يعرف العطاء يفهم الأخذ، وان تصدق لمصلحة وبقطارة. مريض له شبق قوى للوصول إلي الشهرة والسلطة، لقمة عيشه يكسبها دون عناء أو تعب. لا يؤمن بالتنافس الشريف، لكنه يتغنى به، طيبته مبالغ فيها، يعمل في الليل كلص محترف وفي النهار كلص ظريف. بلا وضوح أو رؤيا ويدّعى الكمال. يذكر الله وينساه، يؤمن باليوم والآخرة ويواظب على الصلاة والصيام تصنعا، ليستر قبح عورته وأعماله أمام الناس.

حجر أملس هو لا يلتصق بالأرض، كما لا يلتصق بالأحرار والأفاضل والشرفاء من الناس. التصاقه بالمجتمع يكون لأجل الوسوسة، والهمس مؤمننا بأن ما يسمعه الناس همسا يصدقونه سريعا... إن شارك في أحزان الناس وهمومهم، يبكي عهرا. بقدر وسع الكون تظاهرا، صدره أضيق من خرم إبرة. يتواجد في دور العبادة والمواخير. في رياض الأطفال وبيوت العجزة. بصريح العبارة هذا الزاحف منتشر في كل زاوية من زوايا الوطن. ولا تخلو أمّة من أمثاله، مع قلة عددهم فإن ضررهم كبير ولسعتهم كالعقرب ان لم تقتلك تترك فيك ذكرى سيئة لا تنسى.

المرائي يتلقف كل ما تجود به أيدي الخيرين الكرماء، ولا يوفر فلس الأرملة. إن سألته عن الحب يطربك متغنياً باسمه، وان سألته عن التسامح يقول عنه قيمة راقية عظيمة....ولا يمارسها. تطلعاته كبيرة تشتم منها رائحة الخبث المقرفة المتعفنة. لا يتورع عن الطعن بالشرفاء وتدبير الدسائس الماكرة بالأبرياء. انه أكثر خبثا من الذئاب وداخله أسوأ من جيفة في معدة ضبع. هو أكثر وداعة من الحمام، رمال متحركة نواياه ومساعيه غير واضحة، حثالة هو يسير على رقاب الشرفاء والضعفاء. خطواته غير معروفة، أعماله غير واضحة، كثير الكذب والرياء، يحلف باطلا بالأرض والسماء، يصنع أمجادا من حطام الآخرين، يبني انتصارات وهمية في مخيلة المساكين، يعيث في الأرض فسادا، بارع في التغرير وإسقاط النفوس البريئة. شيطان كبير هو، يرقص على آلام المنسحقين، همه بطنه، والأنا المتضخم عنده ذاته، والطوفان من بعده يغمر

غـيره، طهـره عهـارة، يخـدم باسـم المجتمـع وفي حقيقتـه لا ينتمـي إليـه. قـد يتـوب المجـرم، أمـا هـو لا يعـترف بأخطائـه ولا يتـوب، لا ضمـير لـه، لا يحتمـل النقـد والعتـاب، يعطـي كي يـسرق كرامـة الآخريـن، يتواضـع كي يسـمو بحقارتـه، بريشـة الـشر المزيفـة يرسـم مبادئـه وطموحاتـه وخططـه، بكلامـه المعسـول يخـدر العقـول المهمومـة المسـكينة الفقـيرة، يدّعـي النبـوة ولا يسـتطيع أن يقـوم ذاتـه.

المـرائي ينتمـي للجنـس البـشري المقنـع المجمـل نفسـه بالإنسـانية، هـو ليـس أفضـل مـن مومسـا دفعـت للوقـوف عـلى قارعـة الطريـق لعلّـة شريفـة وهـي غيـاب العدالـة الاجتماعيـة. لا يخجـل مـن العيـوب، يحقـر نفسـه، يـدوس عـلى كرامتـه، يبيـع ضمـيره ومجتمعـه وعرضـه مقابـل منصـب مرمـوق، يخلـق الطائفيـة والعنصريـة، ويناصر الشـيطان يتاجـر بـالأرض والإنسـان والوطـن مـن أجـل تحقيـق ذاتـه المريضـة، بـشر هـو محتقـر مبتـذل يفتقـد الكرامـة..

اسـأل كل منكـم أن لا يرتعـب مـن هـذه اللوحـة البشـعة، المملـوءة بالحقائـق، أو يشـعر بالقنـوط والهـم، والغـم، والتراخـي. عـلى العكـس، علينـا أن نتسـلح بقـوة المعرفـة والمحبـة ونتشـجع لمقاومـة هـذه الآفـات فكـرا وقـولا و عمـلا لأنهـا لا تبنـي وطنـا أو إنسـاناً. لنسـتأصل هـذه المخلوقـات الغريبـة التـي تعبـث بمسـتقبلنا وتدمـر مجتمعاتنـا ومصائرنـا دون خـوف أو خجـل، مـن أجـل كرامـة وقيمـة الإنسـان ومسـتقبل أبنائنـا ومـا يدعـي بوطـن أرض الآبـاء والأجـداد.

الفيلسـوف اليونـاني سـقراط (٤٦٩ ـ ٣٩٩ ق.م) قـال: " إعـرف نفسـك"... بالتـالي مـن لا يعـرف نفسـه وقدراتـه، يكـون حجـر عـثرة يعطـل مسـيرة التطـور والبنـاء. مـن انتمـى لوطـن، فليخلـص لـه، وأولى واجباتـه أن يعمـل عـلى إقصـاء المرائـين المدسوسـين وتنحيهـم جانبـا ... قبـل التقـدم لمنصـب مـا ، فكـرِّ وبعمـق أيهـا المرشـح بمقولـة عمـر بـن عبـد العزيـز(٦٨١ – ٧٢٠م):" رحـم اللـه امـرئ عـرف قـدر نفسـه"، كي لا تكـون شريـكا في اغتيـال الوطـن.

عزيزي كيري

عزيزي كيري ٢٠١٤/١/٢٦

تصريحك" أن الغرب سيحمي الأقليات والعلويين في النظام السوري الجديد" وموقف روسيا ونيتها من "حماية مسيحي الشرق"، تعبير يولد عندي انطباع بأنكم تدفعون المنطقة لأتون الحرب، ومجازر جديدة يصفى فيها ما تبقى من العلويين والمسيحيين والأقليات الأخرى في الشرق.
ما يريده المسلمون والمسيحيون الشرفاء، والوطنيون في الشرق هو رفع أيديكم عنهم، ونحن نكفل بالمحافظة على بعضنا البعض والعيش بأمان وسلام. الطامة الكبرى جاءت منكم، ومن بعض الدول العربية الذين تعهدتم وإياهم بمساندة الأنظمة الرجعية، وقمتم بمساندة الإرهاب، والإرهابيين، وتمكنتم من إحداث شرخ في العلاقات بيننا.
أتساءل..... غزوتم العراق، وكان دخولكم مأساة على المسيحيين...هل استطعتم حمايتهم؟ وهل طلبوا منكم الحماية أصلا؟...أنا لا أنكر المآسي التي حصلت للمسيحيين في الماضي، والحاضر وأنا ضد تفريغ المنطقة منهم، وضد قتلهم، وذبحهم. سأقف بوجه كل من يحاول ذلك، وسيكون لجانبي الملايين من المسلمين ايضا...كما ولا يمكنني أن أغمض عينيي، دون أن أعترف بأن المسلمين أيضا دفعوا ثمنا كبيرا وفادحا....هدفكم واضح وظاهر للعيان هو النفط، وإبقاء الشرق الأوسط ممزق، ومتخلف، ورجعي، ومقسم، تحكمه رموزكم، وزمركم.

مسلمون ومسيحيون معا

عند تأجيج نار الطائفية أو المذهبية أو الحزبية بين
أبناء الوطن الواحد، يكون الإنسان أولى أهدافها
القاتلة، ويستخدم فيها أبشع أنواع الأسلحة وأكثرها

فتكا وضراوة، ويتفنن البشر في أساليب القتل، فيها
يفقد الجميع بصيرتهم وبصرهم ويصبحون آلة موت
ودمار وضحايا لها. ويقع الجميع في المحظور، الذي
بدوره يصبح حلالا ومباحا. عندها يعلن موت الرحمة
والإنسانية.

الشعوب الشرقية، وبخاصة العربية منها تعرف بشدة تدينها وقوة عاطفتها، لا نعلم إن كانت هذه الظاهرة حقيقية أو ظاهرية! نستسلم كعادتنا، ونضعها بين يدي العلى القدير ونقول: " الله أعلم". وفي معظم الأحيان نحتال على أنفسنا وليس على الله فهو علام القلوب. فالحديث عن عظمة الدين والدفاع عنه يحتل مرتبة عالية في المجتمع. النقاش والجدل له حساسية خاصة عند اتباع الديانات السماوية وخاصة الإسلامية والمسيحية لأنها أكثر تلامسا والتقاء في الحياة اليومية على امتداد الوطن العربي. بعض الأحيان قد يصيب أو يخطئ من يحاول الحديث في هذا الموضوع، بدعوى حساسيته الشديدة. بذلك نضع حاجزا نفسيا بين بعضنا البعض، لأننا نخاف من المكاشفة والمصارحة والحديث عن بعض الاختلافات مع أننا جميعا نعرفها وبعمق. الحديث ضروري ليس من أجل إبراز الاختلاف بل من أجل التركيز على ما يجمع ولا يفرق، وإطفاء جذوة الاختلاف من أجل المواطنة والوطن والتاريخ الذي يجمعنا. أشبّه ذلك بشخص يسير على نصل السيف إن زحلق تقطع من حدته، وأفضل أن أشبهه كحديقة فيحاء يتناسق جمالها وروعتها، تنبعث منها رائحة عطرية وردية تنعش الروح والفؤاد. حيث يليق فيها الالتقاء والعيش والتعايش والانسجام. الإيمان عند الشعوب الشرقية يسيطر على عقولها، ونبض قلوبها، ويسير كدماء في شرايينها وأوردتها حتى أنه يخترق عظامها ليصل نخاعها. فكل ما يدور حولنا لا لون له إلا لون واحد هو الدين. هل هذه نعمة أم نقمة؟... أترك حرية الإجابة للقارئ الكريم.

المزالق التي يقع فيها الإنسان ليس مصدرها الدين، بل المطامع والمصالح والجهل في الدين، أو حتى الشعور بالاضطهاد غير المبرر في بعض الأحيان.

المأساة تظهر قوتها عندما يركب البعض موجة الإيمان الضيق، ويفسروا الدين حسب أهوائهم ووفق مصالحهم الذاتية، وخلق وقائع لا إنسانية تترجم إلى عنف وقتل وتشريد واضطهاد.

شعور المواطن بالأمن والأمان يعني صدق الإخاء والانتماء الديني والاجتماعي والوطني. مما يعني المحافظة على الآخر الذي يعيش معي مسيحيا كان أو مسلما دون اعتداء جسدي أو معنوي أو انتقاص من مواطنته أو اعتداء على رموزه الدينية وأماكن عبادته وممتلكاته، مع احتفاظه بحقه في بناء مدراس ودور عبادة وترميمها، ووقوفهم جميعا أمام القانونية سواسية. أكرر، أمن وأمان الفرد وحريته يمثلان الحلقة الرئيسية في العلاقات الإنسانية السوية. بقدر سهولة وبساطة تحقيق هذه المعادلة، إلا أنها قد تكون معضلة معقدة ينجذب فيها أطراف المجتمع في تعددهم السياسي والديني إلى التشابك دون الوصول إلى هدف واحد أو نتيجة سليمة مما يسفر عنها أموراً لا تحمد عقباها، ومصيراً مجهولاً لا يمكن التنبؤ به.

أن يقتل فرد، تباد قوميات وشعوب، تحرق دور عبادتهم وتدمر مدنهم باسم الله فهذه جريمة بحق الله، وبحق كتبه السماوية، وبحق الإنسانية. أيّ مجتمع حر، وصحي في العالم يجب أن يكون منفتحاً ومتعدد التيارات الفكرية، والعقائدية، والسياسية. ولكن في لحظة ما قد يشهد تأزم في الخلافات الشخصية بين أفراده، تصل إلى طابع التعدي والعنف. فان كانت القضية بين أفراد ضعاف النفوس، فإنها ترتدي أولا طابعاً عشائرياً وإن تأزمت أكثر فإنها ترتدي طابعاً طائفياً أو حزبياً. ذلك لا ينفي وجود ميول عند البعض لعنصرية العمل. يتم ذلك بشكل فردي وليس بشكل منظم أو كسياسة تطهير عرقي كما يظن البعض، بالرغم عن ذلك نصفها بظاهرة ليست بالخطيرة، لأن الانحرافات موجودة في كل المجتمعات البشرية. لكن العمل على تكريسها والإنجرار وراءها وعدم أخذ مبادرة لوقفها من قبل القانون أو المواطنين المتفرجين الصامتين غير مبالين في بعض الأحيان، يعنى تفتت المجتمع وتصدع العلاقات بين أفراده، مما يولد وينمي شعورا بالاضطهاد. وبالتالي البحث عن مجتمع آمن ، ما يعني تفريغ

المجتمع من التنوع والتعدد الإنساني والفكري والثقافي وخلق بدائل جديدة كالرحيل والهجرة، مقابل شرط قاسٍ وهو الموت أو التنازل عن فكرك أو معتقدك، والدخول قهرا في عقيدة أو فكر الآخر. أي تجبر على خيانة كل ما تؤمن به.

ليس هناك دين خطير، إنما هناك أتباع خطرون ذوو نفوس مريضة تحمل في قلوبها وعقولها، حقدا وكراهية لكل من ليس من أتباعها، أومن اختلف معها من أتباعها في التفسير. إنْ كان الله الخالق واحد بحسب إيماننا ، فان كل ما خلقه في هذا الكون صالحا ولمنفعة خلقه أجمعين، وكل عباده يرجعون إليه.

في تجربتنا الفلسطينية لم يتمكن يوما الاحتلال من إذكاء روح العنصرية والتفرقة بين الأشقاء المسلمين والمسيحين. والتي ما زال يراهن عليها، ليثبت ويؤكد أن الإسلام هو دين إرهاب. وان الظلم الواقع على المسيحيين سببه المسلمون فلا يمكن أن يستمر هذا الضغط على المسيحيين، ولا يمكن السكوت عن هذه الأقلية الباقية في الأرض المقدسة من الزوال، لذلك يحاول التدخل في دعوى إنقاذها والمحافظة عليها. يريد أن يظهر نفسه للعالم أنه حامي المسيحية في الشرق. فشل هذه المحاولة يثبت أن الشعب الفلسطيني لا يقبل القسمة على اثنين. ولكن للأسف وجود بعض الحركات المستأملة سياسيا، المرتزقة في دول الربيع العربي البائس، تعمل عنوة على ترحل وقتل وفرض الجزية على المسيحيين وتغير دينهم بالقوة بالرغم أن إحدى آيات القرآن الكريم تقول: "لا إكراه في الدين" . بعملهم هذا، يؤكدون ويثبتون للعالم أجمع صحة الإدعاء الإسرائيلي أن مسيحي الشرق في خطر، ووجودهم مهدد، وانقراضهم بات وشيكا، وأن الإسلام دين إرهاب.

في العالم العربي، تربينا، نشأنا، نهلنا من الحضارة العربية كل ما تتضمنه من عناصر مسيحية وإسلامية وما سبقها من حضارة فرعونية، وآرامية وكلدانية، وكنعانية، وفينيقية، وسريانية...الخ. قاومنا كل غاصب محتل على مدى قرون. ساهمنا في البناء الثقافي والحضاري والقومي العربي، بالرغم أن دورنا كمسيحيين يغيبه البعض، حقدا وكراهية بسبب تعاليم خاطئة رضعها من مصادر تربوية مشبوهة . أبينا

مجتمعين إلا أن نتقاسم العيش المشترك في السراء والضراء. نزعتنا قوية لاقتلاع الفئوية الضيقة من جذورها. كنا وما زلنا عائلة واحدة نتعامل بإنسانية دون المساس من قريب أو بعيد بعقيدة الآخر. حافظنا سويا على شرف وشعور كل منا في أحلك الأوقات والظروف. لكن للأسف، فان ما قام به بعض المستألمين السياسيين المنحرفين الخارجين عن تعاليم الله، يؤكد بأنهم ألعوبة ودمى بأيدي غربية غريبة ، وأن بإمكانهم أن يحققوا ما لم يستطع أيّ احتلال على مدي عقود في عالمنا العربي من تحقيقه وكانت ضحاياهم كل من يخالفهم الرأي من مسلمين ومسيحيين.

العرب مسلمون ومسيحيون في أي قطر عربي كانوا، يربطهم أصل واحد، تمتد جذوره إلى ما قبل دخول الإسلام إلى الشرق في القرن الميلادي السابع. ما يجمعنا هو الانتماء، اللغة، المصير، العادات، القرابة، التقاليد، المعاملات اليومية القائمة على الاحترام المتبادل. وحفظ كرامة الجار والإنسان والاختلاف، على أسس إنسانية محضة، صادرة من أعماق الروح العربية الأصيلة. ليس ادعاء أو مواربة أو تزييفا أو محاباة في ما أقول، ولكن من قلب صادق همه وهدفه أن يستمر الوجود المسيحي في جو من الحرية، والكرامة والمواطنة الكاملة بعيدا عن الخوف وسلطة المتطرفين. وما جاء في القرآن الكريم أبلغ دليل على شرعية وأصل الاختلاف: " كلكم من آم وآدم من تراب".

إنْ كان للغرب مطامع وغايات نفعية في العالم العربي والإسلامي وتراخي بعض الأنظمة العربية معه، فهذا لا يعني أن الغرب يحمل لواء النصرانية. ينبغي ويجب أن لا يفسر أيضا، أن أي اعتداء من قبل أي فئة إسلامية موجه بشكل خاص ضد المسيحيين. لأن الدين من كل أولئك براء. المسلم العربي اقرب أليّ من المسيحي الأوروبي أو الأمريكي. كذلك أيضا يجب أن يكون المسيحي العربي اقرب إلى المسلم العربي من المسلم الأوروبي أو الأمريكي. كوننا أبناء وطن واحد يجمعنا في بقعة أرض وعلى تراب واحد. فان اختلفت العقائد والتفسيرات اللاهوتية الفقهية، فلن نختلف في حقنا بالعيش سويا كأبناء لله. علينا أن يرى كل منا الآخر من خلال عين الآخر وفكره. يعني أن يفهم المسيحي المسلم من خلال القرآن الكريم، وأن

يفهم المسلم المسيحي من خلال الإنجيل. لن نصل إلى هذا المستوى إلا في حال قرأ وفهم كل منا الكتاب المقدس للآخر، ومن خلال برامج وزارة التربية والتعليم. هذه النقطة قد تثير الحساسية لدى البعض، ولكنّي أصر، وأركز على هذه النقطة لأنها تمثل منعطف نحو قبول الآخر ومعرفته. من الضروري أن ننتقل إلى هذه الخطوة بعيدا عن أي صورة أو تصور أو نمطية لقدسية الكتاب أو عدمه.

الصحوة في العالم العربي موجودة - وأصبحت أكثر وضوحا ومطلبا في هذه الفترة التي تدعى بالربيع العربي بدل الهبات العربية - واستمرار تنشيطها مسعى ومطلبٌ. لنتذكر أن التعاليم الدينية وكل الكتب الدينية في العالم جاءت من أجل ترتيب العلاقات الإنسانية بين البشر وترسيخها بناء على أمر الهي سليم تحفظ فيه كرامة الإنسان ولا تداس، وتحقق العدالة بأنواعها بلا انتقاص، والمحبة طريق عوض عن الكراهية، والتسامح المتبادل مع الآخر. بين الإيمان وادعاء الإيمان، وبين الدين وادعاء التدين يكمن شيطان رهيب عجيب يدّعي المعرفة والحكمة وخفايا الأمور. بينما في حقيقته يتربع الشر والخراب والموت والقتل والدمار في جوفه. فالدين يمكن أن يكون سلاح سلامٍ، أو سلاح حرب. وإن أسيء استغلاله يكون عارا على الإنسانية ، وتجديفا على الله.

عند وقوع الشعوب في نكبات يأخذ بعضها بمد وجزر التدين، عسى أن يكون ملجأها للإيمان فيه خلاصها، من كل ما يحيط بها من مؤامرات ونكبات أو اضطهاد. فالإنسان الصادق الأمين المحب لله وخليقته، عليه أن يظهر إيمانه في السراء والضراء، في مرضه وعافيته، وفي كل حين. مسلمون ومسيحيون معا مدعّوون إلى نشر رسالة المحبة، والتسامح، الحق والعدل والمساواة... بين كل أفراد وشعوب العالم وكل من يختلف عنا ويدعى بالآخر. لأن واهب الحياة يطلب منا ذلك في كتبه السماوية.

ويل للشعوب، إن وقعت في مصيدة الفتن فلن تستطيع الاتفاقيات والعهود والمواثيق من منع الأحقاد. ولا حتى الكتب الدينية أو السماوية المقدسة من إيقافها، لأن عيوننا وأذاننا تكون مغلقة أمام كل ما هو إلهي.ويكون الإنسان الشيطان هو سيد الموقف.

أخي العربي.. مثلك أنا

أريدك أن تكون كما أنا أكون... ولا أريدك أن تكون
كما تريد أنت أن تكون... فلا خيار لك. أنها "مبادئي"،
..." ثقافتي". ربما " تعاليمي" أيضا تمنعني، ولا
تسمح لي "بغير ذلك". المحبة والسلام انتزعا من
قلبي ومن عقلي، كذلك الفكر والمنطق. فأنا جاهل
متعصب أعمى. بصراحة... ذاتي... وهبتها...
وأصبحت ملكا لغيري.

أخي في العروبة...أنا مثلك عقلي عاجز عن إدراك عمق الحقارة الإنسانية التي وصلنا إليها.

مثلك أنا أيضا، العن كل من أساء لتراثنا، لحضارتنا، لأعرافنا، لتقاليدنا، ولإيماننا.

مثلك ابحث عن بيت دافئ في وطن ينهار ويسقط أمامنا.

أنا مثلك.. انتظر قطار التغيير. هي أحلامي وأملي منذ زمن طويل... أتمنى أن لا يطول الزمن.

لأننا والحق يقال:"لقد هرمنا، وما بقى من العمر إلا القليل وما حصلنا عليه الكثير الكثير من الفشل".

ابحث مثلك.. عن حل، فلا حلول ظاهرة واضحة في الأفق البعيد. عقولنا متلبدة، تنتج ذاتها باستمرار.
فلا مجال للتغيير والتقدم. المثقف والجاهل باتا في كفة واحدة، بالمعرفة والعلم أيضا تساووا بالمقدار.

كثيرون مثلك ومثلي.. يبحثون عن زعيم في هذا الوطن... للأسف عقولنا ترفض التجديد لذلك نتحف في إنتاج ذاتنا. تعلمنا الراحة والكسل وعدم التفكير. تعلمنا أن أفضل الطرق واقصرها للتغيير هي عدم التغيير، والسير وراء الركب الفاسد..

مثلي أنت.. تعلم أن الاستنساخ لا يحتاج لجهد، إنه نوع من التقليد الأعمى الذي نشأنا، وتربينا عليه .. نحن نستنسخ زعماءنا، نستنسخ سياستهم، أساليبهم، بطشهم الخ... نستنسخهم ونزيد على سفاهتهم سفاهات، وعلى عنفهم عنفا أكبر.

مثلك أنا.. أمجد الكيانات المتسلطة فليس هناك من قوة تقوى على تغييرها، أو شعب يفكر بتحديها منذ عدة قرون. فهي راسخة كرسوخ الجبال. تُمتعنا، وتُسعدنا السلطة التي تقوم على الحزم، والبطش، والترهيب. نُصلي كي يستمر وجودها، وديمومتها. نحن لدينا عطش غير طبيعي للقهر، وللذل. والاستكانة، والبكاء.

مثلك أنا.. أسبح في بحر من الاغتصاب الاجتماعي والسياسي والديني. أرضخ، وأستسلم لكل من يسرق حقي في الحياة والوجود والبقاء، والانتماء العرقي، والديني، والمذهبي.

مثلك أنا.. بت مؤمنا أن الشعب المسيحي مهدد اليوم في الشرق بالانقراض. ولا أحد يجرؤ على الكلام. الجميع يرى بأم عينيه كيف يذبح أبيض الحمام أتباع المسيح أمير السلام، وأتباع محمد عليه الصلاة والسلام.

أنت مثلي.. يملؤك إيمان أن الجلاد والضحية معا سيكونان في الجنة. لا تتحير، لا تستغرب...نعم القاتل والقتيل سيكونان معا في الجنة. هذا ما تكلم به السيد المسيح عيسى ابن مريم في إنجيل يوحنا. ٢:١٦ "سيخرجونكم من المجامع بل تأتي ساعة فيها يظن كل من يقتلكم انه يقدم خدمة لله".

مثلك أنا.. أتساءل أي إله يقبل الأضاحي البشرية. وأي إله يطلبها في القرن الحادي والعشرين. إله بريء من كل النواقص البشرية، والأعمال البشرية البشعة. وأي إله هذا من يخلق ويميز بين البشر، هذا اله لا أعرفه. أنا أعرف إله المحبة والتسامح، لا إله الشر.

مثلـك.. أتنفـس الصعـداء وتعترينـي نشـوة عندمـا لا يسـتحي الإرهابيـون مـن إرهابهـم، ويتمكنـون في وطـن. فإنهـم يقتلـون أخـر مـا فينـا مـن أحـلام، وأنبيـاء..

أبتسـم مثلـك إنْ كان سـنيا أو شـيعيا أو أزيديـا مـن يذبـح؟ فأنـت مثـلي تضحـك لذبـح المسـيحي...الإرهاب لا ديـن له...لنقهقـه عـلى ذاتنـا الحقـيرة.

ومثلـك قـد يؤلمني سـقوط مأذنـة، أو جرسيه كان عليهـا صليـب أو هـلال يرفـع. وفي نفـس الوقـت نبتهـل للـه، ونكـبر عنـدم طلقـة مدفـع عـلى كنيسـة أو مسـجد تقـع.

مثلـك كمواطـن أقـف حائـرا بـين أمريـن شـديدي المـرارة. فإمـا التـشرد وإمـا القتـل وهـما أمـران أحلاهـما مـر. فالرضـوخ للإرهـاب يعنـي الاستسـلام للشـيطان، ومنحـه الشرعيـة ليتملـك، و ليسـيطر عـلى أجسـادنا وأرواحنـا.

مثلـك أنـا اندهـش مـن هـذه الحـركات التكفيريـة الإرهابيـة. تـارة تدعـو للأخـوة الإنسـانية، ثـم تقسـم النـاس بـين مؤمنـين وكفـار. وتـارة أخـرى نسـمعها تدعـى العدالة الاجتماعيـة، بعدهـا تبيـح نهـب الأموال وبيـوت المواطنين، وتسـتغل الشـعوب المقهورة، وتضعهـا دون المواطنـة بمـكان. ثـم تقـول أنهـا تؤمـن بالمسـاواة، عوضـا عـن ذلـك تسبي النسـاء وتبيعهـم في سـوق النخاسـة وتحلـل نهب الأمـوال. وتدمـير دور العبادة.

مثلـك أنـا أعشـق الفنـون فكيـف سـنعيش أنـا وأنـت في جـو حـرم علينـا، ومنـع، وحـارب كل إبـداع بـشري مـن فنـون، وموسـيقى، وتمثيـل، ونحـت وغنـاء.

مثلـك لا اسـتطيع أن أجـزم مـا سـيكون عليـه غدنـا ومصيرنـا... فعروبتنـا تمـر بمخـاض عسـير. وتعيـش بـين نارين مسـتعرتين، إمـا أن نتبـع تعاليـم سـماوية مشـوهة، أو أن نتبـع تعاليـم أرضيـة جائـرة .فلـكل منهـما نصير له أتبـاع وحلفـاء. فليس أفضـل مـن أن نعيش كمواطنـين بمحبـة، ونعيـش الروحانيـات بسـعادة بقوانـين، تجمعنـا لا تمييـز بالإخـاء.

مثلـك أدرك ، أن عالمنـا العـربي يقـف اليـوم عـلى مفـترق طـرق، واغـتراب. وان خارطـة الـشرق سـتنكمش فيهـا دول، وتتوسـع أخـرى بعـد جـرد الحسـاب.

مثلـك أنـا أهـرب مـن الـشر، وأتفـاداه. فـلا يعنينـي، ولا يقلقنـي تغيـير واقـع الإنسـان، ولا البنـاء. أليـس كلانـا ومـن يعيـش في الوطـن معنـا جبنـاء.

مثلـك أسـتنتج أن مـا نمارسـه في عالمنـا العـربي ليـس فكـرا، بـل فكـر بغـاء.... ألا توافقنـي أخـي بـأن القضيـة بمجملهـا تعـدت الخجـل والحيـاء... والفكر أصبح ضربا من الاستمناء.

مثلـك اسـأل، متـى سـنصير شـعبا؟ متـى سـنصير أمـة؟ متـى سـنلحق بالركـب الحضـاري؟ متـى سـنتعلم أن هنـاك شـعوبا مثلنـا تتفـوق علينـا؟ متـى سـنعترف أن اللـه الـذي نعبـد هـو نفـس اللـه الـذي يعبـده غيرنـا. وقـد يرفضـه غيرنـا بقـدر مـا يرفضـه بعضنـا وبالرغـم مـن عـدم إنـكاره عنـد البعـض فإنهـم يقـدرون الأخـلاق ويعملـون بأحسـن مـا عندهـم للإنسـانية جمعـاء. أليسـوا أفضـل منـا لأن اللـه الـذي نعبـد اليـوم يدعـو للمـوت والقتـل والدمـاء.

كلانـا يعلـم بأننـا بتنـا نرضـع أبناءنـا أفـكارا عقيمـة، نسـتمدها مـن متحـف أفكارنـا القديمـة المهترئـة. نحشـو أدمغتهـم بمفاهيـم باليـة لا تخضـع لمعايـير وقوانـين علميـة. نحـن نعلمهـم الجهـل في صـور ضبابيـة لا وجـود لهـا في عـالم اليـوم. إلى متـى نسـتمر بهـذا الـصراع؟ نحـن جميعـا نعيـش سـويا هـذا الـصراع..

نحـن نسـير إلى أللامـكان لا نـدري بـأي زمـان نحـن. إلى متـى سـنبقى نعـاني مـن الضيـاع. نحـن أرقـام مـن البـشر بـين شـعوب الأرض هـل سـيكتب لنـا البقـاء.

مثلـك أنـا يعتريـه الخجـل فهـذه مدرسـتنا تعلمنـا فيهـا منذ كنـا أطفـالا صغارا ودعـاءً.
فما هذا العصر الذي فيه أصبح كل مفكر، وفيلسوف ممسحة للأرض وللحذاء...

سأبقى احبك يا وطني العربي الكبير بالرغم من كل من طعنك غدرا وسعى إلى خرابك... فإنهم ثلة من سفلة وحفنة من عملاء.

أخي العربي، كن مثلي ... لا تيأس من عروبتك.

خطاب ديني وطني وحدوي

عندما تطغي المصلحة ومحبة الذات على البشر،
ويلتقي سماسرة الدين والسياسة، ويستحوذ عليهم
التعصب الأعمى مصحوبا بفكرة التفوق، ويسيطر
عليهم أعداء الأمة من الخارج والداخل، ويأتمرون
بأمرهم، ويهمش المفكرون وعلماء الأمة، وترفض
كل الحلول الإنسانية التوفيقية المطروحة، عندها
يصبح الإرهاب والموت والدمار سادة الموقف.

ما أشبه اليوم بالبارح. ما أشبه عام ٢٠١٥ بعام١٩١٥ . الزمن يمر سريعا، ولم نتعظ من الماضي. مئة عام مضت على أول إبادة جماعية – تطهير عرقي- في القرن العشرين التي ارتكبت بحق مواطنين مسيحيين أمينين مسالمين، سكان الأرض الأصليين، في بقعة أرض عرفت بمهد الديانة المسيحية. نكل بهم، من قبل الدولة العثمانية. مجزرة فيها اغتصبت الفتيات، بقرت بطون الحوامل، صلبوا، قطعت رؤوسهم وأطرافهم، أحرقوا، دفنوا أحياء، بيعت النساء، اختطف الأطفال، دمرت الكنائس وأحرقت على المتعبدين فيها، كسرت الصلبان، استبيحت ممتلكاتهم للنهب والسرقة والاستملاك، ودفع الأحياء منهم شبه عراة لمغادرة أرض أبائهم وأجدادهم ليموتوا في العراء من قسوة الطبيعة والجوع والعطش والمرض. قدر عدد الذين أبيدوا من الأرمن بمليون ونصف المليون شهيد، ومن السريان والأشوريين وكلدان الخ... بأكثر من سبعة مئة وخمسين ألف شهيد.-

سمّى الأرمن هذه المجزرة بالمذبحة الأرمنية، والمحرقة الأرمنية، والجريمة الكبرى. وسماها السريان والأشوريون بمذابح السريان، ومذابح الأشوريين، ومذابح سيفو(كلمة سيفو تعني السيف باللغة السريانية). وفي سوريا - المقسمة اليوم إلى سوريا، والأردن، وفلسطين، ولبنان- أيضا لم تسلم شعوبها على اختلاف طوائفهم من بطش العثمانيين... ويقدر عدد الذين ماتوا من العرب على اختلاف عقائدهم خلال هذه الحرب قتلا وجوعا وعطشا بنحو مليون ومائتي ألف شهيد.

اليوم، بعد قرن من الزمن، يتكرر المشهد نفسه نرى بأم أعيننا الفظائع القبيحة التي رواها لنا أجدادنا عبر الفضائيات، وما قراءنا في الكتب... نشاهده يرتكب بحق المسيحيين، والمسلمين السنة والشيعة ، واليزيديين، وأكراد.. فمن فرق، وأغوى بالفتنة بينهم هو المصدر ذاته دائما، ماضيا وحاضرا. التوسع الاستعماري والأطماع والمصالح هي الدافع الرئيس لهذه المجازر اللاإنسانية البشعة التي تجري على الساحة العربية.

نحتاج في هذا الزمن إلى مراجعة حساباتنا القديمة، والى وقفة جريئة من قبل كافة الأطراف السياسية، والطوائف الدينية والمذهبية، ضد كل القوى الظلامية التي تعمل من داخل وخارج العالم العربي سعيا لتفكيكه. وفرض واقع جديد عليه، سياسيا ودينيا يشكلونه كما يحلوا لهم... أناشدكم وأقول لكل من لا يعير الأمر أي اهتمام. إن من واجبنا أمام الله والإنسانية أن نجمع كلمتنا، ونكرس جهودنا ومضاعفتها للبناء، ليس من اجل أرواح الشهداء الذين سقطوا بحثا عن تغير وحلول اجتماعية وسياسية فقط... بل من أجل مستقبل أطفالنا وحرصا على التعددية العرقية والطائفية والحفاظ على لحمتها.

قبل قرن من الزمن لعب البارون الألماني ماكس فون أوبنهايم (١٨٦٠- ١٩٤٦). الذي عمل أثناء الحرب العالمية الأولى وفي فترات تلتها كرئيس لمكتب استخبارات الشرق الألمانية في إسطنبول. مهمته الرسمية في سوريا كانت بث الفساد والفتن بين المسلمين والمسيحيين، وتحبيب ألمانيا إلى المسلمين. وكانت أيضا جمعية الإتحاد

متفقة مع ألمانيا على إبادة العناصر غير التركية – تشمل الشعوب العربية أيضا-. فقام بتحريض الأتراك على قتل المسيحيين في الشرق مقنعا الناس أن العنصر المسيحي هو العامل الدائم على تهيج أعداء الدولة عليها كالفرنسيين والإنجليز وغيرهم.

واليوم إلى جانب أعداء الأمة، هناك من يعلم في أدبياته أفكاراً تجنح لإحداث شرخ وفوضى في نسيج العلاقات الاجتماعية. ففي كتاب الجمع القيم لسلسلة المذكرة الاستراتيجية للأخ "عبد الله بن محمد" صفحة ٤٥: بداية الاقتباس"... لذلك أرى انه من الواجب علينا بعد أو قبل إعلان دولة الخلافة بحسب الظرف أن نعمل على طرد اليهود وتهجير النصارى والدروز والنصيرية والبهائية بالإضافة إلى الشيعة وعبدة الشيطان وغيرهم من المشركين من كافة الأراضي التابعة لمنطقة الشام.. ويستطرد قائلا: وفي اعتقادي أن أفضل مناخ لتنفيذ هذا المخطط يأتي في حالة من الحرب وليس من السلم......" انتهى الاقتباس... أخي "عبد الله بن محمد"، لا استغرب من فكرة إقامة دولة الخلافة الإسلامية وأفهم حاجة البعض إليها بوضوح، لأننا كعرب نعيش في دول غير مستقرة وغير قادرة على اتخاذ قرارات مستقلة. ولكن استغرب مما كتبت. أجبني بوضوح وصراحة، على ماذا استندت في طرحك؟ ولماذا لم يطرد الإسلام والمسلمون كل من ذكرتهم من البلاد التي فتحوها(في عرف الدين) - لنقل احتلوها(في عرف السياسة)- هل لسبب غير ديني يجهله علماء الفقه والشريعة الأفاضل لا يرد له نص في القران الكريم والحديث النبوي الشريف؟؟؟؟.... مع العلم أخي عبد الله، أن الإسلام تعايش مع أهل الكتاب، وغير أهل الكتاب منذ فجر بزوغه. والأمثلة على ذلك متعددة... أسوق كمثال العهدة العمرية. فالمسيحية وأتباعها يكنون الاحترام للبشرية ولكل الأديان، وتعاليمهم تأمرهم بالمحبة والتسامح بلا حدود، والعمل لأجل السلام العالمي كي يكونوا فعلا أبناء الله. فما بالك يكون الوضع مع من يتعايش معهم من مسلمين . أتمنى أن لا تكون قراراتك قد اتخذتها نكاية بالغرب المستعمر. الغرب فصل الدين عن الدولة وتجاوز العلمانية نحو الحداثة وفصل الدين عن الدولة. وحروبه كلها اقتصادية .

خلال الحرب العالمية الأولى، تأكد لمسيحيي سوريا ما يدبره لهم ماكس من المهالك مع ميل الحكومة التركية إليه فسعى رؤساء الدين إلى زيارة الشيخ الفاضل العلامة بدر الدين الحسني(١٨٥٠ - ١٩٣٠) فأخذ هذا الشيخ يقاوم هذه المبادئ بالنصائح لكل المسؤولين وأعوانه، وأحيانا بالأحاديث والعظات الدينية التي كان يلقيها كل يوم جمعة... بذلك آتت ثمار جهوده بفوائد جليلة ومنعت كل خَطب كان يمكن إن يحدث بواسطة الجهل وزرع بذور الفتن والفساد .

عزيزي القارئ هذه إحدى الخطب التي ألقيت في عهد هذا الشيح الجليل...

بسم الله الرحمن الرحيم (١)

الحمد لله رب العالمين القائل:"واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ". وصلى الله عليه سيدنا محمد القائل:" المؤمن يألف ويؤلف ولا خير فيمن لا يألف ويؤلف، ويد الله في الجماعة ومن شذّ شُذَ في النار". وصلى الله على سيدنا عيسى المسيح روح الله القائل: "لا تقابلوا الشر بالشر فإنما يفعل ذلك شر الحيوانات وقابلوا الشر بالخير. طوبى للمتواضعين في الدنيا هم أصحاب المنار يوم القيامة. طوبى للمصلحين بين الناس في الدنيا هم الذين يرثون الفردوس يوم القيامة طوبى لمحبي السلام هم الذين ينظرون الله يوم القيامة".

وصلى الله على سيدنا موسى الكليم القائل:" إن أبغض الخلق إلى الله تعالى من تكبر قلبه وغلظ لسانه وبخلت يده وساءَ خلقه". وصلى الله على أبي الأنبياء إبراهيم الخليل القائل:"حسنوا أخلاقكم ولو مع الفجار تدخلوا مداخل الأبرار". صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وعلى الناهجين منهجهم الداعين إلى مكارم الأخلاق وأتباع الحق والصواب.

أما بعد فقد أخبرت سيدي علامة الزمان مرشد الأنام إمام المحدثين الشيخ محمد بدر الدين أدام الله تعالى نفعه العميم على الحركة القائمة اليوم في

دمشق وضواحيها وهي حركة التطوع نرجو الله أن يجعلها حركة خير وبركة للوطن وأهله فكبر ودعا لما فيه رضي الله تعالى والنفع العام للوطن وأهله.

فعلى هذا ينبغي للمسلمين الاتحاد وجمع الكلمة العمومية مع أهل وطنهم من أهل المذاهب والطوائف الأخرى المحترمين حيث نحن وهم على السواء فيما يضر الوطن أو ينفعه وأن المصلحة العمومية واحدة ينفعهم ما ينفعنا ويضرهم ما يضرنا وإن الإسلام يقول: " لكم ما لنا وعليكم ما علينا". قال رسول الله صلعم:"إلا من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه بغير طيب نفس فانا حجيجه يوم القيامة" . وقال الإمام علي رضي الله عنه:" من كانت لهم ذمتنا فدماؤهم كدمائنا وأموالهم كأموالنا ودينهم كديننا". فلهذا يجب توحيد الكلمة معهم والاهتمام بكل ما يسرهم ويؤول إلى احترامهم وراحتهم وعدم الضرر والتعدي عليهم والإيذاء بهم لا باليد ولا باللسان. فقد قال النبي صلعم: "من قذف ذميا حدَ له بسياط من نار يوم القيامة". لأن عند إخواننا بني الطوائف من الغيرة والحمية والمحافظة على الوطن ما عندنا حيث أن النفع والضرر سواء لنا ولهم. كما أنه لا يجوز التعدي على أحد من تبعة الأجانب ورعاياهم حيث أن حكمهم حكم أهل الأوطان لدخولهم الأوطان بوقت السلم فيقال لهم مستأمنين فلا يجوز لنا التعدي عليهم وينبغي أن تكون المظاهرات والاجتماعات ضمن الآداب الشرعية والأخلاق المرضية وبالتأني والتروي وعدم الطيش والهمجية وعدم التكلم بالكلمة الوحشية فإنه من تأنى وأتي البيوت من أبوابها نال ما تمنى .

ويد الله مع الجماعة ويد الشيطان التي هي الخذلان مع الطيش والتفرقة وسوء الإدارة والعجلة. فعليكم أيها الإخوان المسلمون التعاضد والتعاون على نفع الوطن وأهله بالطرق المشروعة وعدم التعدي على أحد من الطوائف ومن الأجانب.

قال تعالي: "وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان".

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته أيها السوريون الإخوان الأحباب.

الإمضاء
خطيب دار الحديث
محمد محي المكتبي

على دربك أيها الشيخ الجليل "محمد بدر الدين الحسنى" أتمنى أن يسير كل من نصب أو فكر أن ينصب نفسه زعيما لهذه الشعوب... ما أحوجنا اليوم إلى خطب دينية وطنية وحدوية تخرجنا من الصمت الرهيب الذي يخيم علينا...

إن وجود الظاهرة الدينية في مجتمع ما، أو غيابها في مجتمع آخر. يكونان في كلتا الحالتين عاملا بناء أو هدما بحسب وجه استغلالهما.

- -

- -

(١) للأمانة العلمية وللدقة. أخذت هذه الخطبة من صفحة ١٩٣من كتاب غلافه وصفحاته الأولى غير موجودة . وهو من الحجم الصغير. لذلك أعذروني لأني أجهل اسم الكتاب والكاتب. ولكن في صفحاته الأولى يوجد مجموعة من الصور لشهداء ، اذكرهم جميعا: من لبنان: باترو باولي ، نور القاضي، د. جرجي نصيف، المطران بولس عقل، محمد نجا العجم. ومن سوريا: جلال الدين البخاري، عزة بك الجندي، رفيق رزق زلوم، سلقاتروس سافيني البادي الكبوشي، عبد القادر الجزائري الصغير، عبد الرحمان باشا اليوسفي، من فلسطين: محمد أفندي البهائي، حافظ بك السعيد، عباس أفندي البهائي.

حوار المواطنة أهم من حوار الأديان

الإنسان العربي في مجتمعنا ، وفي المهجر
يحتاج إلى ترميم. نحن نعيش في فقاعة هواء.
بسبب وجود حواجز دينية تمنع اندماجنا أو
قبولنا للآخر. في الشرق كما في الغرب
نستجدي وجودنا من خلال ما يسمى بحوار
الأديان بدل حوار المواطنة.

معجم المعاني الجامع، يعرف الحوار بحديث يجري بين شخصين أو أكثر. بسبب استعمال الكلمة كثيرا، وبكثافة، نضيف مقاصد أخرى للحوار بن نقول يجري بين مذاهب وطوائف وأديان وأحزاب سياسية مختلفة واقتصاديين الخ... ويدور حول موضوع اجتماعي معين وهام لإيصال فكر وتعاليم للتبشير أو دعوة الطرف الآخر لتبني تعاليمي. و/أو من اجل الوصول إلى توافق أو اتفاق أو كسب تأييد طرف أو حتى اعتراف بالوجود خاصة في مجتمعات غير مستقرة كمجتمعنا العربي الذي ينخره الفكر العقائدي والأيديولوجي الذي غالبا ما يغلف بوجه قبلي. هذه كلها مجتمعة باتت تعشش في عقولنا وتطرح نفسها كبديل للدولة المدنية وللهوية الوطنية التي يفترض أن تذوب فيها كل مكونات المجتمع.

لماذا الحوار؟ لأننا لم نستطع أن نعيش معا على المستوى الإنساني . الأقليات تدفع دائما ثمن التغيرات في زمن الفوضى السياسية والفكرية والثورات. لأنها الحلقة الأضعف في الوطن. محاربتها وإزالتها تحرج السلطة بقدر ما تكسب الحركات الرافضة القوة. فكل ما يغلف حياتنا ويطاردنا ويحاصرنا أينما توجهنا وفي كل زاوية ولحظة من حياتنا هو الدين. لذلك بات الدين اللون الوحيد الذي يحاصرنا ويعمي عقولنا وإيماننا . عندنا في غياب فرض الدستور الذي يضمن للجميع المواطنة والعيش المشترك. وفي المهجر عدم قدرتنا على الاندماج في المجتمعات الغربية، فإننا نستجدي وجودنا من خلال ما يسمى بحوار الأديان. عسى أن نجد

سبيل لمحنة هويتنا. التي هي دينية في الغرب ...وفي الشرق هي هوية وجود ليس فقط للأقليات الدينية أو المذهبية بل للنخب والأحزاب السياسية أيضا.

الحوار الديني غير مجدٍ وغير ضروري لأنه لا يلبي بالنهاية تطلعات الأطراف جميعها بالتساوي، ولا يمكنها من استبدال أو تفسير مواقفها الدينية بأمور توصل مكونات المجتمع لصيغة توفيقية لأن لا مرونة في المطروحات الدينية، فهي جامدة وثابتة. البعض يري الحوار وسيلة ومناسبة لتقديم فكره ومعتقده كبديل لفكر ومعتقد الآخر. البعض يراه وسيلة للخروج من أزمة ومظاهر باتت تزعج أتباعه. الحوار جاء للبحث عن الذات من خلال ما تقوله الكتب الدينية في التعامل مع الآخر في زمن السلم والحرب.

الله -العقل الكوني - هو الحقيقة المطلقة الوحيدة الغير المتعددة، التي ينتهي فيها خلاص البشرية بغض النظر عن دين أو مذهب، أو فكر إنساني في العالم أجمع . كونه مصدر القيم والأخلاق الإنسانية غير المنازع. وهو المتجلي في كافة الأديان منذ فجر الخليقة الأول جاء أقرب إلى فهم الإنسان للطبيعة وتحليلها واستمر إلى أعقد ما توصلنا إليه من معارف وعلوم شتى، وسيستمر إلى الأبد كونه أزلي. منذ بزوغ النضوج الفكري والعلمي المتدرج إلى اللحظة التي نعيش فيها وهو- الله- العقل الكوني الذي لا يموت زرع فينا العقل كي نبحث ونفكر ونبني عالماً أفضلاً بأخوة إنسانية، باستقلالية وحرية ومساواة. وهذا ما يفسر وجود الأخلاق والقيم عند كل شعوب الأرض المتدينة وغير المتدينة. والتي لها كتاب مقدس والتي لا كتاب مقدس لها.

كل دين، سماوي أو غير سماوي يمتلك طريق خلاص خاص به للوصول إلى الأسمي إلى الله إلى العقل الكوني. لذلك من غير الممكن أن يحتكر دين محدد طريق خلاص البشر ويتصرف على أنه الوصي عليهم، وظل الله في الأرض. الخطاء الإنساني، وما يصيب في المقتل هو فرض طرف على طرف آخر طريق خلاص. كل دين يمتلك الحقيقة. أيضا الشعوب، والأفراد الذين لا يتبعون ديناً محدداً، وليس

لهم كتاب محدد يمتلكون الحقيقة ،كونهم يؤمنون بالإنسانية طريق ومنهج حياة، ويتوجون أعمالهم على مبدأ الخير العام للبشرية جمعاء فيبين كم لديهم من قيم وأخلاق ليكونوا اقرب إلى الآخر الذي هو في تعاليمنا السماوية من أبناء الله.

الأحزاب وبشكل خاص الدينية منها هي جزء كبير من الإشكالية. لأنها تضع فكرها فوق القانون والدستور. تؤمن بالتعددية والديمقراطية كوسيلة للوصول إلى الحكم ومتى تحقق لها ذلك فإنها تعمل على إجهاض الدستور وتلغيه. عندها الأقليات الدينية تعامل كرعايا وليست كمواطنين، وتلغى الأحزاب السياسية.

عندما لا ينجح الحوار الوطني نلتمس طريقنا من خلال الحوار الديني لحل قضايانا العالقة.حوار الأديان ولد نتيجة فشل في العلاقات بين أفراد الوطن الواحد. لم يستطع خلالها طرف من التكيف مع طرف آخر بسبب الاندفاع الديني الذي جاء نتيجة فشل الإيديولوجيات ...والقوميات من بناء مجتمع ديمقراطي تعددي في العالم العربي .النداء الديني أقوى في مجتمع أمي جاهل فقير، من مجتمع مثقف.

فشلنا في توظيف وتوجيه الرسالة الدينية من محبة وتسامح وفهم واحترام الآخر الذي يشاركنا الوطن لعلل ذاتية في نفوس البعض كان السبب المباشر للبحث عن طريق لتقارب وجهات النظر. فشل كل طرف في إيصال رسالته الإنسانية في دينه للآخر، وعدم فهمه ومعرفته وقرائته للرسالة الإنسانية في الكتاب المقدس للأخر كان السبب وراء الحوار. بالرغم عن مضى ١٤٠٠ سنة لدخول الإسلام، و٢٠٠٠ سنة لدخول المسيحية، و٣٢٥٠ سنة لدخول اليهودية إلى الشرق فإن كافة الأطراف منغلقة عن التعامل مع الآخر. المجتمع الفكري الناضج يحتاج إلى تفعيل القانون ووضع الدستور فوق الجميع وليس الاختباء تحت مسمى الحوار الديني.

هناك مذاهب ومدارس وأحزاب وجماعات تأسست على فكر ديني. كل منها يري أنه يمثل الحقيقة ، والأفضلية له فيما يطرح من مبادئ لتحريك وتسيير المجتمع بالرغم من ارتباطها كلها بالكتب المقدسة. فان مناهجها تختلف. في

المسيحية هناك مرجعية وهرمية لرجال الدين فلا يستطيع رجل دين أن يفتي كما يهوى. في الإسلام المرجعية والهرمية غائبة لذلك يتمتع رجال الدين بالإفتاء. المسيحيون كالمسلمين... لا يشكل كل منهم معسكر خاص به. لأن البشر وعلى أي دين لهم اهتماماتهم ويقيمون أحزاباً على أسس أيديولوجية وليس عقائدية. لذلك الأحزاب الدينية تشكل جزءاً من مكون المجتمع وليس المجتمع كله.

لذلك أرى في حوار الأديان مضيعة للوقت وللجهد وللمال... يجتمع أشخاص على مستوى فكري، وثقافي، وأكاديمي، وعقائدي وديني عالي لوضع برنامج يسعون من خلاله للوصول إلى حلول مستعصية، أصبحت تشكل خطراً على تماسك النسيج الاجتماعي....تعقد جلسات المؤتمر ويناقش ما يطرح. وبعد انتهاء الجلسة الأخيرة يخرج الحضور بتصريح، ببيان ختام خط وحرر مسبقا. وخرج بتوصيات وقرارات ينقلها رجال الإعلام والصحافة، عسى أن تصل إلى السلطة الحاكمة لدراستها ونشرها. للأسف وان وصلت لها، توضع في حجر سياسي لسنين طويلة، فلا تصل إلى رجل الشارع، ولا إلى وزارة التربية والتعليم كي يتم إقرارها كمادة دراسية لتعريف المواطن بها....وتستمر المأساة.

نتحاور من أجل التقارب. فلو جاء في تعاليم أدياننا ما لا يفرق لكنا بعيدين عن خرافة الحوار. عندها تكون الدعوة نابعة من عمق وجوهر الدين الموجه نحو احترام عقيدة الآخر ورأيه. الحل يأتي من خلال الدولة لأنها لجميع المواطنين وليس من رجال الطوائف. الدولة التي يتمتع فيها كل مواطنيها على اختلاف مشاربهم الدينية والسياسية بالمساواة والحرية. فإنها تقدم الحصانة للجميع. ولا تحتاج إلى رجال دين يركضون بحثا عن حلولا آمنة لرعاياهم.

الحوار لا معنى له إن لم يستطع الخروج من نتيجة مفادها : " أن العيش المشترك بين المواطنين- أحزاب وطوائف ومذاهب- ممكن". في غياب الدولة وسلطتها يجري البحث عن حوار ديني كبديل للحوار الوطني. ندعى الانفتاح ونروج له. مسعانا أن نقلل من تخوف الآخر بالنفاق والكذب المنمق. نتحاور

من أجل تأكيد وتثبيت جذورنا في أرضنا على مستوى الوطن. وإيجاد وسيلة عيش مشتركه. لا نكون بحاجة للحوار، عندما نعامل جميعا على مستوى الوطن كمواطنين متساوين في الحقوق والواجبات. يكون الحوار فعالا عندما لا نفرق، لا نميز، ولا نربط بين العقيدة والايدلوجيا. وعندما لا يكون دين للدولة..

عند الشعور بالخطر كالعادة نشجب ونستنكر ونديـن هذه المفردات دمرتنا ماضيا ، وحاضرا وستدمرنا مستقبلا أيضا. لنركز عن ما يجمعنا وليس ما يفرقنا. أن نختزل ما نؤمن به لنلتقي مع الآخر. الممارس نوع من النفاق العاطفي الذاتي. إنْ كان ما يفرقنا يكفرنا. فكيف يمكن أن نخرج من هذا المأزق الذي يضيق يوما بعد يوم. إن لم يخدم كل طرف الآخر فباطل هو عيشنا المشترك.

إذا كان الهدف جسر الهوة التي تفرق بين فقه وفقه، لاهوت ولاهوت....فإني أصر وأقول أن هذا لا شأن له بالمواطنة. لنركز على جوهر الدين وتعاليمه التي هي قيم وأخلاق وسلوك عدالة ومساواة، فالإنسان لا يختلف عن الإنسان في تركيبه البيولوجي ولكن يختلف عنه في استعمال العقل نحن نخرج عن المألوف والجوهر الإنساني إن تشيعنا...اذا كان المقصود من الحوار الديني هو البحث عن من يمكن أن يتعاطف معي خلال ضعفي، لأن الدستور لا يحميني، فهذه مصيبة .

الطبيعي أن يكون هناك انفتاح وليس حوار. وجود الحوار دليل أزمة داخل الوطن الواحد. المجتمع يحتاج إلى حلول وليس إلى ترقيع الواقع. لا ننكر بان هناك اختلاف ولولا وجود الاختلاف لكان البشر أصحاب مذهب واحد. لا يمكن لأي طرف أن يتخلى أو ينكر ما يؤمن به... فلماذا لا نسعى كلنا، الإجماع على كلمة حق يلتف حولها الجميع، وتلتئم شملهم جميعا، ضمن هوية وطنية من أجل الوقوف أمام الساسة وتغليب فكرة العلمانية من أجل فرض السيادة والعدالة والحرية الدينية. لنتحاور على المستوى الوطني وليس الديني بأفضل ما عندنا دون الاستهتار وتكفير تعاليم الآخر. واجب الدولة حماية كل مواطنيها. بذلك تكون دولة لكل المواطنين بغض النظر عن انتمائهم العقائدي أو الإيديولوجي.

كافر انت ؟!

عندما تصبح العقيدة مصيدة وشرك للمؤمن، يصبح
الخروج منها وعليها من المحال. ويكون الجواب
هرباً، او قتلاً، او استسلاماً. فان لم نعرف الله بالعقل
لن ندركه بالإيمان.

كلمة " كَفَرَ " كما وردت في العديد من المعاجم العربية ومنها لسان العرب لابن منظور تعني "غطّى". وفي معجم المعاني الجامع تعني. كَفَرَ الشَّيْءَ: سَتَرَهُ، غَطَّاهُ كَفَرَ عَلَيْهِ ... وكَفَرَ الرَّجُلُ: لم يؤمن بالوحدانيّة، أَو النبوَّة، أَو الشريعة، أَو بثلاثتها. بالتالي هذه المعاني تنطبق على كل إنسان قام بالتغطية - بستر، بحجب، بمنع الخ...- وبعدم الايمان بوحدانية الله، او انبيائه، او شريعة تلك العقيدة يعد كافرا. مما يدفعنا للاستنتاج أنّ الاختلاف في العقيدة انطلاقا من هذا المعني يحتضن أفراده فقط وسواه – الآخر- يعد مختلفا عنه. وقد يصبح هذا الآخر هدفا مفتوحا له، ما لم يرد في عقيدته ما يمنع ذلك. وحينما يكون المكون الوطني، أغلبية عظمى يؤمنون بتلك العقيدة، تبرز معضلة أمام الأقلية للبحث عن الذات، وفي حال قيام دولة ثيوقراطية يصبح الآخر مواطنا من الدرجة الثانية. واحتمال حمايته يكون متأرجحا غير مستقر بين أيدي رجال دين لا يعرف اتجاههم او مدرستهم الفكرية. وكل تابع لعقيدة الأغلبية ان ارتكب كل الفظائع، من فسق، وقتل وفجور باسم الله والعقيدة لا يعد مذنبا، او كافرا. اذن من هو الكافر؟ ومن نخدم في تكفيرنا للآخرين؟ الله، ام مصالحنا، ام كلاهما معا؟ أسئلة أتمنى ان يجيب عليها رجال دين من أتباع الأديان السماوية.

في الشرق، حماسنا للمطالبة بحرية الرأي والفكر قوية. ضعف حجتنا في مواجهة أي نقد عقائدي أو فكري، يعيدنا لحصار مطالبنا، فنصيغ أنظمة وقوانين تصنف، وتجرم، وتحرم الخ... حرية الرأي والفكر هما صماما الأمان للمجتمع السليم. إن كنتم من شعب الله المختار، او أبناء الله، او من خير أمة أخرجت للناس،

او على أي دين ومذهب في العالم كنتم. اجعلوا الغلبة لإنسانيتكم كي يتجلى الله في أعمالكم ويري ان كل ما فعلتموه قدوس لمجده، وبركة بحق الأخوة الإنسانية. فيكون صدق أعمالكم صدى لإيمانكم. ولكن ان يكون الانسان أداة قتل لمن يريد ان يحكم العباد باسم الرب الإله فهو خروج على وصيته لا تقتل، فبدل ان يكون الكفر نقيض الايمان، يصبح الكفر مرادفا للإيمان.

الفكر التكفيري لم يأتي من فراغ. مصدره كتاب ديني يستمد منه الشخص المكفر قوته -أي يعتمد على رؤيته في تفسير ما هو مقدس- له قواعد، وجذور، ومدارس، واتجاهات، وأدبيات، وتاريخ. تتحول عنده الرؤية المقدسة الى فكر مقدس، والفكر المقدس الى تطبيق مقدس. يزداد أنصاره عددا في حال توافر المال والجنس، وتمتعهم بخصوصية أجازها الله لهم دون غيرهم من عباده في سلب أملاك، وأموال، ومقتنيات الغير، وسبى النساء، وتشريع الرق والعبودية، وفرض الجزية. لا يعقل أن تمارس في القرن الحادي والعشرين أفكار عفي عليها الزمن منذ عشرات القرون. فكل هذه الإرهاصات تفسر بإرهاب ممنهج. يمهد، ويشيع الفوضى في المجتمع. لترتفع وتيرتها فتتبعها فوض السلاح، لتنهار أسس الدولة وسلطتها، وجيشها. القداسة في مفهومها هذا تخدر العقل وتعطل الفكر الحر عند أولئك المتعصبين. بينما التقديس هو حرية وصحوة فكرية تدفع للتفكير لا للتكفير.

في وطننا العربي ظهر صراع كان شبه مستتر حتى الماضي القريب بين الخطاب الوطني والخطاب الديني. في النهاية سينحسر أحدهما. أشك ان يتمكن الخطاب الديني من السيطرة على الموقف، لأنه لا يقدم حلولاً، او خططاً، تنموية، او برامج نهضوية جريئة تساهم في اندماج فكري حضاري في عصر يشهد صعودا سريعا في التكنولوجيا والطب والهندسة والفلسفة الخ... الخطاب الوطني مع استمرار المد التكفيري أيضا يعيش جدل إطلاق الحريات والتخلص من الأنظمة المهترئة. لكن مهادنة بعض الزعماء وتمويلهم لهذه الفئات الدينية. لن يسمح لأي طرف أن يحدث تغير على المدى القريب.

أنْ يقـال لشـخص مـا، كافـر يعـد انتقـاص وانتهـاك بـكل مـا يعتقـد بـه ومـا يحملـه مـن موروثـات عقائديـة، وإجحـاف بحقـه كفـرد في الأسرة البشريـة. فذلـك يسـمى طعـن في صميـم مـا يعتقـد ويقـدس. النتيجـة ولادة عـصر تطـرف يدفعنـا الى كراهيـة الآخـر وإثـارة الأحقـاد لترتفـع وتيرتهـا ليصبـح الإرهـاب وسـلب الحيـاة سـادة الموقـف.

لم ننجـح لغايـة الآن مـن وقـف التحريـض والتوجـه نحـو الإرهـاب. هنـاك خلـل اجتماعـي، عالمنـا العـربي في حالـة انهيـار لم يسـتطع الخـروج مـن فـوضى الأفـكار التـي يعيـش فيهـا. لم يتخطـى حـدود المـاضي. لم يدخـل عـالم التطـور والتكنولوجيـا. لا برجلـه اليمـين ولا حتـى باليـسرى. غيـاب كامـل وحجـر صـارم عـلى الحريـات. المثقفـون يعـدون الـد أعـداء للأنظمـة الحاكمـة ماضيـا وحـاضرا. والشـواهد التاريخيـة كثـيرة.

مسـلمو العـالم العـربي اليـوم. انقسـموا الى ثـلاث فئـات، لـكل منهـا أنصـار يروجـون لثقافتهـا. فئـة إسـلامية تحمـل فكـر تكفـيري لمواجهـة التنويـر والعلمانيـة. وفئـة اسـلامية وسـطية تقـول ان التكفيريـن شـوهوا صـورة الاسـلام. وفئـة ثالثـة -اعتقـد انهـا جـاءت كـرد فعـل عـلى الفكـر التفكـري - ملحـدة، طفـت على السـطح بشـكل ملحـوظ وأصبـح لهـا وجـود خـلال دمويـة الربيـع العـربي تحـارب الديـن منهجـا ورسـالة وتربـط فيـه أسـباب التراجـع الفكـري والعلمـي العـربي. بالرغـم مـن قلـة عددهـا إلاّ أنّ انتشـارها أصبـح واضحـا في معظـم الـدول العربيـة، وقـد يكـون لهـا وزنـا سياسـيا مسـتقلا.

الفكـر التكفـيري مؤسـس عـلى بينـات وحقائـق لا يمكـن زعزعتهـا لأنهـا تابـو يحـرم الخـوض فيهـا، ويجـرم مـن خـرج منهـا وعليهـا. الشـخص التكفـيري يتلقـى مـا يمـلى عليـه دون استفسـار او تسـاؤل. لذلـك يصبـح الفـرد فيهـا متلقيـاً عامـاً ينفـذ مـا يحللـه او يفـسره أصحـاب العلـم الفقهـي اللاهـوتي. يرتبـط بـه ويرجـع اليـه ويطبقـه في كل مجـالات الحيـاة، ويجعلهـا نموذجـا يوميـاً مكـرراً في كل يـوم مـن حياتـه. فلـو حـاول التفكـير بالخـروج عنهـا لـو لمـرة واحـدة، - الى جانـب مـا قـد يعـرض نفسـه لمخاطـر- قـد يولـد لديـه شـعور بأنـه إنسـان ناقـص، فينشـأ عنـده مـرض نفـسي يوهمـه بأنـه شـخص مميـز، جـاء للحيـاة مـن أجـل تنفيـذ مهمـة هامـة. فكـر يلـح عليـه باسـتمرار بأنـه متفـوق. وفي النهايـة يكـون أفضـل حـل للشـعور بالتفـوق هـو اسـتخدام العنـف.

سيزداد الفكر التكفيري اتساعا، ويقود الشعوب العربية الى صراعات ونزاعات وحروب لا تنتهي. إلاّ وقد استنفدت طاقاتها البشرية. بذلك نكون قد قضينا على التعددية الدينية، وعلى معظم مفكرينا وعلمائنا، وأضعنا فرص المشاركة في بناء الحاضرة الإنسانية مستقبلا. ان لم نعالج قضايانا بعيدا عن الفئوية والطائفية الضيقة لن نتمكن من يناء دولة مدنية. اتركوا كل فرد على دينة امتثالا لقوله تعالى في القران الكريم سورة (يونس٩٩:١٠ وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ.(

ما أسوأ أنْ يصبح الإرهاب وجها للتكفير، ونوع من العبادة والصلاة والتقرب من الله وتحقيق إرادته. فإن كانت العقيدة جزء مهم في حياتك فسأل الله تعالى أنْ يمنحنك القدرة على التفكير النير للوصول للحقيقة والفضيلة، لتتبعها وتنشرها وتنصرها في محيطك. وأنْ يمنحك القدرة على استخدام العقل لتتجنب كل ما هو باطل، وتقومه بالعقل والمنطق. تذكر أنّ تقديس الإيمان بلا وعى يخدر العقل، ولا يسمح بالتفكير الحر، لتصبح متعصبا. وتذكر أنّ تقديس الايمان بوعي يمنحك حرية، وصحوة فكرية تدفعك للتفكير باستقلالية، ومسؤولية لبناء إنساني عالمي مشرق.

الشرق يشهد انحسار المسيحية

إعادة الثقة بالشعور في الأمن، والآمان للأقليات
في الشرق يحتاج الى جهود مضاعفة. المناهج
المدرسية، والإعلام، والأدبيات، والسلوك العنيف،
والتقليل من أهمية الحدث كلها مجتمعة تقرع
ناقوس خطر.

حكومات الشرق، تقف اليوم عاجزة عن وقف نزف الهجرة، بشكل خاص بين مواطنيها المسيحين، من منبت جذورهم التاريخي، الذي فيه نشأت الكنيسة المسيحية الاولى - القدس/فلسطين - وانتشرت منه للعالم أجمع. كل مثقف يدرك، ويعرف أن الصراعات، والحروب، والأزمات الإقتصادية، وعدم الاستقرار السياسي، وغياب الحريات، والحكم الديكتاتوري، والاستعمار، والشعور بعدم الانتماء، والإقصاء، والاضطهاد...الخ ، كانت وستبقى العوامل الرئيسة في النزوح، والهجرة الطوعية، أو الإجبارية من أماكن التوتر حول العالم.

مسيحيو الشرق يشكلون أقل من خمسة بالمئة من مجموع السكان. يقفون اليوم بين مطرقة الهجرة، وسنديان البقاء. مطرقة الهجرة كونّها الخوف الذي هدد وجودهم كأقلية، وشعورهم بانهم مستهدفون، وغير مرغوب فيهم من قبل تيارات، وجماعات تنادي، وتتهجم حتى من المنابر، بمعاداتهم، بترحيلهم لا لسبب، الا لأنهم أسوة بالغرب المعرف بالصليبي، يشتركون معه في تبعيتهم للدين المسيحي، في عرفهم أنّ الإنتماء الديني يحدد الإنتماء الجغرافي، وليس الأصول التاريخية للأفراد والجماعات، مما يسهل عليهم تقسيم العالم على أساس ديني. سنديانة البقاء هم، لأنهم يمثلون المكون الرئيس في الشرق، جذورهم موغلة في القدم، والتاريخ، والآثار، والمخطوطات القديمة، وخفايا اللغة العربية، وأسماء الدول، المدن، والقرى، والتلال، والجبال، إنْ تحققنا منها سنجد أنها أعجمية وقديمة التسمية وغيرها كثير لا يمكن محوه، شواهد تدل على جذورهم الأصيلة، وتواجدهم الموغل في القدم. بالرغم من صدق انتمائهم للقومية العربية – هم أول من نادى خلال النصف الثاني للقرن التاسع عشر - ، ومواطنتهم الصالحة ، تخرج عليهم أطراف عنيفة، متشددة تقف ضدهم بقوة وبشراسة، وتشجع على استئصالهم وتصفيتهم، واقتلاعهم من أوطانهم، رافعين شعاراً، يقوم على مبدأ لا إنساني: " الكبار لهم القبور، والصغار ينسون".

للأسف، حتى المناهج المدرسية التي من المفروض ان تكون تربوية تتنوع فيها المعرفة، والثقافة، وتشمل كل مكونات المجتمع، وتراثهم الديني، والثقافي

باتت أسيرة الطابع الديني الواحد "الإسلامي"، وتغيب كل ما هو آخر - أكن للإسلام دينا، ولأتباعه، وللقرآن الكريم، وللرسول محمد (ص) كل الاحترام - لإنتاج انسان مثقف، ومؤطر ، ومؤدلج دينيا فقط، إنسان خارج عن هذا الكون. هذا التوجه يخالف كل العقائد الدينية في العالم، الداعية للعلم، وللتقدم وللتطور على المستويين العالمي، والمحلي. فرض مناهج تغيب الآخر منها دليل على تمييز عنصري، وعدم مساواة في المواطنة.

الشعور بالمسؤولية، وانتمائنا للجنس البشري، يجب أن يدفعانا في هذا القرن - الحادي والعشرون - لان ننادي بفتح الملفات الجديدة منها والقديمة، حتى تلك التي عمرها أكثر من ألفي عام، لكشف المظالم، والمآسي، والمجازر التي ارتكبت بحق كل شعب، وأمة على هذه الأرض، ودفعها لتطفو على السطح، بدل من الاستمرار في دفنها في حفرة الماضي، وإنكارها، وإبقائها في بطون كتب التاريخ. ما تسبب في إراقة الدماء لا يمكن محوه من ذاكرة الشعوب. دفعها نحو السطح، والاعتراف بها مصلحة للجميع، وتصالح إنساني يدفع نحو السلم المحلي، والعالمي.

سكان الشرق، معظمهم، جذوره قبطية، وآرامية، وأشورية، وفارسية، وأمازيغية، ...الخ حقائق ممنوع، ومحرم تدريسها في مناهج التربية، تمنع، خوفا من دفع الطالب الى النقاش، والتفكير. لا ينفي ذلك، ويلغيه إلاّ من يسعى لمحاربة الحقائق، مستندا على طروحات عنصرية ترفضها الأديان، وحقوق الانسان. دول الشرق دخلها الاسلام في القرن السابع، غير مهم إنْ كان سلما، أو حربا. فخلال اربعة قرون وبشكل خاص بين عامي ٨٥٠م ، و١٢٥٠م ازدهرت الحضارة العربية، العصر الذهبي – الحضارة الإسلامية - بمؤازرة وتعاون مسيحي الشرق، والفرس... الخ بالرغم أنّ معظم من برز من مفكرين في تلك الحقبة، تشير المصادر القديمة، أنهم كانوا زنادقة – هذا يعني ان المجتمع السائد في ذلك العصر كان أقرب الى العلمانية بحسب تعريف عالم اليوم - مما يدل على تنوع المجتمع وتسامحه. الحضارة العربية آثرت العالم لكنها للأسف تلاشت، وساد الجهل، والانغلاق على

الـذات. فبعدمـا كنـا رواد العلـوم والفكـر بتنـا في أسـفل السـلم الحضـاري. كعـرب نحتـاج الى ترميـم مفاهيمنـا حـول كل مـن هـو آخـر يعيـش معنـا وبيننـا، وخـارج دولنـا، كـما نحتـاج إلى فهـم أكـبر للحضـارات في عـالم اليـوم، نحتـاج الى إعـادة تحليـل الزمـن الـذي نبغنـا فيـه حضاريـا، وتحليـل أسـباب تراجعنـا، كي نعيـد بناءَنـا الحضـاري.

بالرغـم مـن وجـود معاهـدات قديمـة، وتعهـدات بـين قـادة المسـلمين الذيـن احتلـوا الـشرق، والمواطنـين الأصلـين للبـلاد المفتوحـة، فقـد تـم نقضهـا، وإلغاءهـا، وعـدم احترامهـا، خـلال الانتقـال عـبر التاريـخ بـين فـترة وأخـرى - لا يمكن إنـكار بأنّ المسـيحية شـهدت الازدهـار في بعـض العصـور- لكـن الفـترات العصيبـة سـاهمت في خفـض مسـتوى الأمـن والآمـان خـلال مسـيرة التاريـخ بـين حاكـم ظـالم، وآخـر متسـامح. التسـتر بعبـاءة الديـن، بمعنـى أدق" تـزاوج الفكـر الدينـي، مـع الفكـر السـياسي، منـع الحاكـم مـن اصـدار قراراتـه بحريـة، ومنـع رجـل الديـن مـن تقديـم توصياتـه بحريـة، بالتـالي قدّمـا، وكوّنـا نموذجـاً سياسـياً دينيـاً يثبـت حكمهـم". التمييـز بـين مواطـن وآخـر، ظهـر حـين تـم فـرض نظـام الجزيـة - نظـام كان معمـولاً بـه قبـل الاسـلام - والعبـادات التـي كان معمـولاً بهـا حتـى العهـد العثـماني، فـكان لهـا أثـر كبـير عـلى مسـيحي الـشرق.

اللـه جـلا جلالـه، خلقنـا لنكـون مسـؤولين، وأصحـاب إرادة، وعقـل مسـتقل، وأحـراراً ، كي نتشـارك معـه في إعـمار الكـون، ونعمـل بوصايـاه مـن أجـل الخـير العـام. بذلـك يكـون الهـدف الأسـمى للجنـس البـشري محاربـة الجهـل ، والتخلـف الحضـاري مقابـل الارتقـاء العلمـي. تخلفنـا سـببه لبـس عبـاءة الديـن، قـادة تسربلـوا بثـوب الديـن، فوجـدوا، أفضـل وسـيلة لإخضـاع شـعوبهم هـو إثـارة العامـل الدينـي. أدبيـات المدعويـن بالمتطرفـين، تسـتند الى آيـات مـن القـرآن الكريـم، وإلى مناهـج الحكـم منـذ عهـد الرسـول محمـد (ص)، وأحاديـث نبويـة شريفـة، وقيـاس عـلى مـا وصـل إلينـا مـن أدبيـات السـلف الصالـح تتفـق مـع نهجهـم، ومنهجهـم. البعـض لا يعترفـون بهـؤلاء المدعويـن بالمتطرفـين، يهاجمونهـم، ويطلقـون النعـوت عليهـم بوعـي، وإدراك ، ويصرحـوا بـأن هـذا ليـس مـن الإسـلام، فيكفرونهـم، بالرغـم أنّ الإسـلام ، يحـضر تكفـير

المؤمن المسلم. على سبيل المثال، كتاب أبي بكر ناجي " إدارة التوحش" يستحق القراءة، خلال قرأتني للكتاب، شعرت بالحيرة، وتساءلت هل المعلومات الواردة فيه صحيحة، ومصادره مؤكدة؟. من الضروري اخضاع هذا الكتاب الى مناقشة ونقد جاديين، فمن يمتلك الكفاءة، والأهلية فليتقدم ويصحح ما يحتويه من أخطاء إنْ وجدت.

أراهن، وأجزم بأن كثيراً من البشر حول العالم، بنسبة قد تصل في أقصاها إلى خمسة بالمئة، فهموا قصد الله في كتابهم الديني، والبقية الباقية، تائهون بين الطقوس، والسجود، والركوع، والوقوف أمام راعيهم الفاضل، الذي يستغل المقدس، ليستخف بعقولهم. المشكلة ليست في الإسلام، بل في من يضطهد كل مسلم يحاول أن يقدم قراءة عصرية للإسلام في زمننا المعاصر. الذين يؤمنون بالله، عليهم أن يؤمنوا أنّ الله يحمى كتبه المقدسة ورسالتها، من خلال أخلاقياتهم، وقيمهم، وسلوكهم، وعملهم، ومحبتهم لخليقته كلها، وليس من خلال شدة بطشهم، وقوتهم.

في خضم هذه المعمعة، أتساءل من المستفيد من انحسار المسيحية في الشرق؟ وهل هجرة المسيحيين ستؤدي الى استقرار ونمو وتطور المجتمع؟ وهل مشاكله الاقتصادية الاجتماعية والسياسية ستزول؟ وهل الإنتاج الزراعي والصناعي سيكفل معيشة الزيادة المتصاعدة بشكل صاروخي في عدد السكان؟ أسئلة تحتاج الى إجابات صريحة دون مواربة، وتهرب، ولف ودوران، وتضليل. مصير الشرق بات منذ أكثر من قرن في حكم المجهول. فهل سنستمر بسلبيتنا التي مارسناها منذ أجيال؟ الى متى سنمضى في تعليق عجزنا وضعفنا، وتخلفنا على الآخرين؟ ... عوضا عن إضاعة الوقت متعثرين في عدم إيجاد بدائل وحلولاً، لتكن أولى خطواتنا على الصعيد المجتمعي هي ضمان الحريات، مع تنفيذ برامج تربوية من الصفوف الدنيا الى الصفوف العليا تثقف، تدرس في مناهجها عن الأديان المتنوعة وتراثها، وتاريخها.

مواطن أم فرد في وطن

المواطنة بيئتها، المساواة والحرية والعدالة الاجتماعية وصون حقوق الإنسان وكرامته، تسمو على القبلية والحزبية والطائفية والفئويات الضيقة، اجعلوها بوصلتكم، وابنوا الدولة القومية المدنية.

الهوية الشخصية، تشير إلى الوطن الذي ينتمى له الإنسان. الوطن، بقعة جغرافية، يتشارك فيها كل الناس المتواجدين عليها بتاريخ واحد، يتعايشون معا حاضرا واحدا، يتطلعون لبناء مستقبل مشرق لهم ولأحفادهم من بعدهم، وكل ما يلزم لبنائهم الحضاري المعرفي المتطور، القادر على الصمود أمام التحديات والصراعات والنزاعات، وصد الحروب. وبناء مجتمعات يتمتع بها المواطنون جميعا بالحقوق والواجبات، بصرف النظر عن انتمائهم الطائفي ، أو الحزبي، أو العائلي ... الخ. فالإنسان قد يكون مواطنا يتمتع بكل الحريات، أو فردا يعيش ويتقبل كل ما تمليه السلطة والمؤسسات عليه من حقوق وواجبات تحددها بمساحة تتحكم بها .

في العالم الثالث، معظم المسؤولين أصحاب القرار يتطلعون الى التعامل مع شعوبهم على انهم أفراد لا مواطنون ، يتشاركون معهم ، لذلك يميلون الى حكمهم بما يتناسب مع مصالحهم ليصبح الوطن مزرعة لهم متمسكين، معتمدين على المحاصصة الطائفية، والحزبية لإدارة بلدانهم، منتجين بذلك قضاء فاسداً، رجال أمن فاسدين، رجال دين تابعين، برلمانات صورية معطلة غير فاعلة، ويحكمون سيطرتهم على موارد الدولة، ويمنعون الحريات. المطلوب -في عرفهم - من المواطن طاعتهم لا مشاركتهم. ألا يدرون أنّ الطاعة التي لا تخضع، ولا تؤسس على نقد جدلي صادق محكم حر تعد شكلا من أشكال العبودية؟ ويطلبون أيضا أنْ يكون المواطن مسؤولاً مجرداً مِنْ إبداء النقد والاعتراض وتقديم راي. ألا يدرون أنّ المسؤولية قيمة أخلاقية لا تنحاز الا لجانب الحق؟ كما ويطلبون أنْ يؤيدوهم لا أنْ ينتقدوهم، ألا يدرون أنْ النقد بوابة الحريات والتطور والتقدم؟ يريدونهم أنْ يعيشوا في أمجاد الماضي كي يسرقوا حاضرهم

ومستقبلهم. يردونهم أنْ يخرسوا ويسدوا أفواههم، ألا يدرون أنّ الساكت عن الحق حليف لهم كما للشيطان. يريدونهم ان يتستروا على أخطائهم، وأدائهم الا يدرون أنّ الاعتراف بالخطأ قيمة تدفع للسعي الى التغير ونحو الفضيلة؟ يريدونهم أنْ يكونوا مؤمنين بقدرهم كي يقتلوا فيهم أي حس للواقع.

في العالم الثالث أوطان تبحث عن مستقبل لها. لتحصيل ذلك تحتاج الى ترميم هويتها الثقافية، تحتاج الى أفكار، تدفعها نحو المعاصرة لتواكب التقدم المعرفي والعلمي والتكنولوجي، دون خوف من فقدان هويتها. الخوف ينتاب فقط من كانت هويته الثقافية مهلهلة، هوية فقدت القدرة على مواكبة الزمان الذي تعيش فيه، لا يمكن أنْ يعيش الإنسان في زمنين الماضي والحاضر ، لكل جيل زمنه، وكل جيل يسعى أنْ يبرز هويته الثقافية والمعرفية. عليهم أنْ يغيروا نمط سلوكهم، هم لا يحتاجون إلى قيم جديدة بل لأخلاق جديدة. تربويا ما يقدم من ثقافة في المناهج التعليمية لا يرتقي للزمن الذي يعيشون فيه. للأسف يحيون في زمن يزداد فيها المهمشون، وتفرض فيه ثقافة الطبقة الحاكمة، وثقافة الطائفة الأكبر، والحزب الأكبر، والعشيرة الأكبر. للآسف هذه الثقافة لا تبني مواطناً يتمتع بمواطنه وحماية. لأن ما يحميه هو الانتماء للحزب والطائفة والعشيرة، ليصبح بذلك عضوا فيها وفردا في الدولة.

في أوطان يشعر فيها المرء بأنه فرد، أو مواطن من درجة ثانية أو ثالثة، تحاصره القبلية والطائفية والمحسوبيات يشعر بالنقص تتولد عنده لامبالاة ، تفرح السلطات ، ويشعرها بالارتياح ويطمئنها أنّ حكمها قائمٌ دون احتجاجات، أو انتقادات. من سلبياتها هجرة العقول والكفاءات. يطلبون من رعيتهم تحمل المسؤولية، عن أي مسؤولية يتحدثون؟ مسؤولية فيها المساواة والعدالة الاجتماعية وحقوق الإنسان وكرامته محاصرة... اتسأءَل، كيف لإنسان مقيد ان يكون مسؤولا؟

في مجتمعات يزداد فيها عدد السكان بشكل صاروخي، وتفتقر إلى حلول لمشاكل مواطنيها، سترتفع نسبة المهمشون مقابل شريحة تحكم بأجهزة

ومؤسسـات معظمهـا يشـكل مـن الأنسـباء وأبنـاء العائلـة، هـذه التركيبـة تشـكل مزرعـة وليـس وطنـاً. المواطنـة تتطلـب النهـوض والسـير نحـو الحداثـة، ذلـك غـير ممكـن أو شـبه مسـتحيل لأن الإنسـان في العـالم الثالـث يفقـد الاندفـاع نحـو التقـدم، بـل يعيـش المـاضي ويسـتهويه. المكـون الرئيـسي لوجهـات النظـر عدوانيـة غـير متطـورة لا تصلـح للقـرن الحـادي والعشريـن، في العـالم الثالـث نكابـر ونجاهـر بأننـا أكـثر إنسـانية ومتفوقـون عـلى كل البـشر الذيـن يعيشـون عـلى هـذا الكوكـب.

لا يقـاس مسـتوى المواطنـة بالإنجـازات العمرانيـة، والشـوارع الفخمـة... الـخ التـي تخلـب الأبصـار، بـل بالكـم الـذي يشـارك فيـه المواطـن في مؤسسـات الدولـة، التـي تحميـه قوانينهـا، وقضاؤهـا وسـلطاتها التنفيذيـة. الإنسـان أغـلى مـا نملـك، هـو القيمـة العليـا، ليـس شـعارا ينـشر ومـن خلفـه تختبـئ سـلطة قمعيـة. طبقـوا كل الشرائـع التـي تجعـل مـن الإنسـان كائنـا بـشرا يتمتـع بالحريـات، كائنـا يمتلـك روح الإنسـانية في تعاملـه. الحريـة المفقـودة، والإنسـانية العرجـاء تؤكـد أن السـلطة الحاكمـة وإنْ كانـت شرعيـة فهـي ليسـت لـكل المواطنـين، وأن الإنسـان مكـره، لا يقـوى عـلى تقريـر شـؤونه، خاصـة السياسـية المصريـة منهـا وعلاقتهـا الداخليـة والخارجيـة.

عندمـا يصـل مسـتوى الوعـي إلى فقـدان المواطـن الثقـة بدولتـه وحكامـه ومؤسسـاته، يتملكـه الشـعور بـأن تصنيفـه هبط من مسـتوى المواطنة الى مسـتوى الفرادة ، ويشـعر بالاغـتراب. وأن مـا يفـترض منهـم الأمانـة ،مـن أجـل مصالحهـم قـد أصبحـوا ذئابـاً دليل ذلـك عـلى أنهـم قفـزوا فـوق كل المحرمـات، ويعـدون المواطـن فـردا يسـتحق منـه الاكتسـاب. تبـا لسـلطات تكـثر فيها المؤسسـات مـن تقديـم التطمينـات الى مواطنيها في العـالم الثالـث دون تطبيـق وعودهـا التـي تعمـل عـلى تخـدر المواطنـين ولا تـرى النـور، بذلـك تخـسر ثقـة الشـارع. السـلطة التـي تفقـر وتـذل وتقتـل رعاياهـا وتشردهـم وتـزرع اليـأس في قلوبهـم، ليسـت سـوى نموذجـاً لدولة مهترئة آيلة للسـقوط والتحطم. الخـروج عـن القطيـع فيـه مخاطـر وتحديـات صعبـة، تقابـل بالبطـش والتعذيـب والاغتيـال والسـجن. أمـور نشـأ عليهـا مواطنـو العـالم الثالـث منـذ قـرون لذلـك يتمكن الخـوف منهـم. يتقبلـون أنصـاف الحلـول ويرضـون بشـبه حيـاة تمكنهـم مـن البقـاء.

في نهاية سراديب البحث . الغموض يكتنف معنى المواطنة. هل المواطنة تتوافق وتتفق مع أنْ أقبل بوجود طبقة من الفقراء؟ أم مرضى يحتاجون للعلاج؟ أم خريجي جامعات وبامتياز لا يجدون عملاً؟ أم سجناء رأي يقبعون في الزنازين دون محاكمات؟ أم قضاء غير عادل؟ أم فساد في أجهزة الأمن؟ أم زعرنات تمارس من قبل جهات محمية؟ أم ساسة يجلسون على الكراسي لعقود وعقود؟ ام المحاباة؟ أم الطائفية؟ أم أتنازل عن حريتي؟ ،عشرات الأسئلة تطرح وتطرح تحتاج الى إجابات. عشرات المحطات تحتاج للوقوف عندها ومعالجتها. ما لم ننصهر جميعا في بوتقة واحدة يستحيل بناء وطن يتسع للاختلافات والتعددية. تخلصوا من مصالحكم، وليكن شعاركم الوطن فوق الجميع، والوطن للجميع، والمواطنة حق وليست عطية، والمشاركة في القرارات مسؤولية الجميع، والحق في النقد الصادق ضرورة حضارية.

اكرر للمرة الثانية، الوطن ليس مزرعة لأحد، ولا مكان فيه للمحاصصة، والفساد، والانحياز، والمحسوبية، والزبائنية، فكلها مرفوضة. كي نجذر الوطنية، ونقضي على الشعور بالفردانية ،يجب إحداث نقلة نوعية قبل انهيار الدولة وتستباح من قبل الغرباء. التغير في العالم الثالث، يبدأ بالأبعاد الثقافية التي تحتاج الى ترميم، والى نمط سلوكي يعاصر زمننا، نحتاج الى أفكار جديدة، أخلاق جديدة، بعيدة عن استنساخ الماضي. المناهج التربوية تحتاج الى إعادة بناء لأنها بوابة التغير، والانطلاق وبناء الإنسان. الثقافة التي تفرضها الطبقة الحاكمة، ثقافة مشبوهة، هدفها تربية الأجيال على الخضوع لها. نحتاج الى ثورة فكرية تنقلنا من الجهالة الى المعرفة. بالتالي تنجز هذه المهمة من خلال تحقيق الديمقراطية بكل مفاهيمها. ومعانيها، ومن خلال فصل السلطات، وتحصين القضاء، ورجال الأمن من الفاسدين وإبعادهم عن السياسة والسياسيين، واحترام الدستور وتطبيق أحكامه على الجميع ومحاسبة المخالفين من قمة الهرم الى قاعدته معتمدين أسلوب المساءلة والمحاسبة، وتقديم المخالفين للمحاكمة والاقتصاص من كل من يخالف القوانين ويتخطاها. الوطن يجمع كل المواطنين، تحت دستوره وقوانينه ليخضعوا دون تمييز، أو محاباة، أو عنصرية، أو أغلبية وأقلية.

٩- الحريات
الثورة سيدة الديمقراطية والحريات

الثورة لا تعني فقط تحطيم القيود التي تكبل الجسد،
بل العقل والروح أيضا. ما لم تحرروا ذاتكم ستبقون
عبيداً مضطربين تملؤكم الاوهام في الحياة، للموت
صيرورتكم أقرب.

أبدأ مقالي بطرح السؤال الآتي: "هل المعرفة خطيئة؟ أم الجهل خطيئة؟ ". أعداء المعرفة حتما سيناصرون الجهل ويثورون، لأن فضاء عملهم يكون أكثر اتساعا ورحابة، يحتاج الى جهد أقل لبسط سيطرتهم على أتباعهم، فتتم غاياتهم المشبوهة برتابة مملة بليدة. مناصرو المعرفة حتما هم ايضا سيثورون، يحاربون الجهل بقوة، فضاء عملهم يحتاج لجهود جبارة، وإصرار، ومثابرة على تغيير المجتمع ثقافيا، وفكريا، واجتماعيا، وسياسيا... الخ من أجل استنهاضه. العنف قد يبرز بين الطرفين المتناقضين ، أغلب الأحيان يكون العنف ردا غير مبرر، بسبب تغيب الحكمة والمنطق. أُم الخطايا تجهيل المعرفة، تفريغها من مضمونها أُم الموبقات. لذلك يحتاج البشر الى سلسلة من الثورات دائمة الحركة والتجدد، مستمرة لا تتوقف، تنتقل من جيل لآخر، الثورة التي لا تدفع الى التغير هزيمة للجميع، وثوارها أشبه بفزعات منسية في الحقول، عوضا عن أبطال يقاتلون في ميادين الحياة.

الإنسان يعيش حياته من خلال سلوكه النابع من تفكيره، تفكير يتأرجح بين بدائية الحياة وعصريتها، المعاصرة لا يمكن استيعابها بشكل دقيق، ما لم ندرك بأنها لن تلزمنا بالتطور العلمي ومنتجاته الاستهلاكية فقط، بل بثقافة منفتحة على كل الثقافات المختلفة المنتشرة في كل زاوية من زوايا الأرض، الخوف من الانفتاح معناه هشاشة ثقافتنا وضحالتها، الانكماش الثقافي دليل عجز فكري يخلو من إبداع، البعض يرى المستقبل صورة قاتمة ضبابية قادمة من الماضي،

أؤكد بأن ليس كل ما وصلنا من الماضي رديئاً. معظمنا يعلم أن الحدود بين الدول مجرد خطوط، لا وجود لها في الواقع إلا على صفحات كتب الجغرافيا، العالم منفتح على ذاته لا يمكن الهروب من هذه الحقيقة، ولا يمكن تجاهلها. فالتطور المطلوب يأتي كمحصلة ثورية تهدف الى تغير أسلوب الفكر والحياة، وإلاّ انهزم الانسان داخليا. الاستهتار بالتغييرات الثورية لا مكان له الا في عقول البسطاء ومتحجري الفكر، الذين لا يعترفون بقدرة الوسائل الإعلامية، والشبكات الاجتماعية الإلكترونية المتسارعة على مناقشة الوقائع وإظهار الحقائق، بالرغم أنها سلاح ذو حدين يحمل نقائض تحتاج الى تمحيص وتفسير.

أينما كنت تعيش، في دولة متحضرة أو في دولة تحتضر، فأنت تحتاج الى ثورة دائمة، ثورة تعيش في ذاتها المتحررة من عبث الفكر المهيمن للسلطات الحاكمة، وأسلوب المعيشة المستخف بفلسفة الحياة . فالنزاعات البشرية، لن تنتهي ما دام هناك طبقات، واقتصاديات، ومناصب، ومسميات، واختلافات...الخ، لذلك سيبقى الرد دائما " ثورة " . القوى المهيمنة (الدول العظمى) هي المدبرة لمعظم الأمور في العالم، إنْ لم يكن كلها، في أوطانكم احذروا هذه القوى المارقة، والسلطات التابعة لها، فما أكثر أكاذيبها ومنوراتها وحججها وتفسيراتها، كل ما يعنيها ذاتها، مصالحها فوق كل الأخلاقيات، مفرداتها، وأفعالها تعمل على حفر قبورنا بنعومة.

دائما هناك مشهد، صور، أشخاص، مكان وزمان. كلها تصنع الحدث المهم، الأقوياء يقررون من هو مذنب ومن هو بريء، في مجتمعات الفكر القبلي، والديني، والايديولوجيات القمعية التي تسيطر عليها تخلق الحوافز للانحدار وعدم انسجام المجتمع، يعني إطلاق المارد من قمقمه، وبدء عملية الإنفجار، ليتدحرج بعدها المجتمع وينزلق بالتالي الوطن كله، النتيجة هي سقوط الجميع في هوة سحيقة، بها ومعها يصبح الموت والخراب والدمار سادت الموقف، فتموت الإنسانية في الإنسان، لينمو بعدها نظام اكثر سطوة، ودموية يبني ذاته على آلام المواطنين. العنف يعيد خلق نظام أشد قهرا وسطوة. هذه الدول الوليدة الناتجة من تدخل الغرباء لا تبنى على سواعد وفكر

مواطنيهـا، لكنهـا تُبنـى مسـنودة عـلى أكتـاف مـن قـام بدعمهـا، للأسـف عـالم اليـوم لا يبنـي مـن داخلـه، بـل تبنيـه مصالـح السياسـات الخارجيـة للـدول القويـة.

الصدمـة، هـي وقـوع مصيبـة لم نكـن مسـتعدين لهـا، تـأتي فجـأة ، وتـترك فينـا جروحـاً لا تندمـل، أسـوأها التـي تـأتي مـن مراكـز الأمـن والنظـام والقانـون في الدولـة . جاهزيـة الدولـة تكمـن في منـع كل مـا مـن شـأنه أن يوصـل المواطنـين الى هـذا المـأزق. الكراهيـة المتناميـة بـين الحاكـم والمحكـوم، وبـين الاختلافـات المتنوعـة في المجتمـع، تسـتنزف طاقـات الإنسـان أكـثر مـما يفعـل الاحـترام والـود والحـب. لذلـك يسـقط المجتمـع في دائـرة العنـف. إنهـا ثـورة أصحـاب حقـوق منقوصـة مغيبـة، أمـام مـن لا يقـدر الواجبـات المقدمـة بالكامـل، ثـورة ضـد الأنظمـة التـي لا تسـاند كرامـة الإنسـان وحرياتـه. عندمـا يقـع المحظـور، تتدخـل دول خارجيـة تشـارك النظـام في اسـتئصاله، تدخلهـا يناسـب مصالحهـا. الأخطـاء لا تصحـح بالمـوت، فلـو أمكـن للإنسـان ان يعـود مـن المـوت لغـير رأيـه، وقـال الصـواب، افـتراض كهـذا يعنـي فشـل بعـض البـشر فهمهـم لقيمـة الحيـاة ومعناهـا الأزلي في ان يحيوهـا بحريـة وبكرامـة.

الديمقراطيـة شُـوِّه تعريفهـا وممارسـتها، الثـورات لم تنتـهِ، العنـاصر الملهمـة المثـيرة لهـا لم تتغـير عـبر الزمـن، المسـتضعفون كـثر. ثـورات ناضجـة تخلـق التغيـير هـو مـا يحتاجـه البـشر. ثـورات لا تعيـد إنتـاج أو استنسـاخ أنظمـة قديمـة، ثـورات عـلى كل الايديولوجيـات التـي تعسـكر في العقـول وفي النفـوس، أهمهـا تلـك الـدول التـي تخنـق شـعوبها باسـم الديـن، الديـن لـه هـدف سـامٍ عالمـي واحـد، وإنْ اختلفـت الأديـان فـان الأعمـدة التـي تقـوم عليهـا هـي المحبـة والتسـامح والسـلام، ومـا يتعداهـا صنيـع بـشر. كـما أن الانسـياق وراء كل تحليـل يقـود إلى فهـم مغلـوط يرتـد عـلى أفعالنـا كبـشر. مـا لم يقـم المثقفـون بالثـورات، مثقفـون ذوي انتـماءات انسـانية وطنيـة حـرة لا تسـيطر عليهـا روح المصلحـة، بـل روح الجماعـة، سيسـتمر دوام البـؤس. تخلـف الفكـر بضاعـة نصنعهـا ونؤمـن بصدقهـا، دون إخضاعهـا لمنطـق أو عقـل يناسـب الزمـان الـذي نعيشـه. للحريـات وللديمقراطيـة معـانٍ وصـور، وإن كانـت محتوياتهـا غـير واضحـة، فأنهـا تخفـي وراءَهـا أفعـالاً خسيسـة نذلـة. لذلـك نحتـاج إلى ثـورة

على كل من يجعل من الدين والمال وحياة البشر وحرياتهم رهينة بين يدي الديكتاتور. الثورات التي حدثت في الماضي ما زلنا نعيش ظروفها وصعوباتها علينا أنْ لا ننسى أنّ صور الفقر والجهل والمرض في الماضي يختلف عنه اليوم، لكنها موجودة ترقص أمام اعيننا مهددة بالانفجار على كل من تسبب ببؤسها.

الثورة التي تبعث الخوف والكراهية والاحقاد والألم والموت بين جماهيرها، هي ثورة مستوردة ليست ثورة شعب، بل ثورة مصنعة معلبة خارج الوطن، تهدف التي تدمير وحرق الأرض والإنسان، هذه الثورات تقيئوها. ...... أخي الإنسان عندما تنظر في المرآة فإنك تركز لترى ذاتك المتجسدة، وليس روحك العظيمة، لذلك أطلب منك، وكلي رجاء وأمل أنْ تحطم المرآة لتطلق روحك العظيمة وتعلنها ثورة.

الحرية الفكرية - أم الحريات -

الثورات العربية قامت بهدف التغيير، وإحداث نقلة نوعية في كافة
مناحي الحياة، ولرفع المظالم والمعاناة التي يعيشها الإنسان
العربي . مستحيل هو التغير في ظل حجر العقول وسجنها،
وفرض الإقامة الجبرية عليها وقولبتها. الرافعة الأساسية لأي
تغيير يتطلع لنهضة الشعوب وتقدمها لن يأتي إلا بإطلاق
الحرية الفكرية " أم الحريات".

بداية، العنوان ليس للاستهلاك. لأنه يحتاج إلى عقول متفتحة كي تهضمه. لسنا بحاجة لمن يردد ويكرر أن الفكر الإنساني محدود. فلو كان محدودا لما تقدم العلم وظهرت الاختراعات ونبغ العلماء في ميادين شتى. وما تقدمت البشرية منذ تكوين الحياة وبدايتها على الأرض عبر العصور التاريخية والجغرافية المخلفة. فكل منا حر في مقاصده وأفكاره فمن بني أسوارا حول فكره كمن دفن فكره في حفرة الجهل والجمود. الجمود سمة المشلول فكريا، والحركة سمة من يرغب في التغير والتقدم.

لـكل زمـان عقـول ورجـال. كل ثانيـة تمـر تصبـح تاريخـا مـن المـاضي. عقـارب السـاعة لـن تـدور إلا إلى الأمـام. ليـس هنـاك مـكان في رحلـة العقل نحو مسـتقبل واعـد متطور لمـتردد، لجبـان، لجاهـل، أو لمتشـكك في قـدرات الإنسـان العقليـة وطاقتـه الفكريـة.

الحريـة الفكريـة ثـورة عـلى التقليـد ودعـوة للتجديـد . هـي المهـد الـذي ينطلـق منـه الإبـداع، والخيـال الفكـري عنـد الإنسـان. والمحـور الرئيـس الـذي تـدور مـن حولـه جميـع العمليـات الفكريـة النابعـة مـن كل مذهـب ، وفلسـفة ، وعقيـدة. فالفكـر ظاهـرة يتمتـع بهـا الإنسـان دون غـيره مـن الحيـوان. البعـض عمـدا يظـن أو يفـسر أن معنـى الحريـة الفكريـة هـي أن نجمـح بأفكارنـا ونخـرج عـن مجتمعاتنـا. مغالطـة مقصـودة هدفهـا قتـل العقـل ووأده . تقبـل الحريـة الفكريـة يعنـي أن نطلـق العنـان لأفكارنـا، لا لندعهـا تجمـح. أن نضعهـا في مسـارها الصحيـح، لا أن نسـيرها بمـا يلبـي رغبـات وتطلعـات المشـككين فيهـا بقصـد التحكـم، والسـيطرة عـلى عقـل الإنسـان وفكـره والاسـتحواذ عليـه وتوجيهـه.

نهضـة الشـعوب وتطورهـا لـن يتحققـا مـا لم تطلـق الحريـات وفي مقدمتهـا الحريـة الفكريـة التـي تمثـل العنـوان الرئيـس لمجمـل حريـات الآخريـن ، لأنهـا تنبـع مـن إرادة الإنسـان ورؤيتـه للحقائـق التـي تـدور في مجتمعـه. مـن العنـاصر الرئيسـة في تراجـع مجتمعاتنـا العربيـة هـو مصـادرة هـذه الحريـات وقمعهـا .

المواطنـون العـرب بحاجـة للتحريـر مـن القيـود المفروضـة عليهـم التـي تكبحهـم، وتمنعهـم، وتعقيهـم مـن الإبـداع ،والتغيـير ،والتطـور . كعـرب وبـكل صراحـة نعيـش في دوامـة أزمـة ، ونقائـض، وفـوضى فكريـة وفلسـفية عارمـة وصعبـة تحتـاج لحلـول منطقيـة. هنـاك مـن يريـد الاسـتبداد بالعقـول وحريتهـا. ومـن يريـد إطلاقهـا بـلا حـدود. ومـن يريـد أن يقيدهـا ويحجمهـا عـلى مقـاس أعـدّ لهـا كي تكـون شـكلية لا قيمـة لهـا.، كل طـرف يحـاول جاهـدا إبـراز مـلاح مشروعـه في هـذا السـباق ليتوافـق مـع مشروعـه السـياسي وفكـره ، وعقيدتـه . بالتـالي لـن نتوصـل لحلـول لأننـا نفـرض أراءَنـا ونـرى فيهـا الكـمال والقداسـة ونضيـع الزمـن، والأيـام والسـنيين، بـدل جـسر

الهوة بين المدارس الفكرية والفلسفية المختلفة ونسير بوتيرة سريعة كي نلحق بالركب الحضاري أسوة بشعوب الأرض. كي نبني لأجيالنا مستقبلاً واعداً رائعاً.

أم الحريات - الحرية الفكرية - تمثل أحد أمرين إما كابوسا وإما أحلاما سعيدة. إما إنغلاقا وإما انفتاحا. إما تخلفا وإما تطورا. بالتالي تشكل رعبا يخيف أي سلطة أو نظام أو مؤسسة دينية أو فكرية. في الحرية الفكرية يكون العقل منفتحا حرا ومستقلا يعمل على تفسير وتحليل الواقع المعلوم من أجل الوصول إلى المجهول ويستنبط الحلول ويطرحها بما يلائم طبيعة العصر . قد تؤدي هذه العمليات الفكرية إلى تحدى النظام والسلطة والمجتمع القائم ، ويزعزع استقراره... النتيجة لجوء السلطات إلى القمع والاغتيال والتصفية الجسدية. الحرية الفكرية مجالاتها واسعة وتعبيراتها متعددة تظهر في الفن مثل الرسم المسرح والموسيقى السينما. والإعلام من صحافة وجرائد ومجلات وفضائيات ووسائل مسموعة. وكتب الأدب، الرواية القصة الشعر.... ولا ننسى ضرورة و دور علم النفس والفلسفة في تعبيرات وتفسيرات الفكر الإنساني وسلوكه وعلاقتها بالحرية الفكرية.

الحرية الفكرية محظور عليها الدخول في الغيبيات والعادات والتقاليد ، فهي تعد مناطق محرمة يمنع إبداء الرأي فيها أو تفسيرها أو انتقادها أو تصويبها . مجتمعة ترتبط بعضها ببعض بروابط تاريخية جذورها تمتد إلى الماضي البعيد وتتنوع بخواص وتعدد الأجناس والشعوب التي شكلت وطنا . لهذا لا يمكن القول أن أوطاننا أوطان متجانسة. بالتالي ما زالت الحرية الفكرية طرقها صعبة مليئة بالعثرات والمصائد ومحفوفة بالمخاطر. وإنْ كانت في ظن البعض هي شر فلنعترف أنها شر لا بد منه وهي أقل ضراراً من كبت وإسكات العقل الذي هو المحور الرئيس في نمو المجتمعات وتطورها، فلا يعقل أن نعيش الحاضر بعقلية الماضي. فلا بد أن نفسر الماضي ونترجمه بلغة العصر كي يبقى ويستمر ويعيش. جوهره يمتلك القدرة على ملائمة العصر والتطور... وذاتنا على نقيض من ذلك. فإن لم نستطع إحداث التغيير نكون قد حكمنا على ماضينا بالموت والزوال...فليس هناك أمة ترغب في الانتحار والاضمحلال والاندثار. فمن يرغب

في خوض غمارها عليه توخي الحذر، وعدم تأجيج صراعات ، أو خلق فتن. عليه أن يكون موضوعيا. فهو كمن يسير على نصل السيف وإنْ زحلقت رجله تأذى.

تعدد الأفكار والاتجاهات يقودنا إلى التنافر في حالة انعدام التحليل العلمي الموضوعي وتداخل العواطف. المطلوب هنا أن لا نتصلب لرأي خاطئ أو نتحيز لفكر عقيم . علينا أن نستمع لصوت المنطق والحق. كي نستأصل وبحذر شديد الأفكار الهدامة المانعة للحرية الفكرية وصوت العقل. ليس بالعنف بل بالحوار البناء.

الحوار والتوافق هما سيدا كل نقيض. وما لم نسِر بدربهما سنظل نعيش في زمن غير زمننا وحاضر غير حاضرنا لا يتلاءم وروح العصر الذي نعيشه. ضرورة إخراج العقل من وحدته وعزلته ومن الأسوار الحديدية المفروضة عليه. إنها حتمية تاريخية . لنكن منفتحين لكل ما يدعى آخر ويشاركنا الكوكب لأن الفكر المنغلق المتحجر خطر على حامله وعلى الآخرين وعلى مستقبل البشرية.

تقبلنا لمفهوم الحرية الفكرية يعنى أن نتقبل النقد البناء. وأن نزيل برقع عزلتنا ونظهر عوراتنا ونقائصنا الفكرية . فالفكر الواعي المتطور يدعو دوما ودوما أي تردد إلى زوال التقليد المهترئ. ومن الضروري أيضا نفض الغبار عن الأفكار الايجابية المدفونة في بطن التاريخ كي نتوصل وبكل صدق وأمانة وبعد مقارنات صادقة حرة بلا ضوابط أو شروط إلى بلورة فكر واضح وسليم يجعل من الحاضر أغنية يشدو بها أطفال المستقبل ليلحقوا بالركب الحضاري ويبنوا عالما أفضل.

وعينا وإدراكنا يجب أنْ يقودانا إلى عدم قمع الأفكار الجريئة السليمة وإجهاضها. لأن ذلك جريمة بحق الإنسانية. استشهد بما قاله كونفوشيوس الفيلسوف الصيني(٥٥١ ق.م – ٤٧٩ ق.م) : " قبل البحث عن المعرفة تعلم كيف تفكر". وأردد ما قاله بوذا(٥٦٣ ق.م – ٤٨٣ ق.م) لأتباعه: " تحلوا بحرية الفكر".

خلاصة القول إن المطلب الاجتماعي في زمننا الحاضر الأكثر إلحاحا هو الإسراع

في إطلاق الفكر الحر – أم الحريات - من عقاله . عن طريق التربية الصحيحة السليمة، والشجاعة والنية الصادقة كي نتمكن من أزالة الشوائب التي تغلف بصيرتنا وتعمينا عن رؤية الحقائق والواقع لأن معظم ما يملى علينا يحتاج إلى تنقيح وتهذيب وتمحيص. كذلك علينا أن لا ننخدع ونقيس الحقيقة بمقياس الكذب، والخداع، والرياء. وأن لا نقيس الواقع بمقاييس الجهل والتبعية العمياء.

النقد باب للحريات وللتقدم

من خلال النقد نستطيع أن نبني عالما أفضل وأجمل عن
طريق طرح أرائنا، وأفكارنا النيرة الجريئة الطموحة التي
تتطلع إلى رفع معنويات الروح الإنسانية من معاناتها،
وانتشالها من ظلمات القهر، والذل إلى نور الأمل بمستقبل
آخر واعد مشرق وحر.

الناقد الجيد يعيش حقيقة مجتمعه ويكون في قلب مكان الحدث وزمانه الذي لا يخشاه، ويقف موقف المناضل العنيد الصلب لجانب الحق ضد الباطل، غير متردد في تقديم رسالته، وعلى استعداد بالتضحية بعمله، وبروحه، فيتحدى المنطق المغلوط، والخطأ بلا حدود.

الناقد، يعتبر النقد واجبا مؤتمنا هو على فعله تدفعه الغيرة، والرغبة الإنسانية من قلب يتألم لأوجاع الآخرين، وقوة غير طبيعية، يهاب الكثيرون الخوض في غمارها. وفي معظم الأحيان يدفع الناقد ثمنا باهظا لشجاعته في تعرية الفساد، والفاسدين وإظهار الحقيقة خاصة في عالمنا العربي، الذي هو بأمس الحاجة إلى من ينتقده ليخرجه من بؤس غياب التقدم، وقمع الحريات. النقد والانتقاد يعدان من المحظورات في أوطاننا، فالمؤسسات كلها تختزل في شخص الزعامات، والقيادات، والمسؤولين، الذين يعتبرون أنفسهم بشرا معصومين عن الخطأ، وانتقادهم

يُعد، وانتقاصاً لقدسيتهم ، لذلك فالناقد مقموع، ومرفوض، ومعتقل، ومفقود.

من صفات الناقد الجيد أن يكون واسع الاطلاع، وعلى مستوى عالٍ من المعرفة، لديه معلومات متكاملة كافية لإدانة، وفضح ممارسي الاخطاء، وقادرا على القياس، والتقويم، والتمييز، يمتلك تنوعا من الثقافة المحلية والعالمية، وصاحب رؤيا، ورأي سديدين. يمتلك استقلالية القرار، غير منحاز لصالح طرف ضد آخر، يقف على أرضية صلبة ليمثل، ولينطق، ويشهد للحق، قادرا على بلورة أفكاره، و صياغتها، وعرضها بطريقة علمية منطقية تخضع وقابلة للنقاش.

عبر العصور كان للنقد، وللكلمة الجريئة الحرة أثر كبير في بلورة الحضارات، وخير دليل على ذلك ما تركته تلك الحضارات من معالم أثرية ظاهرة للعيان، وأساطير وأدبيات تبين أثر العقل وحرية الكلمة على الانتقال من ازدهار إلى آخر أكثر رفاهية للإنسان. النقد ظاهرة ساهمت في بناء الحضارة العالمية المعاصرة التي ميزت النهضة الهائلة والتي تعرف بعصر الألكترونيات، والاختراعات، والانتقال عبر الفضاء الخ...التي بلغتها البشرية في زمننا الحاضر. إن تفوّق دول عدة على وجه الأرض وارتقاء علومها، وتقدمها جاء عن طريق ممارستها للنقد، لأنها شكلت من النقد قاعدة ذهبية قوية ومتماسكة، لمحاسبة الذات من أجل بناء وترسيخ مؤسسات الدولة المدنية الناجحة، ودساتيرها، وحرية شعوبها، وتربعها على قمة العولمة.

عالمنا العربي في زمننا الحاضر يعيش في سبات عميق تمتد جذوره لقرون خلت، متردد وحائر لا يدري - وقد يتجاهل عن قصد - ما هي السبل الكفيلة لإقامة بناء حضاري جديد يخطو فيه أولى خطواته نحو مستقبل مزهر، ومزدهر. كما أنه متردد في قبول أفكار جديدة يقدمها المفكرون من أبنائه. للأسف، فان ممارساته نحو مواطنيه، ورعاياه موجهة لتمكنيه من إخضاع الفرد قسرا، وسلب حريته ليتمكن المنفذون من الاستمرار في سلطتهم، ونفوذهم. نتيجة لحكمهم، نرى المئات من الشرفاء المفكرين يقمعون، ويزجون في السجون ليتعفنوا، ويموتوا مع أفكارهم التي يحملونها. فبعض المفكرين نجحوا في

الهجـرة مـن أوطانهـم خوفـا عـلى أرواحهـم كي لا يصبحـوا سـجناء، وشـهداء فكـر، ورأي في مجتمـع ينبـذ حتـى فكـرة التغيـير، والتقـدم. إن اغتيـال، وتصفيـة النقـاد، والمفكريـن يعيـق إحـكام العقـل، وتفعيلـه في مسـيرتنا، ويؤخـر نهضتنـا وتقدمهـا.

الأدب بأنواعـه، والفـن بأشـكاله، وألوانـه المختلفـة، والفكـر الإنسـاني، والقوانـين، والدسـاتير، والعقائـد، وممارسـات الزعـماء، والمسـؤولين مـن أعـلى المراتـب إلى أدناهـا الـخ... خاضعـة للنقـد حتـى ظهـور صـدق حقيقتهـا لتصويبهـا. في غيـاب، وقمـع حريـة النقـد، والـرأي، والفكـر الحـر يسـتحيل تطـور المجتمعـات الإنسـانية.

مـن لديـه حسـنات، لديـه سـيئات. الإنسـان ليـس كامـلا، الكـمال للـه فقـط. لكـن مـن كانـت سـيئاته أكـثر مـن حسـناته فتلـك مصيبـة، خاصـة إذا كان مـن أصحـاب المراكـز، والنفـوذ. فالضمـير الإنسـاني الحـي يحتـم علينـا أن نـبرز سـيئاته ليعالجهـا. مصلحـة الوطـن، والمواطنـين فـوق كل مصلحـة حزبيـة، وذاتيـة، وعقائديـة. عندمـا تنتقـد عقائـد الآخريـن تعتقـد أن وجهـة نظـرك صحيحـة، حقيقـة الأمـر أنـك لا تـدرك كـم أنـت تـسيء إليهـم، بشـكل خـاص عنـد المتشـككين في حقيقتهـا، كونهـم يتأرجحـون بـين القبـول والرفـض لمعتقدهـم، ولنقـدك ويعدونـه تعـدٍ عـلى حرماتهـم، مـما يدفعهـم للعنـف والتطـرف. عندمـا تنتقـد زعيـما فأنـت تعمـل عـلى لفـت نظـره إلى فسـاد حكمـه، حقيقـة الأمـر أنـك تعمـل عـلى إثـارة سـخطه وغضبـه. بشـكل خـاص في مجتمعنـا العـربي علينـا الابتعـاد عـن نقـد عقائـد البـشر، وتركهـا إلى أهـل المذاهـب نفسـها دون إقحـام أنفسـنا في أمـر قـد يـؤدي نقـده إلى نتائـج لا تحمـد عقباهـا، وتثـير الضغائـن، والتشـدد، والعنصريـة والاقتتـال... لنتبنـى إذن رؤيـة علمانيـة، ونفصـل الديـن عـن مجريـات حياتنـا اليوميـة كي لا ندخـل في متاهـات نحـن في غنـى عنهـا.

تنحـصر أسـباب ظاهـرة الربيـع العـربي في غيـاب الحريـات، والعدالـة الاجتماعيـة، والمسـاواة، الـخ... خـلال عقـود طويلـة ظهـر رجـال حملـوا عـلى كاهلهـم وزرا ثقيـلا لبّـوا صـوت الحـق المنبعـث مـن أعـماق ضمائرهـم الحيـة لـكل الممارسـات الخاطئـة. انتقـدوا كل خلـل في مجتمعاتهـم، تحـدّوا السـلطة التـي تعيـش في حالـة نـزاع، ومـوت

سريـري دون أن تدركهـا النهايـة. زعماؤنـا المخلـدون لم يتمكنـوا مـن تقديـم حلـولاً لمشـكلات مجتمعاتهـم المتراكمـة. كثـير مـن المواطنـين ظنّـوا أن الربيـع العـربي سـيكون الجـواب الشـافي والحـل المناسـب لـكل الإشـكاليات المتراكمـة منـذ عقـود. للأسـف خـاب ظـن معظـم المواطنـين، وتـلاشى حلمهـم في الوصـول إلى مرادهـم، وأحلامهـم بالحريـات. لذلـك مـا سـينتج مـن الربيـع العـربي سـيغير مجـري حياتنـا نحـو الأسـوأ لا الأفضـل، مـا لم نـدرك معنـى وأهميـة التغيـير، ومـا لم تكـن خطواتنـا مدروسـة جيـدا، وأهدافنـا واضحـة. التغيـير يحتـاج إلى عقـول، والعقـول تحتـاج إلى حاضنـة وبيئـة فيهـا هامـش كبـير مـن الحريـة الفكريـة. في حـال إقصـاء واغتيـال العقـول، وفي حـال وجـود فئـات يديـن كل مـن لا يحمـل فكرهـا وعقيدتهـا وفلسـفتها يسـتحيل التغيـير.

سـجناء الـرأي والفكـر معرضـون ليـس فقـط للسـجن ولكـن للاغتيـال، يعـدّون أفـراداً منسـيين وراء القضبـان، لا نعـرف هـل هـم أحيـاء أم أمـوات. يصارعـون التعذيـب بجلد وصبر، أقوياء لأجل رأي قالوه حول موضوع ما... سياسي كان، أو فكري، أو عقائدي. متى سـتغلق أبواب سـجون الـرأي، ومتى سـيحررون، ويتمتعون بحريتهـم وينعمون بالعيش بكرامـة، وإنسـانية في أوطاننـا؟ أليـس النقـد الطريـق السـليم لإقامـة العدالـة والحريـة.

عندمـا يسـقط المفكـرون أصاحـب الـرأي والضمـير في الوطـن العـربي، فإنهـم يسـقطون مـن قبـل مناصريهـم أيضـا، وبسـهولة وجـبن يتخلـون عنهم...ليخجـل كل مـن تخـلى عـن إنسـان ارتـضى أن يحمـل عنـه آلامـه، وتعاسـته، وفقـره الـخ... هـذا إن كان عنـده حيـاء. ومـن لا حيـاء عنـده يسـتحق أن يـداس ويمـرغ بالوحـل والأوسـاخ، وحمـل معاناتـه، وقهـره الـذي لا يجابهـه كرجـل إلى أن يجـيء أجلـه. ولـكل جبـان هيـاب أقـول" إن لم تسـتطع أن تكـن بطـلا، أقلهـا كـن رجـلا". ثقافـة مجتمعنـا بائسـة لا تعطـي أولئـك الأشـخاص قيمتهـم ولا تعـترف بفضلهـم. الـكل يبتعـد ويتخـلى عنهـم، ويتركـون وحيديـن يصارعـون مـن أجـل مواقفهـم الحـرة. نحـن مجتمعـات فاشـلة قاسـية تعلمنـا مـن الأمثـال..." نحـن شـعب بخـاف مـا بيسـتحي". ثقافتنـا القائمـة عـلى قبـول القمـع لا تمنحنـا فسـحة ضيقـة لأن نخجـل مـن فعـل السـوء، ومواجهتـه بـل القبـول بـه قهـرا لنصبـح مواطنـين مطيعـين نقـاد كنعـاج.

لِـمَ يخـاف القـادة، والزعـماء، والمـدراء الخ...مـن النقـد؟... ببسـاطة، بنظرهـم يعـدّ النقـد خطـوة أولى لتخلخـل مناصبهـم، وتزعـزع مكانتهـم. ولأنهـم لا يملكـون إجابـات واضحـة صريحـة يفـسرون فيهـا سـبب تراجـع البـلاد وقدراتهـا، وتراجعهـم في الأداء أيضـا، وعـدم قدرتهـم عـلى إدارة دفـة الحكـم، أو المؤسسـات، أو تقديـم حلـولاً مناسـبة لمشـكلات المواطنـين، أو العـمال، لذلـك يلجـأون إلى تبريـر أفعالهـم - صفـة التبريـر مـن الصفـات الملازمـة الملتصقـة بالشـخصية العربيـة مـن قمـة الهـرم حتـى قاعدتـه- كشـعوب تعـد خـبراء في فـن التخويـن، وإلصـاق التهـم، كونهـا وسـائل سـهلة جـدا وجاهـزة. يميـل معظـم الزعـماء - وعـن خبـث - إلى أخـذ الأمـور عـلى أنهـا شـخصية، وليسـت قضايـا وطنيـة مصيريـة، أو قضايـا شـعب ينتظـر حلـولاً لأوضاعـه البائسـة، وليسـت وجهـة نظـر للإصـلاح. لذلـك يصبـح الناقـد عدوهـم اللـدود. النقـد لا يهـدف إلى الانتقـاص مـن شـخصية الزعيـم، ولكـن لتصويـب أدائـه. لنعـترف بـان الانتقـاد تشـخيص للحـالات الكثـيرة المتأزمـة العالقـة في مجتمعنـا، والتـي لم تحـل بعـد. النقـد لا يهـدف إلى إقصـاء الزعيـم، أو عزلـه بـل تصويبـه، كـما وأن غيـاب وجـود جهـاز رقابـة في الدولـة، والمؤسسـات يمنـح الإدارات العفنـة بالاسـتمرار في غيهـا، وتبجحهـا عـلى أنهـا فـوق القانـون لا تحتـه. سيسـتمر جنـوح الحـكام، والقـادة، والإداريـين مـا لم يخضعـوا للمحاسـبة وفـق قوانـين تحددهـا الدسـاتير... إلى متـى سـيبقى الناقـد، وصاحـب الضمـير، والـرأي الحـرّ كبـش فـداء في عالمنـا العـربي؟

اعـذروني إن قلـت أننـا شـعب منافـق، ودجـال يعـرف العلـة، ويتحـدث عنهـا، ولا يتفحصهـا، ولا يدقـق في صحتهـا. مُثلنـا العميـاء تدفعنـا إلى ترديـد، وتـصرح " أنهـا مشـيئة اللـه، قدرنـا ومصيرنـا المحتـوم". بذلـك يصنعـون قدرنـا باسـم اللـه سـبحانه وتعـالى ويتدخلـون بمشـيئته للحفـاظ عـلى سـلطتهم، واللـه منهـم بـراء.

في الـشرق يعـد الناقـد مجرمـا خطـيرا، وفي الغـرب مصلحـا شريفـا. الأول تعيـس منـسي مهمـل، وضائـع، والثـاني مبجـل مكـرم، تؤخـذ انتقاداتـه عـلى محمـل الجـد، ويعمـل بتوصياتـه ... أيهـا الزعـماء، في أي مؤسسـة تواجدتـم، أو كان موقعكـم اسـتوعبوا أن النقـد أداة ارتقـاء، وليـس أداة سـلب لمراكزكـم. صـوت الحـق يمكـن أن يسـكت، ولكـن

لا يمكن أن يموت، الحكمة من النقد هو منع قطع الشجرة الضعيفة القليلة الثمار، بل تقويتها لتعطي ثمرا وافرا جيدا.

استقلال العقل ضرورة حضارية

مشاريعنا، وثوراتنا في العالم العربي للتغير
والإصلاح ستفشل، ما لم نبدأ بتحرير العقل
واستقلاله، والدعوة لثورة فكرية في كل
مجالات الحياة. كل من لا يقر ويعترف بضرورة
استقلال العقل يستعبده. وكل من لا يعمل على
إطلاقه يحجمه. وكل من يحاربه فاقده.

أزمة العالم العربي النهضوية تكمن أساسا في عدم "استقلالية العقل". دائما وكالعادة، نسقط أسبابها على الاستعمار، وعلى القوى الرجعية في المنطقة وعلى الهيمنة الإمبريالية الخ...متناسين، متجاهلين، مغيبين دورنا ، مستخدمين مصطلحات ومفردات ضخمة بحجم عجزنا عن إحداث التغيير الملائم، والمطلوب للنهوض بشعوبنا العربية نحو الحداثة.

سرا وعلانية نجاهر بشوقنا ومطلبنا بالتغير والإصلاح. بمناسبة وبغير مناسبة نتحدث عن الإبداع... الإبداع هو تغير في الأفكار والأداء. الأفكار إبنة العقول المستقلة الحرة المستنيرة الخارجة على ظلام الفكر، والمستبدون من رجال دينيين متشددين، وسياسيين سيئين وأجهزتهما القمعية، وبرامجهم الفضائية الدعائية الهابطة. الأداء هو ترجمة الأقوال إلى أفعال، قدرة يتصف بها الإنسان العاقل بالمرونة والعطاء والاجتهاد والطموح والغيرة والتعددية من أجل الارتقاء والتحضر، يتميز معظم نسائها ورجالها بانتمائهم لمجتمعات متحررة، أو غير متحررة يجاهدون فيها سعيا وراء إمكانية التغير والإصلاح من أجل الحصول على الحرية، والمساواة ، والعدالة، والإخاء.

شـوقنا للتغـير والإصـلاح لـن يتحقـق، دون كـسر الحواجـز التـي تمنـع مـن إطـلاق الحريـات وبشـكل خـاص "اسـتقلال العقـل" مـن سـيطرة، وعبوديـة المتشـددين عقيـدة وفكـرا. وبغيـاب منهـج "نقـد الـذات " لتشريـح المجتمـع، وتحليلـه، وتفكيكـه، وإعـادة ترتيبـه ليناسـب الحـاضر الـذي نعيـش فيـه لـن يكـون لنـا حضـور عالمـي، وكيـان إقليمـي.

نسـتهلك مـا تسـتهلكه شـعوب العـالم، ونشـاهد مـا يشـاهدون. مـع فـارق كبـير في وجـود فجـوة حضاريـة بيننـا وبينهـم تتسـع مـع مـرور الزمـن. هـم يعيشـون روح الحـاضر، ونحـن نعيـش متأرجحـين بـين المـاضي والحـاضر. هـم يعظمـون العقـل، ويقـدروه، ويجلـوه، وينتقـدوه علميـا، ويضعونـه تحـت المجهـر. ونحـن نحجـر العقـل ونمنـع الفكـر مـن الانتقـاد، ونحـارب كل فكـرة تسـعى إلى نقـد مفاهيمنـا حـول مجمـل الأمـور الحياتيـة، والفكريـة منهـا أو العقائديـة. تفسـيراتهم علميـة، نحـن لا نعـترف بالمنهـج العلمـي. لأن التفسـير العلمـي يضـع مفاهيمنـا تحـت ضـوء مجهـر العلـوم المختلفـة التاريخيـة منهـا والجغرافيـة والعلميـة والثقافيـة، والأسـباب التـي نشـأ فيـه ودونـت المعلومـات التـي وصلتنـا عـبر الزمـن، مـما يؤرقنـا، ويزعجنـا، ويظهـر عجزنـا عـن الإجابـة حـول توافقهـا، أو تعارضهـا مـع تفسـيرات العـصر وتطوره.

تجاهلنـا لإخضـاع مفاهيمنـا للتفسـيرات العلميـة لـن يمكننـا مـن تحقيـق المعرفـة لتفسـير، وتطبيـق كل مـا وصلنـا مـن السـلف في زمننـا الحـاضر، مـما تـؤدي إلى تعـثر معظـم جهودنـا للتغـير والإصـلاح، واسـتقلال العقـل. لذلـك نتجـه لمسـار مضـاد للمنطـق والعقـل، ونتجنـب التفسـير العلمـي، ونرفضـه كي نحمـي أنفسـنا رغبـة أو دون رغبـة منـا لفهـم المـاضي شـكلا ومضمونـا عـلى ضـوء الحـاضر. إن عـدم ربـط البيئـة التاريخيـة التـي دونـت فيهـا المعلومـات مـع روح العـصر الحـالي يعـد انتقاصـاً، وخيانـة لتاريخنـا. مجتمعاتنـا العربيـة لا تخلـو مـن علـماء متخصصـين أكفـاء في كل مجـالات العلـوم الطبيعيـة، والدينيـة الـخ... قادريـن أن يحللـوا، ويفـسروا كل مفاهيمنا كـما في المـاضي كذلـك في الحـاضر والمسـتقبل أيضـا.

نعيش في زمن لا ندري في أي قرن نحن...هل نعيش في القرن السابع، أم في القرن الحادي والعشرين؟ أم نعيش بينهما؟ أو قبلهما بقرون؟... أم كما يطرح المتشددون نعيش في الجاهلية، دحضين رؤيتهم، وخططهم للتغير والإصلاح، ونجاحها بالعودة إلى المربع الأول في الإسلام السياسي، وتنفيذه دون دراسة للواقع الحالي. مترجمين طرحهم بالعودة ألف وأربع مئة سنة إلى الوراء، لنبدأ من نقطة الصفر بانطلاقة تقلد، وتشبه نمط الحياة والفكر الخ... في الماضي. ما يعني أن نعيش في زمن العصر، وليس في مكان العصر. من المؤكد لي حاليا أننا نعيش في ضياع زمني.

الحل يكمن في استقلال العقل، وإطلاق الحريات في شرقنا الحبيب من أجل البناء والتقدم الفكري والعلمي، وللحفاظ على النسيج الوطني والاجتماعي من التمزق، وللوقوف سدا منيعا أمام المخططات الظاهرة والخفية لتقسيمه، وتغير خارطته الجغرافية، والديمغرافية، والدينية .مجتمعاتنا تحتاج لثورة تنادي وتعمل وتتحرك من أجل استقلال العقل. ثورة فكرية وليست قبلية أو دينية أو عنصرية، يشارك فيها جميع فئات الشعب، ومواطنوه متكاتفين معا نساء، ورجال، وعمال، وفلاحون، ومثقفون، وأحرار، وفلاسفة، وأدباء الخ...

أما آن الأوان بعد ١٤ قرنا من الفتوحات الإسلامية للمشرق العربي المسيحي أن يشعر المواطنون جميعا، وبشكل خاص الأقليات، كالمسيحيين والايزيديين والشيعيين وغيرهم الخ... [١] بالأمان الذي عاشوه في عصر كثير من الخلفاء. أما آن الأوان أن يبعث من جديد العصر العباسي - العصر العربي الذهبي- الذي تألق وساهم في صنع حضارته المسيحيون الشرقيون من سريان وغيرهم؟ أما آن الأوان أن نفهم لماذا يقتل الآلاف من العلماء العرب في العراق وسوريا الخ....؟ إخوتي في الوطن، الدين الإسلامي غير مستهدف، وكل من يضعه هدفا له مصلحة. ويعمل على خلق عدوا ليحاربه، ليمتد وهمه إلى ضعفاء العقول لتتبعه. ليس أسهل من أن تصنع كافرا وتدحض كلامك، وتشعل فتن لمحاربته... للإسلام رب يحميه. ليس السيف هو ما يحميه، بل الممارسات الإنسانية.

المشرقيـون أصحـاب هـذه الأرض التـي فتحتموهـا، رحبـوا بقدومكـم، وباندماجكـم بهم كان معظمهـم يديـن بالمسـيحية. إبحثـوا عـن جيناتكـم التـي تحملـون سـتجدونها مـن صلـب جينـات أسـلافكم الذيـن فلحـوا هـذه الأرض وزرعوها قبـل ألفي سـنة . وإن كان دينكـم الإسـلام –أكـن كل الاحـترام لرسـالة القـرآن ورسـوله محمـد(ص)- فقوميتكـم قد تكـون سريانيـة ، أراميـه، أشـورية، فرعونيـة، كلدانيـة الـخ... اجتمعت كلهـا في العروبة.

أمـا آن الأوان إلى اسـتقلال العقـل والانتقـال إلى القـرن الحـادي والعشريـن دون أن نفقـد علاقتنـا مـع اللـه، ومـع الإنسـان الآخـر؟ أمـا آن الأوان لنقـول لا للركـوع للغـرب، ونتوقـف عـن تغطيـة مصالحهـم، وخططهـم في ضرب وحدتنـا وتقدمنـا الفكـري والعلمـي؟ أهدافهـم واضحـة، أعمـى البصـيرة والبـصر يراهـا، ويعرفهـا قبـل المبـصر. تمتلكهـم رغبـة شـديدة في عـدم تطورنـا ونهوضنـا، لا يريـدون أن نبنـى حضـارة عربيـة تقـوم عـلى العلـم والحريـة. لا يريـدون أن نكـون بـشرا. يردوننـا نكـرة، لا شيء.

أصحـاب العقائـد، والأفـكار تنظـر إلى التغـير والإصلاح مـن زاويتهـا الخاصـة وتفـرض طرحـا حسـب رؤيتهـا، كي تبقـي ممسـكة بيدهـا زمـام الأمور. مـا تطرحه ليس تغـيراً بل وجهـة نظـر جديـدة تعمـل عـلى ترقـع البـالي مـن الثـوب القديـم. هـل يعنـي الإصلاح والتغـير دعـم الثابـت والالتفـاف حـول المصطلحـات لنعـود للمربـع الأول؟...أم تغـير كامـل يعطـي دفعـة ومعنـى جديديـن؟ التيـارات، والمنظـمات والأحـزاب الدينيـة كلهـا تقتـدي برسـول وكتـاب مقـدس. مـع ذلـك لا نجـد طرحـاً يوحدهـا، أو اتفاقـاً بينهـا، أو توافقـاً، فـكل منهـا لـه نهـج، وطريـق، وأسـلوب مختلـف. لماذا لا تتفق هـذه الأحزاب فيـما بينهـا وتسـتقر عـلى رأي واحد.......لماذا لا تدخـل في نقـاش وسـجال بينهـا وتتفـق عـلى رؤيـا واحـدة، تنتهـي بتكريـس حـق المواطنـة بالمسـاواة والعـدل للجميـع، وعـدم تقسـيم المواطـنين بحسـب انتمائهـم العرقـي أو الدينـي، أو أهـل ذمـة، وكفـار الـخ.... ؟

دائمـا نتحـدث عـن مـا يجـب أن يكـون وليـس عـلى مـا نحـن فيـه مـن أوضـاع. نتحدث عـن همومنـا، أسـلوب حياتنـا، مكانتنـا بـين الشـعوب. نتحـدث ثـم نخـرج بالقـرار الـذي لا يعلـوه قـرار صمـت، وصراخ، وتشـن...ربنا كبـير، وينتقـم مـن الظـالم. معظمنـا

يحمل همومه لله في كل لحظة من لحظات حياته، هي عادة اليائس، البائس، المتردد، العاجز، المقهور، المظلوم الذي يريد أن يغير ولا يستطيع أن يجد مخرجا، إلا الدعاء، وصب اللعنات، والقنوط،، وإسقاط عجزه على الآخرين. التوجه لله خيار عقلاني صائب. لكن علينا أن نغير أسلوبنا ونسأله تعالى أن يعيننا على استعمال عقولنا بكل طاقة وإمكانية نملكها للتوجه الصحيح والعمل على التغير والإصلاح – أعقلها وتوكل-. الله لا يعمل بأسلوب الأخذ والعطاء، و ليس صاحب مؤسسة تجارية فيها عرض وطلب. كغيرنا من شعوب الأرض التي حلمت بالتغيروالإصلاح، وتمكنت من ذلك علينا أن نقتدي بها وان نقلدها بالعلم والمعرفة، مع المحافظة إن أمكن على خصوصيتنا!!!. بغياب استقلال العقل لن نحقق نتيجة تذكر.

استقلال العقل يعني كسر الحجاب الذي يمنعنا من دخول المحرمات والغوص فيها والحديث عنها. من يعاند استقلال العقل لن يشرب من ينابيع المعرفة إلا مرها. سيعيش بصورة الأشياء لا بمادتها وروحها." فالعناد" كما يقول المثل "كفر" وهو صفة الأغبياء وحراس التخلف. التسويف والكذب لن يدوما مهما طال ليل استقلال العقل وسيره بطيئا، فان أخره سيجيء مشرقا ويضيء عتمة الجهل ويبعث الفكر من عقاله لينير درب المعرفة التي ستجهز على كل معاقل أمراء وملوك التجهيل، وقامعي الفكر والحريات ..ظاهرة توجه الشباب بالملايين إلى الإلحاد في العالم العربي ليست صرعة أو تقليداً إنما هي احتجاج على عدم طرح الدين، لأفكار معاصرة تأتي من صلب العقيدة .

إقصاء، ومحاسبة، وإعادة تقويم كل رجال الدين، الداعين للتعصب وكراهية الآخر، والسياسيين الذين يلعبون بمقومات الشعب وأمواله، واستبدالهم بوجوه جديدة تقبل التعددية، وتنتهج التغير، وتنادي بالمواطنة وتدعم الحريات هي أولى خطوات التغير.

واجب السلطات الحاكمة احترام كافة مواطنيها وحقوقهم من خلال تشريع قوانين، وصياغة دستور يخدم الجميع. والامتناع عن وضع دستور على قياس الأحزاب وفكرها ومعتقدها. من واجبها إطلاق الحريات والدعوة

والعمـل عـلى "اسـتقلال العقـل" وحمايتـه قانونيـا. اسـتقلال العقـل يسـاهم في كبـح كل فكـر متطـرف. عـلى الدولـة إخـلاء سـبيل أصحـاب الـرأي والضمـير والفكـر مـن سـجونها، ومعتقلاتهـا، وعـدم التعـرض لهـم وتصفيتهـم جسـديا.

لقطف ثمار التغير يجب أن يكون الدستور هو الحكم والفاصل بين جميع المواطنين، والمحافظ على حقوق كل منهم دون التمييز بين أكثرية وأقلية، عقيدة وفكر. وأن لا تنص بنود الدستور أو تشير من قريب أو بعيد إلى دين أو طائفة المواطن، أو الدولة. المواطنون يتطلعون إلى تحقيق العدل والمساواة للجميع. بذلك نضمن "استقلال العقل". الاستقلال العقلي يعني أن نتصالح مع كل من يحمل عقيدة، أو إيديولوجيا تختلف من مواطن لآخر. يعني بعث الروح الإنسانية وجعلها في قمة أولوياتنا.

المجتمعـات دائمـا في حالـة حـراك إلا مجتمعاتنـا العربيـة فهـي تتجـه نحـو السـكون والإطفـاء... وتكتفـي بمـا هـي عليـه وتحـارب مـن أجـل بقائـه واسـتمراره كـما هـو... الحركـة عندنـا لا تسـير مـع التاريـخ لذلـك نشـهد تراجعهـا عقـوداً إلى الـوراء. مـا لم يجتـاح العـالم العـربي تسـونامي" لتحريـر العقـل واسـتقلاله" سنسـتمر في اللاوجـود المعـاصر، ولـن ينعـم المواطنـون بالهـدوء المجتمعـي. لان التخبـط قـد طـال معظـم التيـارات الفكريـة والعقائديـة في مجتمعنـا.

لا سلطان على العقل إلا العقل نفسه، بوظيفته الكاملة كما وهبنا إياه ألله... فلـو شـاء سـبحانه وتعـالى للإنسـان عـدم التقـدم والتطـور، العلمـي والفكـري... الـخ لأبقـى عقلنـا الإنسـاني جامـدا أسـيرا، محصـورا في تعاليـم ونمـط حيـاة محـدد في زمـن لا يتغـير، في مجتمعـات ثابتـة تعيـد إنتـاج ذاتهـا. يمـوت فيهـا الإنسـان ويلـد خلفـا لـه، في حيـاة تعـاد وتتكـرر برتابـة، لتبقـي جامـدة كـما هـي عـبر الزمـن. أي ننتقـل في الزمـن، ولكـن نبقـى في نفـس المـكان نعيـد استنسـاخ ذاتنـا. لا قيمـة للإنسـان كمخلـوق إن كان الهـدف أن يعيـد ذاتـه. قيمتـه في أن يتجـدد باسـتمرار، يتقـدم ويتطـور في كافـة مجـالات الحيـاة. هـذه هـي إرادة للـه عـز وجـل. معظـم الآراء والأفـكار الدينيـة والسياسـية

يجـب أن تخـدم وتدفـع في اتجـاه " اسـتقلال العقـل، لا معارضتـه...

كعـرب، حـاضرا نقـف عـلى مفـترق طـرق لبنـاء صرح حضـاري عـربي حديـث مزدهـر، أمامنـا خيـار واحـد، فإمـا " اسـتقلال العقـل" أو "التراجـع والتخلـف".

----

(١) مـع العلـم أن الأغلبيـة المسـلمة معظـم أفرادهـا متسـامحون منفتحـون عـلى الآخـر، ولكـن جـزءاً كبـيراً مـن هذه الأغلبيـة يسـيطر عليهـم سـلبية الصمـت عـما يجـري مـن أحـداث، فـلا يتقدمـون بحلـول، أو رؤيـا للخـروج مـن هـذا المـأزق إلا فيـما نـدر. هـذه نقطـة تحسـب عليهـم . ومـن أقليـة مسـلمة متشـددة منغلقـة، تكفـر الجميـع ومـن لا يتبعهـم أو يحمـل فكرهـم مـن المسـلمين.

حرر عقلك

تحرير العقل لا يعني التخلي عن الله، بل عزل من يستخدم اسم الله لتعطيل العقل.

متى عقلنا من سجنه وسجانه سيتحرر؟
متى عقلنا من مخالب وأنياب الجهل سيتحرر؟
أعذروني، إنْ قلت في هذا الزمن أشك أن يتحرر.
لست متشائما كما تظنون، ولكني مثلكم لظروفنا عارف بها ولها مقدر.
عقلنا لن يتحرر...

ما دام...
بابه موصدا تكبله قيود التخلف، ومقص الرقابة مانعا إياه بالنهضة أنْ يظفر.
عقلنا مقصي على صليب الرجعية مسمر.
الغرب ينهب ثرواتنا، وقادتنا يشاركونه بجمع أموال لا تقدر.
زعماؤنا يحجون صوب الشرق والغرب، يستجدون دعما لملكهم عسى أنْ يطول ويعمر.
رجال دين محافظون على رؤيتهم للعصر، ونمط الحياة ثابت عندهم لا يقدم ولا يؤخر.
من يختلف عنا في الإيمان ليس له بيننا مكان يذكر.
المرتزقون اعلاميون وشعراء وأدباء تجميل الرؤساء لهم مؤجر.
الحصول على وظيفة لا يخضع لكفاءات، بل على تميز طائفي، وعائلي، ومؤنث ومذكر.
الرجل المناسب مهمش، والجاهل يصول ويجول ولمجالس العلم والمعرفة يتصدر.
شلال المآسي يتدفق، وبركان يأسنا من ضغطه لم يتفجر.
فعقلنا لن يتحرر

ما دمنا ...
ندعي أنّ الدين في خطر، وليس الوطن من هو في خطر وسيدمر.
نعزل أنفسنا عن العالم، ونحاصر حاضرنا، وأوضاعنا الثقافية بائسة العقل منها مخدر.
سجناء عقل، عبيد، لفكر جامد بنا يتجبر.

نعيش العصر جسدا، وعقولنا مكبيه في الماضي تشخر.
نلتمس حضورا عالميا، والجهل يلفنا بظلمته طوعا به نتدثر.
نعترض على تقديم من خان الأمانة، ومن به مستقبل الوطن تعثر.
نتهم العلمانية والديمقراطية بأنهما بدع ضد الايمان، ومن دعا لهما مكفر.
نعترض على محاسبة الشخصية الأكبر في الدولة والأصغر.
فعقلنا لن يتحرر

ما دامت...
مصلحة الوطن والمواطنين تأتي بعد كل فرد بحزب مؤطر.
العصبية القبلية تسيطر علينا، كذلك الطائفية، وفي كل يوم نسمع هذه السمجات تتكرر.
ثورات رغيف الخبز تعد خروج على الحاكم، وعلى الله تفسر.
المرأة في سلم المجتمع على درجة ثانية، تبعيتها أزلية للذكر قدرها المقدر.
المرأة ممنوعة من الحب والاختيار، في عرف مجتمعات مهترئة تجذر.
النساء على مذبح شرف الرجولة للموت كل يوم تصدر.
الأقليات تسبى نساؤها، يقتل رجالها، تنهب أملاكها، ترحل، وتراثها يدمر.
عقولنا مستسلمة تهيمن عليها قوى ظلامية لاإنسانية، فأي اصلاح وتغير سيتعثر.
حقوق الإنسان تداس كل يوم، والمطالبة بها تعد من أعصى الكبائر وأكبر.
فعقلنا لن يتحرر.

أحبتي، أصدقائي، إخوتي ...
اليوم نقف على أطلال عقلنا، ما لم ننقذه من نزاعه بصحوة، غدا سنتحسر.
نحن لسنا من هذا العصر، فعصرنا قد أفل وأغبر.
وجودنا بات أقرب الى الانقراض منه الى البقاء، فكل يوم يمر انقراضنا يتقدم أكثر وأكثر.
ما دمتم صامتين، فكيف لوطن يحمل أوزار هموم هذه الأفكار سيتغير؟
لن نتحرر... ما دام العقل معطلاً معطلاً معطلاً مصفراً.

لعبة الاسياد والعبيد

سيدٌ أنا بإرادتي وعبداً انت بإرادتي. مأزق
لا مخرج منه. ستبقى دمية، بقائك وفنائك
تحركها أناملي. أنت لست أنت، ما دمت انا
الأقوى. فالأرض وما عليها ملكٌ لي. أنا من
يرسم قدرك، إنها مشيئتي.

عشية انتهاء الحرب العالمية الثانية تشكل مجلس الأمن الدولي، فيه خمس دول يؤلفون الأعضاء الدائمة العضوية في المجلس وهم: الولايات المتحدة الامريكية، وفرنسا، وبريطانيا العظمى وإيرلندا الشمالية، والصين، والاتحاد الروسي -حاليا-. هذه الدول تمثل القوى الأعظم في العالم، المحتكرة له والمهيمنة عليه في معظم مجالات المعرفة، والاقتصاد والسياسة الخ.... يشكلون دول مركز في دائرة المكون العالمي، يلي دائرة المركز في الأهمية، دول أقرب الى الحضور المعرفي، والتطور التقني، والعلمي، وصيانة الحريات الفردية، وحقوق الإنسان لدول المركز من دول دائرة المحيط التي تشكل أغلبية سكان العالم.

دول المركز تتقاسم العالم، بينها تفاهم متبادل شبه دائم، ومناطق نفوذ متفق عليها. دول المحيط تتقاسم الهموم بينها صراع دائم إما محلي او إقليمي. فيها السلطة تسعى للحفاظ على مكانتها. الدول العظمي تتضامن مع زعماء دول المحيط أو مع شعوبها حسب مصالحها. يهمها دائما عدم استقرارها، فلو تم فلن يتم الا لبعض حين. فتسعى لهدمها بكل الوسائل المتاحة.

دول المحيط - دول نامية - رسم الاستعمار حدوداً وهمية لها، ونصب عليها زعماء. كلاهما - الزعماء والحدود - يخضعان للتغيير حسب ظروف العرض والطلب العالمي النفعي لمصلحة دول المركز. دول يبتليها الجهل والأُمية، والفقر والمرض، والبطالة، والفساد العام. وتنعدم فيها الحريات، وترتبط بدول المحور كمستودع

ثـروات، وسـوق واسـعة لاسـتهلاك منتجاتـه. تكـثر فيهـا الأيـدي العاملـة الرخيصـة، فتسـتغلها الـشركات الضخمـة العابـرة للقـارات. فيهـا يلهـث الفـرد ليصـارع مـن أجـل بقائـه والحصـول عـلى وظيفـة، وسـكن، وشريـك حيـاة، وعدالـة، ومسـاواة، وعـلاج صحي الـخ...

دول المحيـط تنقصهـا الخطـط التنمويـة، والإبـداع، والابتـكار، ويتسـلط عليهـا مفهـوم الخضـوع للحاكـم ولرجـال ديـن، يزرعـون في عقلـه منـذ صغـره تفوقـه الدينـي التقليـدي عـلى كل المكونـات الدينيـة في العـالم. بذلـك يغيبـون بقصـد وبـدون قصـد روح العـصر- القـرن الحـادي والعشريـن- مـن مبدئيـين مهمـين: أولهـما. " أنّ النخـب الثقافيـة، مفكـرو الامـة هـم أسـاس، وسـياج البنـاء الحضـاري للوطـن"، وثانيهـما: "أن الديـن جـاء لـكل زمـان ومـكان ليمـلأ الانسـان بالروحانيـات ". بذلـك تفقـد شـعوبها جوهـر سـعادتها، لتسـقط في أتـون الجـوع، والعـري، والمـرض، والعـوز الـخ... والاسـتثناء الوحيـد الـذي يتمكـن مـن العيـش ببحبوحـة هـم أقليـة مـن أصحـاب رؤوس الأمـوال وحاشـية الزعـم وزمـره مـن الأحـزاب. كـما تـزداد في هـذه الـدول سـنويا ديونهـا، يضـاف اليهـا فوائـد الأمـوال المقترضـة مـن بنـوك دول المركـز. لتقـع فريسـة بيـد دول المركـز، ولحسـاناته ليتكـرم، ويعطـف عـلى رعاياهـا ويقـدم لهـم معونـات، ومسـاعدات تحـت مسـمى إنسـاني بشـكل مسـتمر، ودائـم.

العـالم، لعبـة أسـياد وعبيـد. اللعبـة، ليسـت مبـاراة وديـة عالميـة بين فـرق تتسـابق فيهـا الـدول لإحـراز المرتبـة الأولى في القيـم، والأخـلاق، والعلاقـات الإنسـانية. بـل صراع مريـر طاحـن يتخطـى كل القيـم البشريـة ويدوسـها مـن أجـل إخضـاع الـدول واسـتعبادها، وإذلالهـا، والسـيطرة عليهـا بطـرق شـتى بـدأ مـن اللـين الناعـم البنـاء، وانتهـاء بالقسـوة الخشـنة المدمـرة، وتقسـيمها إنْ دعـت الـضرورة لذلـك. لعبـة الأسـياد والعبيـد، لعبـة الأقويـاء ضـد الضعفـاء، ليصبحـوا فيهـا تابعـين بيـد حفنـة مـن الـدول التـي تتحكـم في العـالم. إنهـا لعبـة الإنسـان منـذ فجـر التاريـخ. مـن سـماتها الانتقـال وليـس الثبـات، والدليـل سـقوط حضـارات، وإمبراطوريـات، وممالـك وعـروش. إنهـا لعبـة بقـاء. الجنـس البـشري شـئنا او أبينـا، رضينـا او رفضنـا، فاللعبـة قائمـة مسـتمرة لانهايـة لهـا. الصراعـات، والحـروب التـي جـرت في المـاضي، وتجـري في الحـاضر، وسـتجري في

المستقبل سببها الاقتصاد - رأس المال وحركته – فعلينا ان لا ننخدع بالأباطيل التي تروج على أنها حروب عرقية، او دينية الخ... هي حروب وصراع للاحتكار وللسيطرة على موارد الدول الضعيفة وتقاسمها بين الدول القوية ومن يدور في فلكها، خاصة في عالم اليوم تلك التي لها عضوية دائمة في مجلس الأمن. فهي التي تسير العالم وتتقاسمه، وتوزعه، وترسم حدوده بتوافق بينها، واتفاق على إدارة شؤونه. مهما تصاعدت حدة التوتر بينها فإنها لن تتقاتل، فهناك حكام، ودول، وشعوب، وجنود - مرتزقة - متوفرون ينتشرون في كل بقاع الأرض يقومون بهذه المهام نيابة عنها، يمكن نقلهم بسهولة للقيام بما يخططون، ويوفرون لهم المال والسلاح والدعم اللوجستي، والسياسي، حتى في مجلس الأمن أيضا، للتغطية على جرائمهم.

الدول التي تعيش هذه العبودية العالمية قليلا ما تشعر بها، لأنها غير مثقفة، ومخدرة وفق أجندة خارجية، وداخلية صارمة محكمة، تخضع لحكام مسيرين من دول المركز، ولفكر عالمي ومحلى متزمت صلب ثابت اجتماعيا، وتربويا، وثقافيا، ودينيا الخ... لا يعير أهمية للحريات. أي نهضة داخلها تدعو للتغيير تقمع بصرامة، بمنهجية خبيثة على أنها ضد ثقافة المجتمع بكل عناصره. وضد كل من يقوم على إدارته، معززة من قبل السادة في حال أرادوا بقاءَهم، او عزلهم في حال التخلص منهم. لذلك تميل هذه الدول الى المحافظة على تقاليد الماضي. شعوبها دائما أقرب الى الجهل والأمية من غيرها، على الرغم من توفير سبل الحياة ذات التقنية العالية، مقابل عدم توفر الثقافة التي أدت الى الوصول لهذه التقنية. مما يؤدي الى وجود فروق طبقية وبطالة متصاعدة وانعدام الخطط التنموية، وارتفاع صاروخي في المواليد.

ضمن هذا الزخم العالمي يقع عالمنا العربي في قلب دول المحيط، التي لا يملك أحدٌ فيها استقلال القرار في خوض لعبة الأسياد والعبيد. دول فيها يعد الإنسان نفر، رقم على هذه الرقعة من الأرض مسلوب الإرادة. ما يزيد الأمور سوءاً هو إخضاع الزعماء لشعوبهم وممارسة ضغوطهم عليهم بكل الوسائل المتاحة

علـى معظـم مظاهـر حياتهـم. فتتولـد صراعـات تتوهـج قـوة واشـتعالا، فـلا تلبـث أنْ تخمـد بسرعـة لتعـود الى المربـع الأول... لمـاذا لم يكتـب لهـا النجـاح؟ لأنهـا لا تقـوم عـلى مبـادئ ثوريـة، وأسـس فكريـة صحيحـة، لأن شـغلها الشـاغل هـو تغيـير النظـام وليـس تغيـير حيـاة المواطنـين. هـذا النمـط مـن الحيـاة يفقـد فيهـا المـرء بصيرتـه لفـترة، ليعـاود مـن جديـد صراعـه مـن أجـل البقـاء. صراع يتلـوه صراع. صراع مسـتمر، معركـة لا تتوقـف فـلا نهايـة لهـا أقلهـا لعقـود قادمـة. الى أنْ تتحقـق تطلعات الشـعوب المقهـورة في سـعيها للظفـر بالحريـات وبنـاء مجتمـع علـماني.

لعبـة الاسـياد والعبيـد، لعبـة اقتصـاد عالمـي، كوكـب الأرض مسـاحتها، اليابسـة والمـاء والسـماء رقعتهـا، ثـروات الأرض النفيسـة وجغرافيتهـا هدفهـا، التنقـل عـبر آلام الشـعوب سياسـتها، تقسـيم العـالم الى طوائـف، وأديـان، وأعـراق، وطبقـات استراتيجيتها. يمتلكـون قـوة المعرفـة، ورأس المـال، وترفيـه شـعوبهم والإعـلام العالمـي. يتمتعـون بحريـة مطلقـة في تسـخير كل مـن هـم دونهـم لمصلحتهـم، وتقسـيمهم البـشر الى أعـراق، وطوائـف، ومجموعـات. يسـتثمرون في تعيـين، وحمايـة قـادة هنـا وهنـاك ليكونـوا اتباعـاً ومناصريـن لهـم لتحقيـق أهدافهـم المرسـومة. هـذه القـوة تجمـع الأضـداد، بواسـطتها تُحكِـم سـيطرتها بالقـول بالفعـل وبالعمـل. فيهـا يأنـس الإلحـاد بالإيمـان، ويمتـزج التسـامح بالانتقـام. ويعانـق الحـب الكراهيـة، ويـذوب العطـاء بالسرقـة، ويبتسـم الكـذب للصـدق، وتغمـر الشـعوب بإنسـانية مبالغـة تتشـح بالأحقـاد. أمـا نحـن العـرب فسـنبقى مخدوعـين، مضللـين، هـم يصنعـون السـلاح والحـروب، وهـم مـن يحـدد نهايتهـا وأوقاتهـا ويضعـون الحلـول السـلمية والقـرارات والمعاهـدات بـين الـدول المتنازعـة. وهـم يعملـون عـلى تطبيقهـا، او المماطلـة بهـا، او التغـاضي عنها.

الكـرة الأرضيـة تتسـع لـكل شـعوب الأرض، لكـن اسـتيعابهم قائـم عـلى مـدى تبعيتهـم للقـوى العظمـى. فـكل مـا تقـوم بـه الشـعوب مـن نضـالات في معظمـه مـا هـو الا تطلعـات المقهوريـن الباحثـين عـن حريتهـم في نفـق الظلـم الإنسـاني. بعـض مـن أولئـك سـتحركهم قـوى محليـة وخارجيـة بمـا يتناسـب ومصالحهـا لإفسـاد مشـاريعهم

الثورية، كي تبقى فيها أمنيات المواطنين "أمنيات مواطن خائب"، يحمل مصيره لمستقبل مجهول. فمنذ ظهرت الحياة على الأرض، يسير البشر على هذا الإيقاع الثابت، على هذه الوتيرة ينتقلون من حرب لأخرى. التاريخ البشري شاهد على هذه الدراما المتكررة عبر الزمن، شاهد على هبوط وصعود الحضارات. الحضارة مثلها مثل الإنسان تمر بمراحل الطفولة، يتبعها المراهقة، ثم الشباب ومهما عمرت لا بد ان تشيخ، وتذوى وتموت وتدخل متحف التاريخ. الحضارة تنتقل من مكان إلى آخر، وليست ملكا أبديا لأحد.

دول المحيط لا تملك حق اختيار مصيرها كما تريد، بل كما تريدها، وتراها، وتخطط لها دول المركز فالاستقلال الوطني لن يتحقق ما دامت الانقسامات تبارك من قبل دول المركز، واستقرارها يكمن بالتبعية الشبه كاملة لها. سيبقى السؤال الخالد، الوجودي، المُلح، المهم، الذي ستستمر الأجيال العربية الحالية، والقادمة في طرحه، متى سنبنى حضارة حديثة؟ حضارة تربط الأصالة بالحداثة، وتسعى لإيجاد مكان لها تحت الشمس. بديلا عن حضارة تحتضر تعيش في قسم الإنعاش العالمي، تعيش في الماضي.

سيستمر المسلسل اللاإنساني في دهائه وخبثه لا يردعه واعز أخلاقي، او ضمير. واضعٌ المصلحة الذاتية فوق كل اعتبار إنساني، فوق جراح الإنسانية المعذبة. إنه عالم الشيطان. عالم يحركه بضع أفراد يسيطرون على الاقتصاد العالمي ورأس المال. من واجب الفلاسفة، وعلماء الاجتماع والنفس والسياسة الخ... تفسير العالم على أسس علمية صحيحة، ووضع حلول إنسانية له تكفل لجميع البشر السعادة، والسلم العالميين، والعمل على تطبيقها.

الحرية ممنوعة حتى اشعار اخر

في هـذه الخاطـرة، أقـدم مسلسـلاً للعائـق الأكـبر المانـع عـن الإفـراج عـن الحريـة الا وهـو "الكتـاب"... سـنبقى ضائعـين في هـذا الزمـان. مـا لم نضـع قـراءة الكتـاب –الى جانـب الكتـب الدينيـة - كأسـمى عنـوان. بغيـاب الكتـاب لـن يتحـرر الفـرد، ولـن يتحـرر المجتمـع مـن أغلالـه التـي تكبـل كل مسـعى للتغيـير.

المواطن يبحث عن الحرية
الحرية تحتاج إلى مفكرين
والمفكرون يحتاجون إلى فكر
الفكر يحتاج إلى وعي
والوعي يحتاج إلى ثقافة
الثقافة تحتاج إلى تربية
والتربية تحتاج إلى فلسفة
الفلسفة تحتاج إلى فلاسفة
والفلاسفة يحتاجون إلى كتب
الكتب تحتاج لعدم منع
وعدم المنع يحتاج إلى قرار
القرار يحتاج إلى إطلاق
والاطلاق يحتاج إلى توقيع
التوقيع يحتاج إلى وزير
والوزير يحتاج إلى موافقة الحكومة
الحكومة تحتاج إلى موافقة رجال الدولة
ورجال الدولة يحتاجون إلى موافقة رجال الدين
رجال الدين يحتاجون الى مرجعية
والمرجعية الدينية تحتاج إلى علماء لاهوت
علماء اللاهوت يحتاجون إلى إشارة من الله

والله يشير الى العقول التي خلقها منفتحة
العقول المنفتحة معظمها منفي في السجون والمعتقلات
السجون والمعتقلات تحرم نزلاءَها من الكتب
والكتب كابوس يؤرق منام رجال الدين والدولة
ما يؤرق المنام يعد محرمٌ
بذاك تمنع الكتب ويطارد كتابها
فتقل فرصة الثقافة
ويجهل المواطن
فيكرس الجهل بغياب الثقافة
ويصبح الجهل مصدر قوة للمنتفعين
بذلك نحافظ على ديمومة تخلفنا.
ونغتال الحرية.

أتمنى ان نتوقف عن هزم الذات وجلدها، بالقول: "لمن نكتب؟؟؟؟؟!!!!!"، ندرة هم من يقرأون". هناك ألوف من كتاب وأدباء وشعراء وفلاسفة الخ... في عالمنا العربي ألّفوا، وترجموا، وكتبوا، أقرأوا لهم، ولغيرهم لتستقلوا من تبعية وعبادة الفرد ومن ينتفعون.

ما احوجنا للكتاب في عالم اليوم. هو المشعل الذي بغيره لن نتمكن من بناء فكر واعي يقودنا نحو الحرية.(١)

(١)ذكرت نتائج خلصت اليها لجنة تتابع شؤون النشر تابعة للمجلس الأعلى للثقافة في مصر ما يلي: "الفرد العربي لا يقرأ سوى ربع صفحة سنويا وفي الولايات المتحدة ١١ كتابا، وفي بريطانيا ٧ كتب. كما ينشر العالم العربي ١٦٥٠ كتابا سنويا، بينما الولايات المتحدة وحدها تنشر ٨٥٠٠٠ ألف كتاب سنويا.

الاحترام قبل الحرية

المجتمع الذي يضع الحرية قبل الاحترام
لن يحقق أي منهما. المجتمع الذي يضع
الاحترام قبل الحرية يحقق كلاهما. كما أن
العدل أساس الحكم، كذلك الاحترام أساس
الحرية.

الشعوب المتحضرة، تعتبر الاحترام قيمة عليا ومدخلا رئيساً للتعامل الإنساني بين البشر. في مجتمع لا يحترم فيه مواطنوه بمساواة تامة كاملة غير منقوصة، تؤكدها الثقة المتبادلة بينهم وتحميها قبل أنْ يحميها الدستور، يكون من المستحيل والصعب المطالبة والسعي لتحقيق الحرية فيه. الاحترام يسبق الحرية في التطبيق والمعاملة. الاحترام بوابة العبور والطريق للحرية من دونه تكون الحرية مجردةً وهماً وسراباً، وقبض ريح.

الحرية هي التخلص من عبودية كل ما يقلقنا، ويقيدنا اجتماعيا، سياسيا، وطنيا، روحيا وفكريا. والانعتاق من سيطرة، وتدخل وتنظيم كل من يقيد أسلوب معيشتنا بفرض نمط حياة وفكر معينين علينا. الحرية إما أنْ تكون أو لا تكون. فليس هناك أنصاف وأشباه للحرية، وليس هناك فرق بين حرية بشر وبشر مهما كان الاختلاف بينهم في اللون، والجنس، والعرق، والدين إلاّ في منطق المنافقين، والعنصريين، والظلاميين.

منذ فجر التاريخ يناضل الإنسان من أجل حريته، ليحقق هدفه السامي للانعتاق من العبودية، استعمل وسائل عدة منها المسلحة ومنها السلمية ليسترد حقه الطبيعي الخالد ليتحرر من قيوده، ليتمكن من استخدام حريته بمسؤولية. الحرية ليست عطية من البشر ولا منّة منهم يتكرمون بها على أحد، وإنْ ظهرت العبودية قديما أو حديثا فهي انتهاك لحق الإنسان في العيش بكرامة ككائن

بـشري لـه عقـل وروح وجسـد. عبوديـة الإنسـان عبوديـة الجنـس البـشري في يأسـه مـن تحقيـق حريتـه الذاتيـة ليتجـه وبغـير حـق إنسـاني إلى عبوديـة غـيره.

خـلال مسـيرة حياتنـا نركـض، نلهـث ونقاتـل مـن أجـل اسـترجاع حريتنـا المفقـودة. شـوقنا وحماسـنا للحريـة وللتغـير قويـين، إلاّ انهـما في سـبات مـن صنعنـا مـن ترددنـا، مـن خوفنـا عـلى كل مـا يحيطنـا مـن أحبـة وأرزاق، والخـروج عـن طاعـة قياداتنـا، مـما أثـر عـلى دوافعنـا وشـكلها. فبالرغـم مـن عزمنـا وعزيمتنـا لاسـتردادها، فإننـا فقدنـا معناهـا وكيفيـة التعامـل معهـا فيـما بيننـا لأننـا أضعنـا الاحـترام خـلال صراعاتنـا الداخليـة. لهـذا بالتحديـد نحـن لا نسـتطيع أنْ ندقـق ونحـدد ونعـرف لـون الحريـة، ونوعهـا التـي نسـعى اليهـا، وكيـف نطبقهـا، ولا حتـى نعـرف طبيعتهـا وغرضنـا منهـا، وحاجتنـا اليهـا للعيـش باسـتقلالية. المهـم أنْ نكـون أحـراراً؟ لا نـدري هـل يكـون هدفـاً لذاتنـا أم كـون هدفـاً لمـن يسـتغلنا، مـع أننـا لم نحـدد بعـد مـن مـاذا نتحـرر، نطالـب بالحريـة؟ لأننـا نفـترض أننـا ضحايـا ظلـم، بالحقيقـة نحـن كذلـك. الحريـة التـي نطالـب بهـا لا نـدرك عمقهـا، لا نـدري الى أيـن توصلنـا مـع هـذا نسـتمر بالمنـاداة بهـا. ننـادي بهـا عـسى أنْ يقطـف الجميـع ثمارهـا وليـس البعـض منـا، لأنهـا بذلـك لـن تدعـى حريـة. هـي ليسـت لغـز، هـي حيـاة وامـل ومسـتقبل وتطـور لحـل معظـم قضايانـا العالقـة التـي عمقـت الاختلافـات بيننـا فظهـر الفقـر والبطالـة، وعـدم المسـاواة، والتمييـز، والطائفيـة الـخ... علينـا أنْ نحققهـا بالرغـم مـن كل الصعوبـات التـي تواجهنـا فلنبـدأ اولا باحـترام التنـوع والاختـلاف فيـما بيننـا.

كيـف نحقـق الحريـة في غيـاب احـترام العدالـة الاجتماعيـة؛ نهـين، نحبـط ونـزدري أصحـاب العقـول والكفـاءات وكل صاحـب معرفـة قـادر عـلى إحـداث الإصـلاح والتغيـير الضروريـين للخـروج مـن أزمتنـا الحضاريـة وهويتنـا الثقافيـة العائمـة فـوق مسـتنقع الجهـل والتخلـف والخرافـات. لـن يتحقـق ذلـك كلـه مـا لم نضـع الرجـل المناسـب في المـكان المناسـب، وتقيؤنـا مفهـوم القبليـة الجامـدة الصارمـة والمحسـوبية والعائليـة والفوقيـة والطائفيـة والحزبيـة الـخ...

نطالب بحرية العبادة فلا نجدها.... أتساءل أين حرية العبادة في مجتمع لا تحترم وتزدرى فيه عقيدة كل من هو آخر مختلف عن غيره من الأديان، ونصنفه في طبقة ثانية دونية في وطنه التاريخي، والجديد المهاجر اليه لاجئ يبحث عن أمل وحياة. نوسم إيمانه بما يعتقد كفر، وعبادته طقس شيطاني ويحرم عليه إشهار رموزه الدينية، وقد تتعرض للتحطيم أيضا، وتحرق بيوت عبادته وتفجر، ويمنع من بناء دار للعبادة، وتحرم عليه المناصب الحكومية والإدارية، ويلغى دوره التاريخي من مناهج التعليم الدراسية، ويتعرض لإهانات ومضايقات، ويعتدى على أملاكه وأرزاقه، وحلاله ورعاياه ويتحرش بنسائه وأطفاله ويختطفون، وتمنع كتبه المقدسة من التداول ويعاقب إنْ خرج عن هذه القوانين. أين الاحترام؟ - أليس هذا ازدراء للأديان؟ - ... وعن أي لون من الحرية نتحدث ؟!عندما نصمت عن كل من أثار الساذج والجاهل والمعوز وحركهم خلافا لإرادتهم لتنفيذ مآربه ومقاصده الخبيثة المدمرة للمجتمع عن طريق العقيدة او الفكر. فهل من العدل والاحترام أنْ يصان حق الأكثرية وحق الأقلية لا يصان؟ ألاّ يدعى ذلك ازدراء بالأقليات؟

نطالب بحرية الرأي والتعبير، والإعلام الحر، فلا نجد صدى لمطالبنا ... أتساءل أين حرية الرأي والتعبير في مجتمع لا يحترم فيه الأدباء والشعراء والكتاب والنقاد والصحفيون والإعلاميون؟ أين احترام الكلمة عندما نضع الضوابط والمرابط ونحدد المساحة التي يحق فيها الكتابة. أين احترام القلم الذي قد يقتل صاحبه لسبب تافه، لأنه وبكل بساطه لم يتقيد بسياسة الحاكم ورجل الدين. معظم أدبائنا يعيشون في عوز، يطاردون، يحاسبون على ما سطر قلمهم وما جاءوا به من أفكار تنهض بحضارة الوطن. هناك من تاجر منهم بقلمه، فباع نفسه للشيطان، عوضا أن يكون ضمير الشعب أصبح ضميرا لكل من يملي عليه، ويشتريه بالمال، أين الأمانة المهنية؟ أليس هذا خيانة للدين والوطن. أين الاحترام في مجتمع كل من خالفنا فيه الرأي نلصق به تهمة، نشوه سمعته، ننعته بالمدسوس، بالعميل، ومزدرى الأديان. لماذا لا نقارع الحجة بالحجة، والرأي بالرأي، والكلمة بالكلمة، والمعرفة بالمعرفة، والمرجع بالمرجع، والحقيقة بالحقيقة، والمنطق بالمنطق، وما يخدع الحواس نخضعه للبحث، وما لا يقنع العقل نرفضه

في مجتمع جامد يعسر ولا ييسر، ولا يساهم في إنقاذ حضارته من الاضمحلال.

أين الحرية في مجتمع يقيد المرأة ولا يحترمها، يستخف ويقلل من قدراتها وطاقاتها. يحدد أخلاقها بمقدار عريها، وعقلها بحجم أنوثتها ومشيتها، وحسناتها بمقدار طاعتها، وكرامتها بمقدار صمتها على غلبها، وبركتها بمقدار كتيبة تلدها، وسكوتها دليل على رضاها، وتحميلها مسؤولية نظرتنا وشهوتنا الجنسية، واتهامها بهبوطنا وتخلفنا وسقوطنا وكل بلوانا جاءت لسبب منها. أليس هذا ازدراء للأم، والأخت، والزوجة، والابنة أيضا.

الفن والفنون المختلفة، تعابير مشرقة عن الواقع الإنساني ورقيه وإرثه السامي التاريخي والمعاصر، من خلال رموزه وحركاته وأعماله وكلماته، وألوانه، ومنحوتاته، وألحانه، وأفلامه، ومسرحياته. فلماذا ننتقص من احترام الفنون والفنانين ونزدريهم، ويشطح البعض عمدا الى الغائهم، محاسبتهم واتهامهم بما يندى له الجبين. لماذا؟ ولماذا؟ ولماذا؟ أسئلة كثيرة يطرحها المنفتحون يا سادة. الحقيقة وبكل بساطة هو متابعتهم لجمالها، لفلسفتها التي تحمل الأمل وترفع الألم عن معانتنا بأسلوب يعزز شعورنا بلغة عالمية إنسانية مشوقة تعانق أجسامنا وعقولنا وأرواحنا. هم من يحرك كل فئات الشعب، هم من يوقظ أحاسيسنا ويدفعها للعمل الإنساني الراقي. دائما الفنانون أقرب الناس الى المستمع والمشاهد لأعمالهم. بهم يقتدي الصغير والمراهق الخ... بكلماته وإيماءاته، وحركاته، وألفاظه التي تعبر عن مشاعر وأحاسيس الناس. هم القادة الأقرب الى القلوب، لذلك يعمد المغرضون الى اتهامهم بتقويض أخلاق وسلوك المجتمع، فلهم كل لاحترام والتقدير.

الغريب في الأمر، هو ملاحظة معظمنا لغياب الاحترام، وتصاعد الازدراء، والتغاضي المقصود بشكل لا يحتمل على كل التجاوزات التي تواجه أبناء المجتمع. فلا نجد سخطاً او غضباً في الأوساط المسؤولة او حتى عتباً على ما يجري من تعدِ على حرية الانسان بين أبناء الوطن الواحد ... أتساءل كيف كبشر نحتمل السكوت على ما هو غير محتمل؟ لن ننعم بالحرية ولن نحققها ما لم يحترم الدستور

والسلطة القضائية والتنفيذية وأجهزتها المواطنين جميعا بنفس المقدار. وسنبقي نردد أن الفساد يغزو الوطن، ويطارد الشعب من بين الشقوق والجدران، وليس هناك امرؤ يدان. فدون احترام اختلافاتنا، ورضانا وقبولنا لها وبها، من أعلى القمة حتى قاعدة الهرم لن يكون لنا وطن ننعم فيه بالحرية والشفافية والأمان.

متى سيتولد لدينا شعور لمقاومة كل من يظلم، ويزدري، ولا يحترم الإنسان، ويسيء للحريات ويقف مانعا من تحقيقها وضدها. دائما نردد، نؤكد ونعترف بأنهم يخطئون في تصرفهم ودوافعهم اللاإنسانية. اذن لماذا التستر عليهم ولمصلحة من؟؟؟ متى سندرك أنّ الاحترام حق وواجب، وإنه النافذة لتقوية أواصر الألفة بين أبناء الوطن وتكاتفهم؟ متى سندرك أنّ قيمة الاحترام هي مفتاح الحل لكل ما يعيق نمو وتطور مجتمعاتنا في كل مجالات الحياة.

معظمنا يرى الأخطاء يتناسى ولا يتساءل، إما لمصلحة ذاتية، أو خوفا من أنْ يخسر موقعه، أو من تهمة تنتظره، لماذا نترك أمورنا المهمة دون حل؟ هل لأن هناك من له أجندة خاصة يعمل من خلالها للتسلط على الآخرين وقمعهم وعدم احترامهم؟ ... السكوت سيجعل من التسلط قانونا تسقط عنده كل العلاقات الإنسانية والقيم بين الشعب. وطن لا يحمي قيمة الاحترام بين مواطنيه لا يمكن أنْ يدعى مجتمع يعيش بكرامة وبحرية، وبديمقراطية.

الاحترام قيمة جوهرية مقدسة تضم بين جناحيها كل مكونات المجتمع، يستحيل أنْ نبني اوطاناً قائمة على أعمدة الحرية، ما دمنا عاجزين عن تربية أبنائنا وصهرهم في بوتقة فلسفية تربوية سليمة على قيمة الاحترام. كما لن ننعم ونتذوق طعم الحرية في وطن ننتمي لترابه ما لم نشعر بأن لكل مواطن فيه "له قيمة الاحترام". في غياب الاحترام ينعدم تطبيق الحرية، فيزدريها كل طاغية ومن سار في ركبه، ويزدري معها الفكر الحضاري الإنساني الثقافي المحلي والعالمي وينبت البغض والكراهية والانتقام.

لا لوأد حرية الرأي والتعبير

وهب الله الإنسان عقلا ليفكر، ووهبه الضمير ليميز
بين البدائل المختلفة، والحرية ليختار منها ما يلبي
أحلامه باستقلالية.

انتماء الإنسان لأرض علاقة لا تنتهي، ولشعب علاقة احترام مستدامة، ولكيان مجتمعي يخطط لبناء مستقبل مشرق نهضوي، لن يتحقق الا من خلال دستور يؤكد، ويضمن، ويعترف بحرية الأفراد والجماعات، فكرا، وقلما، ولسانا، بعيدا عن أجهزة الأمن القمعية، والدينية المتعصبة المتشددة.

طبيعة الحياة في العالم الثالث ، مزيج من دين، وموروث من العادات والتقاليد، ونظم وطبائع أقرب الى القبلية ، وتربية وثقافة معظمها يخضع لأمزجة الحكام والقائمين على المؤسسات المختلفة في المجتمع، فمن يخرج عنها وعليها، او ينقضها، او ينتقدها، ولا يتآلف أو يتعاش معها مرفوض، ليخضع بالتالي لأحكام القانون تحت مسميات مختلفة، منها المساس بأمن الدولة، سلامة المجتمع ووحدته، انتهاك حرمة الأديان وقدسيتها. مما يعني فرضا، وقسرا، وإجبارا، وخارجاً عن حريتك عليك أنْ تعيش في مجتمع تخضع فيه لإملاءات مؤسسات الدولة المختلفة التي تقيدك بحماية الدستور لها، لتسجل فيها حضورك جسدا دون إرادة أو عقل. فرض عدم التغير يصبح عندها قيمة اجتماعية مقدسة يعتز بها مطبقيها، مما يعني لا مبالاة وعدم اكتراث للفكر الإنساني، تباعا لذلك تكرس مصالح القائمين المنتفعين بشكل خاص على المؤسسات بدهاء مدروس يعزز مواقفهم، ويسند مصالحهم، ليتمكنوا من عزل المواطنين بالقانون عنهم ، بموجبه يقسمون المجتمع الى طبقات، أقرب ما تكون الى الأسياد والعبيد، تكتسي لباساً عصرياً منمقاً يغرر البسطاء الجهلاء، بينما باطنه ضبابية لحرية هلامية .

أي مؤسسة اتخذت قرار مصادرة وتحجيم الحريات؟ بشكل خاص حرية الرأي والتعبير والغائهما. ما الهدف من اتخاذ القرار؟ لماذا اتخذ هذا القرار؟ الخ.. عشرات الأسئلة تدور حول مصادرة حرية الرأي والتعبير في العالم الثالث.

معظم المؤسسات الدينية المسنودة من السلطة الحاكمة تتحدث عن العمل بإرادة الله... أتساءل ما هي ارادة الله؟... في رأيي إنْ تعدّت ارادة الله المحبة، والسلام، والخير العام، والسعادة للبشرية جمعاء، تعد خديعة للسيطرة على ما يمكن أنْ يمثله الانسان من قيم، وما يقوم به من سلوك، وما يحمله من أفكار. وإنْ تخطي الفرد حدودها يصبح هدفا يرجم ويحارب، لأنه لا يسير حسب منهاجيتهم وتصورهم الديني، وطقوسهم، وسلوكهم ، فينجحون في وأد حرية التعبير والراي. نتيجة لهذه الازمة، فإن طموحات الفرد وأحلامه في الخروج وتغيير أعراف المجتمع، وقوانينه الجامدة البالية تعد ضربا من الجنون، لأنه سيصطدم بوحشية لا ترحم، تعمل على استئصاله وفكره أيضا من مجتمع يريدونه أنْ يكون حصنا محصناً ضد التغيير. هناك مفكرون خاطروا، مستندين الى إرادتهم، وعزيمتهم، وشكيمتهم القوية، على معرفتهم وملكات عقلهم الهائلة، أبحروا، مغامرين بحياتهم في معركة حرية الرأي والتعبير، وعبروا عن ذاتهم وعن إرادتهم وعن علومهم، وتحدوا القوانين المائعة ومن يمثلها. لهم مني كل الاحترام والتقدير، لعزيمتهم، وثقتهم بأنفسهم، وما يمثلون من رسالة انسانية تساهم في نقلة نوعية معرفية.

الله لا يكره الانسان على ما يجب أنْ يفعل، الإنسان باسم الله يكره أخاه الانسان على أنْ يفعل ما يجب. الأمور لا تحل بالإكراه، بل بنضج وتنوع فكري، يخضع لجدلية المنطق، والحجة، والبرهان. لا يمكن أنْ تجبر الناس على الإيمان بما لا يعتقدون، أو ممارسة ما لا يريدون. تطور الأديان عبر التاريخ صاحب التطور العلمي. العلاقة بين الخالق والمخلوق استمرت موازية للتقدم الحاصل ومرافقة له لا خارجة عليه... عبر العصور عجزت الأديان عن قولبة العقل ، وعن تشكيل مساحة الحرية للإنسان التي يجب على المرء أنْ لا يتجاوز حدودها، وعجزت عن منع حرية الرأي والتعبير عبر التاريخ البشري.

فرضهـا لقوانـين عقابيـة لمـن يخـرج عـن طاعتهـا وممارسـتها، لم يمنـع المفكريـن مـن تقديـم تفسـيراتهم ورؤياهـم للحيـاة والكـون، بالرغـم مـن اغتيالهـم، وقتلهـم.

محاكـم التفتيـش، ولـدت عنـد المسـيحين شـعور بالخجـل تجـاه اسـتخدام القـوة والتعذيـب والقتـل للمفكريـن. هـذه المحاكـم لم تسـتمر قرونـا، توقفـت لأن المفكرين، والعلـماء، والفلاسـفة المؤمنـين بقـدرة الله والعقـل، خاطـروا، وغامروا بحياتهـم، وفسروا وشرحـوا، إلا أنْ وصلـوا الى تطـور علمـي هائـل مسـتمرين غـير مكتفـين لما آلـت اليـه دولهـم، اسـتنتجوا ايضـا أنّ النمـوذج الافضـل للحكـم هـو تبنـي العلمانيـة، الحكـم الـذي ينـادي بفصـل المؤسسـة الدينيـة عـن المؤسسـة السياسـية. العلمانيـة، ليسـت كـما يـروج المنتفعـون، وأصحـاب المصالـح عنهـا في العـالم الثالـث بأنهـا تحـارب الأديان، والفضائـل، والقيـم. في العلمانيـة يتناقـص تأثـير السـلطة الدينية المتشـددة، ويقـل أثرها عـلى الأديـان المنفتحـة. الثقافـات الدينيـة المختلفـة، عليهـا أنْ تعـترف شـاءت أم أبـت، بـأن نتيجـة تشـددها، وعجزهـا مقارعـة المعـاصرة، وطـرح بدائـل أفضـل، أثـر سـلبا عـلى تفكـير اتباعهـا، مـما يفقدهـا سـنويا مسـاحة مـن تأثيرهـا وسـيطرتها. دفاعهـا عـن مواقفهـا دون وعـى أو أدراك، الى جانـب تعصبهـا الاعمـى، دفـع برعايـا لهـا للخروج عن ومـن الصنـدوق الدينـي المنغلـق بمزاليـج وأقفـال متحجـرة نحـو الإلحـاد أو اللادينيـة.

قـرار حظـر حريـة الـرأي والتعبـير، هـل هـو ناتـج عـن مؤسسـة ديمقراطيـة تـم التوصـل اليـه بالنقـاش والنقـد والتفاهـم. أم هـو ناتـج عـن نظـام اسـتبدادي ينفـذ دون الرجـوع الى الدسـتور أو استشـارة الشـعب. أم قـرار ناتـج عـن نظـام أوتوقراطـي شـمولي معـاصرا للحيـاة في القـرن الحـادي والعشريـن ينفـذ وصيـة الـرب. فـرض مؤسسـات الدولـة سياسـتها دون وجـود عقـد اجتماعـي يضمـن الحريـات كافـة بـين المواطنـين، يعنـي إكـراه النـاس عـلى القيـام بمـا لا يريـدون، سـكوتهم لا يعنـي رضاهـم، لأنـه يـأتي مـن خـوف لا مـن قناعـة. فـرض عـدم التغيـير يعنـي افتقـار مؤسسـات الدولـة الى الحيويـة، والهـدف، والقـدرة عـلى النمـو، والخـروج مـن الحـاضر المـزرى، لأسـباب ومنافـع شـخصية، ومـن يزايـد عـلى هـذا الـكلام كاذب، ومنفـاق، ودجـال. هـذا الوضـع يزيـد النـاس إصرارا عـلى المسـاءلة،

وبـذل جهـد أكـبر ضـد أي قـرار لا يعـود بالنفـع عـلى المجتمـع، والمنـاداة بالتغيـير.

حريـة الـرأي والتعبـير محرمـة، لأنهـا تفضـح عوراتنـا، تُشرحنا، تكشـف عيوبنـا، نقائصنا، تخاذلنـا، تراجعنـا، مسـاوءَنا، جهالتنـا ،وممنوعـة لأنهـا تنـادي بفتـح ملفـات، أخطـاء، وفسـاد، ومسـاءلة المسـؤولين الـخ.. - " بتغيـب حريـة الـرأي والتعبـير مسـتحيل أن تنهـض شـعوب العـالم الثالـث وتخـرج مـن كبوتهـا ومـن كل مـا تعانيـه مـن مشـاكل عـلى كل المسـتويات الفرديـة والجماعيـة، والسياسـية، والاقتصاديـة، والاجتماعيـة، والدينيـة."... كل مواطـن بانتمائـه، بأصالتـه، بوعيـه يعـد شريـك في الوطـن، لـه حريـة الـرأي والتعبـير.

١٠- العقل

الله ومعركة العقل

في هذه اللحظة، حول العالم، ملايين البشر على اختلاف مذاهبهم، وأديانهم، وطوائفهم، يصومون، يحرقون بخورا، يضيئون شموعا في معابدهم وبيوتهم، يركعون بخشوع، بعيون حزينة، دامعة شاخصة تخترق السماء بحثا عن حل، يرفعون أيديهم نحو الفضاء الفسيح بحرارة، وبصوت ممزوج بالألم، والحسرة، والمرارة يوجهون تضرعاتهم وطلباتهم، وصلواتهم، لله تعالى، العلي، القدير، المنتقم، القدوس... للاستجابة لهم...

تأكدي، تأكد...أنك...واحدة، واحد من ملايين. ..

المرضى الذين يطلبون الشفاء، والصحة، والعافية.
الجياع، والعطشى، الذين يطلبون الغذاء، والماء.
الفقراء، الذين يطلبون الغنى.
العزّاب، الذين يطلبون الزواج.
التلاميذ الكسالى، الذين يطلبون النجاح.
السجناء المظلومين، الذين يطلبون الرحمة.
لاعبو اليانصيب والقمار، الذين يطلبون الربح.
العاقرات، اللواتي يطلبن حملا بطفل.
المزارعون الذين يطلبون هطول الأمطار، وحصاداً وفيراً..
المضطهدون، الذين يطلبون الحرية.
النساء، والرجال، الذين يطلبون زيادة مراتبهم.
البشر، الذين يطالبون بالكرامة.
المهجرون عنوة من منازلهم ودولهم، الذين يطالبون بالعودة.
ممن يساقون للذبح، الذين يطلبون الرأفة.

الذين يطالبون بمعاقبة السارقين، والمفسدين.
المواطنون، الذين يطالبون موت زعمائهم، وأعدائهم.
البشر، الذين يطالبون بوقف الحروب ومنع ويلاتها .
المحاربون الذين يطلبون النصر على أعدائهم.
المسحوقون الذين يطالبون برفع المظالم عنهم.
الأطفال، الذين يبكون، يئنون، يتحسرون على موت أمهاتهم، وأبهائهم، يطالبون عودتهن، وعودتهم.
النساء اللواتي يطلبن الطلاق، ليتحررن من عبودية الرجل.

مع استمرار انهزام نفسية البعض، ومحدودية ثقافتهم، وانحطاط فكرهم، وضعف إيمانهم، وعدم معرفتهم للطبيعة، وعجزهم عن إحداث تغيير لوضعهم المأساوي بكل الوسائل الممكنة، المتاحة. يدفعهم هوسهم العقلي إلى التوجه للسحر، والشعوذة، والشيطان، وكل غيبية تافهة لينولوا مقاصدهم، ومطالبهم، وأمنياتهم.

بالرغم من كل توسلاتهم، ونذورهم، وصيامهم، وصلواتهم. معظمهم، لا تستجاب طلباتهم، قلة منهم ينال مطلبه. المؤمنون ربطوا التغيير الحاصل "بالمعجزات"، بينما أهل العلم قالوا: "حدث يصعب تفسيره على ضوء العلم في وقتنا الحاضر".

من كثرة الهموم الثقيلة وغير المعالجة، يتساءل، ويصاب الإنسان، بانقلاب فكري يصل في بعض الأحيان إلى مستوى الكفر، وعدم الإيمان ويطرح أسئلة عدة تظهر شكوكه بوجود الله... أين أنت يا الله؟ هل الله في إجازة؟ أهو موجود حقا؟ إن كان موجودا فلماذا يقسو علينا ولا يستجيب لنا؟ لماذا يسمح لكل هذه الشرور، من قتل، وسرقة... أن تحدث ؟ لماذا لا يقف في صفنا لمحاربة أعدائنا؟

الله - الذي أدعوه، وأعرفه: ب" العقل الكوني" – ليس حكرا على أمة واحدة دون غيرها، بل موجود في كل ثقافات الشعوب والأمم على الأرض وإن اختلفت تسميته فلا تختلف حكمته. أستنتج عقليا، بأن الله لا يعمل بأسلوب السائل

والمجيـب، المسـتقبل والمرسـل، المزاجيـة، أو المحابـاة. لسـبب بسـيط، خلقـه للبـشر، كان عـلى أفضـل وأكمـل وأعظـم صـورة، دون التمييـز بالعـرق، واللـون، والقوميـة، والجنس، والمعتقـد. الكتـب المقدسـة تقـول:" خلقنـا الإنسـان عـلى صورتنـا ومثالنـا". فضّـل اللـه الإنسـان عـلى باقـي المخلوقـات، زرع فيـه العقـل ليديـر العـالم بحكمـة ودرايـة، واسـتقلال. لـو أراد اللـه التدخـل في تصرفاتنـا، وشـؤوننا اليوميـة لأبقـي طريقـا مفتوحـاً للتواصـل معنـا بشـكل يومـي، لا يتوقـف عنـد زمـن محـدد، فلـو حصـل ذلـك، لا يكـون معنـى للعقـل ألـذي وهبنـا إيـاه، ويلغـي قيمتـه آليـا.

عالميـة اللـه، تريدنـا أن ندخـل في ثـورة فكريـة دائمـة مسـتمرة، يريدهـا معركـة عقليـة مـع كل الظواهـر الطبيعيـة، والكونيـة لتطويعهـا لخدمـة، ومصلحـة، ومنفعـة الجنـس البـشري. لتعالـج مشـاكله الصحيـة، والنفسـية، والاجتماعيـة، والسياسـية، والاقتصاديـة، والعقائديـة الفلسـفية... بأسـلوب" التـوكل وليـس الإتـكال". المعركـة التي يريدنـا أن نخوضهـا هـي معركـة "العقـل ضـد الجهـل"، لتكـون الغلبـة فيهـا للعقـل.

مـن أجـل انسـجام الإنسـان مـع ذاتـه، وتكامله مـع محيطه الإنسـاني، أوجـد الصيام من أجـل تهذيـب الجسـد، والصلاة مـن أجـل تهذيـب الـروح. والتأمـل الفكـري بالخليقـة، والكـون، وطبيعـة،... مـن أجـل تهذيـب العقـل. والعطاء، ومسـاعدة الآخريـن، من أجل تهذيـب الشـعور بالانتـماء لـلأسرة البشريـة... كلهـا بمجملهـا كونـت صلـب العقيـدة الدينيـة، والإيمـان. وهـي غـير مقتـصرة عـلى ديـن دون آخـر. فـما عـداه يعـد خروجـاً عـلى طاعـة اللـه، وخروجـاً عـلى وحـدة الأسرة البشريـة، ودليـلاً لا يخلـو مـن شـك عـلى عنصريـة دينيـة. حاملهـا لا يعطـي وزنـا لقيمـة العقل، مما يسـهل عليه أن يبيح لنفسـه طـرق كل السـبل، والمحظـورات مـن أجـل فـرض آرائـه، وفكـره، ودينـه، ومعتقـده.

مـن يسـتحوذ عـلى عقـول النـاس وعاطفتهـا في أي بقعـة عـلى هـذا الكوكـب. يوهمهـا أن كل مـا يحـدث لهـا هـو تجربـة الهيـة، يجـرب فيهـا اللـه خائفيـه، يمتحـن اللـه فيهـا صلابـة، وقـوة إيمانهـم، وتحملهـم للشـدائد، والـشرور التـي تحيـط بهـم، يطمئنهـم بالنـصر، والنعيـم الـذي سـينالونه في نهايـة المطـاف، حيـث يتمتعـون

بثواب السماء، فليس لهم على الأرض سوى الصبر والسلوان، على كل بلاء يقع عليهم... بذلك يستخفون بالعقل البشري الذي زرعه الله في الإنسان، ووهبه حرية مطلقة ليفكر، ويحلل، ويكتشف ويجوب الكون، ويخترع سفن تجوب عباب البحار، وغمار الفضاء. من واجب الإنسان المؤمن أن يبحث عن المسببات لكل الظواهر الطبيعية، وغير الطبيعية التي تدهشنا، والأمراض التي تصيبنا، والكون الفسيح الذي نسعى لدخوله، كي نتوصل ونجد حلولاً علمية منطقية لها. فمن لا قدرة له، ولا طاقة على الارتقاء العقلي، والعلمي في هذا الزمان فلا مكان له بين الأمم، وعالم المستقبل. فهو كمن يحكم على نفسه بمواصلة، منازعة الموت، ومن ثم الزوال، لأن الطبيعة لا تحتمل الثبات كونها دائمة التغير.

الله، وكل الحضارات العالمية التي طمست، والتي ظهرت وحلت مكانها حضارات جديدة، مرورا بتطورها الفكري الذي بدأ منذ تكوين الكون، أعطانا، وأعطتنا دليلاً مختصراً بسيطاً، شكّل المكون الرئيس للمعركة العقلية، والمعرفية لمعالجة قضايانا الاجتماعية. ظهر متجليا في وصايا محددة سارت عليها البشرية بشكل تطوري. بدأ، بدائيا واتّسع في التطور مع مرور الزمن معتمدا على تسلسل الحقب الزراعية، والمجتمعية، والصناعية، وما واكبها من تطور فكري عقلي فلسفي، رسخت أسس الشرائع، والأنظمة والقوانين، قديما وحديثا، وضعت لخدمة الإنسان، للمحافظة على مصالحه، وحقوقه، وأمنه خلال انتقاله من زمن، إلى زمن آخر عبر الحقب التاريخية. هذا الدليل من صفاته عدم الجمود، والانغلاق العقلي، وحشره، وإبقائه معلقا في زمن ومكان معينين، مع العلم أن ما فيه من البساطة والقوة تمكن أي مجتمع من تطبيقه في كافة مجالات الحياة بسهولة، ويسر، إنها الوصايا العشر – ومثلها ايضا في كل دين -، مضافا إليها السلام والمحبة وضعت لتشكل العمود الفقري للإنسانية جمعاء لترسخ مبدأ إنسانية الإنسان.

هذا الدليل الذي سارت عليه البشرية ظهر أيضا قبل بدء الكتابة، في أحكام وقوانين وضعها البشر. ثم تطورت، وأوضحت، وبينت، أن مشاكل، وشرور البشرية تقوم بالأساس على عوامل نفسية، واجتماعية، وفلسفية غير معالجة تتسبب

في القتـل، والعنصريـة، والسرقـة، والزنـا، والـرق، والاعتـداء عـلى ممتلـكات الشـعوب والأمـم، والسـلطة، والأفـراد، والأقـارب ضمـن العائلـة الواحـدة، والعبوديـة في اسـتغلال النـاس لسـاعات طويلـة في العمـل، طـوال أيـام الأسـبوع السـبع دون إعطائهـم الراحـة، أو الوفـاء بالتزاماتهم.

الأسباب الرئيسة للأزمة البشرية الإنسانية، تنبع، تصدر من المؤمنين وغير المؤمنين تكمن...

أولا: في الكـذب - أب الـشرور والقاتـل الصامـت- المـمارس، عمـدا، وبقصـد، لتبريـر أعمالنـا الوقحـة، المخزيـة، في معظـم المؤسسـات، مـن أجـل تمريـر مصالحنـا، وتبريرهـا، دون رحمـة أو رأفـة، لتسـاهم في فـرض سـلطتنا، وسـطوتنا، ومنفعتنـا. مـما يـؤدي للمـس في كل جوانـب الحيـاة الاقتصاديـة، والسياسـية، والاجتماعيـة ، والدينيـة ، متسـببا في انتشـار الفسـاد، والظلـم، والتوزيـع غـير العـادل للـثروة، والسـلطة، والتمييـز، وزرع الفـتن... النتيجـة خلـل اجتماعـي ضمـن المجتمـع، والوطـن الواحـد فـلا مسـاواة، ولا أمـن، ولا حريـة، ولا عدالـة...

ثانيـا: دعـم الأشرار المفسـدين، والفاسـدين، ومبادئهـم، وممارسـاتهم، والسـكوت عنهـم، والتغـاضي عـن تصرفاتهـم التـي لا ترتقـي لسـلم الكرامـة الإنسـانية، مـن خـلال شـهادتنا زورا وبهتانـا عـلى صحـة، ونقـاوة أعمالهـم، وقدرتهـم عـلى الإدارة. للتغطيـة عـلى أفعالهـم وممارسـاتهم الخاطئـة، مـما يـؤدي إلى رد الفعـل، والتحريـض عـلى ارتـكاب الجريمـة، والانتقـام، والثـورات...

ثالثـا: حسـد انجـازات الآخريـن وتقدمهـم، كمقدمـة للاسـتيلاء عـلى نجاحاتهـم التـي تثيرهـا شـهواتنا الباطلـة الناتجـة مـن عـدم قدرتنـا، وفشـلنا عـلى الإبـداع، والوصـول إلى المسـتوى المحـلي، والعالمـي، والمسـاهمة في بنـاء وتشـكيل المعرفـة مـن خـلال التخطيـط السـليم في عـالم اليـوم...

هـذه كلها مجتمعـة تحتـاج إلى "معركـة عقليـة ثوريـة" لمكافحتها، وصدّهـا، ووضعها في المسـار الصحيـح. تحتـاج إلى تغيـير وليـس إلى تفسـير، وتعقيـد وإبهـام في الـكلام.

مـن لا يواجـه واقـع الحيـاة المرّ، حتـما سـيواجه مـرارة الحيـاة. الشـدائد لا تـدوم، والأقويـاء يصمـدون. معركتنـا - معركـة عقليـة- تكمـن في تغير أسـلوب تفكيرنـا، بالتـالي تغير نمـط حياتنـا، وتغليـب العقـل عـلى العواطـف المهـزوزة غـير المبررة، التـي تقبـع في عـالم خيـالي صرف، مـا زلنـا نسـبح فيـه، لا وجـود لـه في عـالم الواقـع إطلاقـا.

إنسـان اليـوم، يحتـاج إلى تجديـد فكـري، أكـثر مـن أيّ وقـت مـضى، إلى إعـادة تقييـم، والبحـث عـن الـذات، مـن خـلال وجـود اللـه، في عـالم الحقيقـة والواقـع العالميـين. فمـن لا يسـتطيع المشـاركة، والمسـاهمة في تشـكيل، وصنـع المسـتقبل العالمي المتسـارع النمـو، سـيبقى سـجينا، مخلـدا، منسـيا في المـاضي.

الله والعقل واستمرار والوجود

في زمن يتصارع فيه الإنسان ليسجل أن الله خصّه وحده دون
غيره من البشر بعظمة الدين وتعاليمه. في زمن يرى الجهلاء
أن الله الكون- العقل الكوني- خلقهم وحدهم ليديروا شؤون العالم.
أقدم هذه المقالة عسى أن يفتح العقل الكوني عقولهم، وأفئدتهم،
وضمائرهم ليتعلموا قيم المحبة والتسامح والعدالة، والمساواة ومعنى
التعددية، وقبول الآخر الذي يختلف عنهم من إخوتهم البشر دون
تمييز بالعرق، أو باللون، أو بالجنس، أو بالعقيدة...... لنعترف:
"أن الاختلاف مصدره الله - العقل الكوني - أما الخلاف فمصدره الإنسان".

الحواس تعمل كمستقبلات للمعلومات الصادرة عن البيئة الخارجية والداخلية لجسم الإنسان، فتقوم بنقلها عن طريق الأعصاب إلى الدماغ ليفسرها. الدماغ يحتاج إلى طاقة كي يستمر بعمله فيحصل عليها من الغذاء الذي يتناوله، والأكسجين الذي يستنشقه مع الهواء على قيد الحياة. مجمل عمل الجسم هو خدمة الدماغ ليستمر بعمله وإلا توقف ومات الإنسان. فالدماغ يمثل المحتوى المادي الموجود داخل جمجمة الإنسان الذي يسيّر عمل أعضاء الجسم الإرادية وغير الإرادية. حتى هذه النقطة يكون الإنسان فيها شديد الشبه بالحيوانات. ما يميزه عنها هو العقل، فالعقل كلمة معنوية و ليست مادية و يقصد بها القدرة على التفكير، وهي صفة يتميز بها الإنسان عن الحيوانات.

عقلنا يكون محدودا في معارف محددة في زمن تاريخي معين محدد، قديما كان أو حديثا. بمعنى أن عمل العقل هو ابن الزمن الذي يظهر فيه. لذلك يرتقي العقل بحدود معارف زمنه، ويتطور من زمن لآخر...تطوره يمكن أن يكون مقبولا أو مرفوضا، يخضع لمعارف المجتمع الذي يعيش فيه الإنسان. في حال كان المجتمع حرا فكرا وقولا وعملا كان ارتقاؤه أسهل، يُتبعها بنقلة نوعية للأمام لتسهل حياته. أما في حال كان المجتمع غير حر فكرا وقولا وعملا فانه يُتبعها بمجابهة خطيرة تعقد حياة كل من يعيش فيه. لذا معارفنا تتطور، وترتقي عاما بعد عام، أو تتجمد في زمن محدد، ونعيش في الماضي.

منذ ظهور الإنسان البدائي الأول منحه العقل الكوني الحرية المطلقة ليعمل ويجتهد ويبني الأرض، بكل العصور والفترات التاريخية التي تلت ظهوره كان عقل الإنسان في تطور فكري مستمر ومثمر. تطور الفكر يصاحبه تطور المجتمع، وتطور المجتمع يصاحبه تطور الفكر، فكلاهما توأمان لا ينفصلان سوى عند من حشر عقله وقيده في الماضي.

ظهرت الخرافات والأساطير لإعطاء تفسير مقنع لأبناء الزمن الغابر عن نشأة الكون ووجودهم، فسرت كيف يسير الكون في نظام منظم، وفرضت وجود قوة

خفيـة تقـف وراء هـذا الإنجـاز الرائـع. نجحـت في طرحهـا لأنهـا أقنعـت العقـول وأسرتهـا بالـسر الغيبـي الـذي يقـف وراء هـذا البنـاء المعجـزة، الـذي يفـوق عقولهـم قـوة ومعرفـة. في كل جيـل ظهـر رجـال ونسـاء يمتلكـون القـدرة عـلى تفسـير مـا يـدور حولهـم مـن غرائـب في الطبيعـة باسـتخدام العقـل، فكانـوا أصحـاب رؤيـا وفكـر ثاقبين تميـزوا عـن أقرانهـم واسـتطاعوا أن يبنـوا بتسلسـل مفاهيـم عـن تطـور العـالم وبنائـه.

كل شيء في الوجـود لـه تفسـير يتقيـد بزمـن ظهـوره، مرتبطـا بالكـم الثقـافي، والمعـرفي، والعلمـي لتلـك الفـترة التـي ظهـر فيهـا. لهـذا السـبب اندثـرت حضـارات وأديـان، وخلفتهـا حضـارات وأديـان جديـدة. وبنـاء عـلى هـذا التفسـير يحـدث التغيـير، فالتغـير يمكـن أن يكـون بطيئـا أو لا يكـون معتمـدا عـلى البنـاء الاجتماعـي والعقائـدي والفكـري لذلـك المجتمـع، وتطـوره العلمـي، كـما أن العقـل الكـوني الجبـار دائـم الوجـود وليـس محصـورا عـلى فئـة دون غيرهـا مـن البـشر.

مـا جـاء في الكتـب والتعاليـم الدينيـة، وبغـض النظـر عـن الانتـماء لأي عقيـدة أو طائفـة دينيـة في كل زاويـة مـن زوايـا الكـون فـإن اللـه خالـق كل شيء في الوجـود... مثلا، في سـفر التكويـن ٢: ١٩ نقـرأ: " وكان الـرب الإلـه قـد جبل من الـتراب كل وحوش البريـة وطيـور السـماء وأحضرهـا إلى آدم لـيرى بـأي أسـماء يدعوهـا، فصار كل اسـم أطلقـه آدم عـلى كل مخلـوق حـيّ اسـما لـه". مـن هـذه الآيـة نسـتدل أن اللـه- العقـل الكـوني- طلـب مـن آدم أن يسـتعمل عقلـه بحريـة دون تدخلـه الإلهـي - يعنـي أعطـاه الاسـتقلال، وحريـة الفكـر والاختيـار- بذلـك فطـم عقـل آدم عـلى التفكـير الحـر، ومنـح الإنسـان الحريـة الكاملـة ليفكـر. هـذا الـدرس الإلهـي الأول مـن العقـل الكـوني – اللـه الكـون- لم يسـتطع البعـض، كـما لا يرغبـون أيضا في زمننـا الحاضر من اسـتيعابه وفهمه، فقيـدوا بدورهـم الحريـة الفكريـة وجعلـوا لهـا حـدوداً، ونصبوا أنفسـهم أوليـاء عليها.

قديمـا فـسر الإنسـان سـبب الظواهـر الطبيعيـة، وسـبب وجـوده فربطـه بوجـود قـوة عظيمـة تتفـوق عليـه كثـيرا، لم يسـتطع أن يحددهـا، فاقـت مسـتوى معرفتـه، لذلـك توجـه إليهـا بالصـلاة والعبـادة كي يتجنـب شرهـا .لكـن عقلـه لم يتخـلَ يومـا

عـن تفسـيرها واكتشـاف سرهـا، فعندمـا تمكـن مـن حلهـا ضحـك مـن جهلـه. فـما أشـبه اليـوم بالأمـس. المكان ثابـت، والزمـن متغـير. العقـل يسـعى للمعرفـة، والمعرفـة لا تنتهـي، فهنـاك دائمـا شيء جديـد. هنـاك أشـياء لم ندركهـا بعـد، تعـد للبعـض معضلـة مسـتعصية وللآخريـن تحدٍ حلّـه ممكـن ووارد. إنهـا مشـكلة إرادات وقـدرات عقليـة. فـما كان بالأمـس يشـكل إعجـازا علميـا أصبـح اليـوم في متنـاول العلـماء.

مـن خـلال العقـل الـذي وهبنـا إيـاه العقـل الكـوني، اسـتطاع العلـماء مـن تقديـر عمـر الأرض، وتحديـد مراحـل تطـور الإنسـان والكائنـات الحيـة الأخـرى، وتحليـل العنـاصر الأساسـية للـمادة المكونـة لجسـم الإنسـان، ومـن تحليـل وتفكيـك الشـفرة الوراثيـة لجينـات الإنسـان التـي تناقلهـا عـبر العصـور المختلفـة منـذ نشـأة الحيـاة عـلى الأرض. مسـتقبلا، لـن أكفـر إن قلـت أن العلـماء سـيتمكنون مـن بنـاء الإنسـان المتفـوق المعـدل جينيـا، كـما سـيبنون مسـتقبلا حاضنـات لأجنـة ينمـو فيهـا الأطفـال ليلـدوا معافـين مـن أي مـرض وراثي. لا ننـسى أن العلـماء ألآن في طريقهـم لبنـاء أعضـاء للإنسـان وزرعهـا مـكان التالفـة في جسـمه في المختـبرات المجهـزة بتقنيـات عاليـة جـدا، الطبيعـة ستسـتمر في تأثيرهـا عـلى الإنسـان وتحديـه. فالتحـدي بـين الطبيعـة والإنسـان صراع أزليّ لـن يتوقـف، وسيسـتمر الإنسـان في تحديـه لهـا.

كجنـس بـشري - وككل المخلوقـات الأخـرى التـي تشـاركنا الكوكـب- فإننـا نحمـل جينـات آبائنـا الأوائـل الذيـن ظهـروا عـلى وجـه الأرض منـذ ملايـين السـنين، مـع وجـود تغيرات حدثـت لأسـباب بيئيـة أو كيميائيـة أو إشـعاعية. إن كان مـا ينقـل عـبر ملايـين السـنين هـي الجينـات إذا يمكـن اعتبـار الجينـات، المـادة الضروريـة للوجـود المسـتمر للجنـس البـشري وتوقفهـا يعنـي اندثـار الجنـس البـشري. إذن هـي مـادة الوجـود عـلى الأرض، فالإنسـان وسـيلة يعمـل عـلى اسـتمرار وجودهـا ونقلهـا . فبالرغـم مـن مـوت الإنسـان، وانفصـال روحـه عـن جسـده، فـان الجينـات تبقـى هـي أغـلى مـا يملكـه البـشر، ويحـق لنـا أن نقـول أنهـا مخلـدة كونهـا تنتقـل مـن جيـل إلى جيـل .

إذن نحـن نمـرر الشـفرة الوراثيـة التـي تمثـل الـسر الأعظـم في حياتنـا مـن جيـل

إلى آخر، لذلك يعتبر الوجود عند البعض معضلة تحتاج إلى حل وتفسير بعيدا عن العلم، فلا مجال للتفكير الجامد في عالم يتسارع في التطور. فلن يزيد من قامتنا العلمية شيئا إن حاربنا العلم، والأفكار، والتطور، ووضعنا لها مقاييس تحجمها. البديل الوحيد هو أن نكون شركاء في صنع ودفع عجلة النمو والتطور. والحل المناسب هو الدخول في سبق العلم والاختراعات وتفسير الكون معتمدين على عقولنا وذكائنا البشري الذي وهبنا إياه العقل الكوني.

من أجل التاريخ، لنقف برهة وجيزة، ونحاسب أنفسنا، كشعوب عربية كان لها في الماضي عصر ذهبي علمي مزدهر تفوقت به على أمم، وشعوب كثيرة. اليوم وبكل صراحة، لا مكان لنا بين الأمم، فنحن نقف على مسافة بعيدة من تقدم البشرية وانجازاتها العلمية، بتفكيرنا الحاضر لن نتمكن من اللحاق بتلك الأمم. معظمنا يعرف السبب والمتسبب، يعرف من يحاصر الفكر ويهاجمه، يعرف من يقف وراءه. منهم من يعيش بيننا ومنهم من يعمل لأجندة خارجية وينفذ سياستها. يريدوننا أن نكون شعوباً بلا عقول، أو بعقول خالية لا تفكر، بلا ثقافة بلا مستقبل، يريدوننا أن نكون لا شيء... أتساءل أحيانا لماذا نغتال العقول؟ لماذا نقتل العلماء؟ لماذا نحاصر التفكير، ونمنعه؟ ما الهدف من وراء هذا كله. بالرغم من كل الدماء التي أريقت في الربيع الدموي العربي فإننا لم نحدث تغيير جذري ينقلنا نحو المستقبل. فما أكثرنا في ذكر الله-العقل الكوني- وما أقلنا في العمل بمشيئته. نحن ندّعي التقوى، ولا إيمان لنا، بسبب عدم تطور الوعي لدينا سيستمر الاقتتال بيننا. فالعقل الكوني هو محبة وسلام، مساواة وعدالة. أمراضنا الاجتماعية والفكرية والعقائدية ستستمر إلى أن يسيطر العقل على العاطفة والدوافع غير المبررة للاقتتال.

الله -العقل الكوني- سرمدي، أزلي، دائم وأبدي الوجود. منحنا حرية التفكير واستخدام العقل الذي ميزنا به عن غيرنا من الكائنات الحية، الجنس البشري يسير تصاعديا في تطوره عبر كل الأزمان، نحن نفسر وجودنا مما هو موجود في الطبيعة. حتى لو فسرنا أدّق مكوناتها واستطعنا أن نبني مثلها

فلـن يتوقـف عقلنـا بالاسـتمرار في دوره بالتطـور، فالإنسـان يفكـر يحلـل يفـسر يكتشـف ويخـترع ولا نهايـة لهـذه السلسـلة، فهـي مسـتمرة عـبر كل العصـور، ولا مجـال لوقفهـا إلا لعقـول لا تريـد التغيـير والانتقـال مـن زمـن إلى آخـر.

الغلبـة في عصرنـا هـذا للعقـل، للتقـدم المنفتـح بـلا حـدود، المجبـول بالإيمـان بقـدرة الإنسـان، وليـس بالإيمـان الروحـي المنغلـق عـلى ذاتـه فقـط... فليـس في أدياننـا مـا يمنـع التفكـير وإحـكام العقـل والمنطـق، مـن يحتكـره ويمنعـه يعمـل لمصلحتـه، وليـس لهـدف دينـي سـامي.

مـن أيـن جئنـا؟ والى أيـن سـننتهي؟ أسـئلة فلسـفية سنسـتمر في طرحهـا جيـلاً بعـد جيـل، وفي كل عـصر مـن العصـور. فالإبـداع الكـوني لم يـأتِ مـن فـراغ. العقـل الكـوني، الـذي ندعـوه ونعتـبره اللـه الكـون، هـو المدبـر والخالـق، وسـيد التاريـخ، معـه، وبـه سيسـتمر تطـور العـالم وتجلياتـه العلميـة والفكريـة. نجـد ذاتنـا مـن خـلال عظمتـه وحـده يمثـل وحـدة الكـون والوجـود والإنسـان في فضـاء شاسـع لا نهايـة ولا حـدود لـه. فمـن يدّعـى عـدم وجـود اللـه كـوني، عليـه أن يشـحذ عقلـه ويسـتثمر في أفـكاره ويبحـث عـن حقيقـة العقـل الكـوني الجبـار ويجتهـد في استنتاجاته. سـيجد عندهـا أن اللـه الـذي يبحـث عنـه يتجسـد أيضـا في القيـم الإنسـانية مـن محبـة وعـدل ومسـاواة وحريـة وسـعادة وأخـوة إنسـانية والتـي تمثـل سر الوجـود. وسـينتهي معترفـا بـأن العقـل هـو سـيد الموقـف، والعقـل الكـوني الجبـار- اللـه- سـيبقى سـيد المواقـف.

مستقبلنا وليد وعينا

"المعرفة الظاهرة في الوعي، أقل رعبا من تلك
المتراكمة في اللاوعي، التي خضعت لمؤثرات
اجتماعية عدة، ولأهداف تربوية ممنهجة
تلقاها الفرد في طفولته".

معرفتك تشكل وعيك ، وعيك يشكل هويتك، هويتك تشكل شخصيتك، هناك جوانب تمتاز بها عن غيرك، أنت تعيش في مكان معين، أنت جزء من المكون الكلي للعالم، جزء من هذه الملايين، فلا يمكن أن تدرك نفسك، وتبني وعيك بوجودك، ما لم تتفاعل مع محيطك اولا، والعالم ثانيا. إدراك الواقع العالمي في عالم اليوم أصبح سهلا وضرورة حضارية، وسائل التواصل الاجتماعي والمعرفة باتت مفتوحة وفي متناول الجميع، وهي ضرورة أساسية. تعرف الويكيبيديا الموسوعة الحرة "الوعي: بأنه محصلة ما يُكون لدى الإنسان من أفكار ووجهات نظر ومفاهيم عن الحياة والطبيعة من حوله". وما تكون سلفا من افكار تتعلق بالألم (مآسي) واللذة (متعة) منذ طفولتنا يختزن في اللاوعي، والافكار – في الوعي - التي تتوافق مع تلك الموجودة في اللاوعي تبني سلوكنا. ويُعرف عن اللاوعي أنه أكثر تحكما من الوعي في الانسان.

هل تمكن وعي الانسان العربي في الزمن الحاضر، من بناء وتشكيل مفاهيم جديدة أكثر مرونة من تلك التي تلقاها في طفولته؟ هل الوعي عند الإنسان البدائي كمثله عند الإنسان في عالم اليوم؟ هل الوعي في العصر الحاضر يختلف عن الوعي في العصور الماضية؟ هل هناك قواسم بين وعي الإنسان الاسيوي والانسان الاوروبي؟ هل هناك فرق بين وعي الذكر ووعي الانثى؟ هل هناك تماثل في الوعي بين كل الأجناس البشرية؟ هل هناك شعوب وعيها يعشعش خارج حاضرها؟ لماذا البعض يريد أنْ يسيطر على وعينا، ويشكله ؟ هل وعي المؤمن أرقى من وعي الملحد؟ هل يوجد اختلاف في الوعي بين افراد العائلة الواحدة؟ ما هو الاختلاف بين وعي الفرد ووعي المجتمع؟ ... عشرات الاسئلة تتعلق بالوعى يمكن طرحها، ومئات الإجابات يمكن أنْ نخرج بها.

المصادر التي تشكل وعينا، هي: الفلسفة، الثقافة، علم النفس، السياسة، الاقتصاد، علم الاجتماع، العقيدة، العادات، التقاليد، قيم المجتمع الاخلاقية، الطبيعة ، الأحداث التاريخية... الخ تستقبلها حواسنا لتدخل عبرها الى العقل، وخلايا العقل العصبية تعالجها، ثم يصدر العقل مخرجاته لتسير تصرفات وسلوك الإنسان وتعبيراته، وأقواله، ومواقفه، في الموقع المكاني الذي يعيش فيه

الفـرد. لذلـك نسـتنتج، أنّ لـكل زمـان تفسـير خـاص لوعـي الإنسـان يسـاهم في بقائـه كجنـس بـشري، كوننـا نتميـز عـن الكائنـات الحيـة الأخـرى بالتفكـير، لا بالغريـزة ، فـإن الهـدف السـامي لذلـك هـو اسـتمرار الوجـود البـشري وتمكنيـه مـن السـيطرة عـلى الكـون، لا امتلاكـه.

الوعـي لا ينشـأ تلقائيـا، بـل يتكـون كناتـج تراكمـي يتزايـد باضطـراد مـن خـلال المصـادر المعرفيـة المتنوعـة العديـدة التـي اختزنتهـا الدمـاغ خـلال مسـيرة الحيـاة منـذ طفولتنـا لتشـكل في النهايـة أفكارنـا. الاختـلاف المعـرفي بـين البـشر يمكـن تحديـده، فهـو يكمـن في الاهتـمام، وبالكـم، وبالمصـدر الـذي اسـتقى منـه معارفـه، كـما ويرتبـط بعوامـل طبيعيـة، وبعوامـل ايحائيـة ، أو الهاميـة نحصـل عليهـا مـن مصدريـن: الأفـكار الروحانيـة الإيمانيـة القائمـة عـلى وجـود خالـق للكـون، التـي تطـورت بذاتهـا خـلال مسـيرة الحيـاة عـلى الأرض مـن بدائيتـه الى صورتهـا الحاليـة، أو مـن الأفـكار الإلحاديـة القائمـة عـلى التفسـيرات العلميـة لتكويـن الكـون. هـذان الطرحـان ولـدا صراعـات، ونزاعـات دمويـة بـين كل مـن المؤمنـين والملحديـن وكل منهـم مـا زال حتـى يومنـا هـذا يدافـع عـن تفسـيراته. لا يمكننـا أنْ ننكـر أنّ هنـاك طـرح ثالـث يربـط بـين العلـم والايمـان فـكل مـن المصـادر الثـلاث السـابقة الذكـر سـاهم في بنـاء وعـي الإنسـان واثـر في صـواب، وخطـأ قراراتـه واسـتنتاجاته. ازمـة الوعـي عنـد الفـرد والمجتمـع، سـببها اسـتدعاء المعرفـة المخزنـة في اللاوعـي، فعنـد الشـعوب التـي تتحكـم الغيبيـات بـكل تفاصيـل حياتهـا ، المعرفـة التـي تكونـت لديهـا نتيجـة ضعفهـا مـن الخـروج مـن واقعهـا الفكـري المـأزوم، العاجـز عـن التحـرر مـن قيـود المـاضي، يمنعهـا مـن التفكـير. أزمـة الوعـي ايضـا جـاءت كمحصلـة لعجـز هـذه الشـعوب مـن الولـوج والالتحـاق بالركـب العلمـي والفكـري في عالمنـا المعـاصر، فكبـت في زمـن غـير زمانهـا. خـوف هـذه المجتمعـات عـلى التقليـد والـتراث، وعجزهـا مـن نقلـه نحـو الحـاضر اسـتنزف طاقاتهـا وهدرهـا، وشـوش قدرتهـا عـلى التفكـير، وأغلـق بوابـة المعـاصرة أمامهـا، وشـكل وعـي لا يناهـض التغـير والتقـدم . بـل يخـدم في إبقـاء وعيهـا يعشـعش في المـاضي، ويعيـش كل إنسـان ومجتمـع فيهـا خـارج وعـي زمانـه ، مـما يدفعـه عـلى تقزيـم علمائـه ومفكريـه، يـزدري التطـور، ينافـق ويفسـد

بأفعالـه، عنيـف بتصرفاتـه، لئيـم بموافقـه، خبيـث غـدار يدّعـى الأخـلاق ولا يمارسـها، ظـالم بقراراتـه وعدالتـه، يحظـر الحريـات ويمنعهـا، ببسـاطة لعنـة عـلى الوعـي الفـردي والجمعي...أتسـاءَل، هـل سـيخرج إنسـان هـذا المجتمـع ، وينطلـق بشـكل سـوي سـليم، لا يغمـره انحطـاط فكـري في فكـره ووعيـه؟؟؟ الوعـي القائـم عـلى الـولاء عنـد هـذه التجمعـات، يتكـون حتـما دون تمحيـص وتفكـير، مـما يـدل عـلى تكويـن عقـول غـير ناضجـة معرفيـا، نبتـت في مجتمـع متخلـف مدمـر. يجـب ان يحـرر الوعـي مـن كل مـن لـه دور في تقنينـه، ومنعـه، ومصادرتـه.

الحقيقـة الثابتـة، أن كل تقـدم علمـي، وتطـور تقنـي يسـاهم في تشـكيل المجتمـع، لينقلـه نحـو واقـع جديـد، واقـع تكنولوجـي ينقلنـا نحـو معرفـة جديـدة لا تخضـع لمعايـير ايجابيـة أو سـلبية ، إلاّ أنهـا قائمـة ومسـتمرة، فيهـا الخـير لبنـاء عـالم مسـالم، وفيهـا الـشر تـؤدي الى هـلاك الجنـس البـشري. كلا الأمريـن يحتاجـان الى وعـي يتطابـق والمعايـير الجديـدة، يقـف عندهـا وعـي البـشر نحـو منعطـف البقـاء أو الفنـاء. المرونـة في هـذه المرحلـة ضروريـة لأجـل الاسـتمرار في بنـاء نظـام عالمـي موحـد الجهـود والأفـكار. عـالم ينتـصر فيـه الوعـي المنفتـح عـلى الوعـي المنغلـق. . خـلال هـذه النقلـة يجـب مراعـاة، ومعالجـة الأفـكار التـي تسـيطر عـلى المجتمـع وإعطائهـا دفعـة ديناميكيـة نوعيـة ومناسـبة، كي يتمكـن المجتمـع مـن المـرور بسـلام خـلال مخاضـه العسـير الـذي قـد يرافقـه الكثـير مـن الآلام والدمـاء التـي قـد تسـتمر لعقـود، النقلـة مـن الجمـود الى الحركـة هـو اندمـاج في عـالم يتصاعـد نحـو تحقيـق علمـي وخلـق إنسـان اكـثر اعتـمادا عـلى العلـم. لذلـك مـن لا يتجـدد مـع كل طـرح جديـد يعيـش رهينـة المـاضي، يصـارع مـن أجـل بقائـه، واسـتمرار ديمومتـه، في النهايـة إمـا أنْ يسـاير الواقـع وإمـا أن يبقـى في مربـع المـاضي ليـذوى ويلقـى فنـاءه.

لا يوجـد مجتمـع لا يعـرف الانحـراف والفسـاد وسـوء الأخـلاق – لهـا درجـات - ، إلاّ في قامـوس المثالـين الطوباويـين المزيفـين الذيـن يـروا العـالم بلـون واحـد. بالجمـود والتكلـس مـن صفـات المجتمعـات البدائيـة ،التـي لا تهضـم ، ولا تـدرك معنـى بنـاء وعـي فـردي وجمعـي عـلى مسـتوى المواطـن والوطـن، بعيـدا عـن مفاهيـم دينيـة تـم

تقيدها من قبل رجال دين، وتم قولبتها لا لتناسب العصر بل لتناسب عصور مضى وعفا عليها الزمن، متناسين أنّ العقيدة جاءت لكل زمان ومكان. إنّ كمالية البناء الاجتماعي تقاس في مقدار حجم الحريات الممنوحة، وفي تحقيق العدالة والمساواة بين كل مكونات المجتمع، وبعدم التمييز بين الذكر والأنثى، وبين طائفة وأخرى . مجرد تلقي الفرد معلومات تشير الى اختلاف بين طرف وآخر فذلك سيشكل اختلاف وعي مجتمعي، وتكون قوته المؤثرة على الوعي والسلوك الناتج عنه بمقدار إظهار الاختلاف العقائدي.

دفع وعي الفرد نحو التغيير، يتطلب تحرر نظام التربية من كل القيود والمؤثرات والتقنيات التي تؤطر الفكر وتشكله، واستبدالها بنظام آخر أكثر إنساني، وعالمي، إلى جانب المحلى المتحرر من لحظة الولادة. بدء الخروج من المعيقات الاجتماعية يتطلب جهوداً مكثفةً لإحداث هذه النقلة النوعية، فإن حدثت ستتمكن البشرية من تحقيق نقلة جبارة نحو وحدة ليست محلية فقط، بل عالمية لكل شعوب الأرض. فيها تسود العدالة والمساواة...الخ، منها ينطلق العالم كله بقفزة عالمية نحو الكون.

نركز على الوعي ولا نركز على ما اختزن في اللاوعي. الوهن الذي نعاني منه سببه يكمن في المدخلات التي تلقيناها في طفولتنا. وعينا أشبه بمارد يعيش في قمقم، لاوعينا يستدعيه كل ألم، أو لذة تصيبنا، نَمر بها خلال مسيرة حياتنا. الوعي لا تبنيه قوة من خارج الكون ، بل يبنى بقوة حجم المعرفة ، ونوعها المتجذرة في داخل المجتمع وتوجهاته الثورية الثقافية . الوعي الذي نريد تحسينه، واللاوعي الذي نريد تحطيمه ، أعيد لا يمكن تحقيقه الا بنظام تربوي سليم. دون البحث في مخزون اللاوعي الذي تلقيناه في طفولتنا لن يحقق أي تغيير، خاصة إنْ كنا سطحيين، ومتلاعبين في التفسير والتحليل والتمحيص. لا نبحث عن من تسبب في تخلفنا وكوارثنا، فنحن عميان ولا بصيرة لنا، نستمر في بناء إنسان قديم في وعيه، جديد في مظهره. علينا ان نتذكر بأن المفاهيم الخاطئة، التي رسمت سلوكنا بالأحقاد، والكراهية، والانتقام، والعنف، ارتدت الى ذاتها

ولم تعالـج قضيانـا. وجـود عقـل كـوني / اللـه ، ووجـود تفسـيرات علميـة للكـون، تؤكـدان، وتجزمـان، عـلى ن الإنسـان يمتلـك العقـل، والحريـة، والمسـؤولية، والارادة. الوعـي الـذي يتأرجـح غـير مسـتقر بـين الماضي والحـاضر، غـير قـادر عـلى التخلـص من المـاضي، وغـير قـادر عـلى النهـوض المجتمعـي في الحـاضر ، لأنـه مـا زال متعلقـا في نقطة انطلـق منهـا في المـاضي، المـاضي المتشـدد الـذي قولـب الجمـود، وفرضـه عـلى الأغلبيـة السـاحقة - كونهـا فئـة غـير مثقفـة - مـن منطلـق جهلهـا للأمـور. فـكان التشـدد اكـثر قبـولا، ليـس عـن قناعـة بـل عـن خـوف فأختبـأ في لا وعينـا، ومـا زال يقـرع عـلى ذاكرتنـا يحثهـا عـلى رفـض واسـتيعاب وتفهـم الحـاضر، ومقاومـة أي تشـكيل لوعـي يلائـم العـصر. أتسـاءَل هـل تأثـر وعينـا مـن تجـارب الشـعوب وثوراتهـا للتحـرر مـن قيـود السـلطات الدينيـة والسياسـية.

أردد للمـرة الثانيـة، إنْ مالـك الكـون - العقـل الكـوني الجبار/اللـه - وهـب الانسـانَ عقـلاً، ليكـون صاحـب إرادة حـرة ومسـؤولة، إغفـال هـذه الحقيقـة، دليـل عـلى أن جهـاز قياسـنا، ومعاييرنـا العقليـة والسـلوكية نشـأت عـلى وعـى يسـيطر عليـه نظـام، وفكـر، وتـراث قديـم، وحياتنـا الفكريـة الحـاضرة تمثـل اسـتجابة صريحـة لاسـتمرار وعينـا في تقوقعـه، وفهمـه عـلى أننـا الأفضـل، والأميـز مـن كل شـعوب الأرض. رؤيتنـا هـذه لأنفسـنا حتـما سـتصدمنا يومـا مـا بواقـع أليـم جسـيم، عندهـا سـيصحو ويثـور المجتمـع عـلى كل هـذه المعايـير. التحـدي الأكـبر يبـدأ في إعـادة النظـر – مـن قبـل المثقفـين، والمعنيـين -، وتصحيـح ، وتشـذيب، وإعـادة تقييـم، كل مـا تعلمنـاه تربويـا خـلال الطفولـة، ونسـتثمر كل جهودنـا وطاقاتنـا في بنـاء وعـي يلائـم الحـاضر.

١١- المعرفة
المعرفة حتمية ضرورية للاستمرار الحضاري

تقاطع المعرفة في مكان، مع الزمان الذي لا يتوقف
تحتضر حضارات وتلد حضارات، آلية تكررت منذ
فجر التاريخ، وستكرر عشرات المرات لتنتهي بعد
أجيال عديدة الى انصهار كل البشر في حضارة عالمية
واحدة، هذا مصيرنا.

لحظة نشوء – خلق – الحياة على الارض، انطلق الجنس البشري في تنوعه، من نقطة بداية تدعى المعرفة تتحرك بين محورين أحدهما يمثل المكان، والآخر يمثل الزمان. فكل شعب ظهر في مكان محدد، وفي زمن محدد على كوكب الأرض، يمتلك مكون حضاري فيه طور معرفته من حقائق، ومعلومات، وفكر، وثقافة، وتقنية الخ... إنّ مجمل الأفكار الحاضنة لبيئة الأفراد وتطورهم عبر العصور تتميز بخصوصية محددة لشخصية شعب خاصة به، مقدار معرفتها يحدد وعيها، ودورها، ومكانتها، وتقدمها بين الشعوب، ووجودها على محوري المكان، والزمان الذي لا يتوقف.

المكان وجود الإنسان في بقعة جغرافية قد تكون منبت جذوره الأصلية، أو يكون قد وصل اليه خلال هجرات طبيعية أو قسرية نتيجة حروب وتبادل سكان لتغليب وجود مجموعة على أخرى، أو عن طريق مجازر بشرية حصلت، أو بسبب كوارث طبيعية. هنا قد تموت أعراق لتحل مكانها أعراق اخرى، أو تستمر في صراعها من أجل البقاء وإحياء ذاتها مرة أخرى. تداخلت الأعراق وقلما نجد عرق بشري خالٍ من التطعيم مع أعراق اخرى.

قياس مجمل ومجموع ما وصل اليه الإرث الحضاري الإنساني منذ فجر التاريخ حتي هذه اللحظة التي نعيشها، نجده على محور الزمان. مقدار معاصرتنا للتقدم يحدد الزمن الذي نعيش فيه، إما أن نكون في الحاضر أو الماضي أو بينهما. كما يتحدد من خلاله حجم ونسبة معرفتنا مقارنة مع أمم وشعوب أخرى، ومقدار التباين والاختلاف بينها وبيننا. في الزمن نُقدر تأثرنا وتأثيرنا في الحضارات الأخرى ومقدار اندماجنا معها، وفهمنا لها. الزمن يخضع للتصور الفكري والوعي لدى شعب من شعوب الأرض بما يتلاءم مع العصر بفكره وقواعد سلوكه ونمط حياته. العوامل الاجتماعية مثل الدين والتراث والقبيلة الخ... تلعب دورا محوريا في تحديد الزمن الذي يعيشه شعب ما.

من خلال التقدم والتطور العلميين التي تتوسع مساحتهما يوما بعد يوم، ويسيران تصاعديا بشكل هائل ومستمر لا يتوقف يتركان وراءهما أمما وشعوبا تجر خيباتها، بسبب عدم تكيفها مع روح العصر الحضاري الجديد، لتصبح بالتالي توابع لمن تفوق عليها، في نهاية المطاف ستنصهر، ووجودها يصبح عدما. المُكون المعرفي الثقافي، له عناصره وخصوصيته من خلاله تتبلور شخصيته المحددة المستقلة تمكنه وتمنحه دورا وقدرة في التأثير الحضاري ، فإنْ كانت معرفته الثقافية سطحية تستند إلى معارف باتت من الماضي وتخضع لأحكامه، فإن حظها في التأثير الحضاري محدود أو شبه معدوم، بالتالي صمودها في وجه المعاصرة يصبح مستحيلا. في تمتع شعوبها بقدرات علمية، وطاقات إبداعية، وحريات عامة تمكنها من ملائمة روح العصر، يكون حظها في المواجهة والصمود الحضاري كبيرا. في الاندماج المعرفي الحضاري العالمي لا تذوب الشخصية الحضارية الذاتية لشعب ما، بل تجدد ذاتها لتتناسب مع روح العصر وتتفادى موتها في حال توافقه معها.

كل الشعوب موجودة ضمن المعرفة والمكان والزمان، لكن بمقدار معين حسب ما يطرحه ماضٍ وتاريخ كل دولة على حدة، إلاّ أنّ التاريخ البشري يتلاحم مع غيره ضمن منظومة تتيح لها كلها التفاعل من أجل تطور عالمي.... التقدم البشري يقوم بناؤه على ما سبقه... عقل العنصر أو الجنس

البشري هو أساس هذه التقاطعات بين الشعوب والمكون للمعرفة في تكوينها وعالميتها، في انتشارها تعتمد على تقبل العقل البشري لها واستيعابها.

نقطتان رئيستان هما الثقافة والتطور التقني تمثلان القوة الرئيسة في الاستمرار الحضاري لشعب ما، وطبيعة وجوده على خريطة الحضارة المعاصرة. فالثقافة في المجتمعات السليمة غير الفاسدة التي لا تحظر الانتاج الفكري وتمنعه، يجدد فيها مكان الإنسان على محوري الزمن والمكان، في تنوعها يكمن الدافع لارتقائها في التجليات الإنسانية. التطور التقني متى،؟ وكيف؟ وإلى أين سيصل؟... من طبيعته الاستمرار، ولن يتوقف أبداً بالرغم من وجود جانب واضح فيه الخير للبشرية، وآخر معتم يكاد أنْ يكون فيه فناء للبشرية. كما لا يمكن تجاوزه، شئنا او أبينا كلنا في العالم داخل هذه المركبة التي علينا أنْ نحافظ على استقرارها عالميا بعيدا عن الحروب والدمار، والعمل على مصلحة كل سكان الكوكب وتوزيع خيارته بين البشرية لذلك يجب أنْ يكون توجهنا إلى توحيد حضاري عالمي دون مساس الخصوصية الثقافية والفكرية لشعب ما.

يستحيل الانفصال عن محوري المكان والزمان، وتغيب حقيقة وجودنا، لا أحد يملك القدرة أو القرار على فعله . وما سقوط الحضارات إلا هرمها، وذبول العادات والتقاليد المصطنعة، والمفاهيم غير الناضجة، والمعرفة فيها، وعدم قدرتها على الصمود أمام الواقع الجديد وملاءمته لروح العصر، فتبقى في مكانها يجرفها تيار الزمن المتسارع متخلفة دون معرفة، إنه لون من الانتحار الفكري.

في العالم الثالث نقطة المعرفة مستقرة على محورها المكاني، وهابطة نزولا على محورها الزماني قياسا مع شعوب العالم المتقدمة. لماذا ؟.... لأنها وبكل بساطة ما زالت تخضع وبقوة للتراث والعقيدة والقبيلة. التراث المنقول حرفيا كما ورد منذ قرون في سياقات تاريخية دون تطوير. والعقيدة التي تم تضيق الخناق عليها ومصادرتها لتنحصر في زمن محدد عوضا عن وجودها الطبيعي لكل زمان ومكان، والقبيلة التي هي شكل من أشكال أنظمة الحكم المستبدة القديمة،

التـي مـا زالـت تشـكل مـا يدعـى بضمـير الأمـة الـذي تـم قولبتـه كـما تـراه زعامتها في إطـار أفـكار جامـدة ضاربـة في القـدم. كي نتحـرر مـن الفكـر المـزروع فينـا وإنتـاج معرفـة معـاصرة، نحتـاج الى تغيـير وبقفـزات. مـا يتمـوضـع في ذاكرتنـا ووعينـا منـذ أجيـال عديـدة تحـت مسـمى الـتراث والعقيـدة والقبيلـة، مـا زالـت تديـره حفنـة مـن أصحـاب المصالـح يتحكمـون في عقـول النـاس لإدارة شـؤون دينهـم ودنياهـم عـن طريـق ربطهـم ببعـد زمـاني ينقلهـم نحـو أمجـاد أصبحـت في حكـم المـاضي ، ليرفضـوا ويحاربـوا بالتـالي التقنيـة والتطـور لأنهـما جـاءا مـن خـارج مجتمعهـم .

يمكـن لمخيلتنـا أنْ تقودنـا إلى زمـان محـدد، تعمـل عـلى اسـترجاع المـاضي وإحضـاره ،لكـن تطبيقـه يكـون عسـيرا. أسـهل الأمـور أن نبقـى كـما نحـن، ذلـك لا يحتـاج الى جهـد لأنـه يبقـى الوضـع ثابتـا دون تغيـير، والقائمـون عليـه ثابتـون دون تغيـير أيضـا. بذلـك سـنبقي سـائرين مـع الزمـان في اسـتخدام تقنيتـه المعـاصرة، حاملـين سـلوك وفكـر المـاضي متخلفـين في معرفتنـا متراجعـين.

الزمـن يسـير بسرعـة، لا يمكـن ان نسـتمر في عـدم مجابهـة الجمـود ومحاربـة التغيـير، الحضـارة أصبحـت أكـثر عالميـة مـما نفكـر أنـه قانـون التغـير الـذي لا يمكـن تجاهلـه والتغـاضي عنـه، مـع أنـه مـؤلم الا أنـه ضروري لاسـتمرار وجودنـا. الانفتـاح العالمـي، التواصـل الاجتماعـي، غـزا كل دول العـالم، حضـارة عالميـة بـدأت نواتهـا تلقائيـا تتشـكل، الاندمـاج معهـا حتمـي لا مفـر منـه، البقـاء خارجهـا يعنـى نهايتنـا.

من حقنا معرفة تاريخنا

مـا أكتبـه في مقالتـي هـذه ليـس جديـداً، بـل واقعـا معروفـا ملموسـا، نعيشـه يومـا بيـوم، ونتحـدث عنـه في جلسـات التنـدر، والحـوار والتسـامر التـي تجمعنـا. وبشـكل تعليقـات وتغاريـد عـلى الفيـس بـوك والتوتـر. فمخـاض الربيـع العـربي لم يجـىء بتغـيرات سـعيدة تذكـر ولا بأحـلام وآمـال تمنيناهـا . بـل حمـل وحملنـا معـه

ذكريات أليمة، لن تمحى من ذاكرة النساء والشيوخ والرجال وبشكل خاص الأطفال لعقود قادمة. أيقظ بصيرتنا، بتسليطه الأضواء على الصفحات السوداء من تاريخنا بدل البيضاء المضيئة منها. انقسم العرب وشرذموا. وأهمهم ظهور فئتين منهم فئة تشكك في تاريخنا العربي بوقائعه وإنجازاته، وتطالب بإعادة قراءته ونقده وتحليله على ضوء الحاضر وبأسلوب علمي. وأخرى تريده كما هو، والإبقاء على حاله ونصوصه كما دونها السلف. وتناقلتها الأجيال دون ربطها بالزمان والمكان والتغيرات الحاصلة في كل عصر. وما أهدف من التلفت إلى تاريخنا الماضي هو سلامة السير لمستقبل آمن وواعد وزاخر بالمتغيرات يمنح الأمن والسعادة ويمحي الفرقة والاختلاف والتعصب والعنصرية.

بحكم الواقع الحالي وحقيقة ما يجري من نزاع على تغيير دساتير وأنظمة قائمة حاكمة، ومطالب جماهيرية عادلة، وجدل وصراع فكري، وعقائدي وإيديولوجي على الساحة العربية وما آلت إليه من أحداث تقشعر لها الأبدان ويندي لها الجبين من وحشية دموية قاسية فالمشهد على مسرح الأحداث يدعونا إلى التوقف وإعادة التفكير في التاريخ العربي، وإعادة صياغته من جديد، لأن ما يجري سفرا أسود ممتد لتاريخ موغل في الماضي البائس، نعيش روحه في القرن الحادي والعشرين.

الموضوع أكبر مما نظن وأكبر مما يستطيع شخص واحد حمله ومتابعته. نتكلم من عمق الألم الذي أصابنا واعتصرنا ومن هول الكارثة التي نعيشها...صراحة مأساتنا أكبر وأعظم مما كنا نفكر أو نتوقع. عندما ننظر الى الماضي ونقارنه بالحاضر ونشاهد ضراوة ما يحدث نتساءل أي تاريخ ندون لأحفادنا؟ قتلت الإنسانية في داخلنا اغتيلت الطفولة وبرأتها. اذا كان هذا حاضرنا فكيف كان الحال في الماضي؟

كثيرة هي المواضيع التي تدرس تحت عنوان التاريخ...هناك تاريخ الأديان، تاريخ الفلسفة، تاريخ النقد، تاريخ الفكر الديني، تاريخ الحضارة...الخ. موضوعاتها تتناول الفترة من مرحلة تأسيسها ومؤسسيها إلى الحاضر. هناك تداخل بينها، لا يمكن فصله عن بعض، لأنه بمجموعها تنتج الهوية، والوعي

الحضـاري لتلـك الأمـة ومخزونهـا الثقـافي. لكنهـا تتميـز بالتغـير خـلال مرورهـا وانتقالهـا مـن عـصر إلى عـصر، ومـن جيـل إلى جيـل ومـا يعنينـا هنـا هـو جملـة الأحـداث والأحـوال التـي تمـر بهـا الشـعوب العربيـة وانتقالهـا مـن جيـل لآخـر..

طلبتنـا وبشـكل خـاص يدرسـون تاريـخ معظـم عمـره أربعـة عـشر قرنـا. الدمويـة واضحـة فيـه، وبـدأت منـذ فجـر بـزوغ الإسـلام السـياسي باغتيـال ثلاثـة مـن أشراف القـوم وهـم عمـر بـن الخطـاب، عثـمان بـن عفـان، وعـلي بـن أبي طالـب، والخليفـة الأول بعـد الرسـول محمـد (ص) أبـو بكـر الصديـق مـات ميتـة طبيعيـة. رضي اللـه عنهـم. ويطلـق عليهـم تسـمية الخلفـاء الراشـدين. أمـا الشـيعة فتضيـف إليهـم خليفـة خامسـاً وهـو الحسـن بـن علـى بـن أبي طالـب الـذي اسـتمرت خلافتـه لسـتة أشـهر. يفضـل الشـيعة إطـلاق فـترة صـدر الإسـلام عـلى تلـك الفـترة التـي تبعـت وفـاة النبـي محمـد (ص) وقبـل الدولـة الأمويـة وعمرهـا ثلاثـون سـنة.

مجتمعاتنـا العربيـة تتكـون مـن جماعـات اثنيـه، عرقيـة مختلفـة لـكل منهـا تاريخهـا الشـفوي. بتناقلـه جيـل بعـد جيـل يـدور حـول أيـام مشرقـة ومـآسٍ عاشـها أجدادهـم عـلى نفـس رقعـة الوطـن الواحـد. لمـاذا لا تنقـل كل تلـك الخـبرات وتـدون وتقـدم كـمادة تعليميـة للجميـع كي تتكـون عندهـم مفاهيـم جيـدة وينطلـق الجميـع مـن مبـدأ الاعـتراف والصفـح والتسـامح عـلى كل المجريـات التـي سـببت الإنـزواء والقطيعـة والبعـد عـن الآخـر وجفـاء التعامـل.

الصـور تكـررت عـبر العصـور...الأن كـما في المـاضي شـخصيات بـارزة تغتـال، مجـازر عـلى الهويـة، مذابـح طائفيـة، ومذهبيـة، اغتصابـات مخزيـة وبالجملـة، تشريـد وتهجير قـسري، مقابـر جماعيـة، ونهـب وسـلب، إبـادات وقتـل. السـؤال هنـا، مـاذا تعلمنـا من التاريـخ ؟ مـا هـي الموعظـة الإنسـانية التـي قدمهـا لنـا التاريـخ؟ لمـاذا علينـا أن نعيـش وأبناؤنـا بالخـوف والرعـب؟ لمـاذا ترهيـب المواطنـين؟ مـا معنـى الحكمـة الإلهيـة في هذا التاريـخ اللاإنسـاني؟ متـى يحـين الزمـن لمواجهـة الواقـع ومجابهـة الحقائـق التاريخيـة؟

ما أخفاه التاريخ طفا على سطح أحداث الربيع العربي، وظهر التباين والاختلاف، والتباعد والتفرق. لم نجد ما يدعو إلى التقارب والتالف . تعمق الشرخ، والقطيعة، والهجر والافتراق، وطغت الأحقاد بدل المحبة. لنتذكر ما قاله جورج سانتايانا: "أولئك الذين لا يتعلمون من التاريخ محكوم عليهم إعادته". الأمم تتذكر كي تحيا ونحن نتذكر كي نعيد موتنا. فما بني على باطل فهو باطل، وما بني على حق فهو حق.

الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والفكرية والدينية والتقدم العلمي أثبتت علي مدار الزمن أنها صانعة التاريخ. ولكل أمة وشعب تاريخ يعتز فيه. وما وصلنا هو ما كتب من قبل أشخاص نادرا ما كانوا محايدين أو مستقلين أو معارضين للنظم الحاكمة.

عبر التاريخ قامت حروب أثنية وعرقية وطائفية ومذهبية كل منها حاول طمس التراث والوجود والهوية الثقافية والطائفية للآخر. نبش التاريخ عن أمم، وشعوب، وقوميات تم اجتثاثها لا يعني إيقاظ فتنة ولكنه يعني إيقاظ ضمير يقدم شواهد ويساهم في محو الألم الواقع على الآخر وفتح صفحة جديدة في العلاقات الإنسانية ومنع الاقتتال. وما لم نعترف بأخطائنا سيستمر الاقتتال والصراع ولن يكون هناك طرف يحقق الكسب، والآخر يحقق الخسارة...لأن الخاسر الأكبر سيكون الوطن بتعدده الثقافي والاجتماعي.

النقد والبحث العلمي يشكلان الطريق السليم لإعادة قراءة التاريخ على ضوء الواقع الذي نعيشه. الناقد الجيد من صفاته أن يكون بعيدا عن التعصب والأحكام المسبقة متجرداً من كل ما هو ذاتي. هدفه تحليل البناء التاريخي وغربلته وإبراز الواقع وأخطائه وتصويبه وتقديم حقائق الأحداث كما جرت في حينها مبينا إيجابياتها وسلبياتها وأسبابها ومسبباتها كي يخرج بصورة متكاملة عن المحتوى الذي ينتقده .

البحث العلمي التاريخي يقوم بدراسة الحوادث والوقائع الماضية التي شكلت الحاضر وتحليلها ومحاولة فهم الحاضر على ضوء أحداث

الماضي، لنتمكن من التنبؤ بالمستقبل. من صفات الباحث في التاريخ تقييم أصالة البيانات، ودقتها، وقيمتها واكتشاف أي تزوير أو تحريف في الوثائق أو المستندات أو التقارير أو الكتب التي استعملها في بحثه.

الصدق، الأمانة، النزاهة، الدقة، الموضوعية، الاستقلالية الدينية والسياسية عناصر مهمة وحيوية للمؤرخ كي يكتب وقائع وحقائق مجريات الأمور في عصره، ويؤرخها باستقامة بعيدا عن سطوة النظام ومصلحته ومن يلتف حوله من رجال سياسة وفكر وعقيدة و بالتالي تكون نتيجتها أقرب إلى الصواب من الخطأ، وأقرب إلى الحق من الباطل، وبعيدة عن الأوهام والأحلام.

في مقالتي هذه لم أعط أمثلة عن الصفحات السوداء من تاريخنا، فهذه مهمة مَنْ يرغب في البحث عن المعرفة، وهي حقائق يعرفها كل من بحث في بطون التاريخ ويجهلها من لا يبحث عنها. هناك جهات تعمل عمدا وبشكل فاضح ومقصود على تجهيلنا بها ومنع صدورها وحجبها من التداول. ومن كتب عنها وألّف فيها يقتصّ منه بالتهديد والقتل. النتيجة مع حجب المعرفة يستحيل تسلل ضوئها للعقول. ويبقى الجهل مخيما إلى ما شاء الله، أو شاءوا... أو حتى ظهور ثورة عربية جديدة تجعل من المستحيل ممكنا. فالتاريخ لا يساير أحدا ولا يهادن أحداً ولا يحتمل التستر. كفي مهزلة كفى كذبا، بيّنوا الواقع وأظهروا الحقيقة عارية كما هي بلا تصنع أو تجميل وبلا مغالاة أو كبرياء...ليتعلم أبناؤنا كيف كان تاريخنا. وكيف سيكون مستقبلنا.

اسأل المؤرخين أخيرا، هل ستكتبون تاريخ الربيع العربي متسترين بعباءة الحاكم القديمة؟ أم تكونون شهوداً للحقيقة والواقع بعيدا عن أوامر ونواهي الزعامات السياسية والقبلية والدينية والفكرية؟ إن كانت ضمائركم حية اكتبوا بصدق، وبأمانة كي نجنب أبناؤنا السقوط في صناعة الموت مستقبلا، لأن تاريخنا ينشر الخوف واليأس والترويع والإرهاب والهلاك.

غياب المعرفة سبب تراجعنا

الإنسان العربي يبحث عن وجوده، ويتشكك
هل هو يعيش في عالم الواقع؟ أم يعيش في
عالم الأحلام ؟... إنه يبحث عن ذاته في معركة
أبدية مصيرية حتمية لا تنتهي إلا في حالتين،
إما أن ينتهي هو، أو يتحرر من كل الخرافات
التي تشده لعالم جذوره موغلة في الماضي.
إنها معركة المعرفة بكل صورها الحضارية
الثقافية والعلمية والتكنولوجية.

حتى هذه اللحظة في الساحة العربية، المؤتمرات والحديث عن معركة المعرفة قائم ومستمر بين القديم والجديد. معاييرنا لإيجاد الحلول تخضع لتلائم وتناسب أفكارنا وتقاليدنا وعاداتنا وقبليتنا وأدياننا وطوائفنا، لنقرر فيها مستقبل ومصير ملايين المواطنين، هل نستطيع أن نوفق بين المعايير التي تربطنا وعالم التكنولوجيا العلمي العالمي الحر المنفتح، وهل ننجح؟

مجتمعاتنا العربية لا تعد مجتمعات معرفة، لأننا لم نصل بعد وغير قادرين على إنتاج ونشر وتوظيف المعرفة على الصعيد الاقتصادي والسياسي والاجتماعي. وغير قادرين على تحقيق التنمية البشرية، لذلك ما زالت حكوماتنا العربية في حالة شلل تام لا تستطيع أن تستجيب لمطالب شعوبها، لهذا تستخدم وسائل منع وقهر المواطنين من خلال عدم إطلاق الحريات لأجل الحفاظ على مراكزها ومكتسباتها ومصالحها . يطلقون نعوتاً ومفاهيم مختلفة ملفقة لا تستند لواقع ... أمثلة: مصلحة الأمة، الحفاظ على الأخلاق والتراث والدين... معركتنا ما زالت ومستمرة مع أعداء الأمة... ما زلنا في طور دراسة وإطلاق البرامج، لدينا خطط خماسية...الخ. تمر السنون دون تغيير يذكر، تزداد المعاناة ويفقد المواطنون كل أمل ويبحثون عن قشة يتعلقون بها، ويبقى الفقراء على فقرهم والأغنياء يثرون

والمحسوبية والقبلية مفتاح للحصول على وظيفة، وأجساد النساء المعوزات عرضة للنهش في سبيل توفير لقمة العيش لأسرهم، والمواطنون فقدوا آمالهم وبوصلتهم لا يعرفون لمن يتجهون، والتقدم معدوم.

يقلل الناس من قيمة ما لا يفهمونه، إن كنا نتحدث عن أمور عابرة فذلك أمر لا يستحق الالتفات إليه، أما إذا كان حديثنا عن أمور تدخل في صميم وعمق حياتنا اليومية، فذلك أمر يتطلب منا أن نقف وندقق ونحلل بصدق في كل ما يعطل مسيرتنا نحو مستقبل أفضل. المعرفة التي تحتضن كل الإبداعات التي توصلت إليها البشرية منذ نشأتها ونموها وازدهارها، وبشكل خاص ما بلغته خلال العقود الثلاث الأخيرة، في مجال التكنولوجيا والتقدم العلمي الحاليين، ونحن كعرب، وللأسف لم نشارك ولا دور لنا فيها، لا على الصعيد العالمي ولا على الصعيد المحلي. فلا أثر لنا نتركه للأجيال القادمة يبين مقدار ولوجنا في تكوين حضارة العالم الحديث وتقدمه، سوى حفنة من الأوهام والأكاذيب والتظليل، والاختباء وراء ضعفنا والقول إننا مستهدفون، والعالم معظمه يقف ضدنا، صراحة لا أدري ما يجعل الآخرين يستهدفوننا ويحسدوننا؟ مع أننا لا نملك من مقومات حضارة القرن الحادي والعشرين وسابقه شيئاً، فمعظم العقول القادرة على التغيير إما هاجرت طوعا للبحث عن مستقبل أفضل، أو تم إعدامها أو إسكاتها أو سجنها أو سحقها.

بيئتنا العربية المعاصرة ما زالت خارجة عن قافلة الحداثة، الأمية ما زالت قائمة ظاهرة واضحة تنخر قدراتنا لا يمكن السكوت عنها أو التستر عليها. الخلل الذي نعاني منه يمس كافة الميادين، لنعترف أن البنية التعليمية، والعلمية مهلهلة تحتاج إلى عناية مركزة كي تستعيد وتستفيق من كبوتها في كافة المؤسسات التعليمية من مدارس وجامعات. لن يتحقق التغيير إلا من خلال استقلال جهاز التربية والتعليم وإخضاعه لقوانين علمية وعلمانية لا ترتبط بأي شكل من الأشكال بمفاهيم غيبية، وعلوم لا يمكن إخضاعها في عالم اليوم للتجربة والتحليل والبرهان العلمي الحر. إن استقلالية جهاز التعليم يمثل المدخل الرئيسي للإنطلاق نحو مسيرة التقدم والإبداع. التي يمكننا أن

نساهم ونشارك فيه أسوة بشعوب كثيرة ارتقى اقتصادها، وارتقت مجتمعاتها.

بوابة الدخول لميادين العلم والمعرفة في عالم اليوم لن يأتي إلا من خلال إطلاق حرية الفكر واستقلاليته دون ضوابط أو مخاوف غير مبررة، إلا في عالم من يريدون أن يسيطروا على العقل ويقيدوه. فالخوف من التقدم المعرفي دليل هشاشة فكر تربوي واجتماعي خاطئين لا يبنى إلا على أفراد يعتقدون أنهم حراس للفضيلة الدينية، ولا يدرون إن من يتعلم اللاهوت يتعرف على عظمة الله من خلال التعاليم الدينية التي يتبعها دارسها وأبدع فيها. ندر أن يتمتع لاهوتي من الإبداع في المواد العلمية، ويندر أيضا أن يبدع عالم متبحر في المعرفة العلمية والتكنولوجيا في اللاهوت. وإن استطاع الدمج بينهما فذلك مرده لكسب مادي، أو طموح لمنصب ما- مثل أكاديمي يحمل دكتوراه في اللاهوت ويجري أبحاثاً علمية في الفيزياء- إنه يحاول أن يلائم ويطيع ظواهر طبيعية وردت في الكتب المقدسة. فهم الدين يعنى أن نقدس العلم لأن العلم نشأ من أجل الخير العام من أجل البشرية جمعاء. العلم بعكس الدين لا يطلب أن نتدين. رجل الدين، وليس الدين من يعمل على فرض إرادته على العلم ليدعم قوة سلطته. بالبحث يمكن أن نتعرف على نساء ورجال مؤمنين أبدعوا بالعلم والمعرفة، لكنهم لم يحاولوا إقحام معارفهم العلمية بالدين. خرجوا بنتيجة مقبولة مفادها: "أنهم يرون عظمة الخالق فيما وصلوا إليه من معارف". المحصلة الأكثر عقلانية هي فصل العلم والمعرفة عن الدين.

للخروج من هذه الأزمة علينا أولا أن نعترف بوجودها، وأن نتحسس اللبس في تفكيرنا، وأن نتعاطى مع القضية بأمانة، لأنها قائمة وحقيقية وواقعية وليست مجرد لغو وإسهاب في الكلام . المعرفة وتطورها خلال العصور هي سبب تطور وارتقاء المعرفة الحالية. المعرفة القديمة لا تصلح لعالم اليوم، المعرفة تنمو مع نمو الحضارات ومن خلالها، وتتغير صعودا باستمرار حتى في حال انهيارها. في كل بقاع الأرض هناك مجموعة من العوامل الرئيسة مكونة للحضارات المختلفة، الدين أحد هذه العوامل إلى جانبه نجد العوامل الجيولوجية والجغرافية والاقتصادية والسياسية والجنسية والنفسية والسكانية والقيم الأخلاقية...لا منطق عقلي

يقبل أن يختزل المكون الديني كل العوامل وصهرها واحتضانها ونسبتها إليه ...

ما حدث في أوروبا خلال العصور الوسطى دليل مقنع على استحالة التوفيق بين المعرفة والدين، تدخلت الكنيسة بالدولة، وأعدمت وأحرقت كل من حاول تفسير العلوم خارج الكتاب المقدس، هذه التجربة لا نريد أن نعيشها كعرب. لذلك علينا إعادة إحياء التجربة العربية في العصور الوسطى والتي عرفت بالعصر الذهبي. أرى في هذا العصر علمانية الغرب المتقدم في عالم اليوم، فلو كتب للعصر الذهبي بالاستمرار لكان العرب اليوم أسياد العالم بجدارة. إعادة بعث العقلانية التي تميّز بها هذا العصر هي بداية الطريق لتقدمنا في عالم المعرفة والحداثة المعاصرة.

تفاعلت وامتزجت وتداخلت الحضارات فيما بينها، الكل استقى من ينابيع المعرفة السابقة له، نهل منها، زاد عليها وارتقى...بذلك لا يمكن للمعرفة أن تنسب لدين بالتحديد. فلا يوجد هناك مراكز علمية بوذية، شنتوية، سيخيه، مسيحية...الخ في العالم تحاول أن تطابق، وتطبق بعض الظواهر الطبيعية أو العلمية التي وردت في كتبها المقدسة...فذلك مضيعة للوقت وللجهد والمال، ينتج عنه في النهاية إضعاف ونفور من الدين والابتعاد عنه، وما أوحي من علوم في الكتب المقدسة دليل قوى على عظمة الله.

العصر الذهبي الإسلامي (٧٥٠ – ١٢٥٠)، شارك في صنعه مجموعات ضخمة من البشر من أجناس وأديان مختلفة سبقت عصر التوسع الإسلامي وخروجه من الجزيرة العربية، استمرت معه وأثرت في إنتاجه.... هذه التسمية أقرب إلى الفهم الغربي الذي يعرف أن كل من هو عربي، هو مسلم. لذلك، يفضل تسميته بالعصر الذهبي العربي، هذه التسمية انسب لأنها لا تعمل على إلغاء، وتغييب الآخر، غير المسلم من العلماء، والمفكرين العرب. المجتمعات المكونة لهذا العصر، كانت تدين بالمسيحية واليهودية والإسلام وأصحاب عبادات أخرى...الخ. كما كان هناك علماء مسلمون متهمون بالزندقة، قبل وخلال وبعد هذه الفترة. حصريا فقط أورد أسماء خمس علماء زنادقة ورد

ذكرهـم في كتـاب (الإسـلام والعلـم) مؤلفـه برويـز أمـير عـلي يـبرود مـن باكسـتان، وهـم الكنـدي(٨٠١ – ٨٧٣)، الـرازي(٨٣٠ -٩٢٥)، ابـن سـينا(٩٨٠ - ١٠٣٧)، ابـن رشـد(١١٢٦ -١١٩٨)، ابـن خلـدون(١٣٣٢ – ١٤٠٦)، بذلـك نكـون قـد أنصفنـا الجميـع.

للدقـة فيـما أوردت، أبـين دور المسـيحيين الشرقيـين في الحضـارة العربيـة... نقـلا عـن كتـاب المسـيحية والحضـارة العربيـة، مؤلفـه الأب الدكتـور جـورج شـحاته قنـواتي يقـول في صفحـة ١٣٥، بدايـة الاقتبـاس ...(وبعـد دراسـة في" حركة الترجمة في المشرق الإسـلامي في القرنيـين الثالـث عـشر والرابـع عـشر للهجـرة". وهـي رسـالة دكتـوراه نـشرت سـنة ١٩٨٢، يقـول الأسـتاذ رشـيد حميـد حسـن ألجميـلي: " إن مـن الباحثـين مـن يـرى أن الإسـلام كان هـو المسـؤول عـن ظهـور جماعـة العلـماء والفلاسـفة الذيـن أنجبتهم هذه المـدارس ولـولاه لمـا ظهـرت هـذه الطائفـة مـن رجـال العلـم والفلسـفة"...(ص١٢٨). فيعلـق عـلى هـذا الـرأي قائـلا: " والواقـع إن هـذا القـول بعيـد تمامـا عن واقـع المدارس التـي درسـناها آنفـا، إذ مـن المعلـوم أن معظـم هـذه المـدارس كانـت موجـودة قبـل ظهـور الإسـلام وقـد اشـتهرت بعلمائهـا البارزيـن قـي حينـه وبمصنفاتهـم الخالـدة التـي ذاعـت شـهرتها في كل مـكان"...(ص٢١٩) إلى أن قـال:" مهـما يكـن مـن أمر فـان مدارس الترجمـة هـذه لعبـت دورا رئيسـاً في عمليـة ازدهـار الحضـارة الإسـلامية..."(ص٢٢٠)) انتهـى الاقتباس.....الـدور المسـيحي كان واضحـا وضـوح الشـمس فقـد قـام المسـيحيون بترجمـة مئـات المؤلفـات في الفلسـفة لأفلاطـون، لارسـطاليس في الطبيعيـات، الإلهيـات، في الطـب وفروعـه لابقـراط ولجالينـوس، وكتـب في الرياضيـات والنجـوم وسـائر العلوم، وفي الموسـيقى وغيرهـا كثـيراً... لقـد غرفـت الحضـارة الإسـلامية مـن علـوم الفـرس والهنـود والرومـان واليونـان والسريـان مـن حضـارات وجـدت قبلهـم، هـذا نهج سـليم سـارت عليـة كل الحضـارات ومـا زالـت تسـير، للأسـف نفتقـد اليـوم هـذا الدافـع.

أي محاولـة لإثبـات مـا جـاء في الكتـب المقدسـة مـن علـوم وظواهـر في المختـبرات لا مـبرر لـه، حتـى لـو عـرف بعضهـا لشـعوب قبـل الوحـي بهـا فهـي إلهيـة المصـدر، والمصـادر الإلهيـة غـير مشـكوك فيهـا، لكـن في حـال إخضاعهـا للتجربـة والبرهـان قـد تـأتي بثـمار عكـس مـا يفكـر بقطفهـا المتدينـون وعلماؤهـم وليسـت

كتبهم المقدسة، وفي حال إثباتها، المطلوب نشر كل ما تم التوصل إليه على المستوى العالمي ليتم التدقيق فيها وليس تداولها وراء الكواليس ضمن دائرة مغلقة، ما زال الشك يساورها لما توصلت إليه معاملها من تحليلات ونتائج قد تكون ملفقة. الله جل جلاله أكبر من كل العلماء والمفكرين والمبدعين والمنتجين...سبحانه وتعالى-الله- يمثل العقل الجبار، العقل الكوني الجامع الشامل لكل العقول البشرية منذ خلق وتطور الحياة في الكون حتى المنتهى....

نهاية أؤكد أن المعرفة تهدف إلى إعادة تشكيل فكر ومستقبل المواطنين من أجل إثراء الحياة، وإعلاء الكرامة الإنسانية، وتحرير روح الإبداع، والدفاع عن الحرية. المعرفة تعد العامل الأساسي الرئيسي، والأكثر أهمية في عالم اليوم للانتقال من مجتمع التخلف إلي مجتمع التطور. منبعه الفكر الفلسفي والعلوم والتكنولوجيا والثقافة المنفتحة، المجتمعات التي لا تدركها ستجد نفسها تعيش على هامش مسيرة التقدم الحضاري المعاصر، فلا وجود لها إلا كمستهلك لما تنتجه الحضارات المتقدمة - مجتمع ما بعد الحداثة، المعاصر الذي ظهر بعد الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥- لنبني عالماً عربياً أفضل معتمدا على المعرفة متذكرين، أن" المعرفة هي مصدر القوة، ونقص المعرفة هو نقص في القوة".

١٢- الثقافة

أُمية ثقافية

الشعوب التي لا تجاهد كي يكون أبناؤها رواد معرفة ، من فكر وعلم وثقافة حتما ستعانى من أوضاع سيئة في كافة مجالات الحياة، ومصيرها للاضمحلال أقرب. الكتاب هو النور الذي يضيء لنا عتمة المعرفة، اقتنوا الكتب لأبنائكم وشجعوهم على القراءة ، كفانا أمية ثقافية.

لمن تكتب ... من يقرأ ؟

مقولة تردد مقولة تردد كثراً على مسامعنا
مقولة يتداولها المثقفون، وعامة الشعب
مقولة أصابتنا في مقتل، نحرت العقل، وأعاقه كل امل للتغيير فينا
نتلمس طريق نجاة، أو طوق نجاة، نجد كلاهما بعد لم يتشكل
التخلف صنيع أيدينا
نغرق في وهم التحضر نغرق متى سنستنشق روح العصر، وثقافة العصر؟
متى سنتنفس الصعداء ونبي صروحاً حضارية لأجيال المستقبل؟
زدنا على أحزاننا أحزاناً، واليأس منا تملك
عقولنا ممنوعة من التفكير إلا بما سمح به من قعد وتربع على عقلنا.
المعرفة غذاء العقل، أغرف من منهلها ما شئت وأشبع نهمك منها
ولا تخشى بطش المحللين والمحرمين
فكلاهما خلافٌ لإرادة الخالق ، يريدك عبدا له أن تخضع
وعلى تصحر العقل أن ترتخي، وتستلقي، وتتمدد

لمن نكتب؟

لكل إنسان يسكن في زوايا الكون الأربعة.
من أجل أنْ يزهر العقل معرفة
من أجل استنهاض روح الكرامة والحرية والسلام والعدالة فينا
من أجل إنقاذ اطفالنا وانتشالهم من مستنقع الجهل
من أجل تحطيم كل الفروقات بين مؤمن وملحد
من أجل نبذ العنصرية والتطرف والكراهية
من أجل ردم الهوة بين ذكر وانثى ، وأسود وأبيض ... الخ
عسى أنْ ننتصر على ذاتنا
ويرى كل منا الآخر انعكاساً لذاته في أعماق قلبه

أخواتي، إخوتي....

فهمنا لواقعنا ناقص أجوف
فهمنا لذاتنا شبه أعمى
فلسفتنا في الحياة كسيحة عرجاء
تقدمنا المعاصر مقعد معطل
يقف عند أول حروف الهجاء
حراك المثقفين نرصده نمنعه
نلعنه وقد نرميه برصاصة أو بحذاء
وكتبنا المدرسية مهلهلة
تنتج أفكاراً غير ناضجة مشوهة
أتساءَل هل هكذا يبنى النجباء ؟
وإنْ نبغوا يرحلون مع أول قافلة من قوافل الهجرة
يصبحون غرباء بعيداً عن اوطانهم

إلى كل مسؤول

شبعنا ثرثرة، شبعنا عنتريات، شبعنا وعود
الأفعال لا الكلمات تصنع ألمستقبل
أفعالنا وليدة أفكارنا ...
فإن كنا نحارب الكتب من أجل أفكارها
حتماً سينتشر الجهل بيننا، ويتمكن
ليصبح عدوى ينتشر كوباء
من زمن آدم وحواء، إلى زمن ارتياد الفضاء
إلى زمن يريد رب الكون أن يوقفه متى شاء
سيبقى العقل بوصلة الإنسان
وخير محرك للبوصلة هو الكتاب
لكن...ليس في قراءته بل في فهمه
ليصبح للجهل، أنجع دواء.

هذا ما تعلمنا

كل شيء نسبي، والتعميم خطأ الفاشلين. إنْ لم نتعظ من خطأ ما تعلمنا، سنبقى عبيد وأسرى بأيدي من يتلاعبون بمصائرنا ومستقبلنا.

تعلمنا لا تكذب...كبرنا فقيل لنا أنّ الكذب ملح الرجال، وتبين لاحقا أنّ الكذب له أنواع وألوان، ويظهر بأطياف السياسة، والدين، والتربية، والمعاملات التجارية، والمؤسسات في الأسواق ولا يخلو منه أي مكان.

تعلمنا لا تزني.. وبتنا نرصد تحركات كل أنثى وذكر ونتلصص عليهم من أخسسهم الى اشرفهم، وننشر اشاعات، ونلوك، ونمضغ سيرتهم بالكلام. وتحول الزنى من اللسان الى الغمز بالعين، والإيماءات باليد دون احترام لإنسان.

تعلمنا لا تسرق.. وجدنا السارقين المحترفين يحترمهم ويحميهم القانون، لأن أيديهم نظيفة لا تمتد على أموال المواطنين، بل على أموال الوطن بسكينة وبهدوء، دون تدخل رقيب، بينما يضبط بالجرم السارقون الصغار متلبسين في معظم الأحيان.

تعلمنا المحبة... فربطنا المحبة بالجنس، والبغاء، وأضعنا قدسية المفهوم ولم ندرك أنّ المحبة قاعدة وأساس متين يقام عليه كل بناء إنساني سليم ترتبط به معظم - ان لم يكن كل - علاقاتنا البشرية العصماء.

تعلمنا أنْ نكره... فكل من ليس معنا فهو ضدنا، حتي لو كانت الأمور تافهة، تعلمنا أنْ نكره الآخر وننعته بنعوت لا تليق بحسن الجوار، ولا بالعلاقات، والاختلاف في الفكر والعقيدة سمة غير شريفة أشبه بأنثى غير عذراء.

تعلمنا أننا الأفضل بين الأمم وشعوب العالم.. لم نبحث لماذا؟ تقبلنا كقطيع مطيع لراعينا، نسير يمينا ويسارا بإشارة تصدر لا من عقله بل من عصاه.

تعلمنا أننا بناة الحضارة الإنسانية... اقتنعنا ولم نبحث عن هوية وفكر وأصول من قدموها، صدمنا لأننا كنا في الماضي ولم نجد دليلا واحداً منذ قرون على حضورنا في قائمة الحضارة المعاصرة، سكتنا كالبكماء.

تعلمنا ان نخفي عوراتنا... وأن لا نكشف عن أمور أسرارنا، وضعفنا أمام العدو والصديق،

اكتشفنا أنّ أعداؤنا أكثر منا معرفة بخفايانا وبأسرارنا، وظهرنا أمامهم جهلاء.

تعلمنا أنّ النظافة من الإيمان... لكننا وجدنا أنْ أكثر من يلعنون البشر، هم عاملو النظافة في الشوارع والأسوق والملاعب والمدارس.

تعلمنا ان نكون ذئاباً، وأنّ المجتمع غابة، الصراع لا مكان فيه الا لقانون الأقوياء.. انتكسنا على ما جلبه الغرب، والاستعمار علينا من شقاء.

تعلمنا أنّ المرأة ضلع مكسور... استقوينا كذكور على النساء، أذهلننا الرائدات الماجدات بأفكارهن وشخصيتهن، النساء المستقلات في الشرق والغرب أغنين الحياة، ليتألق فيهن الكثير الكثير من الإبداع والعطاء.

تعلمنا أنّ الدين معاملة... فوجدنا أنّ معظم الطوائف تتهم غيرها بالمروق، وسوء المعاملة، وعدم أفضليتها، وكذب حقيقة رسالتها، والوقف ضد بعضهم في العلن وفي الخفاء.

تعلمنا أنّ سادة القوم وجاهتهم، هم الأغنياء أصحاب راس المال، وأنّ الفقراء ولدوا ليبقوا فقراء، لم يدركوا بؤس فكرهم وكارثيته الى أنْ تبين لهم أنّ الإصرار في التقدم والارتقاء لا يأتيه الا الفقراء.

تعلمنا أنّ العمل الصالح، والعطاء طريقنا للسماء... أدركنا تفاهة هذا الكلام عندما سبقه مصورو وسائل الاعلام. فاليد التي تأخذ خير من التي تعطي، إنّ فعل الخير ستره لا يؤتى الا بالخفاء.

تعلمنـا أنّ المسـاعدات لا تعطـى الا للمحتاجـين والمشرديـن... لكنهـا وجـدت مكدسـة في بيـوت تجـار المصائـب يعملـون عـلى بيعهـا دون رحمـة كأنهـا رزق لهـم منحـه رب السـماء.

تعلمنـا أنّ الأطفـال اكبادنـا.. الحـب والحنـان ضروريـان لتربيـة سـليمة، لكـن في اللحظـة المؤلمـة الحرجـة، حسـموا موقفهـم واعترفـوا بقسـوتنا عليهـم. أليسـوا أحفـاد مجتمعـات مريضـة مـا زالـت تؤمـن بـأن العصـا لمـن عصـا خـير داء.

تعلمنـا أنّ الوطـن اولا وثانيـا ... وللمـرة المليـون ملـك لجميـع مواطنيـه يحميهـم ويجمعهـم كدجاجـة تجمـع فراخهـا خوفـا عليهـم، لنكتشـف أنـه مزرعـة لبعـض المتسـلطين المنتفعـين مـن مسـؤولين وحـكام.

تعلمنـا أنّ القـدر مقـدر علينـا... ، قبلنـا ورضينـا بوضعنـا، وكـم كانـت المفاجـأة عظيمة عندمـا علمنـا أن مـن يكتبـه ويسـقطه علينـا حفنـة يبحثـون عـن عبيـد يسـيرونهم خدامـاً.

تعلمنـا أنّ القناعـة كنـز لا يفنـى... فكانـت حسرتنـا كبـيرة أمـام جمـوع الشـعب السـاعي في بحثـه عـن عمـل، ولقمـة عيـش في وطـن يحبـه، بينـما هنـاك فئـة تعيـش في بـذخ لا يردعهـا قناعـة، طمعهـا في الكسـب يجـاري كنـوز سـليمان.

تعلمنـا، وتعلمنـا، وتعلمنـا الكثـير، القائمـة طويلـة...لا تظنـوا كشـف العـورات خطيئـة، بـل نعمـة يكسـبها كل محـب للعدالـة، ولـرب السـماء.

البحث عن مثقف

نحتاج الى أفكار متحررة خارج دائرة مصدر
ثقافي ذي بعد واحد، نحتاج الى أعمال العقل
من خلال ثقافة متعددة الأبعاد والمصادر، كي
نحرر الإنسان من قيوده وعبوديته الفكرية.

في خضم معركة الحريات، والعدالة، والكرامة، والديمقراطية المفقودة، والوجود الحضاري الباهت، والتراجع الفكري النهضوي، يؤرقنا ويقلقنا مصير عروبتنا في عالم اليوم. معظم قادتنا في مؤسسات الدولة المختلفة يطرحون سؤالا مبهما، محيرا، مظلّلا.، سؤالاً يدل على إخلاء المسؤولية من أحداث دموية، إرهابية ، عنيفة وسلمية صاحبة الحراك الشعبي المطالِب بالحريات في منطقتنا..." أين المثقف؟" سؤال يبين عجزهم، من خلفه يحمون مناصبهم أمام الواقع الذي يحتاج الى عمل رصين وجاد لإحداث نقلة نوعية معاصرة نحو العلمانية والحداثة. في زمن يطارد فيه الكتاب والمثقفون المستنيرون وتمنع كتبهم من التداول.... فعن اي مثقف يتحدثون؟ وبأي مثقف يستنجدون؟.

إسقاط المسؤولية على المثقف للخروج من هذه الازمة ليس طوق نجاة، بل انتحار جمعي أمام التطور والتغيير، إنْ كانوا يتحدثون عن مثقف ذي بعد واحد يحمل توجهاتهم، أفكارهم فهم مخطئين، لأن أمثال اولئك المثقفين محاصرون في دائرة معرفية مغلقة تتحكم فيها رؤيا واحدة. اليساريون يريدون مثقفا يساريا يطرح حلولا للمشكلات والتحديات بفلسفة بثقافة يسارية، واليمنيون يريدون مثقفا يمينيا، والمتدينون يريدون مثقفا متدينا، والملحدون واللادينيون مثلهم ايضا. فإن لم تكن على معرفة بكل تلك الثقافات ومنفتحا عليها، علاوة على ذلك ما لم تكن ثوري الفكر، فلن تتمكن من المساهمة ومساندة القضايا المعاصرة المشروعة في عالم اليوم. بهذا التوجه نخرج بحلول ترضى كل الأطراف وتجمع شملهم وجهودهم وتوحدهم لدفع

المجتمـع نحـو التطـور، نحـو مسـتقبل أكـثر أمانـا، يواكـب العـصر فكـرا وروحـا.

هنـاك فجـوة بـين المفكـر وصانـع القـرار. المثقـف موجـود وغـير موجـود، مهمـش، مهمـل الـخ... مـع أنّ هنـاك عـشرات بـل مئـات مـن الكاتبـات، والكتـاب العـرب يشـهد لهـم العـالم بغـزارة إنتاجهـم، وعظـم ثقافتهـم، وقـوة رسـالتهم الفكريـة الحـرة التـي يحملونهـا للعـالم أجمـع. فلـماذا زعماؤنـا يزعجهـم ويؤرقهـم الكتـاب والكتـب، وينعتونهـا بنعـوت شـاذة، ويطلقـون حربهـم الشـعواء ضدهـا، وفـوق ذلـك يبحثـون عـن المثقـف؟ ويصنفـون الكتـب، ويمنعونهـا... أليسـت هـذه إزدواجيـة في الممارسـة؟ !. هـل يخافـون أنْ تتزعـزع أفكارنـا، وأخلاقنـا وإيمانـنـا، وننفـر منهـا ونتخـلى عنهـا ؟! فهل هـي غـير ناضجـة لا يمكنهـا مواكبـة زمننـا الحـاضر ؟! وهـل هنـاك قصـور في تفكيرنـا؟! أم هنـاك شـك في ايماننـا؟! عـار عليكـم لأنكـم تضعونهـا في صـورة مهلهلـة هشـة لا تليـق بهـا. الإزدواجيـة ترافـق المواطـن ايضـا. فإنـه يـدرك مفعـول القـراءة، وقيمتهـا، ودورهـا، وأهميتهـا عـلى بنـاء الفـرد والمجتمـع، وبنفـس الوقـت لا يقـرأ. ألـوم الدولـة لتقاعسـها عـن إبـراز أهميـة دور المثقـف لأنهـا تـرى فيـه منافسـا وليـس مكمـلا.

في عالمنـا العـربي كتـاب رائعـون حللـوا واقعنـا الثقـافي، الفكـري وفـسروه. أرجـو ان لا تسترسـلوا في جدلكـم حـول مـا قدمـوه ويقدمونـه، ولا تحجـزوه احترازيـا في حجر صحي فكـري كي تتبينـوا منفعتـه مـن مضرتـه بحسـب قناعتكـم، اسـتبدلوا ميزانكـم الـذي بـه تقيسـون بخـر أكـثر إنسـجاما مـع الواقـع. لا يهمنـي توجـه كتابنـا الفكـري بقـدر مـا يهمنـي نمـو أفكارهـم وتنوعهـا ، وعصرنتهـا. هـم رائعـون لأنهـم يسـعون الى كسر الحصار الفكـري، ويقرعـون عـلى جـدران الصمـت الـذي نظـن أنـه يحمينـا. قـوة كلمتهـم آجلا او عاجـلا سـتحطم قوقعتنـا وتفـرض نفسـها. توقفـوا عـن مطـاردة الكتـاب واعتقالهـم، توقفـوا عـن دفعهـم للهجـرة، توقفـوا عـن الإصغـاء للمرائـين، توقفـوا عـن محاكمتهـم توقفـوا عـن اغتيالهم...توقفـوا، توقفـوا توقفـوا، قبـل أنْ يتجمـد فكركـم ويتصحـر، في زمـن تغـرق عروبتنـا في الجهـل، والعـالم مـن حولنـا في المعرفـة يتوسـع. الكتـاب يخيـف لأنـه يدفـع للبحـث عـن أسـباب محنتنـا في واقعنـا العـربي الأليـم المعـاصر .إنْ كنـا نخـشى التغيـير ونخافـه، فـلا قيمـة لوجودنـا ولا معنـى لحياتنـا. اقـرؤا كل مـا يقـع

تحت أيديكم، لا تخجلوا من قصة غرام، فشبقكم الذي تخفوه للعشق يستعر. لا تختبؤوا وراء قصة دينية أو كتاب مقدس، فطهارتكم عرجاء، عمياء، خرساء، حدباء تعريكم وتفضحكم. من يفترض مثلنا أن مجتمعه مثالي، معصوم عن الخطأ، يغريه رجم المجتمعات المتقدمة، الحرة المعاصرة بألف قذيفة وألف حجر.

البحث عن مثقفين، ثوار فكر وفلسفة لإحداث تغيير في هذه المرحلة التي يمر بها عالمنا العربي بمخاض إمكانية فرض حضورنا العالمي، معناه أنْ لا، مثقفين، ولا ثقافة عندنا، فهذا تصريح فاضح من قيادات تبحث عن أشباه كتاب، عن كتاب مزيفين غير حقيقيين كي تقيم قاعدة لاستمرار وجودها عليهم. الثقافة في الغرب ناطحة الإقطاع، ورجال الدين، وحررت الإنسان من عبوديتهما وأرجعته الى حظيرة الله نبع قيم المحبة، والسلام، والتسامح الحقيقي الصادق ، وإلى حظيرة القانون لترسيخ مفاهيم العدالة الاجتماعية والمساواة . أما نحن فما زلنا نقبع تحت سلطان، وسطوة قيادات تدعي عصمتها.

نتوتر عندما نناقش أي موضوع يطرح من طرف ما يعالج الأمور من زاويته ورؤيته الخاصة، لنجد أننا نقف أمام موقف محير لا نستطيع قبوله أو نقده، ليتبين لنا لاحقا اننا بعيدون كل البعد عن إدراك جوهر الموضوع وطبيعته، لأن ثقافتنا لم تُبنَ على التنوع الثقافي بل على بعد ثقافي واحد. الجمود نحو ما يمكن أنْ يمثل الخصوصية الثقافية سيتزعزع ما لم نعدد مصادرنا الثقافية، واندماجنا وتكاملنا معها في علمانيتها. لذلك قد نلاحظ انتقال في الفكر، ليس بسبب نوعية الأفكار الجديدة، بل بسبب قدرتها على مخاطبة وعي الإنسان لتنقله نقلة نوعية من مفاهيم قديمة جامدة فقدت حيوتها نحو أخرى أكثر ديناميكية وحرية.

الخضوع للون واحد من الثقافة لا يقود الى نهضة المجتمع. ما لم نستبدلها بثقافة تنوع مشرعة الأبواب على الثقافة العالمية ومنابعها الفكرية، دون التخلي عن ثقافتنا الخاصة، وعرضها بأسلوب سلمي دون عدائية، سنبقى خارج الحضارة العالمية. مهما كان انتماؤك الفكري والعقائدي فلا

تكـن ذا بعـد ثقـافي واحـد، كي تكـون مـن قـادة التغيـير. فالمثقـف الحقيقـي هـو مـن يحمـل هـم المجتمـع ويحـرر الأفـكار مـن الأوهـام والخرفـات.

مهـما جملنـا ثقافـة البعـد الواحـد، وأظهرنـا، قوتهـا، وخصوصيتهـا، وعظمتهـا الـخ... فإنهـا لـن تجنـي ثمارهـا في عـالم اليـوم أو الغـد، لأن التكنولوجيـا المعـاصرة غـزت العـالم وفتحتـه أمـام كل فـرد في زوايـا الكـون، وسـمحت للمعلومـات بالتدفـق والوصـول الى كل شـخص بعـد أنْ كانـت محصـورة بيـد قلـة مـن البـشر. فعـالم الغـد لـن يكـون فيـه مـكان لإنسـان، او دولـة تحـاصر نفسـها بثقافتهـا فقـط، ولا تسـتوعب الثقافـة العالميـة. وإنْ حصـل سـننتقل مـن جهـل وأميّـة الفـرد الى جهـل وأميّـة الجماعـة لتعيش في جيتـو ثقـافي بعيـدا عـن الحضـارة العالميـة، فهـذا ضرب مـن الانتحـار الفكـري.

إنْ وجـد كاتـب متعـدد الأبعـاد الثقافيـة، إنسـاني التوجـه، مسـتنير الفكـر، صـادق في نقـده، واقعـي، عالمـي الدعـوة، واسـع المعرفـة، لا يسـاند التطـرف او الإرهـاب ، ملتـزم ومدافـع عـن قضايـا الشـعوب المقهـورة، لا يميـز أو بفـرق أو يتعصـب فهـو ثـروة لـلأسرة الإنسـانية لا تـأسروه لا تقتلـوه، اتبعـوه. حاجتنـا الى كتـاب نهضويـين... يحملـون افـكارا ثوريـة تنقلنـا مـن القديـم الى الحـاضر تتعاظـم يومـا بعـد يـوم.

فـرض ثقافـة معينـه، تهـدف للهيمنـة، والسـيطرة عـلى الشـعب ، دليـل عـلى سـطحية، وضحالـة ثقافـة الراعـي والداعـي لهـا، فيظهرهـا بأنهـا لا تمتلـك، وتفتقـد القـدرة عـلى الاندمـاج، والتكامـل في ومـع مجتمـع انسـاني محـلي، أو عالمـي. لا تسـاهموا في تراكـم الجهـل والتخلـف سـاهموا في بعـث العقـل وتحـرره مـن عبوديـة قيـوده.

عاصفة مبعثرة من الأفكار

جاء الربيع العربي مفاجئاً غير متوقعاً، وحمل شعارات وأفكار تنذر بتغير انتظرناه منذ عقود، وربما من قرون مضت. المفاجئة كانت صفعة للآمال والحريات. اختلطت أوراقنا وتبعثرت أحلامنا.... المهم أن زخم التغير لم يخيم عليه القنوط.....والأحرار لا تنهيهم خسارة معركة، بل تبعث فيهم روح النضال والعزيمة بقوة شكيمتها تتفوق عما سبق وأقوى منها. فثورات التغير ستنتصر في النهاية حتى لو بعد عقود... تقبلوا يا أحرار مني هذه الباقة النثرية المبعثرة.

زعماؤنا يصلون للواحد القهار .
يتعبدون ليل نهار.
صورهم في الصفحة الأولى
وعلى نشرة كل أخبار .
رحمتك يا ستّار.
استجب لصلواتهم يا جبّار
إنْ كانت لنهضتنا
أو خدمتنا
رحمتك أكثر بها علينا
وزد في الاستمطار

****

كعرب
لم تستقر بنا بعد الأقدار
نعيش في دوامة
فكر وإعصار
فلسنا في التفكير والأفكار .

من أقسى اليمين
إلى أقسى اليسار
التفكير أصبح
فنّاً من الانتحار .
بالسيف نموت
أو برصاص غدار.
نعلق وسط النهار
نتعفن في زنزانة
ننتظر حكماً
ننتظر قراراً.

****

من المحيط إلى الخليج
أرضنا خيراتنا نفطنا
مستباحة للغرب للاستعمار
سقطنا في دائرة الانتظار
زعماؤنا
لا يملكون موقفاً
لا يملكون قراراً
دجالون فتانون
عار يتبعه عار
من كل صوب وحدب
زعماؤنا
يحجّون للغرب
يستشيرونهم في كل درب
لهم باتوا أماً وأباً

****

يا عرب، يا متحذلقين
الغرب يسعى
لحل خلافاتنا بالتقسيم
يريدوننا متخلفين
محطمين، منقسمين
مبعثرين، متفرقين
مأساة في فلسطين
في العراق...
حسرة ومستقبل مشين
تجويع، وقتل بسكين
انفجارات بالمعابد والعابدين
مصر غمرها الطمي
حالتها أوضاعها في الطين
تونس تلتهب تشتعل
تبحث عن مخرج...
لا تحن لزين العابدين
ولا للمتأسلمين
سينكمش الوطن الليبي
الحكم فيه للزعماء القبليين
واليمن لم يخرج من أزمته
أوضاعه لم تستكين
وأهله سيعودون
شماليين وجنوبيين
وسوريا ...
قتلتها الخيانة
من الداخل ومن المسمنين
الأعراب الدجالين

سحقوها باتت طحيناً
ستصمد سوريا
وتخرج كمارد به
أحد لا يستهين
السودان يتمايل شمالا ويميناً
نهض فيه الأحرار منادين
بالتغيير وحكم القوانين
وباقي الدول العربية
تعانى من أمراض اقتصادية
سياسية، دينية، وفكرية
ينتظرها إصلاح أو جحيم

****

إحزنوا لا تفرحوا
ستدور الدوائر علينا أجمعين
ويبعث فينا استعمار مشين.
استعمار، جديد، مهين.
كونوا هيابين لا مهانين.
عدنانيين، قحطانيين
عربا لا مستشرقين
مع شعوبكم لا مغتربين
أمناء لا مفسدين
منسجمين لا متنافرين
أحراراً لا مقيدين
أصحاب قرار لا مهمشين

****

يا عرب... يا فشّارين
تعاضدوا، كونوا متكاتفين
موتوا واقفين
لا تعيشوا مذلولين
يأتونكم من الغرب باسم الحرية
والديمقراطية، وحقوق الإنسان
عنها مدافعين
ليسوا أهل كتاب
أو مسيحيين
أو أولياء صالحين
لرسالة العدل والحق
مدافعون، مبشرون
بالمحبة للبشر أجمعين
للأعداء للكفرة وللمضطهدين.
ذئاب هم ...
كراهية في جوفهم
لكم حاملين

****

يا عرب ... يا زعماء
بشعوبكم أنتم أقوياء
اتخذوا موقفا واجراء
تقبلوا كل نقد بناء
لمصلحة وطن الأجداد والآباء
ولكل من قدم نفسه ضحية فداء

****

بعضكم نقدا لا يتحملون
إجراءات لا يتخذون
مواقفهم أصابتنا بالجنون
وما زالوا يكابرون
لمواطنيهم مخادعون
بالكذب بالدسيسة يتعاملون
وعن الفاسدين
والمفسدين يتعامون
أهكذا تبنى الأوطان
ويبنى المواطن والإنسان
بالزجر بالتخويف بالسجن
بالترهيب بالوعيد
بالاعتقال، بالتقييد
بالسكين

****

في المصائب
تبرير لضعفكم يا سادة
في الحكم، في القيادة
تسرعون تتنادون
بمؤتمرات فوق العادة
عن ظهر قلب
حفظنا نتائجها
تعقد دون إفادة
اعذروني إن قلت...
مهزلة يا أصحاب السعادة

دليل أزمة في فن القيادة
بعد التوكل على الله...
تخرجون بقرارات
ببيانات فوق العادة
أعذروني
إنْ قلت...
أنها تحت العادة
في زمن الحياضة
أين الاستفادة؟
تراجع الحق
لصالح الحقارة
قربانا قدمتم العراق
وتبيعون الآن سوريا
مهد الحضارة
يا للحسرة
يا للمرارة

****

تجرؤا على القول لا للحرب
لا لجبروت ومصالح الغرب
احنيتم رقابنا ورقابكم للضرب
من كل صوب وحدب
أصبحنا مهزلة لكل شعب
كممتم أفواهكم
قزمتم شعوبكم
وللطاغوت كان سجودكم

أزيلوا أقنعتكم
اظهروا على حقيقتكم
لا تتستروا على عيوبنا وعيوبكم
قولوا كلمتكم
غيروا لهجتكم
لو لمرة واحدة في محنتكم
تجرؤا على القول لا للحرب
لا لجبروت ومصالح الغرب
لوحوا لمرة واحدة بالبندقية، بالحسام
وقولوا لا للظلم لا للاستسلام
لا للظلم، نعم للسلام
وان كان للموت بدّ
لنمت كأمراء لا كخدّام

طفل يتيم أنا

في الحادي والعشرين من شهر آذار، شهر المحبة وبداية فصل الربيع، يحتفل العالم بعيد الأم:" كل عام وجميع الأمهات بألف خير".......

في هذه السنة.....

يجذبني شوق، لأقدم باقة نثرية إلى كل أطفال العرب الذين فقدوا
أمهاتهم بسبب المرض، والجوع، والقتل، والتشرد، والمعارك...
أقدم لكل واحد/ة منهم/ هن محبة صادقة من أعماق قلبي...
أتمنى من كل زعيم، ومسؤول في عالمنا العربي أن ينصفكم،
أن يتذكركم، أن يساهم في شفاء جروحكم النفسية، أن يبني

لكم عالماً ومستقبلاً أفضل، لا مكان فيه للأحقاد، والتمييز، والعنصرية، عالماً تحكمه الضمائر الحية فيه العدل والحرية والمساواة مكفولة للجميع.

...في زحمة وذروة الاحتفالات يبقى الطفل اليتيم خارجَ دائرة الاحتفال، إلاّ من شعوري وشعوركم معه.

طفل يتيم أنا
رحلت أمي قبل حين
عن الديار
تركتني ضائعا، هائما
بين الأحزان، والاصطبار
لا أعرف
متى ترجع من رحلتها ؟
وهل سيطول الانتظار؟

أماه
منذ رحلتي عن بيتنا
لم تغلق الأبواب
أكثرهم أنا حرقة
أقف لاستقبالك
على كل باب
لا ساعة في معصمي
لكني... أفرق ...
بين شروق الشمس والغياب
لا أدري كم يوما مضى
جلست على عتبة دارنا

لم آمل... لكن
ملّ مني الإنتظار
لم تعودي...
ما أقسى طول الغياب
دفء بيتنا رحل
منذ مغادرتك لنا أماه

كل يومٍ
اسأل أرجعت أماه؟
انتظرها، قالوا...
وفي عيونهم دموع
تعمى الأبصار
هي في السماء
تعانق الملائكة، والأبرار
... أيهم أحق أماه
طفلك؟ أم الغرباء؟
ألستُ أنا طفلك حبيبك
من فلذات الأكباد .

أماه...
كم هن جميلات
في روضتنا المعلمات
تكسو وجوههن البسمات
يغمرننا بالمحبة والفرحات
تعلو بيننا الصيحات والضحكات
لم ألمس منهن واحدة مثلك
لها عذوبة صوتك

أو رائحة عطرك
ولمست يديك
وبسمة فمك
وسحر عينيك
وحلاوة شفتيك
ونعومة وجنتيك
ولون شعرك
ورائحة ثوبك
أصارحك أماه
قلبي لم يحب واحدة منهن
رغم كل ما بذلن من حنان
فلا طعم للحب
ولا لون للحياة
دونك أماه

بصوت خافت
بهمس
تتمتم شفتاي كلمات حب
أصابع يدي الصغيرة
تتحرك ترتعش تناديك
وعيناي محدقتان
تطيلان النظر في صورتك
المعلقة على جدار صالتنا
عسى أن تقفزي
من الإطار أماه
وتضميني لصدرك
وتقبليني كمطر

يهطل لأول مرة
على أرض
عطشى جرداء

أماه.. أتدرين
كم إليك أنا مشتاق
غصة ولوعة في القلب
حرقة في الحنجرة
صمت رهيب في اللسان
أجيبيني بحق السماء
لو لمرة واحدة
أنا حبيبك
أنسيتني؟ أم أذنيك
كالجدار الذي يحمل صورتك
صماء؟

كمشرد بحثت عنك
في كل غرفة، وفناء
قالوا ، ماذا أضعت؟
أجبت: أمي يا أغبياء
أعادوا قولهم
هي في السماء
نكست رأسي ...مشيت
غيوم قلبي شتاء
جلست على سريرك
أسترق النظر
عبر نافذة غرفتك

نحو السماء
عسى أن أراك
تلوحين بيدك تبتسمين
تهمسين في أذني
كيف أنت يا صغيري
حبيب القلب والفؤاد
أعاهدك إنْ رجعت
أكون مطيع أماه
خلصني من وحدتي
إحمني من غدر الزمان

البارحة في الحلم
كان لنا لقاء
بعد الإفطار
ألبستني ... على ظهري
حملتني شنطة الغذاء
ضممتني قبلتني
من جانب السرير
يد برفق هزتني
صوت جاء بنداء
يا صغيري إنهض
توقف عن الشهيق والبكاء

مهزلة فكر وثقافة

الإنسان قيمة عليا وأغلي ما نملك، يتميز عن المخلوقات الأخرى بعقله وقدرته على التفكير. التفكير يتأثر بمدرسة الحياة وبالكتب المتنوعة التي نقرأها...كعرب نكره القراءة، يميل الإنسان العربي إلى عدم الثقافة، لا قيمة للكتاب عندنا، لذلك تتنازع مجتمعاتنا إلى محاربة المفكرين ومطاردتهم، في عرفها هم يشكلون تهديدا للقيم والتراث والعقيدة والعادات، غياب الثقافة دمرنا حطمنا شل تفكيرنا وكبح نهضتنا وتطورنا...

المثقف، يعد الحجر الأساس والصوت المعبر عن أفكار وأراء ومشاكل مجتمعه... هو القادر على إحداث التغيير الفكري، وتبني الوعي الجمعي المرتبط بأوضاع المجتمع السياسية والثقافية والفكرية والاقتصادية والدينية... إذا كانت ثقافة الأفراد مهلهلة تنتج مجتمعا مهلهلا، والعكس صحيح أيضا...المواطنون هم من يصنع ثقافة المجتمع بالتعاون مع الدولة والأسرة والمدرسة، فإن كانت الدولة تتدخل، وتملي وتنتقي ما يقرأه مواطنوها فذلك دليل على انحطاط الدولة الفكري، التي بالنهاية ستمنع الكتب وتحجبها عن الظهور...مكونة دولاً قمعية تنتهج العنصرية بحق معظم مواطنيها وتفرض عليهم ثقافة الأغلبية، بذلك لا تخدم التطور بل تخدم مصلحتها وسلطتها ونفوذها واستمرارها في الحكم ومصالح قادتها تحت مسميات فخمة مجلجلة......في مقالي هذا لن أتحدث عن الأصالة والحداثة والتجديد والتقليد. بقدر ما يهمني مسببات حالة بؤس الثقافة العربية التي أوصلتنا إلى الحضيض. هل الاستسلام للتيارات، والموجات المناهضة لتغيير المجتمع هو الحل الأمثل؟ أم حمل حقائبنا والهجرة...هجرة الأدمغة وترك الوطن؟ أم التصدي لها بكل ما أتانا بقوة الفكر والمنطق؟

يقف المثقف العربي على مفترق طرق، تحاصره حواجز، تجابه جدراناً عصية

تعـترض تفكـيره. تواجـه هجـمات بأشـكال وألـوان مختلفة...هجمـة عـلى الانفتـاح الثقـافي العالمـي. هجمـة عـلى الكتـب التـي لا تتناسـب وفكـر المجتمـع الإيديولوجـي، والعقائـدي والـتراثي والتاريخـي والدينـي. هجمـة على وسـائل الإعـلام المختلفـة. هجمة عـلى الحريـات. هجمـة عـلى دور السـينما والمسرح والممثلـين والراقصـين والراقصـات. وعـلى كل ناشـط ونشـاط فكـري في المجتمـع. كثـير هـي أعـداد الكتـب بلغتنـا لمؤلفـين عـرب، أو مترجمـة مـن اللغـات الأجنبيـة للعربيـة، ممنوعـة مـن التـداول في مكتباتنـا. السـبب في منعهـا هـو تحليلهـا للواقـع العـربي الفكـري في ميادين حياتيـة شـتى مـن المـاضي إلى الحـاضر. تمنـع، لسـبب بسـيط وهـو إرباكهـا لرجـال السياسـة والديـن، تهـز مضاجعهـم، تؤرقهـم أفـكار كتّابهـا وانطلاقهـم المنطقـي للعـلاج والإصـلاح... بـدل أن يمنحـوا المناعـة للقـراء عـن طريـق فحصهـا وتمحيصهـا ودحضهـا ومناقشـتها يلجـأون لأسـهل السـبل وهـو منعهـا. إن سـئل المواطـن لمـاذا؟ يجيبـون ببسـاطة... إنهـا ضـد اسـتقرار وأمـن الوطـن وضـد كلام اللـه، فلنبتعـد عـن كل مـا يثـير الفتنـة، ويذهبـون إلى حديـث ضعيـف يقـول" الفتنـة نائمـة لعـن اللـه مـن أيقظهـا"....إن كان العـرب يهابـون المفكريـن، فكيـف سـتتحقق التنميـة الفكريـة وتتطـور مجتمعاتنـا؟...وإن كان المثقفـون يخافـون سـلطة المتسـلطين، فمـن سـينير لنـا طريـق المسـتقبل ؟ ومـن سـيحمل لـواء التغيـير في عـالم يتسـارع في التقـدم والتطـور، وفيـه نحـن نسـير بتسـارع نحـو الخلف؟

عالمنـا العـربي فقـير ثقافيـا، الثقافـة فيـه عقيمـة، لأنـه يفتقـر إلى المثقفـين القـراء. ثقافتـا سـطحية وضحلـة، تعبنـا مـن القـول بأننا شـعب غير ميال إلى الثقافـة والتفكير. المثقفـون هـم الضـمان لبنـاء المجتمعـات، ولبنـاء دول مدنيـة، علمانيـة ديمقراطيـة. دولـة لـكل المواطنـين، يجـب رفـع القيـود عـن الكتـب، وتشـجيع القـراءة عـن طريـق فتـح المكتبـات وفـرض قوانـين تربويـة لتشـجيع الطـلاب عـلى القـراءة والتثقيـف ورصد مبالـغ ماليـة للتنافـس في الكتابـة الأدبيـة والشـعر والموسـيقى... لنشـجع الكتـاب وندعمهـم ماديـا ومعنويـا، كي يعيشـوا بمسـتوى لائـق .هـو رصيـد الدولـة الفكـري والحضـاري... البعـض يقـول علينـا أن نحـرص عـلى عـدم تـسرب أفـكار مارقـة إلى أبنائنـا، أنتـم لا تحصّنـون أبناءَكـم بمفـردات تدعونهـا قيـماً، وعـادات وتقاليـداً.... يقـول الإمـام عـلي: "لا تعلمـوا أبناءكـم عـلى عاداتكـم فإنهـم مخلوقـون لزمـان غـير زمانكـم".

هويتنـا الحضاريـة مركبـة ومكونـة مـن عـدة هويـات حضارية...ليـس هنـاك نقـاء في الهويـة الثقافة...بسـبب تداخـل الثقافـات عـبر آلاف السـنين ودخولهـا لمنطقـة مـا بوسـائل مختلفـة. لا يوجـد ثقافـة لم تتدخـل بهـا ثقافـات أخـرى. حركـة التاريـخ السياسـية والاجتماعيـة والثقافيـة والاقتصاديـة والدينيـة تتحـرك مـع الجيـوش بـكل حـرب وصراع، ومـع القوافـل والانتقـال عـبر الحـدود أنتـج اندماجـاً ثقافيـاً، الـكل أخـذ مـن الـكل، والـكل أعطـى الـكل فـلا يوجـد ثقافـة نقيـة مئـة بالمائـة. حتـى في مفرداتتنـا اليوميـة هنـاك كلـمات ليسـت ذات أصـول عربيـة... مـا حـدث في المـاضي مستمر وأدّى إلى تتابـع الحضـارات والثقافـات وتنوعهـا. فهـل يعقـل أن نمنـع ذلـك من الحـدوث في عصرنـا الحـالي مـع العلـم أن الانفتـاح عـن طريـق التقـدم التكنولوجـي يسـاهم في توسـيع أفـق الإنسـان المعـرفي عـلى العـالم، فـلا يمكـن أن نبنـي حضـارة لا تستند إلى حضـارات أخـرى، شـئنا أم أبينـا فـلا مجـال لوقـف عجلـة التقـدم ولا مجـال لمنـع الانفتـاح الثقـافي وإنْ جاهدنـا لفرضـه سـنجد أنفسـنا في النهايـة نعـش في زمـن غـير زماننـا يعـود بنـا نحـو المـاضي، ومـكان سـكانه يرضعـون التخلـف، ومتسـمرون، وعالقـون في تاريـخ مضلـل لا يصلـح لحياتنا العصرية ولا يسـتجيب لتطلعات الشـعوب.

نحـن نضـع معايـير ومقاييـس لنوعيـة الكتـب التـي يجـب تداولهـا في الأسـواق... السـؤال لمـاذا؟ ...فلـماذا نخـاف؟ ليقـرأ كل منـا مـا يحلـو لـه مـن كتب...الكتـب الممنوعـة كتـب لهـا علاقـة بالنقـد والتحليـل والفكـر والجنـس... ندّعـى الحـرص عـلى تسـميم عقـول الأبنـاء. ثقـوا، أفكارهـم لـن ولم تسـمم، لكنهـا سـتندفع نحـو البحـث عـن الـذات والطبيعـة والكـون... سـتبحث أيضـا عـن حقيقـة اللـه العقـل الكـوني الجبـار الـذي خلقنـا عـلى صورتـه ومثالـه. الـذي نخـاف أن يبتعـد أبناؤنـا عنـه – اقتنعـوا سـيهربون إن جعلتـم حكمـة اللـه قتـل وتدمـير، وحـصر الفكـر- اللـه الـذي تعبـدون ونعبـد يريدنـا أن نكتسـح الكـون بأفكارنـا وعقولنـا ليـس بكتبـه الدينيـة فقـط بـل بـكل إنتـاج فكـري في العـالم. .يريدنـا أن تمتـد معرفتنـا لأبعـد أبعـاد الكـون ونفهمـه- لـن يتـم ذلـك أحبتـي إلا مـن خـلال الكتـاب ومـن خـلال القـراءة المتنوعـة المنفتحـة عـلى الشـعوب والثقافـات الأخـري...

اتخذنا من الغرب عدوا ثقافيا لنا بخوفنا من أن تنصهر ثقافتنا وتذوب في ثقافته... يا هلا بالفكر غير الناضج، ألا نخجل من قول كهذا؟ .أليس هذا تصريحا رخيصا بأن ثقافتنا لا قيمة لها؟ ألا يشكك في ضعف ثقافتنا وهزالها ...كيف يمكن أن تذوب إن كانت ثقافتنا، محصنة وتقف على أرضية صلبة... بقولكم هذا تسخرون من العقل العربي.هذا أيضا يؤكد على أن الضعف الناتج سببه السياسات غير الناضجة ولكن حقيقة الأمر تثبت خلاف ذلك. تثبت أن في العالم العربي عقول جبارة لكنها مهمشة، تقصونها لأنكم لا تستطيعون مقارعتها... نهاجم الغرب بأن ثقافته إباحية جنسية وندّعي تخوفا على أبنائنا من ثقافة الجنس. بينما الكبت الجنسي والحديث عن الجنس لا ينتهي في مجتمعاتنا. ويتداوله الجميع من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار. وعلى الهوائيات مباشرة وعلى الإنترانت. بدلائل واجتهادات من مصادر علمية وغير علمية. هذه أيضا يثبت بطلان ادعاءاتكم غير القائمة على أسس علمية.

في عصرنا الحاضر كثير من الثقافة العربية مقيدة تعيش رهينة الماضي. الأحداث التي تدور في دولنا العربية ليس لها علاقة بالثقافة، لا من قريب ولا من بعيد. بسبب غياب الفلسفات الاجتماعية. لنعترف دون مكابرة، أنه لا يمكن الالتفاف على الفكر ونقول:" أن الثقافة لا تصقله، وان ما يصقله هو الفكر الديني فقط".. هذا هراء بعيد عن الحقيقة والواقع وأثبتت التجربة الأوروبية فشلها في زمن كانت فيه الكنيسة هي المسيطرة والمهيمنة على الفكر والثقافة. الإنسان العربي، بشيبه وشبابه يجمحون نحو الحريات بشكل عام، والثقافية بشكل خاص. توجههم هذا واضح ، ومن خلال البرامج التي تبثها الهوائيات، تؤكد مقدار اشتياقهم إلى التغيير بوتيرة تصاعدية. يتطلعون للتغير بعقول وقلوب وعيون منفتحة وضمير صافٍ صادق. بإرادة حرة، وهم مقتنعون ومستمرون بأيمانهم بدينهم وبكتبهم المقدسة. الثقافة الفكرية حاليا تواجه هجمة مسعورة، ومع ازدياد التطرف ستصبح الثقافة معدومة. كما سيزداد وهمنا بأن الثقافة العالمية كمنافس لثقافتنا ستعمل على تقويض حضارتنا. هذا ولّد صراع بين القديم والجديد . وبين التقليد والحداثة وبين المنفتحين والمنغلقين .. وكل منهم

أصبح لـه أتباعـه، وقـف أتبـاع كل طـرف يقتنـص الفـرص لدحـض أفـكاره وتفنيدهـا... فـكان الـصراع إمـا أن نتوجـه صـوب المسـتقبل متسـلحين بمعـارف وعلـوم وثقافـة القـرن الحـادي والعشريـن وإمـا أن نتقـدم نحـو المسـتقبل بفكـر محـاصر لا يتقـدم إلا بإشـارة مـن نصـب نفسـه وصيـا عـلى النـاس. بالتـالي سـيضحي البـؤس خيمـة تظللنـا والحـزن وشـم عـلى جباهنـا، ندخـل في مجهـول لا نعـرف إلى متـى سـيطول...

هـذا الـصراع لـن يـأتي بريـاح تغيـير، مـن يبغـي التغيـير عليـه أن يبنـي أحلامـاً جميلـةً لأبنائـه ويتجـه نحـو الأمام...العـودة للـوراء غـير مجديـة إلا في حالـة واحـدة وهـي الاسـتفادة مـن الزمـن الـذي سـاهم في تطورنـا وإحيائـه، وليـس إعادتـه. عجلـة الحيـاة لا تسـير للـوراء، فقـط تسـير للأمام...علينـا أن لا نربـط ثقافـة التقـدم بقـوة التديـن، بل بالإيمـان بأننـا نسـتطيع التقـدم مـن خـلال اللـه الـذي يفتـح عقولنـا وعيوننـا وقلوبنـا ويمنحنـا القـدرة عـلى التفكـير بمـا يتناسـب والمسـتقبل. الفكـر المـاضي يسـاهم بدفـع فكرنـا نحـو الحـاضر في حالـة واحـدة فقـط إن زدنـا مـن قدسـية العقـل الـذي وهبـه اللـه للإنسـان مـن أجـل التفكـير... لا أدعـو إلى قطـع ثقافتنـا عـن ماضيهـا العريـق، عـن تراثنـا الممتـد لآلاف السـنين، القديـم الأصيـل، لأنـه مكـون لهويتنـا العربيـة أيضـا. تاريخنـا يحتـاج إلى إعـادة دراسـة إلى تنقيـح. إن لم نراهـن عـلى مثقفينـا في التغيـير فعـلى مـن نراهـن. إن لم يسـع المثقفـون للتغيـير فـلا أمـل للوطـن أن يتغـير. سـيبقى حبيـس فكـرة جاهلـة متخلفـة. وللمتدينـين الخائفـين مـن التغيـير بشـكل خـاص أقـول:" الشـخص المتمكـن مـن عقيدتـه، والواثـق مـن فكـره الدينـي لا يمكـن أن يغـيره بـأي حـال مـن الأحـوال، إلا في حـال وصولـه إلى قناعـات تزعـزع إيمانـه بـأن مـا يعتقـد بـه لا يمـت للإنسـانية، وروحانياتهـا، وأخلاقياتهـا، وللآخـر الـذي نعيـش معـه بصلـة وعلاقـة". اسـتمرار صراعنـا مـع الثقافـة يزيـد مـن صراعنـا العقـلي والنفـسي والجسـمي والروحـي، لأن موقـف الفـرد الفكـري تائـه لم يسـتقر أو يحسـم بعـد... نتيجـة لذلـك، يخلـو الوقـت الحـالي مـن عـلاج لأسـقامنا الوطنيـة الثقافيـة، خاصـة في الهبـات المدعـوة "بالربيـع العـربي"، إلا بصحـوة فكريـة، تـأتي مـن خـلال الكتـب وتثقيـف الإنسـان لخلـق المواطـن السـليم فكريـا.

١٣- الاخلاق
ثورة أخلاقية

عدم الاستقرار السياسي والاجتماعي والديني،
سببه انعدام العدالة، وتفشي الفساد والنفاق.
تقويم المجتمع يحتاج الى ثورة أخلاقية على
كل المستويات.

الجنس البشري خلال انتقاله عبر العصور من بدائيته المتوحشة الى تحضره المعاصر، لاحظ، وفسر، كل ما يدور حوله من مظاهر طبيعية، وأحداث لا إنسانية: من مآسي، ودمار، وخراب، وقتل، واستهتار بحقوق الناس ، ولجم لحرياتهم، وغياب الأمن، والتفرقة بأنواعها، وأشكالها، ومسمياتها العديدة الخ... ما عزز وعيه لضرورة وضع تشريعات، وضوابط لمعالجة نتائجها السلبية على العلاقات الإنسانية تحت مسمى "قوانين" و "أخلاق". تركيزه على الاهتمام " الأخلاقي" جاء بعد تحليل تأثير التجارب القاسية والنزاعات المريرة على العنصر البشري، وبعد مخاض فكري طويل مكنه من أنْ يفصل بين كل ما يعاني منه ويتسبب في "الشر" وما يجب فعله في المقابل من "خير". فتم بلورتها كمبادئ وقيم، تزداد حاجتنا اليها كلما تراجع سلوكنا على المستويين الشخصي والعام.

عالميا يتفق البشر على تعريف مصطلح الأخلاق: " على أنها القواعد المنظمة لسلوك الإنسان، والتي تتحكم في أفعاله، وردود أفعاله التي تصدر عنه، فإما أن تكون حسنة فيكون الإنسان ذا أخلاق حسنة، وإما أن تكون سيئة فيكون الإنسان ذا أخلاق سيئة." نتائج الممارسات السيئة الظاهرة على الساحة في العالم الثالث دليل على ازمة أخلاقية. دليل على عبث فكري وسلوك غير مستقر وناضج قادر على القيام بدوره القيادي، ليس هناك دليل أو مؤشر على وجود نهضة، فوضى منظمة

لا هدف يلوح في الافق تغطيها طبقة رقيقة جدا من الرماد. فيها يذهلك التقدم العمراني، الشوارع العريضة، الإضاءات، الميزانيات الضخمة، ناطحات السحاب، وقوانين لا تنفذ الا على الضعفاء الفقراء الخ... إنه عالم ظاهري جميل يخفي بشاعة حقيقية، وأخلاق سيئة تلبس عباءة التقوى، وشعوب أعياها غياب التغير.

هل الأخلاق تميز بين بشر وبشر؟ هل تميز عقيدة عن أخرى؟ إنْ قلنا نعم وقعنا في مطب العنصرية ، وإنْ قلنا لا، أقررنا واعترفنا أنّ الأخلاق واحدة عند كل الشعوب، لكن هل يتميز مجتمع بأخلاقه عن مجتمع آخر؟ نعم، ما يميز فئة عن أخرى، بشكل خاص هو ما يصدر عنها من سلوك، من خلال تطبيقها للمفهوم الأخلاقي على كافة مجالات الحياة وبقوة من خلال تحكيم الضمير إنسانيا وبانفتاح، وليس من خلال مفاهيم تربوية عقائدية أو اجتماعية ضيقة. ننظر للأشياء حسب تربيتنا ونحكم عليها حسب أخلاقنا، اتساءَل اين الفضائل التي تعالج الرذائل المدمرة للفرد ولسلوكه الإنساني. نتساءَل اين الضمير؟ ألا يكتسب الضمير بنيته من تعاليم المجمع، ويرتقي بحكمه حسب وعي وثقافة الفرد وانفتاحه على الحريات والمفاهيم الإنسانية لإصدار حكم منطقي وعقلاني . أليست الاخلاق انتاج تراكمي لمعايير ولمواقف محلية، لذلك استجاباتنا الأخلاقية لا تخرج عن الإطار التربوي الذي تلقناه منذ طفولتنا. إذن هل الأخلاق هي فعل الخير والابتعاد عن الشر؟ هل أفعال الأخلاق الخيرة ضيقة بحيث لا تتعدى كل من يختلف عني بالجنس، واللون، والفكر، والعقيدة والعرق، والوطن ؟ هل الأخلاق تبيح أن أضع نفسي في مرتبة أعلى والاخرين في مرتبة ادنى؟ هل الاخلاق تمنحني حق الاستفادة من منصبي وإثرائي؟ هل الأخلاق مصادرة حقوق الناس؟ هل الاخلاق التسلط وقمع الحريات... أسئلة تحتاج الى إجابات من كل فرد في المجتمع.

ممارسة بعض رجالات الدولة من ساسة، ومن يدعمهم من رجال دين تعكر صفاء المجتمعات البشرية، مستغلين مسمى الأخلاق، ليعملوا على قمع وإجهاض كل المحاولات لتغيير المجتمع نحو بناء أكثر تقدما وتطورا ،ترعبهم بشكل خاص الدعوات المطالبة بإطلاق الحريات، فيعملوا ضدها جاهدين مجتهدين على فرز

سريع لثقافة بائسة مشوهة المفاهيم والقيم والعلاقات الإنسانية من أجل قمع المجتمع والتحكم فيه. هذه التصرفات والسلوكيات لم تعد بالغة السرية، ظاهرة واضحة كوضوح الشمس الساطعة في دول غير مستقرة سياسيا واجتماعيا واقتصاديا في العالم، دول تعمل على تصدير مفاهيمها بلباس سياسي ديني لإثارة المجتمع بدعوى خوفها وحرصها على أخلاق وانحلال المجتمع، مقارنة تميزها الأخلاقي بالمجتمعات العلمانية المنحلة – هكذا تدعي - شتان ما بين الثرى والثريا، ما يحصل في الخفاء والعلن في الدول المستورة من أمور يندى لها الجبين لو سمح للنساء، والأطفال بالإفصاح عنها لملأت فضائحها مجلدات - للأسف في العالم الثالث العلاقة الجنسية تأخذ حجما كبيرا من حجم الرزمة الأخلاقية متناسين تأثير السلوكيات الأخرى على المجتمع، كأن المرأة الكائن المقموع أصلا هي أخلاق المجتمع -. شعوب بائسه أخلاقها وقيمها ترتبط بثقافة الجسد لا بثقافة الممارسات من عدالة ومساواة وسلام وتسامح الخ... بصراحة، بصمت مثقفيها دفنت الحقيقة، وبات من يدعون بأحرارها أسرى يرعون في حضائر من تسلطوا على وعيهم، وسجناء فكر في زنازينهم ومن سار في دربهم منهم شل فكره وإرادته، باع نفسه لإغراءات المال. الأكاذيب التي تروج، تظهر أنّ لا كرامة، أو أخلاق للآخر. هل الأخلاق تسمح الزنى بالكلمات، بينما خيرات الوطن مباحة للغرباء؟ هل تسمح بممارس الموبقات التي تفرق بين الملل والطوائف الدينية، والقبلية، والأحزاب السياسية؟ هل تسمح بتجاهل متطلبات المحتاجين والتمييز بين أكثرية وأقلية؟ هل الأخلاق تغليب الأحكام القبلية على القضائية والمدنية؟. هذا قيض من فيض.

حاضرا أخلاقنا تراجعت، ويري البعض أنّ وسيلتنا للخروج من هذا المأزق هو إعادة ترتيب تكرار ذاتنا التي نجتهد في صياغتها وتشريعها كما كانت في الماضي كمبادئ وكقوانين دون الأخذ بعين الاعتبار دوافع وميول الشعب الفكرية والعقائدية، والحداثة، والزمن الذي يفصل بين الماضي والحاضر، يقدمون للمواطنين رزمة أخلاقية لا تخضع للحوار أو النقاش، بالرغم من قساوة أحكام بعضها، أو يسر بعضها الآخر عليهم الامتثال لها مهما كلف الامر.

بناء مجتمع مثالي – يوتوبيا - شيء مستحيل. بناء مجتمع منسجم أكثر واقعية من بناء مجتمع مثالي. المجتمع المثالي حلم لن يتحقق، والعيش في مجتمع يعاني من ازدواجية واضحة فيها ندعى الأخلاق ونمارس عكسها لا أمان فيه. الإيمان والتواجد في دور العبادة إحدى مظاهرها، عدم وضع الرجل المناسب في المكان المناسب، خيانة الأمانة والمركز الوظيفي، التغاضي عن الأفعال السيئة لمن هم مقربون من أصحاب المراكز، تعين الانسان غير المناسب في المكان غير المناسب له ولقدراته، شراء الذمم في الانتخابات، التلاعب في أسعار السوق، عدم دفع المرتبات الكفيلة للعيش الكريم، عدم المساواة بالأجور، عدم تنفيذ مخططات المشاريع والتلاعب بميزانياتها، القضاء غير العادل، بيع المواد الفاسدة من لحوم ومعلبات على أنواعها المختلفة، استغلال النساء لحاجاتهن الوظيفة الخ... كلها تنطوي تحت مسمى لا أخلاقيات.

الالتزام الأخلاقي يعتمد على العقل كما تم تغذيته، ليتناسب مع تعاليم المجتمع الذي ينتمي اليه الفرد. لماذا تمت تغذيته هكذا؟ ولمصلحة من تجهل المناهج التربوية الأجيال القادمة؟ ومن هو الطرف المستفيد في النهاية؟ فإن كانت التربية الأخلاقية قائمة على عناصر تنظم العلاقات فيها على أسس اختلاف في العقائد والأفكار ولا تلتقي مع روح الانتماء الإنساني فهذه عنصرية تدعو لعدم القبول والتحدي والتصدي وكراهية كل ما هو آخر. الفروق تدفع للتنافس من أجل البناء العام، خلاف ذلك تدفع للنزاع والاقتتال. لن تزول الاختلافات ما دامت هذه ثقافة المجتمع. الأخلاق التي يعلمها المجتمع قد تؤدي الى غرضين إما السيطرة على الإنسان ضمن نظام محدد محكم الإغلاق، أو دفع المجتمع نحو تحقيق الحريات. فالتمتع بحرية الاختيار التي تعود إلى كل ما استنتجه وفسره وحلله عقل الانسان ضرورة أخلاقية لإنقاذ المجتمع. لذلك ما أحوجنا لثورة بناءَة تخدم الجميع، نحتاج لثورة أخلاقية صادقة تخضع كل مكونات المجتمع أفقيا وعموديا للقانون.

من المهم أن نتذكر، المبالغة بالحديث عن الأخلاق دليل على فقده وغيابه، الأخلاق استقامة في القول والفعل تجنبنا الوقوع في أخطاء تمنع العدالة، كما أنها تجسد حقيقة النقاء البشري، وتعبر عن استمرارية وجوده، ولا تتقيد في

مـكان أو زمـان. الأخـلاق التـي تتعـدى المفهـوم الإنسـاني العـام وتنحـصر في أتباعهـا فقـط هـي أخـلاق كسـيحة تهـدف لمصلحـة ذاتيـة لا عالميـة شـاملة. الثـورة الأخلاقيـة هـي الضمانـة الوحيـدة لإعـادة الكرامـة للإنسـانية جمعـاء، تحقيقهـا يكمـن في نـشر أسـلوب تربـوي جديـد يعالـج الأخطـاء المدمـرة للسـلوك الإنسـاني، وفي غيابهـا ضمانـة لانتعـاش واسـتمرار اللاأخلاقيـة.

مركز وئام الفلسطيني

**نبذة تاريخية:

مركـز وئـام الفلسـطيني هـو مركـز غـير حكومـي، إنسـاني المطـاف، عـربي العمـق وفلسـطيني المنشأ. تأسـس في شـهر آذار عـام ١٩٩٤، مـن قبـل فعاليات شـبابية تسـهر عـلى خدمـة المجتمـع وتلبيـة إحتياجاتـه المختلفـة بجميـع فئاتـه.

تـم تأسـيس هـذا المركـز نتيجـة تفاقـم وازديـاد تحديـات الشـعب الفلسـطيني كالبطالـة والتضخـم المـالي ,وارتفـاع وتـيرة المشـاكل وتفاقـم العنـف وغيرهـا؛ وذلـك بسـبب سياسـة الإغـلاق الإسرائيـلي لمدينـة القـدس والحصـار الاقتصـادي والسـياسي للمناطـق الفلسـطينية، إضافـة للإجتياحـات المتكـررة مـن قبـل قـوات الاحتـلال الإسرائيـلي للسـاحة الفلسـطينية، ومـا نجـم عنهـا مـن ازديـاد للضغـوط المختلفـة التـي يعـاني منهـا الشـعب الفلسـطيني، خاصـة الضغـط النفـسي والكبـت والحرمـان والتـي بدورهـا انهكـت الشـعب الفلسـطيني، مـما أدى إلى ازديـاد الخلافـات الداخليـة وتشـعب النزاعـات، وتفـرع الخصومـات.

وبنـاء عـلى مـا تقـدم، قـام زغبـي زغبـي وبالتعـاون مـع أشـخاص مـن ذوي المؤهـلات العاليـة والخـبرات المتميـزة بفتـح مركـز يقـوم عـلى حـل النزاعـات وتحويلهـا أُطلـق عليـه اسـم "مركـز وئـام الفلسـطيني" وقدمـوا خبراتهـم لابنـاء وبنـات شـعبهم آملـين ان يسـاهمون وبقـدر إمكانياتهـم ببنـاء وتنميـة المجتمـع الفلسـطيني العتيـد.

**أهدافه:

إن الهـدف الرئيـسي مـن إنشـاء هـذا المركـز يتمحـور حـول مسـاعدة الشـعب الفلسـطيني عـلى حـل مشـكلاته في هـذه الظـروف التـي نمـر بهـا، مسـتخدمين في ذلـك

لغة العقل والتفاهم؛ ليحل اللطف محل العنف، والوفاق محل الخصام، ولغة الحوار بدل التصادم، فلتتصافى النفوس وتتقارب القلوب. أجل ،نحن نهدف لأن يكون العقل وتغليب الفكر السليم هو المحك الاساسي لحل جميع الخلافات والنزاعات، متخدين من المنطق دستوراً للتفاهم ومن الحوار غايةً نحققها من خلال اللغة السلسة.

نستند على عاداتنا العربية المتوارثة والأصيلة، التي نتناقلها جيلاً بعد جيل، والتي تقتضي بحل جميع الخلافات مهما اشتدت وتفرعت بلغة الحوار والتفاهم والعقل والمنطق السليم، فقد تم تفعيل بعض الأساليب التربوية الحديثة التي نعمل على تعميقها في هذا المركز، وبناءاً عليه فقد تم استقطاب جميع الخبرات من أبناء وبنات شعبنا مثقفين ومختصين وفاعلين ، والذين لهم/لهن اليد الطولى في حل الخلافات والنزاعات سواء أكانوا رجالاً أم نساء عاركتهم الأيام أو مثقفين ومثقفات من ذوي المؤهلات العلمية العالية .

نحن نهتم ببناء مجتمع مدني قائم على العدل والمساواة والمواطنة الحقة، ملتزمين بمبدأ الشفافية والمحاسبة وذلك عن طريق الدورات التثقيفية والتوعوية المختلفة والحوارات الهادفة والنشاطات الثقافية المتعددة سواء على المستوى المحلي أو ألإقليمي أو العالمي.

**دور ومهام المركز :-

يقوم المركز بدور الوسيط أكثر من دور المحكم، ويسعى إلى مساعدة كافة فئات المجتمع في التغلب على مشاكلهم، بالإضافة الى ترسيخ مفهوم التعددية ضمن الاطار الوحدوي في بناء المجتمع المدني. لقد برز دوره من خلال المهام التالية:

١. تدريب فئة من الشباب تقوم بدور الوسيط، وإيجاد شبكة من الوسطاء المدربين ليقوموا بحل المشاكل في المجتمع الفلسطيني من خلال تعليمهم وسائل وآليات حل النزاع.

٢. عمـل محـاضرات ونـدوات وورشـات عمـل وايـام دراسـية ومؤتمـرات لتوضيـح كيفيـة ممارسـة "الصلحـة" وحـل النزاعـات لفئـات الشـعب الفلسـطيني.

٣. التشـبيك والتنسـيق مـع مؤسسـات فلسـطينية تتعامـل مـع مواضيـع العـدل والسـلام واللاعنـف وحـل النزاعـات والمنـاصرة والتربيـة الديمقراطيـة.

٤. توعيـة المجتمـع المحـلي الفلسـطيني وذلـك مـن خـلال نـشر وتوزيـع الكتيبـات والنـشرات التـي تتضمـن مواضيـع تتعلـق بالتثقيـف المـدني.

٥. تعميـق مفهـوم المجتمـع المـدني ونـشر الوعـي المجتمعـي كلبنـة أساسـية لبنـاء المؤسسـات الحكوميـة وغـير الحكوميـة.

٦. العمـل مـع النسـاء مـن خـلال المحـاضرات والـدورات وورشـات العمـل الهادفـة ودعـم المشـاريع النسـوية اليدويـة كالتطريـز وتربيـة النحـل والفسيفسـاء ومبـادرات اخـرى مختلفـة.

٧. برامج ترفيهية لا منهجية للأطفال كالمخيمات الصيفية.

٨. البرامـج الارشـادية المدرسـية التـي تهـدف الى تعزيـز القيـم الإنسـانية وسياسـة اللاعنـف والتسـامح بـين ابنـاء الشـعب الفلسـطيني.

٩. برامـج التبـادل الثقـافي الـذي يهـدف الى إيصـال الوضـع الفلسـطيني والمعانـاة والانتهـاكات التـي يتعـرض لهـا الشـعب الفلسـطيني الى كافـة المحافـل الدوليـة.

**السياسة العامة للمركز:

ينتهـج المركـز سياسـة موضوعيـة حياديـة، حيـث أن أبوابـه مفتوحـة لكافـة فئـات الشـعب الفلسـطيني عـلى إختـلاف مشـاربهم الفكريـة والدينيـة والسياسـية والإجتماعيـة والإقتصاديـة، فنسـتقبلهم ونسـتمع إلى مشـاكلهم ونسـاعدهم في حـل خلافاتهـم ونزاعاتهـم، فهدفنـا تحقيـق المصلحـة العامـة في المقـام ألأول.

**المنتفعون من خدماتنا:

لا يمكـن إحصـاء عـدد المنتفعـين مـن المركـز؛ لأن كل مشـكلة يتـم حلهـا تكـون دائـرة الاسـتفادة منهـا ليسـت مقصـورة عـلى المتخاصمـين، بـل تمتـد لتصـل إلى عـشرات

الأشخاص لذلك فإن عدد المنتفعين يقدر بالالاف بالاضافة الى البرامج الأخرى التوعوية وبرامج المناصرة والتبادل الثقافي التي يستفيد منها جموع الشعب الفلسطيني.

**إنجازات المركز:

١. قيام المركز بتدريب كوادر فلسطينية على حل النزاعات والمواضيع الأخرى ، وذلك داخل فلسطين وخارجها، مثل بعض التدريبات في الجامعات الأجنبية في أمريكا وأوروبا واسيا وافريقيا والشرق ألأوسط.

٢. قيام المركز بحل الكثير من القضايا، فقد كانت نسبة المشاكل التي تم حلها حتى الآن ٨٥٪، أما النسبة التي لم يتم حلها كانت نتيجة لعوامل سياسية واقتصادية واجتماعية ونفسية خارجة عن إرادتنا.

٣. قيام المركز بالمشاركة في تدريب فئات شبابية على النوع الاجتماعي وحل النزاعات داخلياً وخارجياً إذ شارك المركز ولا زال يشارك بالتدريب على حل النزاعات في المؤسسات والجامعات الفلسطينية أيضاً والاجنبية، إضافة الى قيام المركز بدورات تدريبية لبعض افراد الاجهزة الأمنية والمدنية وجميع الفئات الشعبية.

٤. إزدياد عدد المواطنين المتطوعين والمتطوعات في المركز من كافة الفئات شباباً كانوا ام نساء ام رجالاً ام اطفالاً، حيث يقوم هؤلاء بتكريس أوقاتهم وإمكانياتهم لخدمة المجتمع ككل.

٥. تشكيل لجنة خاصة بالمرأة وذلك انطلاقاً من إيمان المركز بدور المرأة في المجتمع وبالمساواة والعدالة الاجتماعية، وقد سميت هذه اللجنة باسم " لجنة المرأة ضد العنف".

٦. تكثيف النشاطات الشبابية ورفع مستوى الوعي والمشاركة على جميع المستويات في ورشات عمل ومؤتمرات داعية إلى ثقافة الحوار والعيش المشترك وحوار الثقافات.

٧. تعزيز النشاطات للأطفال لإتاحة الفرص لهم/لهن للتعبير بأمان والعمل على تلبية احتياجاتهم المختلفة بالتعاون مع المؤسسات المعنية.

٨. شرح عدالة قضيتنا أمام المحافل الاقليمية والدولية عبر الوسائل المتاحة واستقبال وفود التضامن والتواصل معها في شرح القضية وترتيب برامج ثقافية ضمن إطار السياحة البديلة.

٩. التشبيك والتنسيق مع المؤسسات المختلفة من أجل تقوية المجتمع المدني المبني على أساس المواطنة والنوع الاجتماعي وبث روح المسؤولية فيه وبناء دولة المؤسسات.

أقدم للقارئ العربي كتابي

مُعَاصَرةٌ بلا قيودٍ،

بعد مرور عشر سنوات على ثورات الربيع العربي. يحتوى بين دفتيه على مجموعة مقالات نشرت على موقعي في الحوار المتمدن. متمنيا أن تساهم هذه الثمرة في بناء الوطن، والانسان، في عالمنا العربي الغالي والعزيز على قلوبنا.

تم توزيع، وفهرست المواضيع على ثلاثة عشر عنوان. وهي: الإنسان، واقعنا العربي، الربيع العربي، العلمانية، الانسانية، المرأة، الدين، المواطنة، الحريات، العقل، المعرفة، الثقافة، والأخلاق.

ISBN 978-9950-421-06-6

RAI House of Art